



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرف
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

من مؤلفات
الشيخ
العلامة

التفسير

تفسير سورة هكس

بالحمد لله

العلامة والحق والفقير المذنب المذنب
السيد مصطفى الكركسي الموسوي الإصفهاني

الطبعة الأولى
١٣٧١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العسس في تفسير سورة عبس

كاتب:

آية الله السيد مصطفى الشريعت الموسوي

نشرت في الطباعة:

دار التفسير

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|---|
| 5 | الفهرس |
| 12 | العسس في تفسير سورة عبس |
| 12 | هوية الكتاب |
| 12 | اشارة |
| 15 | العسس في تفسير سورة عبس |
| 21 | تفسير سورة عبس |
| 21 | اشارة |
| 24 | اقوال علماء الامامية في سبب النزول: |
| 24 | اشارة |
| 25 | قول الشيخ الجليل المحدث علي بن ابراهيم القمي (قدس سره) |
| 26 | كلام سيدنا المرتضى علم الهدى (قدس سره) في تنزيه الانبياء |
| 27 | كلام الشيخ الاجل شيخ الطائفة قده في التبيان |
| 28 | كلام العلامة الحفظ المفسر ابن شهر آشوب السروي كان في متشابهات القرآن |
| 29 | كلام الحسين بن علي العلوي من علماء القرن الخامس |
| 30 | كلام شيخنا الطبرسي (قدس) في مجمع البيانية و المال |
| 32 | كلام العلامة الفقيه السيد بن طاووس في كتابه سعد السعود |
| 33 | كلام الشيخ الكبير الاجل المفسر ابي الفتوح الرازي من علماء القرن السادس |
| 35 | كلام صاحب منهج الصادقين |
| 37 | كلام المحدث الكاشاني (قدس سره) في تفسير الصافي |
| 38 | ما ذكره شيخنا العلامة البلاغي (قدس سره) في كتابه الهدى الى دين المصطفى |
| 45 | كلام سيدنا الاستاذ العلامة الحكيم المفسر السيد الطباطبائي (قدس الله روحه الطاهرة) |
| 49 | تمحيص وتلخيص لأقوال الامامية وادلتهم في سبب النزول |
| 49 | اشارة |

- 54
- 57 نظرة عابرة في الروايات المفسرة
- 57 اشارة
- 61 الروايات المفسرة من طريق العامة
- 67 محاكمة مختصرة في الروايات المفسرة
- 69 كلام في سند الروايات المفسرة في سند الروايات و بيان انقطاعها وارسالها وضعف بعض رواياتها
- 72 اضطراب الروايات وتضادها من جهات
- 74 اضطراب الروايات في الأعمى اسماً ونسباً
- 76 الجهة الثالثة ، تعارض الروايات وتضادها في موارد استخلافه
- 79 الجهة الرابعة - اضطراب الروايات وتعارضها في أذانه
- 82 آثار الوهن في متن الروايات المفسرة
- 87 تصوير الجور الحاكم قبال رسالة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)
- 87 اشارة
- 92 منافاة ما فسروه مع سائر الآيات في شأنه (صلى الله عليه وآله)
- 100 كشف الحقيقة من نفس سورة عبس
- 100 اشارة
- 102 اشكال على تفسيرهم من حيث البلاغة
- 102 ما اجيب به عن الاشكال:
- 103 بيان الفساد لما اجيب عن الاشكال:
- 103 اشكال آخر على تفسيرهم:
- 105 توضيح الحال في الآيات وكشف الحق
- 118 عرض الآيات على التاريخ وكشف العبوس
- 118 اشارة
- 119 شهادة سيرة عثمان على انه المعنى به في تلك الايات
- 120 ما فعله عثمان بعبد الله بن مسعود

- 122 ما فعله عثمان بعمّار بن ياسر
- 123 ما فعله عثمان بأبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
- 127 اعداء الاسلام من اهل الكتاب واغتنام الفرصة
- 130 عثرات و زلات و اجوبة عنها
- 130 اشارة
- 131 ما ذكره صاحب تفسير مخزن العرفان والجواب عنه:
- 131 اشارة
- 131 اجوبة عنها
- 134 كلام صاحب (پرتوی از قرآن) و الجواب عنه:
- 146 كلام صاحب تفسير (نوين) و الجواب عنها:
- 147 عدم حجية آراء ابن عباس رضي الله عنه في التفسير
- 147 كلام المحدث القاساني صاحب الصافي قدس سره
- 148 كلام من العلامة البلاغي قدس سره في عدم حجية آراء المفسرين
- 151 ترجمة مختصرة للسدى والكلبي هشام و ابوه محمد بن السائب
- 154 كلام في الكاشفي وكتاب تفسيره.
- 162 كلام السيد المرتضى في تنزيه الأنبياء
- 162 كلام السيد المرتضى في الغرر والدرر
- 195 حل المشكلة:
- 206 تحقيق فيما ذكره من أصحاب الصفة
- 219 كلام صاحب (قاموس القرآن) و الجواب عنه:
- 227 الاضطراب في بعض التفاسير وجعل المعاتب غير النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ارجاع بعض الضمائر اليه(صلى الله عليه وآله وسلم)
- 227 اشارة
- 229 ما المحمل الصحيح لهذا التضاد
- 230 تأثير العثرات في الترجمة الفارسيه
- 233 امعان النظر مرة اخرى في تلك الروايات الضعيفة لكشف الحقيقة

- 233 اشارة
- 236 عمال عثمان
- 241 كلام موجز في معنى العصمة وعصمة الانبياء(صلى الله عليه وآله وسلم)و الانمة عليهم السلام.
- 241 اشارة
- 242 الاجماع من الامامية على عصمة الانبياء
- 243 ما ذكره ابو الصلاح الحلبي قده
- 245 موجز مما ذكروه استدلالاً على لزوم العصمة.
- 251 ما ذكره هشام بن الحكم في العصمة.
- 252 ما ذكره الطوسي والعلامة في العصمة
- 254 في تفسير العصمة وجملة مما قيل فيه و ما يرد عليه.
- 254 اشارة
- 254 الكلام في حقيقة العصمة.
- 254 كتاب قواعد العقائد وما ذكره المحقق نصير الدين الطوسي قده في معنى العصمة.
- 255 ما ذكره العلامة قده في كتابه كشف الفوائد في معنى العصمة
- 256 ما ذكره الشيخ المفيد قده في معنى العصمة
- 257 بيان بعض ابعاد تحقيقاته وافاداته قده.
- 258 بعض ما يرد عليه قده من ابهام كلامه و الايراد عليه.
- 258 ما ذكره السيد المرتضى قده في الغرر والدرر في معنى العصمة
- 260 ما ذكره الشيخ الصدوق في رسالة الاعتقادات.
- 260 ما ذكره على ابن عيسى الأربلي في كشف الغمة
- 262 تمحيص و تدليل على كلام صاحب كشف الغمة.
- 265 ما ذكره العلامة المجلسي قده في ترفيع العصمة عما يوهم الخلاف من الاخبار والادعية
- 266 تدليل على كلام صاحب البحار و ما يرد عليه
- 268 ما ذكره المحقق الطوسي في التجريد و العلامة ب امثال اللعبة في شرحه في توضيح العصمة
- 269 تمحيص و تدليل على ما ذكره المحقق الطوسي والعلامة قدهما

- 272 قول آخر في تعريف العصمة:
- 273 بعض ما يرد على هذا التعريف من الاشكال:
- 274 ما ذكره سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي في تفسير العصمة:
- 277 النظر فيما ذكره دام ظله و المناقشات عليه:
- 279 ما ذكره الراغب الأصبهاني في مفرداته:
- 279 تمحيص و تذييل على ما ذكره الراغب:
- 280 ما ذكره السيد الخوئي قده شارح نهج البلاغه في تفسير العصمة:
- 282 تنقيح و تمحيص على كلام شارح النهج في تفسير العصمة:
- 283 ما ذكره الشيخ المفيد قده في اوائل المقالات في معنى العصمة:
- 284 القول في عصمة الانمة عليهم السلام :
- 284 القول في ولاة الانمة(عليهم السلام)و عصمتهم و ارتفاعها وهل ولايتهم بالنص أو الاختيار :
- 285 ما ذكره المفيد قده فيما اضاف الى اخر كتابه في معنى العصمة:
- 286 تلخيص و تمحيص و تذييل على ما ذكره شيخنا المفيد قده:
- 288 تلخيص الاقوال في معنى العصمة وتفسيرها:
- 290 في معرفة العصمة نستمد من القران و اخبار المعصومين(عليهم السلام)
- 293 تعبير آخر يكشف النقاب عن العصمة:
- 299 بيان اية التطهير والاشارة الى دفع بعض الاشكالات:
- 302 امان احتمال امكان التدرج الى العدالة ثم الى العصمة لكن لا يناله النبوة والامامة
- 310 العصمة في غير الانبياء و الانمة
- 310 اشارة
- 310 مريم و عصمتها
- 314 ومنهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام
- 333 القرينة القطعية من الكتاب والسنة على ان المراد من اية التطهير ، هم الخمسة ، دون ازواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)
- 350 ما ذكره الفخر الرازي و الجواب عنها:
- 372 على بن الحسين الاكبر عليهما السلام و عصمته

- 374 في سلمان الفارسي وعصمته
- 390 آيات في عصمة النبي الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم)بالخصوص
- 411 الخاتمه لبحث العصمة وموجز القول فيها
- 411 اشارة
- 412 التحقيق في بيان نظم آيات السورة و أهدافها
- 413 كلام العلامة الاستاذ الطباطبائي في ذلك
- 413 المحقق الفيض القاساني قدده و فراسته في ذلك
- 414 بيان نظم السورة من السيد القطب المصري الية الية في تفسيره (في ظلال ...)
- 416 بعض المناقشات على السيد القطب
- 417 لامقاطع فيها متقاطعة بل لها موضوع واحد له فصول
- 419 اهداف العايس في إستعراض نفسه و السورة في تعقيبه
- 420 للسورة موضوع واحد له فصول
- 420 الفصل الأول من السورة
- 423 الفصل الثاني
- 425 الفصل الثالث من السورة
- 427 الفصل الرابع من السورة
- 433 الروايات في تأثير الأطعمة في الصفات والسجايا والأعمال
- 436 الفصل الخامس من السورة
- 440 في أهداف السورة و ما وجهت إليه
- 445 انكشاف أهداف السورة
- 445 اشارة
- 449 الإجمال الكلام و تلخيصه
- 450 مراتب ثلاث لمنهاج الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)
- 451 صلواته على رسول الله صلى الله عليه وآله
- 451 صلواته على خلفاء رسول الله المعصومين الأئمة الطاهرين(صلى الله عليه وآله وسلم)

452 صلواته على حفّاط الدين في كل أوان .

452 صلواته على المتبعين منهجهم المؤتمين بإمامتهم .

456 لها الروايات في تفسير السورة او في ظلالها .

457 وإليك بهذه الوايات .

488 تعريف مركز .

العسس في تفسير سورة عبس

هوية الكتاب

اسم الكتاب : العسس في تفسير سورة عبس

المؤلف : آية الله السيد مصطفى الشريعت الموسوي

الناشر: انتشارات دار التفسير (اسماعيليان)

تاريخ النشر : 1376 هـ - ش - 1417 هـ - ق

المطبعة والتجليد : اسماعيليان - قم

الطبعة: الاولى

عدد المطبوع : 2000

القطع و عدد الصفحات : وزيري - 464 صفحة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ايران - قم - خيابان ارم تلفن 741621

من سلسلة تغير المستنير

من الوحي النبي

ص: 1

اشارة

العسس

في

تفسير سورة عبس

العلامة المحقق والفقيه المدقق آية الله

السيد مصطفى الشريعت الموسوي الإصفهاني

انتشارات دار التفسير

قم - تلفن 741621

ص: 2

اسم الكتاب : العسس في تفسير سورة عبس

المؤلف : آية الله السيد مصطفى الشريعت الموسوى

الناشر : انتشارات دار التفسير (اسماعيليان)

تاريخ النشر : 1376 هـ - ش - 1417 هـ - ق

المطبعة والتجليد : اسماعيليان - قم

الطبعة: الاولى

عدد المطبوع : 2000

القطع و عدد الصفحات : وزيري - 464 صفحة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ايران - قم - خيابان ارم تلفن 741621

ص: 3

العَسَسُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ عَبَسَ

این کتاب با تحقیق بی سابقه ای به تفسیر سوره «عَبَسَ» پرداخته و این سوره را از نظر تفسیری مطالبش را منظم‌اً از اول تا آخر (با حفظ روابط تمام جملات و قسمتهای آن) تحقیق و استکشاف نموده و مطالب جامع و جالب راجع به خط زعامت و ولایت اسلامی و سرپرستی مسلمین و کسانی که در خور این مقام هستند و آنهایی که شایستگی آن را ندارند و سرنوشت پیروان آنها را از این سوره مبارکه استفاده کرده است.

اضافه بر آنچه اشاره شد از نظر تفسیری درباره دو چیز دیگر بحث و تحقیق نسبتاً مفصلی کرده است.

1 - درباره سخنان جمعی از نویسندگان معاصر که به طور ناآگاهانه با تلاش بسیار و زحمتهای فراوان کوشش کرده اند مذمتها و تنديها و عقابهای در اول این سوره را از بنی امیه و شخص عثمان بن عفان دفع کرده و آن را مخصوص پیامبر عظیم الشان اسلام صلی الله علیه و آله و سلم نمایند و از این راه پیامبر و اسلام و قرآن و همه و همه را خدشه دار و زیر سؤال برده و ناخودآگاه آب به آسیای دشمنان اسلام و مبلغین مسیحیت و سیاستهای ضد اسلامی و سلمان رشیدیها بریزند و رونق بیشتر به بازار آنها بدهند.

بررسیهای فراوان در ابعاد گوناگون مربوط به این موضوع انجام گرفته و تحقیق در گفته های محققین علماء و مفسرین از قرن سوم هجری تقریباً تاکنون، و تحقیق در تفسیر و تبیین فصل فصل این سوره، و تحقیق و بررسی در شناخت و هن و ضعف نقلیات ساخته شده ای این خرافات را به بار آورده و از تناسب مذمتهای اول این سوره با روش اخلاقی و سیرت بنی امیه و عثمان (با ذکر اسناد تاریخی) و مغایرت داشتن آن با اخلاق و روش پیامبر صلی الله علیه و آله وسلم و غیر ذلک، تا عاقبت به طور وضوح اشتباه سخنان این نویسندگان اثبات شده است.

2 - درباره شناخت حقیقت عصمت انبیاء و ائمه صلوات الله علیهم

در این فصل پس از ذکر سخنان بسیاری از محققین و قدری توضیح و مناقشات، با استفاده از قرآن مجید و روایات معتبره مقام عصمت را به قدری والا میرساند که از گذرگاه خورده اشکالات متکلمین و اشکال و جوابهای محققین، بسیار گذشته و دور می سازد.

و در عین حال مقام عصمت و تجلی آن در افعال و صفات آن بزرگواران یک اُسوه جامع و سرمشق همه جانبه اسلامی برای سالکان راه انبیاء و ائمه طاهرین صلوات الله علیهم خواهد بود.

بحال بیچارگان رسیدگی کن

اندرون اجتماع ما بسی پر خار و خس *** ثروت دنیا چو گوئی پیش چوگان هوس
بر مراد خویش روزی چون کسی گردد سوار *** در غرورش غافل او از خستگان بی نفس
کاروانی تند سیر و مرکبایی بس چموش *** بس پیاده در غبار راه بی فریادرس
تا بکی در آسمان آرزو پر می زنی *** یک نظر بر زبردستان تا نرفتی در قفس
چون خزان آمد بهار عمر را پایان دهد *** کیفر اعمال بینی بعد از آن ای بوالهوس
آنچه را اندوختی از مکت و جاه و مقام *** توشه ای بردار زان بر حال مسکینان برس
طوقی از آتش شود اموال و ثروتهای تو *** بسکه همچون مور کردی احتکار و محتبس
واژگون کردن بود رسمی از این چرخ کبود *** تا یکی بالی بخود بر مال و جاه و خویش و کس
تانگردی مستمند و زار و بیمار و ضعیف *** تا نیافتی خاک ذلت تا نبینی خار و خس
واقف احوال آنان تلخی آن ناشوی *** تا نیابی درد آنان کی شوی فریادرس
چون تو انسانی بیا اوصاف آن در خود بگیر *** حرص بر شیرینی دنیا بود وصف مگس
در امور نیک فرصت را غنیمت دان شتاب *** چونکه پیش آمد برت الان میگوئی سپس
در کنار لطف خود جاده هر آن بیچاره ای *** کو پناهنده نه چون (أَنْ جَاءَهُ بِه الْأَعْمَى عَبَسَ)
ای شریعت تا توانی دست مضطربان بگیر *** خوی خود گردان از اوصاف خدایی مقتبس

العسس

في

تفسير سُورَةِ عَبَسَ

ص: 2

الحمد لله رب العالمين الذي جعل العاقبة الحسنی للمتقين ، وهو بالمرصاد للظالمين ، ربنا اللهم اهدنا الصراط المستقیم، صراط الذين انعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين، والصلاة والسلام على من ارسله الله رحمة للعالمين سيد السفراء المقربين ، خاتم الانبياء والمرسلين ، حبيب اله العالمين ، ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الغر الميامين واللعن الدائم على الكافرين والمنافقين الذين جعلوا القرآن عضيّن.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل العقّد من لساني وبياني ، ونور قلبي وجناني ، ولا تجعل صدري ضيقاً حَرَجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ، اللهم اجعل النور في بصري، والبصيرة واليقين في قلبي، والاخلاص في عملي ، واكتبني في زمرة من يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ، ولا تجعلني من الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، ووفقني لامثال قولك الحق ،(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين).

اللهم اني اخلصت بانقطاعي اليك ، واقبلت بكليّ عليك ، وصرفت وجهي عنم يحتاج الى رفدك ، وقلبت مسألتي عنم لم يستغن عن فضلك ، ورأيت ان طلب المحتاج الى المحتاج سفة من رأيه ، وضلّة من عقله ، فانت يامولاي دون كل مسؤل عنه موضع مسألتي ، ودون كل مطلوب اليه ولي حاجتي ، انت المدعو للمهمات ، وانت الكاشف في المُلمّات، انت الذي ذكرك شرف للذاكرين ، وشكرك فوز للشاكرين ، وطاعتك نجاه للمطيعين ، يا انس كل مستوحش غريب ، ويافرج كل مكروب كئيب ، وياغوث كل

مخذول فريد ، وياعضد كل محتاج طريد ، انت الذي وسعت كل شي رحمةً وعلماً ، وانت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهماً ، انت الذي ابتدأتني بنصرك ، وشددت آزرِي بَقُوتِكَ ، وقلت في كتابك (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا)، انت الذي ربيتني في نعمك واحسانك يتيماً صغيراً ، ونوهت باسمي كبيراً وخلقتني سوياً ، ورزقتني مكفياً ، ولم تجعلني جبّار شقيماً ، وكنت بي حناناً وفيا حقياً وكنتُ انا الجاهل الذي علّمته ، والضال الذي هديته ، والوضيع الذي رفعته والخائف الذي آمنته ، والجايح الذي اشبعته ، والعطشان الذي ارويته ، والعارى الذي كسوته ، والفقير الذي اغنيته ، والضعيف الذي قويته ، والذليل الذي اعززته ، والسقيم الذي شفّيته وعافيته ، والسائل الذي اعطيته و منحته ، والمذنب الذي سترته وغفرتة ، والقليل الذي كثرته ، والمستضعف الذي نصرته ، والطريد الذي آوَيْته ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ،

اللهم اجعلني من الصالحين، واجعلني من ورثة جنّة النعيم، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ،

اللهم اجعلني من العلماء العاملين المتقين ، الزاهدين ومن المروحين للدين ، ومحبي آثار وسنة سيد المرسلين.

اللهم وحصن ثغور المسلمين بعزتك ، وايد حمايتها بقوتك ، واسبغ عطاياهم من جدتك ، اللهم وكثر عدتهم ، واشحذ اسلحتهم ، واحرس حوزتهم ، وامنع حومتهم ، والف جمعهم ودبر امرهم وواتر بين ميرهم وتوحد بكفاية مؤنهم واعضدهم بالنصر واعنهم بالصبر والطف لهم في المكر .

اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الاسلام واهله وتذل بها النفاق واهله وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة آمين يارب العالمين.

اما بعد فيقول العبد الضعيف المفتقر الى عفوره ورحمته في الدنيا والآخرة ، مصطفى شريعت الموسوى خلف العلامة الفقيه واستاد الفقهاء السيد محمد مهدي الدرچنى الاصفهاني (اعلى الله مقامه) أنه قد يكون من دواعي الخير واسباب التوفيق من الله سبحانه ، ما بعثنى الحماسة الدينية الى الدفاع عن ثغور الاسلام في معارفه والحماية عن

النبي الاعظم الخاتم صلى الله عليه وآله في عصمته و طهارته ، بعد ان رأيت تسرية دسايس المنافقين من عمّال الاموتين الشجرة الملعونة في القرآن ، الى طائفة من المعاصرين من علماء الشيعة وكتابهم زلة او غفلة منهم أو جهلا من بعضهم بالنسبة الى مصبّ العتاب المشتمل على الذم الشديد في مقام الخطاب في سورة (عبس) الى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله (مع اجماع الشيعة الامامية على عصمته و عصمة جميع الانبياء و الائمة عليهم الصلوة و السلام) و قد كتب في ذلك بعضهم باسم التفسير اشياء كثيرة يوجب التلبس مصرّاً على مدعاه المنحط بما ربما يصير آلة بيد ابليس و جنوده للتحامل على نبي الاسلام صلى الله عليه وآله و لست ادري ما ذا كان له من الدواعي الى الجدل والاجتهاد في الاستدلال بكثير من الاوهام على مقصوده المنحط و مدعاه.

الى ان زارني يوماً صديقنا السيد الجليل العالم المجاهد السيد مرتضى الدهكردي الشهير ب- (حاج آقا ميرزا) رضوان الله عليه وسئل عن شأن النزول و عمن انزل فيه هذه السورة عتاباً فقلت أنها في غير النبي صلى الله عليه وآله ، فقال كنت في مجلس فلان (احد الاعاظم من علماء اصفهان تغمده الله برحمته و غفرانه) و جرى ذكر هذه السورة فقال (ذلك العالم) الانصاف ان ظاهر آياتها تدل على أنها في شأن النبي صلى الله عليه وآله.

فتغيّر حالي و عزمت على التحقيق و التفسير لهذه السورة على قلة البضاعة و كثرة الهموم مستمداً من الله سبحانه الذي هو ملجأى في جميع الامور و مستشفعاً بالنبي الخاتم و آله الاطياب صلوات الله عليهم، فانه ما خاب من تمسك ، فانه ما خاب من تمسك بهم ، فحصل بعون الله تعالى من التأليف ما بين يديك ، وكتبته بالعربية دون الفارسية (على رغم ان اكثر اهل ايران لغتهم فارسيّة) لبعض الجهات الموجودة حين التأليف وان زالت ، و لكن الآن ارى ان الخير فيما وقع ، حيث يصلح الكتاب ليطلع عليه اخواننا العرب من المسلمين و غيرهم ممن يعرف اللغة العربية.

هذا و قد سمّيته ب- (العَسَس) على ضوءٍ مُقْتَبَسٍ ، في تفسير سورة العيس، نسئل الله التوفيق والتسديد و ان يجمع شملنا على الهدى والتقوى ، انه بعباده رؤف و دود كريم ، انه حميد مجيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (2) أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (ع) وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزْكِي (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (1) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16) قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (11) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرَهُ (13) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (2) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (2) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (37) وَعَيْنَبًا وَفَصْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (21) وَحَدائقَ غَلَبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ (33) يَوْمَ يَقُرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ (32) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتُّهُ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (31) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (20) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ (22).

في تفسير البرهان ونور الثقلين عن ثواب الاعمال للصدوق - قدس سره - باسناده عن معاوية بن وهب عن ابي عبدالله - عليه السلام - قال: من قرأ «عبس وتولى» و «اذا الشمس كورت» كان تحت جناح الله من الجنان وفي ظل الله وكرامته وفي جناته ولم يعظم ذلك على الله ان شاء الله.

اقول: لعل المراد من قرائتها التي توجب ذلك الاجر عند الله تعالى قرائتها بنحو يؤثر في نفسه وتعين له سبيله ومشيه كما هو ادب القرائه فيمشي في ظل تعاليم الله سبحانه باكرام الفقراء والضعفاء والعجزه و امثالهم كالاغمى المذكور في الاية ولاسيما اذا كان من دعاة الحق وحمله القرآن وفي سبيل الدعوة الى الحق والايمان والاسلام لا مجرد القرائه غافلا ساهيا او جاهلا بحقائقها.

ويؤيد ما ذكرنا ماذكر في اكرام اخيه المؤمن المسلم وتقريجه كربتته في روايه الكافي بسنده عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفتح عنه كربتته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك».

وفي تفسير البرهان بعد الرواية الأولى قال وروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال «من قرء هذه السورة خرج من قبره يوم القيامة ضاحكاً مستبشراً ومن كتبها في رق غزال وتعلقها لم يره الاخيراً اينما توجه».

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «من اكثر قرائتها خرج يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر ومن كتبها في رق غزال وعلقها عليه لم يلق الاخير اينما توجه».

وقال الصادق (عليه السلام) «اذا قرء المسافر في طريقه يكفى ما يليه في طريقه في ذلك السفر».

والظاهر ان هذه الروايات الثلاث في البرهان كلها عن الصدوق (قدس سره) وفي مجمع البيان ، ابي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال «من قرء سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشرة». ثم ذكر رواية معاوية بن وهب عن الصادق (عليه السلام) اقول هذا الذي ذكر في تلك الروايات ايضا يمكن حمله

على ما ذكرناه في الرواية الاولى ، وهذا هو المناسب لما في ذيل هذه السورة من قوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة)، فان هذه الوجوه هي التي لم يعبس على الفقراء والعميان بل تبسم وضحك في وجهه وسيأتي ان شاء الله تعالى عند الكلام في تفسيرها.

وهي من السور المكية ولم نر في ذلك خلافاً ، ويدل عليه ما روى في سبب نزولها على ماسيأتي انشأ الله قال في تفسير البرهان انها نزلت بعد النجم وهي اثنان واربعون آية. قال في مجمع البيان سورة عبس ، و تسمى سورة السفرة ، مكية ، عدد آياتها اثنان واربعون آية.

اقول: اما تسميتها بعبس ، فملاحظه ابتدائها بهذه الكلمة ، واما باسم السفرة ، فلعل ذلك من جهة قوله تعالى بايدي سفرة كرام بررة، فالسورة سميت باسم الشخصيتين اللتين هما محور الكلام فيها ، احدهما العابس ، وثانيهما السفرة الكرام البررة ، وهما متقابلان في سبيل الدعوة الى الاسلام ، وسياتي شرحه انشاء الله .

(عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى (4) أَمَا مِنْ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَانَّكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَحْشَى (9) فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10))

قوله تعالى عبس ، أي قبض وجهه وتولى ، اي اعرض بوجهه ، ان جائه الاعمى ، اي فعل هكذا ، لأنه جائه الاعمى المعهود وهو ابن ام مكتوم ، على ما ذكره المفسرون جميعاً بان المراد بالاعمى هو ، وما يدريك لعله يزكى اي لعل هذا الاعمى يزكى ويتطهر ، او يذكر اي يتذكر ، فيتعظ من مواضع القرآن او من مواضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم اما من استغنى ، فالظاهر ان المراد منه الذي يرى نفسه غنياً عن مواضع الله عنادا وتكبراً ، وقيل معناه من كان عظيماً في قومه واستغنى بالمال ، فانت له تصدى ، اي تتعرض له وتقبل عليه بوجهك ، وما عليك ان لا يزكى ، أي ماذا يلزمك اذا لم يتطهر عما هو فيه بعد عناده وتكبره عن الحق ، واما من جانك يسعى ، فالظاهر ان المراد انه يجينك ساعياً الى الحق والى الاسلام وقيل اي يعمل الخير ، فانت عنه تلهى ، اي تتغافل وتشتغل عنه بغيره.

هذا بيان اجمالي لبعض مافي تلك الايات وتفصيلها يحتاج الى بيان سبب النزول وقد اختلف الكلام بين المفسرين من الخاصه والعامه في مرجع الضمير من تلك الجملات حسب ما يراه الخاصه اعني الشيعة الامامية الاثني عشرية من تنزيه الانبياء سيما نبينا (صلى الله عليه وعليهم وآله اجمعين) وما ثبت من سيرته بالقرآن والاثار الصحيحة وما ظهر بالادلة العقلية والنقلية من عصمته وعصمتهم (صلوات الله عليهم) واما العامة فهم فسحة حسب ما اعتقدوه في اصولهم من عدم لزوم عصمة الانبياء ومن يرى لزومها منهم فليس عنده في جميع ما يراه الشيعة.

قال العلامة اختلف الناس ههنا فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر على الانبياء اما على سبيل السهو كما ذهب اليه بعضهم او على سبيل التأويل كما ذهب اليه قوم منهم اولانها تقع محبطة تكثره ثوابهم وذهب الاشاعره والحشويه الى انه يجوز عليهم الصغائر والكبائر الا الكفر والكذب وقالت الامامية انه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة كانت او كبيرة(1).

والظاهر من العامة واهل التسنن عموما ان المراد بالعابس في الايات هو النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وادعى الفخر الرازي في تفسيره اجماعهم على ذلك.

كما ان الظاهر من الشيعة الامامية على ما ظهر لنا من كلماتهم اتفقهم على ان المعنى بتلك الايات غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) الا ان جملة من كتاب عصرنا

رجحوا رجوع الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وانعزال البحث في تلك السورة عن البحث في عصمته صلوات الله عليه بان يوجّه معنى الآيات بنحو غير ضائر بالعصمة فهم مع كونهم من الامامية وقولهم بعصمته ذهبوا الى ذلك وصاروا يوجهون رجوع الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من ناحية التفسير واثبات عصمته في ظل تلك الآيات وعدم خرقها بما في تلك الآيات في هذه السورة هذا ولكن ليس ذلك مما يرتضيه الطبع السليم لا ما ذكره في مقام التفسير ولا ما ذكره في الذي عن الاشكال بعد ذلك. وحيث راينا انّ هذا الرأي مضافا الى فساده في نفسه، ومخالفته لآيات هذه السورة وسائر الآيات في شأن شخصيته الكريمه ، والاثار الصحيحه والادلة العقلية ، يوجب الهتك لمقامه الشريف وعصمته ، ولو لم يلتفت اليه القائل به وقد كُتِبَ ذلك وانتشرت طباعته بين المسلمين وكان حقا علينا الدفاع عن حرمة الحق والاسلام والنبى الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) مع قلة البضاعة وكثرة الهموم والموانع فشرعنا في ذلك مستعينين بالله سبحانه ومستشفعين بعناية النبي الكريم صلوات الله عليه وآله.

قول الشيخ الجليل المحدث علي بن ابراهيم القمي (قدس سره)

*قول الشيخ الجليل المحدث علي بن ابراهيم القمي (قدس سره)(1)

ففي تفسير الشيخ الجليل المحدث علي بن ابراهيم القمي (رضى الله عنه قال: نزلت في عثمان وابن ام مكتوم، وكان ابن ام مكتوم مؤذناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان اعمى ، وجاء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده اصحابه ، وعثمان ، فقدمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله على عثمان ، فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه ، فانزل الله عبس وتولّى ، يعني ، يعني عثمان ان جائه الاعمى ، وما يدريك لعله يزكي ، اي يكون طاهراً ازكى او يذكر قال يذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتنفعه الذكرى ثم خاطب عثمان فقال اما من استغنى فانت له تصدى قال انت اذا جائك غني تصدى له وترفعه وما عليك الا يزكي اي لا تبالي زكياً كان او غير زكي اذا كان غنياً ، واما من جائك

ص: 10

يسعى ، يعني ابن ام مكتوم، وهو يخشى فانت عنه تلهى ، اي تلهو ولا تلتفت اليه.

كلام سيدنا المرتضى علم الهدى (قدس سره) في تنزيه الانبياء

*كلام سيدنا المرتضى علم الهدى (قدس سره) (1) في تنزيه الانبياء

وقال سيدنا المرتضى علم الهدى (قدس روحه الطاهرة) في كتابه تنزيه الانبياء: فان قيل اليس الله قد عاتب تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) في اعراضه عن ابن ام مكتوم لَمَّا جاءه ، واقبل على غيره ، بقوله عيس وتولّى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى ، وهذا ايسر ما يكون فيه ان يكون صغيراً.

الجواب قلنا اما ظاهر الايه فغير دال على توجّها الى النبي (صلى الله عليه وآله) ولا فيها ما يدل على انه خطاب له بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل عند التأمل على ان المعني بها غير النبي (صلى الله عليه وآله) لأنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي في قرآن ولا خبر مع الاعداء والمناذرين، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ، ثم وصفه بانه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء ، وهذا مما لا يوصف به نبينا صلى الله عليه وآله) من يعرفه ، فليس مشبهاً مع اخلاقه الواسعة وتحننه على قومه وتعطفه ، وكيف يقول له (وما عليك الا تزكى) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) مبعوث للدعاء والتنبيه وكيف لا يكون ذلك عليه وكان هذا القول اغراءً بترك الحرص على ايمان قومه.

وقد قيل ان هذه السورة نزلت في رجل من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان منه هذا الفعل المنعوت فيها.

ونحن وان شككنا في عين من نزلت فيه فلا- ينبغي ان نشك الى انها لم يعن بها النبي (صلى الله عليه وآله) واي تنفير ابلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلقي عنهم ، والاقبال على الاغنياء الكافرين ، والتصدي لهم ، وقد نزه الله تعالى النبي (صلى الله عليه وآله) عما هو دون هذا التنفير بكثير انتهى كلامه رحمه الله.

ص: 11

كلام الشيخ الاجل شيخ الطائفة قده في التبيان

*كلام الشيخ الاجل شيخ الطائفة قده في التبيان(1)

قال شيخ الطائفة الطوسي (قدس الله نفسه الزكية) في التبيان:

واختلفوا فيمن وصفه الله تعالى بذلك ، فقال كثير من المفسرين واهل الحشو: انّ المراد به النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان معه جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم قد خلا بهم فاقبل ابن امّ مكتوم ليسلم فاعرض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)عنه كراهية ان تكره القوم اقباله عليه ، فعاتبه الله على ذلك ،

وقيل ان ابن ام مكتوم كان مسلماً وانما كان يخاطب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو لا يعلم انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مشغول بكلام قوم فيقول يارسول الله.

وهذا فاسد ، لان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد اجل الله قدره من هذه الصفات ، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب ، وقد وصفه بأنه على خلق عظيم وانه لو كان فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حوله وكيف يعرض عن تقديم وصفه مع قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه).

ومن عرف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وحسن اخلاقه وما خصه الله تعالى به من مكارم الاخلاق وحسن الصحبة حتى قيل انه لم يصح يضاف احداً قط فنزع يده من يده حتى يكون ذلك الذي ينزع يده من يده ، ومن هذه صفته كيف؟ يقطب في وجه اعمى جاء يطلب الاسلام،

على ان الانبياء منزّهون عن مثل هذه الاخلاق ، وعما هو دونها ، لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم ، والاصغاء الى دعائهم ، ولا يجوز مثل هذا على الانبياء من عرف مقدارهم وتبين نعتهم.

وقال قوم: انّ هذه الايات نزلت في رجل من بني امية كان واقفاً مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فلما اقبل ابن ام مكتوم تقدر منه وجمع نفسه وعبس في وجهه واعرض بوجهه عنه فحكى

ص: 12

الله تعالى ذلك وانكره معاتبة على ذلك. انتهى كلامه رضی الله عنه.

كلام العلامة الحفظ المفسر ابن شهر آشوب السروي كان في متشابهات القرآن

*كلام العلامة الحفظ المفسر ابن شهر آشوب(1)السروي كان في متشابهات القرآن

وقال العلامة الحافظ المفسر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي (قدس سره) كتابه في تفسير متشابهات القرآن،:

الايات ، ظاهرها لا يدل على انها خطاب له(صلى الله عليه وآله وسلم)بل هو خبر محض ، لم يصرح بالمخبر عنه ، يدل عليه انه وصفه بالعبوس ، وليس هذا من صفات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)في قرآن ولا خبر مع الاعداء المباينين ، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ، بل في القرآن انك لعلى خلق عظيم ، ثم انه نفى عنه العبوس ونحوه بقوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)، ثم وصفه بانه يتصدى للاغنياء ويتلهى بالفقراء ، وهذا مما لا يوصف به النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)لانه كان متعطفاً متحنناً، وقد امره الله تعالى بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، وكيف يقول (وما عليك الا يزكي) وهو مبعوث للدعاء والتنبية ، وكيف يجوز ذلك عليه وكان هذا القول اغراء بترك حرصه على ايمان قومه ، وانما عبس صحابي ذكرنا شرحه في المثالب . انتهى(2).

وفي كتاب مؤتمر بغداد ، الحاكي للحوار الواقع بين الحسين بن علي العلوي احد كبار علماء الشيعة وبين احد علماء أهل السنة الملقب بالشيخ العباسي بمحضر ملك شاه السلجوقي ووزيره خواجه نظام الملك المتوفى سنة 485 ، تأليف ختته اعني الخواجه ابي الهيجاء شبل الدولة مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري نسباً والحنفي مذهباً من علماء المائة الخامسة ، نقلنا ذلك عن نسخته من الطبعة الرابعة تكون مع مقدمة مقدمة من الفقيه العلامة آية

الله المرعشي التبريزي نزيل قم (دام ظله).

ص: 13

1- عاش(رحمه الله عليه)مائة سنة الا عشرة اشهر وتوفى في شعبان سنة 588 وقبره خارج حلب على جبل جوشن عند مشهد السقط.

2- متشابهات القرآن ج 2 ص 12.

قال العلوي ، ثم ان السنّه ينسبون الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)مالا يجوز حتى على الانسان العادي ، قال العباسي مثل ماذا ، قال العلوي مثل انهم يقولون ان سورة عبس وتولّى نزلت في شأن الرسول ، قال العباسي وما المانع من ذلك ، قال العلوي المانع قول الله تعالى (وانك لعلى خُلِقَ عظيم) وقوله (وما ارسلناك الا-رحمة للعالمين) فهل يعقل ان الرسول الذي يصفه الله تعالى بالخلق العظيم ورحمة للعالمين ان يفعل بذلك الاعمى المؤمن هذا العمل اللانساني قال الملك غير معقول ان يصدر هذا العمل من رسول الانسانيه ونبي الرحمة ، فاذن ايها العلوي فيمن نزلت هذه السورة ، قال العلوي الاحاديث الصحيحة الواردة عن اهل بيت النبي الذين نزل القرآن في بيوتهم ، تقول أنها نزلت في عثمان بن عفان ، وذلك لما دخل عليه ابن ام مكتوم فاعرض عنه عثمان وادار ظهره اليه.

وهنا انبرى السيد جمال الدين وهو من علماء الشيعة ، وكان حاضراً في المجلس ، وقال قد وقعت لي قصة مع هذه السورة ، وذلك ان احد علماء النصارى قال ان نبينا عيسى افضل من نبيكم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، قلت لماذا قال لأنّ نبيكم كان سييء الاخلاق يعبس للعميان ويدير اليهم ظهره بينما عيسى(عليه السلام) كان حسن الاخلاق يبرء الاكمه والابرص ، قلت ايها المسيحي ، اعلم أننا نحن الشيعة نقول ان السورة نزلت في عثمان بن عفان لافي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وان نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) كان حسن الاخلاق جميل الصفات حميد الخصال وقد قال تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال المسيحي لقد سمعت هذا الكلام الذي قلته من احد خطباء المسجد في بغداد قال العلوي:

المشهور عندنا ان بعض رواة السوء وبايعي الضمائر نسبوا هذه القصة الى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ليبرؤا ساحة عثمان بن عفان فانّهم نسبوا الكذب الى الله والرسول حتى ينزهوا خلفائهم وحكامهم.(1)

كلام شيخنا الطبرسي (قدس) في مجمع البيانية و المال

*كلام شيخنا الطبرسي (قدس) (1) في مجمع البيانية و المال

وقال شيخنا الطبرسي (قدس الله روحه) في مجمع البيان: علم قيل نزلت الايات في عبد الله بن ام مكتوم ، وهو عبد بن ام مكتوم ، وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي ، وذلك انه اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يناجي عتبة بن ربيعة و ابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب و ابا و امية ابني خلف ، يدعوهم الى الله و يرجوا اسلامهم ، فقال يا رسول الله اقرئني و علمني مما علمك الله ، فجعل يناديه و يكرر النداء ولا يدري انه مشتغل مقبل على غيره ، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) و سلم ، لقطعه كلامه ، وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان و العبيد ، فاعرض عنه ، و اقبل على القوم الذين يكلمهم ، فنزلت الايات ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك يكرمه ، و اذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربّي ، و يقول هل لك من حاجة ، و استخلفه على المدينة مرتين في غزوتين ، و قال انس بن مالك فرايته يوم القادسية و عليه درع و معه راية سوداء

قال المرتضى علم الهدى (قدس الله روحه) ليس في ظاهر الاية دلالة على توجهها الى النبي (صلى الله عليه وآله) بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه ، و فيها ما يدل على ان المعنى بها غيره ، لان العبوس ليس من صفات النبي (صلى الله عليه وآله) و سلم مع الاعداء المباينين ، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ، ثم الوصف بأنه يتصدى للاغنياء و يتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة (2)

و يؤيد هذا القول ، قوله سبحانه في وصفه (وانك لعلی خلق عظیم) و قوله

ص: 15

1- المتوفى سنة 548

2- الى هنا ينتهي ما نقله عن السيد ، ثم يأخذ في تأييده و تشييده ، و انه هو الحق ، كما يصرح بذلك بقوله: فالظاهر ان قوله (عبس و تولى) المراد به غيره ، فراجع ، عبارة السيد لثلايشته عليك كما اشتبه على جملة من المعاصرين.

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)، فالظاهر ان قوله عبس وتولى المراد به غيره .

وقد روى عن الصادق (عليه السلام) أنها نزلت في رجل من بني امية ، كان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه واعرض بوجهه عنه ، فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه .

فان قيل: فلو صح الخبر الاول هل يكون العبوس ذنباً ام لا (1).

فالجواب ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء ، اذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنباً ، فيجوز ان يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ، ليأخذه باوفر محاسن الاخلاق وينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ، ويعرفه ان تأليف المؤمن ليقوم على ايمانه ، اولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه .

وقال الجبائي: في هذا دلالة على ان الفعل يكون معصيته فيما بعد لمكان النهي ، فاما نافي الماضي ، فلا يدل على انه كان معصية قبل ان ينهي عنه ، والله سبحانه لم ينهه الا في هذا الوقت .

وقيل ان ما فعله الاعمى كان نوعاً من سوء الادب ، فحسن تأديبه بالاعراض عنه ، الا انه كان يجوز ان يتوهم ، انه انما اعرض عنه لفقره ، واقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم ، فعاتبه الله على ذلك .

وروى عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا رآى عبد الله بن ام مكتوم قال مرحباً مرحباً لا والله لا يعاتبني الله فيك ابداً و كان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ممّا يفعل به . انتهى كلام الطبرسي (قدس).

ص: 16

1- من هنا يأخذ في الدفع عن حريم عصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى على القول الاول وانه ليس لأحد التمسك بالخبر الاول في نفي العصمة التي يقول بها الامامية اعلى الله كلمتهم ، وقد اشتهب كثير مما ذكرنا على بعض كتاب العصر كما سيأتي بعضه فانتبه .

كلام العلامة الفقيه السيد بن طاووس في كتابه سعد السعود

*كلام العلامة الفقيه السيد بن طاووس (1) في كتابه سعد السعود

وقال السيد العلامة الفقيه العابد الزاهد، رضى الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في كتابه ، سعد السعود:

فصل فيما نذكره من كتاب تعليق معاني القرآن لابي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النجاشي، ووجدته بصيرا في كثير مما ذكر فمما ذكره من الوجهة الثانية من القائمة الرابعة من الكراس التي قبل اخر كراس من الكتاب بلفظه :

(بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جائه الاعمى) نزلت في ابن ام مكتوم الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال اسيد ، وعند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من عظماء الكفار فجعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرض عنه ويقبل على المشرك ، فيقول يافلان هل ترى لما اقول بأساً ، فيقول لا فانزلت عبس

يقول علي بن موسى بن طاووس هذا قول كثير من المفسرين ، ولعل المراد معاتبه من كان على الصفة التي تضمنتها السورة ، على معنى اياك اعني واسمعي يا جارة وعلى معنى قوله تعالى في آيات كثيرة يخاطب به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد بها امته دون ان تكون هذه المعاتبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انما كان يدعوا المشرك بامر الله الى طاعة الله ، وانما كان يعبس لاجل ما يمنعه من طاعة الله ، واين تقع المعاتبه على من هذه صفته والا فاين وصف النبي الكامل من قول الله جل جلاله (اما من استغنى فانت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، واما من جائك يسعى ، وهو يخشى ، فانت عنه تلهي) فهل هذا اقيم عنه تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وهل كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابداً يتصدى للاغنياء ويتلهي عن اهل الخشيه من الفقراء والله تعالى يقول عنه بالمؤمنين رؤف رحيم (2).

ص: 17

1- المتوفى يوم الاثنين خامس ذي الملقعه سنة 664

2- (كتاب سعد السعود ص 248)

کلام الشیخ الكبير الاجل المفسر ابي الفتوح الرازي من علماء القرن السادس

وقال شيخنا جمال الدين ابو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن احمد الخزاعي (قدس سره) ، وكان من اكابر المفسرين والفقهاء في المائة السادسة ومن مشايخ ابن شهر آشوب(1) في تفسيره الكبير المسمى بروح الجنان او روض الجنان على اختلاف في التسمية، ما ترجمته بالعربية عن الفارسيه قال:

ان المفسرين قالوا في سبب نزول الايات ان عبد الله بن ام مكتوم ، وكان رجلاً مكفوفاً ، وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة النهري من بني عامر بن لؤي ، جاء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتكلم مع عتبة بن ربيعة وابي جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وابنا امية بنالخلف ، ويدعوهم الى الاسلام ، حرصا على ايمانهم ، وهذا الرجل كان اعمى ولا يبصر ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشتغل بهم فقال يارسول الله اقرئني وعلمي مما علمك الله ، قاله مرة ومرتين ورسول الله يتولى عنه ويكره ان يقطع كلامه ، ولم يحب ان يقول الكفار ان يتبعه العميان والسفلة فلذا ظهر في وجهه الكراهه فانزل الله تعالى (عبس وتولى ان جائه الاعمى).

وهذا قول عبد الله بن عباس وقتاده والمجاهد والضحاك.(2)

ص: 18

1- المتوفى سنة 588

2- تفسير الشيخ ابي الفتوح الرازي ج 11 ص 394. اما خلاف میان مفسران در آن افتاد که مراد بوصف عبوس و این صفات کیست جماعتی گفتند مراد رسول است. و محققان گفتند مراد رسول نیست برای آنکه این صفاتی است مذمومه و اگر در حق بعض فقهاء و علماء گفتند متفّر باشد فكيف در حق رسول الله (صلى الله عليه وآله) که خدای تعالی او را از این صفات مذمومه تنزیه کرد بقوله - (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) و او را بحسن خلق و كرم طبع وصف کرد بقوله - (وانك لعلى خلق عظيم) و اخبار متواتر است بر آنکه عادت رسول الله (صلى الله عليه وآله) با دشمنان و كافران بر خلاف این بود، فكيف بادوستان و مؤمنان و محققان ، و در اخبار آمده است که رسول (صلى الله عليه وآله) دست در دست غلام سیاهی نهادی كریه الخلق و الرائحه ، روا نداشتی که دست از دست او ببرد تا هم او آغاز کردی و دست از دست رسول صلى الله عليه وآله ببردی ، از فرط حیا و كرم خلق دیگر آنکه این بلاشك منفرّ باشد و رسول (صلى الله عليه وآله) از منفرّات اخلاق منزّه است و روایت کردند که این عبوس و اعراض از مردی بود اموی که نزدیک رسول عليه وآله افضل الصلوات حاضر بودی ، چون این مرد نابینا آنجا آمد او خویشتن فراهم گرفت بتعزز و ترفع ، روی ترش کرد، و روی بگرانید ، خدای تعالی در حق او این آیه فرستاد، و این قول بصواب نزدیکتر است از قول اول ، لدلالة القرآن و تواتر الاخبار على خلافه... تفسير الشيخ ابي الفتوح الرازي ج 11 ص 394.

لكن وقع الخلاف بين المفسرين في المراد بالعبوس وان هذه المذكورات صفات لمن فجماعة قالوا ان المعنى بها هو الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن المحققين قالوا: لم يرد بها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، فان هذه صفات مذمومة ، ولو نسب الى بعض العلماء والفقهاء لتنفرد عنها ، فكيف في حق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)الذي نزهه الله تعالى عن هذه الصفات المذمومة بقوله تعالى ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد وصفه بحسن الخلق وكرامة الطبع بقوله انك لعلی خلق عظیم وفي الاخبار المتواترة ان سيرته مع اعدائه والكفار كان على خلاف ذلك فكيف مع احبائه و المؤمنین به.

وقد جاء في الروايات أنه صافح عبداً اسود كرهه الخلق والرائحة ولم يسوغ ان ينزع يده من يده ، حتى ابتداه هو بنزع يده عن يد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، من فرط حيائه وكرامة خلقه على ان ذلك من المنقرات بلا شبهة ، والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)منزه عن المنقرات الاخلاقية.

وقد روي ان العبوس كان رجلاً من بني امية كان حاضراً لدى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)فلما نفسه تعزّزاً وترفعاً واعرض عنه بوجهه فانزل تلك الآيات.

جاءه الاعمى جمع وهذا القول اقرب الى الصواب من القول الاول لدلالة القرآن وتواتر الاخبار على خلافه. انتهى كلامه زيد في علو مقامه .

واما الشيخ الجليل المفسر المولى فتح الله الكاشاني صاحب منهج الصادقین بالفارسيه من علماء القرن العاشر (قدس الله روحه) (1)

ص: 20

1- (پس از آنکه نظریات مفسران عامه و روایات آنها را با اصلاحاتی که حمایت از عصمت انحصرت بگردد ذکر میکند سخن را چنین ادامه میدهد): علم الهدی در تنزیه الانبیاء آورده که آیه دلالت ندارد بر عتاب رب الارباب بآن قدوه احباب زیرا که بحسب ظاهر دلالت نمیکند که مراد آن حضرت (صلی الله علیه وآله) باشد، نه مطابقت ضمنی نه بدلالات مطابقی و نه دلالت التزامی و نه التزاماً، بلکه آن خبر محض است، و مخبر عنه مصرح نیست و نزد متامل صادق واضح میشود که آیه دال است بر آن که مراد غیر پیغمبر است زیرا که خلق عظیم او ارفع از این بود که با دشمنان به سوء خلق سلوک نماید و روی خود را برایشان ترش سازد چه جای آن که ابن شیمه با مؤمنان مرعی دارد و هیچ پیغمبری نبود که متصف باشد بتصدی برای اغنیاء و تلقی از فقراء، پس چگونه او را نسبت توان داد بکسیکه متخلق بجمیع اخلاق حسنه باشد و متحسن بر اهل ایمان و متعطف برایشان. و حضرت عزّت جل ذکره در حق او فرموده باشد که (انك لعلى خلق عظیم - ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) و در خبر صحیح نیز آمده که آن حضرت فرمود که بعثت لاتمم مكارم الاخلاق و در آثار وارد شده که حسن خلق او بمرتبه ای بود که دست از دست غلامی کریمه المنظر و کریمه الرائحه نکشیدی تا آنکه غلام باراده خود دست از دست او کشیدی و شته ای از اخلاق عظیمه و خصال حمیده نبوی (صلی الله علیه وآله) در کریمه (انك لعلى خلق عظیم) سمت تحریر یافت و کسیکه حسن خلق او باین مرتبه باشد چگونه عقل تجویز این کند که مخبر عنه در این آیه آن حضرت بوده باشد. پس ظاهر آنست که مراد غیر آن حضرت است چنانکه مروی است از صادق (علیه السلام) که آیه در مردی از بنی آمیه نازل شده که نزد حضرت رسالت نشسته بود و ابن ام مکتوم از در درآمد و چون او را بدید از او تنفر نموده دامن خود را از او دور کرد تا جامه او با و نرسد و روی ترش کرد و از او اعراض نمود، حق سبحانه این آیه فرستاد و اخبار نمود از کراهت و اعراض او از ابن ام مکتوم. تفسیر منهج الصادقین ج 10 ص 151 -

فهو (قدس سره) أولاً يذكر في سبب النزول ما ذكره العامه بقوله (ذكروا) ثم يدافع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على هذا التقدير بان الخطاء كان من ابن أم مكتوم حيث اعترض وقطع كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يلتفت الى انه مشتغل بالمكالمه ولا يناسب التكلم معه لكن حيث انه يوهم ان الاعراض عنه لعلة لفقره وتوجهه الى صنابير قريش لغناهم فلذا عوتب عليه على ان العبوس والانبساط لمن هو اعمى على السواء فلا يستلزم الذنب فنزول الايات عليه ليتخلق باوفر المحاسن الاخلاقية ويتنبه على عظم حال المؤمن المسترشد وليعلم ان تأليف قلبه ليستقيم على ايمانه اولى من تأليف مشرك طمعا في ايمانه.

وعن الجبائي (ويذكر عنه ما ذكره عنه الطبرسي قدس سره).

ثم يذكر كلام السيد المرتضى (قدس سره) في تنزيه الانبياء الى قوله لانه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي قرآن ولاخبر مع الاعداء المنابذين-ن فضلاً عن المؤمنين المسترشدين).

ثم يأخذ في تأييد هذا القول من غير فصل ومميز (يحيث لا يعرف انه منه او من السيد الا من قابله مع كلام السيد وقد مضى كلام السيد فقابلها) فيقول ما ترجمته بالعربية: ولم يكن احد من الانبياء من يتصف بالتصدي للاغنياء ، والتلهي عن الفقراء ، فكيف يمكن نسبتته الى من كان متخلفاً بجميع الاخلاق الحسنه ، وكان محسناً باهل الايمان ومتعطفاً عليهم ، والله جل ذكره يقول في حقه (انك لعلى خلق عظيم) و (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وفي الخبر الصحيح انه قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، وروى في الاثار ان حسن خلقه كان بمرتبة ، اذا صافح لم يكن ينزع يده من يد عبد كره المنظر والرائحة حتى كان هو ينزع يده من يده (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد مضت شمة من خلاقه العظيمة وخصاله الحميدة في ذيل تفسير قوله (انك لعلى خلق عظيم) ومن كان حسن خلقه بهذه المرتبة كيف يجوز العقل ان يكون مصداقاً لتلك الايات ومخبراً عنه بها.

فالظاهر ان المراد بها غيره (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما روى عن الصادق (عليه السلام) أنها نزلت في رجل من بني امية ، كان جالساً عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل ابن ام مكتوم فلما راه تتفر عنه وجمع ذيله ذيله عنه لئلا يمسه ، وعبس واعرض عنه ، فانزل الله تعالى تلك الايات ، واخبر عن كراهته واعراضه عن ابن ام مكتوم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وفي تفسير العلامة السيد عبد الله شبر(1) من تلامذة والده العلامة السيد محمد رضا والعلامة السيد محسن الاعرجي والفقير الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء والعلامة السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض.

قال رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم عبس - قطب وجهه وتولّى - اعرض - ان - لأن - جائه الاعمى - عنهم (عليه وعليهم السلام) نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي فجاءه ابن ام مكتوم فلما راه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه فنزلت وما يدريك - ايها العابس - لعلّه يزكى - يكون طاهر الزكى - او يذكر - يتعظ)(2).

كلام المحدث الكاشاني (قدس سره) في تفسير الصافي

*كلام المحدث الكاشاني (قدس سره) في تفسير الصافي(3)

وفي تفسير الصافي للمحدث الحكيم الفقيه الفيض الكاشاني (قدس سره): (عبس وتولّى ، ان جائه الاعمى) القمى قال نزلت في عثمان وابن ام مكتوم وكان ابن ام مكتوم مؤذنا لرسول الله وكان اعمى وجاء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعند اصحابه وعثمان عنده فقدّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه فانزل الله عبس وتولّى يعني عثمان ان جائه الاعمى وفي المجمع عن الصادق (عليه السلام) نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي (صلى الله عليه وآله) فجاء ابن ام مكتوم فلما راه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه فحكى

ص: 22

1- المتولد سنة 1188 المتوفى سنة 1242

2- تفسير السيد الشبر ص 548

3- المتوفى سنة 1091

الله سبحانه ذلك وانكره عليه.

(وما يدريك لعله يزكى) القمّي قال اي يكون طاهرأزكياً - (او يذكر) قال يذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) (فتنفعه الذكرى) وقرء بالنصب - (اما من استغنى فانت له تصدّي) تتعرض بالاقبال عليه - القمّي ثم خاطب عثمان فقال (اما من استغنى) آلايه قال انت اذا جائك غني تصدّي وترفعه (وما عليك الا تزكى) قال اي لا تبالي ازكياً كان او غير زكى اذا كان غنيا (واما من جائك يسعى) قال يعني ابن ام مكتوم - (وهو يخشى فانت عنه تلهي) اي تلهو ولا تلنفت اليه وقرء تصدّي بتشديد الصاء وفي المجمع وقرائة الباقر (عليه السلام) تُصدّي بضم التاء وفتح الصاد وتُلهي بضم التاء ايضاً.

اقول: واما ما اشتهر من تنزيل هذه الايات في النبي (صلى الله عليه وآله) دون عثمان فبأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه وكذا ما ذكر بعدها الى اخر السورة كما لا يخفى على العارف باساليب الكلام ويشبه ان يكون من مختلفات اهل النفاق خذلهم الله. انتهى كلامه (قدس سره).

ما ذكره شيخنا العلامة البلاغي (قدس سره) في كتابه الهدى الى دين المصطفى

وقال شيخنا المتصلّع في العلوم ، بطل المجاهدة عن حريم الاسلام في اصوله وفروعه وقرآنه ورسوله وائمه ، العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (قدس الله روحه الطاهره) المتولد سنة 1280 ، المتوفى في ليلة 22 من شعبان سنة 1352 في النجف الاشرف ، في كتابه «الهدى الى دين المصطفى» الذي يباحث فيه مع احد المهاجمين على الاسلام من علماء المسيحيه ، أو جماعة متعاضدة منهم، وقد كان (قدس سره) بوحدته جيشاً مرابطاً في ثغور الاسلام يناضل مع اعدائه ببطولته وتضلّعه ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً ورفع له ذكراً ، وقد استعار عن المهاجم باسم المتكلف وذكر كلامه ، ثم اردفه بما يليق من رده.

فقال (قدس سره) وبهذا تعرف ما في كلام المتكلف - يه ج 1 ص 72 وكذا 73 حيث قال: ومع ذلك فقالوا ان الله عاتبه ، ولو كان الاله الحقيقي هنا لعاقبه اشد العقاب ، ففي التوراة اخذ عخان بعض الاشياء المحرمة ضرب الله الامة الاسرائيلية بتمامها وسلط عليها من هزمها ، ولما كان احد ملوك بني اسرائيل يُبقي واحدا من الذين امر الله باعدامهم عقاباً لهم على خطاياهم، لكان يضربه ضربة شديدة ، بخلاف الحال هنا ، فاذا اقترب محمد المنكر الذي يستوجب اشد عقاب وانكى عذاب ، يعاتبه الله ويلاطفه ويراعي خاطره ، فاين عدل الله وقداسته.

ثم قال في شأن رسول الله ص كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث بالمسكين والفقير ، فمرة قطب في وجه الاعمى ولم يلتفت اليه ، مع انه كان آتياً ليتعلم منه ديانتته ولما عرف ان هذا لا يليق ، ادعى بان الله وتخه ، فورد في سورة عبس (1 - عبس وتولّى 2- ان جائه الاعمى 3- وما يدريك لعله يزكى 4- او يذكر فتتفعه الذكرى 5- اما من استغنى 6- فانت له تصدى 7- وما عليك الا يزكى 8- واما من جائك يسعى 9- وهو يخشى 10- فانت عنه تلهي) الخ.

وروى ان ابن أم مكتوم اتى محمداً وهو يتكلم مع عظماء قريش وقال اقرئني وعلمني مما علمك الله ، فلم يلتفت اليه ، وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد ، انما اتبعه الصبيان والسفلة ، فعبس في وجهه واعرض عنه.

اقول: قد اقام المتكلف من حيث لا يشعر برهانا على براءة رسول الله ههنا من مخالفه امر الله او فعل مالا يرضاه والا لعاقبه اشد العقاب افتراء يقول ان الاله الحقيقي غير حاضر ههنا وأنه يشتهي ان يستهزىء بعدل الله وقداسته كما يفترى على قدس رسوله او كما ينسب العهد القديم الى الله القدوس العادل امورا تنافي العدل والقداسة ويمتنع صدورها من الله جل شأنه منها ان عخان سرق من الغنيمة ، فغضب الله على بني اسرائيل وسلط عليهم الكفرة ، ونسب اليهم السرقة والخيانة مع ان المقام ينادى بانّ عامة بني اسرائيل لم يكن لهم علم بذلك ، ليؤاخذوا بترك النهي عن المنكر، ومع ذلك فأحرق عخان هو وبنيه وبناته وبهائمهم وكل ماله بامر الله تعالى الله عن ذلك ، ومقتضى العادة لا بد ان يكون في بنيه وبناته من هو طفل غير مكلف ، او لا يعلم بالسرقة ، او ضعيف لا يقدر

على النهي عن المنكر ، فاي عدل يعاقب هؤلاء بذنب غيرهم ، انظر ريش ، و(منها) ان صموئيل النبي امر شاوول ملك اسرائيل عن امر الله بان يقتل عماليق رجلاً وامراً طفلاً ورضيعاً عقاباً لما فعله اسلافهم قبل اربعمائة سنة تقريباً ، وهب ان الكبار كفرة مستحقون للقتل ، فاين يكون قتل الاطفال والرضعان من العدل و (منها) ان العهد القديم نسب الى داود وحاشاه في شأن اوريا وامراته ماهو من اعظم الخطايا واشنعها فكان عقابه ان سلط عليه ابنه ليزني بنسائه ومع ذلك يقول ناثان النبي لداود الرب ايضا قد نقل عنك خطيئتكم لاتموت 2 صم 12 - 13 فهل يقول المتكلف ههنا اين عدل الله في عدم عقابه بالموت و اين قداسته بعقابه بالزنا تعالى الله عما يقولون .

اقول(1): اما اولاً فان التشبث بهذه الرواية لما يدعيه باطل من وجوه (اولها) كون الرواية من روايه الاحاد التي قد عرفت حالها ثانيها) كونها مقطوعة السند ، فان اقرب الرواة في سندها الى الزمان الذي تنسب اليه الحكايه هما ابن عباس وعائشه وهما في ذلك الزمان اما ان لا يكونا مولودين ، او انهما طفلان لا يميزان شيئاً (ثالثها) كونها مضطربة النقل فانه يروى عن عائشه تارة: ان رسول الله حين جائه ابن ام مكتوم كان عنده رجل من عظماء المشركين ، وتارة: أنه كان في مجلس في ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل وعتبة بن ربيعة وتاره ان الذين كانا عنده (عتبه وشيبه) وفي الرواية عن ابن عباس انه لقي (عتبه والعباس) واباجهل وفي الرواية عن انس (ابي بن خلف) وفي الرواية عن ابي مالك ، امية بن خلف ، وفي الرواية عن مجاهد عتبة بن ربيعة و امية بن خلف وفي رواية اخرى عنه ان رسول الله كان مستخليا بصنديد من صناديد قريش وفي الرواية عن الضحاك لقي رجلاً من اشراف قريش وان هذا الاضطراب مما يلحق الروايه بالخرافه (رابعها) كونها معارضة بما هو احسن منها طريقاً فقد روى ان الذي عبس في وجه الاعمى ونزلت فيه الايات هو غير رسول الله ويدل على ذلك قوله تعالى في السوره (واما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى) فانه لا يصح ان يكون خطاباً لرسول الله لأن كل احد يعلم أنه لم يكن من وظيفة رسول الله ولا خلقه ولا عاداته ولا همته في الهدى أنه

ص: 25

1- اخذ(قدس سره)في الرد على رواية تفسير عبس وتولى بالنبي (صلى الله عليه وآله).

لا يبالي بتزكى احد بالاسلام كيف وقد كان اقصى همته الدعوة اليه خصوصا لمن يقوى الدين باسلامهم ، وليس كل خطاب في القرآن هو خطاب لرسول الله ، فانه فيه مالا شك بكونه خطابا لغيره كقوله تعالى في سورة القيمة المكية (اولى لك فاولى 35 ثم اولى لك فاولى)(خامسها) ان مافي الروايه من سوء الخلق مع الاعمى ومداهنة قريش ، مناقض لما هو المعروف من خلق رسول الله ، ولاسيما مع المسالم المسترشد ومناقض ايضا لقوله تعالى في سورة القلم المكية(4 وانك لعلى خلق عظيم 9 ودوا لوتدهن فيدهنون)وقال تعالى في سورة آل عمران 153(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك).

واما ثانيا(1)فانا لو تنزلنا مع المتكلف ، وفرضنا صحة ما تشبث به من الروايه في نزول الآية لما خرج كلامه عن كونه افتراء على قدس رسول الله ، فان من يفرض انه اعرض مرة عن الاعمى مراعاة لبعض المصالح فادبه الوحي ، او على زعم المتكلف عرف ان هذا لا يليق فتداركه هل يسوغ ممن يتقى فضيحة الافتراء ان يقول في شأنه كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث بالفقير والمسكين ، فمرة قطب في وجه الاعمى ، وليت شعري لم يسمع المتكلف من قطعيات السير والتواريخ هتافها بان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)كان من اول امره الى آخر عمره يعد الفقراء والمساكين خير جليس واحسن انيس واخص سمير واقرب بطانة حتى ساء ذلك اهل الشرف وشق عليهم افلم يسمع من القرآن اطرائه بمدح خلق رسول الله ، افلم يسمع اقلا من الروايات التي تثبت بها ههنا ان رسول الله كان شديد الاعتناء بابين ام مكتوم ، لان الله عاتبه فيه ، ومن الظريف ان المتكلف ايد مزاعمه بما ارسل روايته حسب مشتهاه من ان الاقرع وعيينة وجدا رسول الله جالسا مع صهيب وبلال وعمار وخباب ونفر من ضعفاء المؤمنين فحقروهم وقالوا

ص: 26

1- (مراده(قدس سره)ان ذلك الذي يقوله المتكلف على فرض صحته ايضا افتراء عليه حيث يقول المتكلف ، انه كان دأبه تقديم ذوى الجاه ، مع انه يسلم انه صدر منه ذلك مرة واحدة اما لبعض المصالح او بما عرف انه لا يليق به فتداركه فالتكلف من جهة يفرض ذلك مرة واحدة ثم يفترى عليه يقول كان دابه ذلك)

الرسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم وكانت لهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك وان وفود العرب تأتيك فنستحي ان يرانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم حيث شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا بذلك عليك كتابا فأتى بصحيفة ودعى علياً ليكتب ، فنزل قوله تعالى في سورة الانعام 52(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يُريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين).

فاقول اما اولاً ، كيف يجعل هذه الرواية مؤيدة لما توضح بطلانه فأين هو عن صراحتها بان رسول الله كان يجلس مع هؤلاء كاحدهم ، ولا يكون في مجلسه معهم صدر يختص به كعادة الاشراف وان انفصالهم عنه واختصاص بعض مجالسه بذوى الجاه كان متعسراً يتوصل طالبه الى تحصيل قراره بكتابة الصحائف ، فهل هذا شأن من رأيه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث بالمسكين فاين الافهام والتميز .

وأما ثانياً فإنّ هذه الرواية بسبب نزول هذه الاية ممّا لا يكاد ان يصح ، لأنها قد رويت مضطربة ، بوجه متناقضة ، واحوال متفاوتة فان ذكر الاقرع وعيينة وطلبهم من رسول الله مجالسته ليأخذوا عنه وذكرهم لوفود العرب عليه يقتضى ان تكون الواقعة في المدينة بعد فتح مكة ، وكذا رواية زبير بن بكار في اخبار المدينة خصوصاً مع ذكر المؤلفة قلوبهم وعن ابن المسعود: ان الذين طلبوا من رسول الله طرد الفقراء ليتبعوه هم الملاء من قريش وعن عكرمة: عد جماعة من قريش واشراف الكفار من عبد مناف وأنهم توسطوا لطرد رسول الله للمساكين بابي طالب ، فاشار عمر بطردهم فنزلت الاية ، فاقبل عمر معتذراً من مقالته وهذا لا يكون الا في مكة قبل الهجرة الى غير ذلك من الروايات المضطربة التي يلزم من ذكر سلمان الفارسي في بعضها كون الواقعة في المدينة ، وايضا فقد روى من طرق كثيرة ان سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة فيكون ذلك منافياً لما يلزم كون الاية نزلت في المدينة ، كمرسلة المتكلف ، ومنافياً ايضاً لما يلزمه كون الاية نزلت مستقلة عن السورة لاجل سبب خاص ، بل لعل جميع روايات النزول تذكر ان هذه نزلت في مكة او غير المدينة وأنها نزلت في جملة السورة فلا يبقى في روايات اسباب

النزول مع اضطرابها وهنأها في نفسها(1)رواية غير معارضة بما يكذبها بمضمونه.

انظر اقلأ الى الدر المنثور تفسير السيوطى عند أول سورة الانعام وعند تفسير الآية المذكورة فالصواب ان يقال في الاية انه نزلت لحسن التأديب وتهذيب الاخلاق وخوطب بها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ككثير من خطاب القرآن من باب (اياك اعني واسمعي يا جاره) بل ككثير من خطبما يوجب وهنا في نفسها. - ظ - منه.اب التورية .

ثم تعرض المتكلف به ج ص 74 - 75 لذكر آيات توهم صدور الذنب من رسول الله وها نحن نذكرها ونذكر ما ينبغي ان يقال فيها:

الآية الاولى قوله تعالى في سورة الانشراح(2) ووضعتنا عنك وزرك 3 الذي انقض ظهرك).

فنقول: ان الوزر في اللغة هو ما يثقل ويتعب وبهذا الاعتبار استعير للذنب اسم الوزر ، كما حسن ان يستعار للهم المجهد والغم الباهظ ، ولقد كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)قبل البعثة في اشد ما يكون من الغم والهم واقبله واجهده لاجل ما يراه من ضلال الناس واهوائهم المردية وعوائدهم القبيحة وعباداتهم الباطلة ويتجرع من ذلك غصص النكد حتى انه (صلوات الله عليه) كان لاجل ذلك يحب العزلة ويلازم غار حراء مدة من السنة ، مستوحشاً من ضلال الناس ، معانيا لاعباء هذا الهم المبرح ، وعسر الحيرة وضيق الصدر ، منتظراً لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة حتى شرح الله صدره ويسر امره وفتح له باب الهدى والرحمة بالوحي ، ووضع عنه اوزار الهم والعناء بالبعثة والرسالة بالدعوة الى الحق فوجد من ذلك انشراح الصدر وروح الهدى وراحة الفرج ومسرة اليسر ويرشد الى ذلك دلالة العقل والنقل على عصمة النبي ، وكذا سوق السورة في طرد الامتان بقوله تعالى (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) اي بالوحي والنبوة بعد ما كان ضيقاً بالهموم (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)اي ثقل الهم والغم ببركة الامر بالدعوة (ورفعنا لك ذكرك)أي بالرسالة وحقائق معارفها ويوضح ذلك تعليقه المؤكد بقوله تعالى (5) فان مع العسر يسراً 6 ان مع العسر يسراً)فان هذا التعليل أنما يناسب الفرج من الضيق وتيسير الامور وازاحة

ص: 28

1- بما يوجب وهنا في نفسها. - ظ - منه.

ثقل الهم الباهظ ولا مناسبة له مع غفران الذنوب على انه لو كان ماذكرناه احتمالاً مساوياً في الآية لكفى في ابطال مزاعم المتكلف.

الآية الثانية - قوله تعالى في خطاب رسول الله في سورة الفتح (1) انا فتحنا لك فتحاً مبيناً 2 ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً 3 وينصرك الله نصراً عزيزاً).

بالقتال التعال قلاء وان سوق الآيات يأبى ان يكون المراد من الذنب فيها هو معصية الله ، بل المتعين بمقتضى مناسبة السوق ان يكون المراد من ذنبه عند قريش والعرب من اجل ما جاء به في دعوته الباهظه لاهوائهم، الملاشية لدينهم الفاسد ، وما قام به من الدفاع عن حوزة دين الحق بالحروب التي ارغمت انا فهم ، وحطتهم عن جبروتهم وطاغوتهم ، فانه لا مناسبة بين الفتح المبين وغفران الذنوب التي هي معصية الله ، ليكون الفتح سبباً له ، بل في السوق والمناسبة شهادة قاطعة بانّ هذا الفتح سبب لغفران ذنبه (صلوات الله عليه) عند قريش والعرب لما شاهدوه من عفوه واحسانه ولطفه ، وايقنوا به في صدقه في دعوته ، وأنه على بينة من ربه ، وان غرضه الشريف الحميد وراء دواعي الهوى وحبّ الرياسة والسلطة والهوى في امر الدين ، والالشدّد في الانتقام والتشفي ، وقد رأوه على شدة ماجنوه عليه بضلالهم وطغيانهم وقبح معاملتهم له قد اعرض عن اوتاره وثارته التي عندهم ، وفداها لكلمة التوحيد ، وملاشاة الاوثان ، فصار بذلك اعدى اعدائه المحاربين له قبل الفتح يسير تحت ركابه ومرفّ لوائه في حومة الحرب ، ولهوات الموت يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه ، انظر اقلأ الى سيرة غزوة حنين القريبة من الفتح (فتح مكة) ، فاتم الله نعمته على رسوله بهذا الفتح اذ جمع له من شدّ عنه من قريش وغيرهم الذين كانوا عثرة في سبيل التوحيد والاسلام وعقبة دون المسجد الحرام وهداه صراطاً مستقيماً الى اقامة شعائر الحج وسنن ابيه ابراهيم ونشر دين الحق وبثّ الدعوة ونصره الله نصراً عزيزاً انقادت به جزيرة العرب للتوحيد وتخطتها الدعوة الى مملكتي فارس والروم.

ويمكن ان ينزل على هذا المعنى قوله تعالى في سورة المؤمن (57) فاضبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) وكذا قوله تعالى في سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و(21) انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين و

ويمكن ان يكون تعليماً للامة وان كان الخطاب للرسول كما قدمناه في قوله تعالى في سورة بني اسرائيل (24) وبالوالدين احساناً اّما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) الاية ، ولو لم يكن في سوق الآيات ما يدل على ما ذكرنا للزم حملها عليه بقرينة دلالة العقل والنقل على عصمة الرسول ، وهب انّ ما ذكرناه في الايات احتمال محض فانه يكفي في ابطال تكلف المتكلف به 1 ج ص 74 و 75 اذ ليس في الايات مثل صراحة العهدين بنسبة القبائح الى الانبياء كما سمعت منه(1).

كلام سيدنا الاستاذ العلامة الحكيم المفسر السيد الطباطبائي (قدس الله روحه الطاهرة)

وقال سيدنا الاستاذ العلامة الحكيم المفسر السيد الطباطبائي (قدس الله روحه الطاهرة) في تفسير (الميزان): أنه وردت الروايات من طرق اهل السنة ان الايات نزلت في قصة ابن أم مكتوم الاعمى ، دخل على النبي وعنده قوم من صناديد قريش يناجيهم في امر الاسلام فعبس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه ، فعاتبه الله تعالى بهذه الايات ، وفي بعض الاخبار من طرق الشيعة اشاره الى ذلك ،

وفي بعض روايات الشيعة ، ان العابس المتولّى رجل من بني امية كان عند النبي (صلى الله عليه وآله) فدخل عليه ابن أم مكتوم فعبس الرجل وقبض وجهه فنزلت الآيات.

وسيوافيك تفصيل البحث عن ذلك في البحث الروائي التالي انشاء الله تعالى.

وكيف كان الامر ، فغرض السورة عتاب من يقدّم الاغنياء المترفين على الضعفاء والمساكين من المؤمنين ، فيرفع أهل الدنيا ويضع اهل الآخرة، ثم ينجر الكلام الى الاشارة الى هوان امر الانسان في خلقه وتناهيه في الحاجة الى تديبر امره وكفره مع ذلك

ص: 30

بنعم ربه وتدبيره العظيم لأمره وتتخلص الى ذكر بعثه وجزائه انذاراً والسورة مكية بلا كلام(1).

وقال في بحثه الروائي بعد ذكره مذكوره المجمع عن العامة فقط ما لفظه:

المقال اقول روى السيوطي في الدر المنثور القصة عن عائشة وأنس وابن عباس ، على اختلاف يسير ، وما اورده الطبرسي محصل الروايات وليست الآيات ظاهرة الدلالة على أنّ المراد بها هو النبي (صلى الله عليه وآله) بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه بل فيها ما يدل على ان المعني بها غيره لأنّ العبوس ليس من صفات النبي (صلى الله عليه وآله) مع الاعداء المبينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة كما عن المرتضى (رحمه الله).

وقد عظم الله خلقه (صلى الله عليه وآله) اذ قال - وهو قبل نزول هذه السورة - (وانك لعلى خُلِقَ عظيم) والآية واقعة في سورة «ن» التي اتفقت الروايات المبينة لترتيب نزول السور على أنها نزلت بعد سورة(2) (اقرأ باسم ربك) فكيف يعقل ان يعظم الله خلقه في أول بعثته ويطلق القول في ذلك ثم يعود فيعاتبه على بعض ماظهر من اعماله الخلقية ويذمه بمثل التصدي للاغنياء وان كفروا والتلهي عن الفقراء وان آمنوا واسترشدوا. وقال تعالى ايضاً - وانذر عشيرتک الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين(3)، فامر به بخفض الجناح للمؤمنين والسورة من السور المكية والآية في سياق قوله وانذر عشيرتک الاقربين)النازل في اوائل الدعوة.

وكذا قوله - (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين(4) وفي سياق الآية قوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين(5)، النازل في اول الدعوة العلنية فكيف يتصور منه (صلى الله عليه وآله)

ص: 31

1- (الميزان ج 20 ص 301 الى ص 302)

2- هي من اوائل السور المنزله او اول سورة نزلت فلذلك يستدل الاستاذ(قدس سره)به على ان سورة العبس ايضاً من الاوائل.

3- الشعراء 215

4- الحجر 88

5- الحجر 94

وآله) العبوس والاعراض عن المؤمنين وقد امر باحترام ايمانهم وخفض الجناح وان لا يمد عينيه الى دنيا اهل الدنيا. على ان قبح ترجيح غنى الغني - وليس ملاكاً لشيء من الفضل - على كمال الفقير وصلاحه بالعبوس والاعراض عن الفقير والاقبال على الغني لغناه قبح عقلي مناف لكريم الخلق الانساني لا يحتاج في لزوم التجنب عنه الى نهى لفظي. وبهذا وما تقدمه يظهر الجواب عما قيل - ان الله سبحانه لم ينهه (صلى الله عليه وآله) عن هذا الفعل الا في هذا الوقت فلا يكون معصية منه الا بعده واما قبل النهي فلا ،

وذلك أنه تعالى لم ينهه الا في هذا الوقت تحكّم ممنوع ، ولو سلم فالعقل حاكم بقبحه ومعه ينافي صدوره كريم(1)الخلق ، وقد عظم الله خلقه (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك اذ قال: وانك لعلى خُلِقَ عظيم واطلق القول ، والخلق ملكة لا تتخلف الفعل المناسب له - وعن الصادق (عليه السلام) على ما في المجمع انها نزلت في رجل امية كان عند النبي (صلى الله عليه وآله) فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقدر من بني نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه ، فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه.

وفي المجمع - وروى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذا رأى عبد الله بن ام مكتوم قال مرحباً مرحباً والله لا يعاتبني الله فيك ابداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي (صلى الله عليه وآله) مما يفعل به.

اقول الكلام فيه كالكلام فيما تقدمه ومعنى قوله حتى أنه كان يكف الخ انه كان يكف عن الحضور عند النبي (صلى الله عليه وآله) لكثرة صنيعه (صلى الله عليه وآله) به انفعالاً منه وخجلاً.(2)

اقول سيأتي الكلام في معنى الرواية الاخيرة عن الصادق (عليه السلام) وسنذكر انشاء الله تعالى ما عندنا في الغرض من السورة على ما استظهرنا منها وغير ذلك مما مر من كل واحد من هؤلاء الاعاظم واساطين التفسير وحملة علوم القرآن (قدس الله ارواحهم الطاهرة).

فهذه نبذة من كلمات اكابر علماء الشيعة قديما وحديثا من المعاصرين لاواخر

ص: 32

1- هكذا في الاصل و الظاهر: كرم الخلق.

2- الميزان ج 20 ص 308 الى ص 310 - .

الائمة الطاهرين كالقمي (قدس سره) او المقارئين لعصرهم كالسيد والشيخ العارفين بحدود المذهب وهكذا من بعدهم كالطبرسي وابن شهر آشوب الى زماننا هذا (رضي الله عنهم).

وظاهر كلماتهم انّ الشيعة الامامية متفقون على انّ المعنى بتلك الآيات غير النبي (صلى الله عليه وآله) وانّ القول بتوجهها اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) مردود عندهم.

ص: 33

والذي يستفاد من جميع ما نقلنا عنهم في الاستدلال على ما ذهبوا اليه خلافاً لما ذهب اليه العامة عدّة امور:

1 - رواية ان الآيات نزلت في عثمان عفان بن من دون ترديد ونقل خلاف (القمي) او الاحاديث الصحيحة عن اهل البيت الذين نزل القرآن في بيوتهم تقول انها نزلت في عثمان بن عفان (السيد العلوي - في مؤتمر بغداد) او نحن نقول نزلت في عثمان السيد جمال الدين - مؤتمر بغداد وروى عن الصادق (عليه السلام) انها نزلت في رجل من بني امية (المجمع) وقد قيل ان هذه السورة نزلت في رجل من اصحاب رسول الله (السيد المرتضى) وقال قوم ان هذه الآيات نزلت في رجل من بني امية (تبيان) وانما عبس صحابي ذكرنا شرحه في المثالب ابن شهر آشوب رابعها ، كونها معارضة بما هو احسن منها طريقاً فقد روى ان الذي عبس في وجه الاعمى ونزلت فيه الآيات ، هو غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (بلاغي) وقد رووا ان العبوس كان رجلاً من بني أمية ... وهذا اقرب الى الصواب. (تفسير ابو الفتوح)، فالظاهر ان المراد بها غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) كما روى عن الصادق (عليه السلام) أنها نزلت في رجل من بني امية (منهج الصادقين) القمي قال نزلت في عثمان الخ وفي المجمع عن الصادق (عليه السلام) نزلت في رجل من بني امية واما ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الخ (تفسير الصافي)

ويمكن ان يستظهر من كلماتهم ان نزولها في رجل من بني امية كان متسالماً عليه بينهم ، ولذا ذكره القمي قاطعاً، والشيخ بعنوان قال قوم ولعله اراد بهم الشيعة وابن شهر

آشوب بقوله انما عبس صحابي ذكرنا شرحه في المثالب ، وفي مؤتمر بغداد الاحاديث الصحيحة على أنها نزلت في عثمان ، او نحن الشيعة نقول نزلت في عثمان ، مع أنهم لا- يعملون بخبر الواحد فيما لا يوجب علماً ولا عملاً يعني غير العملية وفي غير الفروع الفقهية وهنا في مقام تفسير القرآن ذكروا ذلك بنحو القطع ، كتاب المثالب لابن شهر آشوب الذي الف كتاب المناقب لكن نسخ المثالب لا يوجد ويقال: اطلع السيد العلامة حامد حسين (قدس الله نفسه) صاحب العبا على نسخة منه واستنسخه ولعله موجود في مكتبته في هند ولعله ذكر هذا الحديث فيه بطرق عديدة كما هو ظاهر عبارته هنا وفي عبارة شيخنا البلاغي (قدس سره) قوله كونها معارضة بما هو احسن طريقاً. وظاهره ايضاً كونها غير المرسلة التي في المجمع ما هو احسن طريقاً من روايات العامة ولعله ايضاً عثر اما على كتاب المثالب او غيره مما يكون فيه ذلك

2 - ظاهر الآيات غير دال على توجّها الى النبي (صلى الله عليه وآله) بل هو خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه (السيد المرتضى وابن شهر آشوب ونقله عن السيد في المجمع ومنهج الصادقين)

وسنذكر انشاء الله في توضيح ذلك فيما بعد مضافا الى عدم الدليل على ان المخبر عنه هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ظاهر نفس الآيات الى قوله تعالى (كلاً أنها تذكرة) ان المراد بها غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة أنها التفات من الغيبة الى الخطاب لا بالعكس على ان قوله تعالى (كلاً انها تذكره الى قوله تعالى كرام بررة) وكذا قوله تعالى في آخر السورة (وجوه يومئذ مسفرة) الى اخر السورة يوجب الصراحة في كون المراد غير النبي (صلى الله عليه وآله) وسيأتي انشاء الله .

هذا مضافا الى ما سنذكره عن السيد المرتضى الان وهو:

3 - بل في نفس السورة ما يدل عند التأمل على انّ المعنى بها غير النبي (صلى الله عليه وآله) من جهات الاولى لأنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي (صلى الله عليه وآله) مع الاعداء المنابذين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ، - الثانية - وصفه بانه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء وليس مشبهاً مع اخلاقه الواسعه وتحننه مع قومه وتعطفه ، - الثالثة - قوله تعالى (وما عليك الا يزكي) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) مبعوث للدعاء والتنبية

ص: 35

وهذا يوجب الاغراء بترك الحرص على ايمان قومه السيد المرتضى - ابن شهر آشوب السيد الطباطبائي في الاوليين - البلاغي في الاخيرة وكذا في سعد السعود لابن طاووس

4- ارجاع الضمائر الى النبي (صلى الله عليه وآله) في تلك الآيات التي تصفه بالعبوس والتقطيف فاسد لمخالفة ذلك لآيات اخر:

منها (انك لعلى خلق عظيم) تبيان - ابن شهر آشوب - مؤتمر بغداد - مجمع تفسير ابي الفتوح - منهج الصادقين - البلاغي - الطباطبائي - واصناف السيد الطباطبائي انها في سورة (ن) النازلة بعد (اقرأ باسم ربك) في اول البعثة فكيف يعظم خُلقه ويطلق ثم يعود فيعاتبه بعد ذلك في هذه السورة.

ومنها (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (1) - تبيان - ابن شهر آشوب

ومنها قوله تعالى فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (2) - التبيان - ابن شهر آشوب - مجمع الشيخ ابو الفتوح - منهج الصادقين - الشيخ البلاغي.

ومنها (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (3) - مؤتمر بغداد.

ومنها قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى) (4) - السيد ابن طاووس.

ومنها قوله تعالى (بالمؤمنين رؤف رحيم) (5) - السيد ابن طاووس.

ومنها قوله تعالى (ودوا لو تدهن فيدهنون) (6) - الشيخ البلاغي.

ومنها قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (7) السيد الطباطبائي - واصناف - والاية في سياق قوله (وانذر عشيرتك الاقربين) النازل في اوائل الدعوة

ص: 36

1- سورة الانعام 52

2- آل عمران 159

3- سورة الانبياء 107

4- سورة النجم آيه 3

5- سورة التوبة 128

6- سورة (ن) آيه 9

7- سورة الشعراء - 114 - 115

ومنها قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين)(1)، وفي سياق الآية (فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين)(2)- النازل في اول الدعوة العلنية فكيف يتصور منه(صلى الله عليه وآله وسلم)العبوس والاعراض عن المؤمنين وقد أمر باحترامهم وخفض الجناح لهم وان لا يمد عينيه الى دنيا اهل الدنيا - السيد الطباطبائي.

5 - النبي لابد ان يكون منزهاً عما يوجب التنفير ، واي تنفير ابلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلهي عنهم والاقبال والتصدي على الاغنياء الكافرين ، وقد نزهه الله عما دون هذا التنفير بكثير - السيد المرتضى - تفسير التبيان الشيخ ابوالفتوح - ولو نسب الى بعض العلماء والفقهاء لتنفر عنها ، فكيف في حق النبي (صلى الله عليه وآله) الذي نزهه الله عن هذه الصفات المذمومة بقوله (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)تفسير الشيخ ابو الفتوح.

6 - معارضة هذا التفسير لما ثبت من سيرته الشريفة فانه هو الذي لم يكن ينزع يده عن يد من يصادفه حتى يكون هو الذي ينزع قبله(صلى الله عليه وآله وسلم)حتى بالنسبة الى عبد كربه المنظر والرائحة تحفظاً على الاخلاق الكريمة - تفسير التبيان - تفسير ابي الفتوح - منهج الصادقين .

7 - قبح ترجيح غنى الغني - وليس ملاكاً لشيء من الفضل - على كمال الفقير وصلاحه بالعبوس والاعراض عن الفقير والاقبال على الغني لغناه قبح عقلي مناف لكريم الخلق الانساني لا يحتاج في لزوم التجنب عنه الى نهى لفظي - السيد الطباطبائي.

8 - من قطعيات السير والتواريخ هتافها بان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان من اول امره الى آخر عمره يعدّ الفقراء والمساكين خير جليس واحسن انيس واخص سمير واقرب بطانة حتى ساء ذلك اهل الشرف وشق عليهم - بلاغي.

9 - في الخبر الصحيح أنه قال «بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» - منهج الصادقين - اقول: تزكية الناس وترفيه الاخلاق الحسنة وتنمية الصفات الحميدة من الغايات للبعثة و

ص: 37

1- الحجر 88

2- الحجر 94

لاسيما بعثة خاتم الانبياء وافضل السفراء وهذا هو الذي اشير اليه في الحديث الصحيح المذكور في كلامه (قدس سره) ولو انه (قدس سره) تمسك في ذلك بالآيات الكثيرة التي تدل على ذلك كقوله تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم) (1) وكقوله تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم) (2) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة لكان احسن سنداً ودلالة وانور طريقاً اذ السلوك الحميد و الاخلاق الحسنة في المعاشرة امس والمس في التزكية واكثر نفوذاً في اعماق الروحيات فمن كان رسول التزكية ومبعوث تميم مكارم الاخلاق كيف يرجح المميزات المادية من الثروة والغنى وشرف كثرة العشيرة والامكانيات المادية على شرف الايمان والاسترشاد وكسب الفضائل لفقره وعماه وهل هذا الا الحط عن الفضائل ومكارم الاخلاق والتزكية.

10 - انّ النبي (صلى الله عليه وآله) انما كان يدعو المشرك بالله بامر الله الى طاعة الله ، ولو كان عبس على مازعموه فانّما كان يعبس لاجل ما يمنعه لاجل ما يمنعه من طاعة الله فكيف تقع المعاتبة على من هذه صفتة - السيد ابن طاووس.

ولعله قريب منه ما ذكره الرازي في تفسيره من علماء العامة

فقال - الظاهر انه (عليه الصلاة والسلام) كان مأذونافي ان يعامل اصحابه على حسب ما يراه مصلحة وأنه (عليه الصلاة والسلام) كان كثيراً ما يؤدب اصحابه ويزجرهم عن اشياء وكيف لا يكون كذلك وهو (عليه الصلاة والسلام) انما بعث ليؤدبهم وليعلمهم محاسن الآداب واذا كان كذلك كان ذلك التعبيس داخلاً في اذن الله تعالى اياه في تأديب اصحابه واذا كان مأذوناً فكيف وقعت المعاتبة عليه انتهى كلامه في تفسيره الكبير المسمّى بمفاتيح الغيب.

هذا مضافاً الى وجوه آخر تقتضي المعاتبة على الاعمى لو كانت القضية كما ذكره عامة المفسرين من العامة كما نبه عليها الفخر الرازي ايضاً في تفسيره:

الاول : ان ابن ام مكتوم وان كان لفقد بصره لا يرى القوم لكنه لصحة سمعه كان يسمع

ص: 38

1- سورة الجمعة 2

2- آل عمران 164

مخاطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) اولئك الكفار وكان يسمع اصواتهم ايضاً وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات شدة اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله) بشأنهم فكان اقدمه على قطع كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والقاء غرض نفسه في البين قبل تمام غرض النبي (صلى الله عليه وآله) ايداء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك معصية عظيمة.

الثاني : ان الاله مهم على المهم وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين ، اما اولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا وكان اسلامهم سبباً لاسلام جمع عظيم ، فالقاء ابن أم مكتوم ذلك الكلام في البين كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم.

الثالث: انه تعالى قال: (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون)فنهاهم عن مجرد النداء الا في الوقت ، فههنا هذا النداء الذي صار كالصارف للكفار عن قبول الايمان وكالقاطع على رسول الله اعظم مهماته، اولى ان يكون ذنباً ومعصية فيثبت بهذا ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنباً ومعصية وان الذي فعله الرسول كان هو الواجب وعند هذا يتوجه السؤال في انه كيف عاتبه الله تعالى على ذلك الفعل.

ما اجابه الفخر الرازي عن الاشكال الواردة على تفسير العامة

وقد اجاب الرازي عن ذلك بوجهين غير وجيهين.

الوجه الاول: ان الامر وان كان على ما ذكرتم الا ان ظاهر الواقعة يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وانكسار قلوب الفقراء فلهذا السبب حصلت المعاتبة ، ونظير قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداء والعشي).

الوجه الثاني: لعل هذا العتاب لم يقع على ماصدر من الرسول (عليه الصلاة والسلام) من الفعل الظاهر بل على ماكان منه في قلبه وهو ان قلبه (عليه الصلاة والسلام) كان قد مال اليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو منصبهم ، وكان ينفر طبعه عن الأعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه ، فلما وقع التعيب والتولي لهذه الداعية وقعت المعاتبة ، لاعلى التأديب بل على التأديب لاجل هذه الداعية ، انتهى كلامه.

وهذا مما يعد من الغرائب من محقق مثله ويندفع بادنى تأمل.

اما الوجه الاوّل ، فلان الايهام على فرضه غير موجب للعتاب بعد عدم القصد منه (صلى الله عليه وآله) على أنّ مثل ابن ام مكتوم المسلم المؤمن الذي هو كسائر المسلمين آنذاك ، مع قلتهم وما اصابوا من الكفار من انواع الأذى ، وحبّهم لنشر الدعوة الاسلامية ، ونجاتهم عن ايدي الظالمين من الكفار ، كانوا في غاية الاشتياق لهداية الكفار ، وكانوا يتحملون في سبيل ذلك اكثر من هذا من انواع الضغط والاضطهاد ، فكيف ينكسر قلبه عن اشتغال النبي (صلى الله عليه وآله) عنه بدعوة المشركين وهداية الظالمين على أنه على فرض تمامية هذا التفسير ، قد عرفت انه هو الذي خرج عن محور الادب فكيف يواخذ به النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وهذا مقياس غير عادل تعالى الله عن ذلكعلوا كبيرا.

واما الثانية ، ففي غاية السقوط وخارج عن الموازنة الصحيحة ، وتختص بالغيب ، وهتك كبير في حق النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) فمن اين انكشف له مافى قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان قلبه مهبط وحي الله الذي نزل به الروح الامين على قلبه ليكون من المنذرين ، ومن اين استظهر ذلك حتى نسب اليه (صلى الله عليه وآله) هذه التهمة المستهجنة التي يستكرها كل انسان شريف من ان تنسب اليه ، ام كيف يرضى مسلم ان يقول بالنسبة الى رسول الله ما هو من الحميات الجاهلية والعصبيات القومية ، وهو رسول التزكية والتطهير عن اوساخ الكفر والجاهلية التي وعائها قلوب الكفار لاقلوب المسلمين ، فكيف برسول الاسلام وقد قال تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما)(1) - ام كيف اجترى ان يخبر عمّا في قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن دواعي افعاله بعدما يسلم طهارة افعاله ونزاهة سبيله ثم يحرف الكلم عن مواضعه ويسبب الفعل بغير سببه ، فان الاهتمام لهداية الكفار والتهيا لأداء الرسالة من الله وتوضيحية نفسه الشريفة في سبيلها ، له منشأ من النفسانيات لا يجتمع الميل الى الكفار بسبب القرابة النسبية او شرفهم الوهمي القومي ، او علو منصبهم فيما

ص: 40

بين المشركين والكفار ، ولا يجتمع مع تنافر الطبع عن المسلم المؤمن بسبب عماه او فقره او عدم قرابته او قلة الشرف المصطلح عليه فيما بين الكفار ، بل ذلك يعارض ماقاله تعالى في حق نبيه(صلى الله عليه و آله و سلم)(محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريحهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة)(1)فان النبي (صلى الله عليه وآله) بل واتباعه فضلاً عنه ، هم الذين تركوا الاقارب بل وحاربوهم في سبيل الدفاع عن الاسلام ، وآخوا بين المؤمنين من الابعاد نسباً وقرابة ، وان نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله) هو الذي رفع المميزات القومية عن مستوى اتباعه ، بان لافخر لعربي على عجمي وان كلهم من آدم وهو من طين وان اكرمكم عند الله اتقيكم ، فهو(صلى الله عليه و آله و سلم)مصدر المساواة والعدالة الحقة الاجتماعية ، فكيف يمكن نسبته الى امثال هذه الخرافات الاخلاقية بمجرد بعض الروايات الضعيفة التي يغلب على الظن انها من المخترعات الاموية وآثار المنافقين في الاسلام.

ص: 41

وهناك لا بد من لفت نظر الى الروايات الواردة في تفسير هذه الآيات:

فمن طرق الشيعة مامضت عن تفسير القمي (قدس سره)، فهو وان لم يذكره بعنوان الرواية الا ان الظاهر منه أنه مضمون الروايات وان لم يصرح به ، بل ظاهره قطعية ذلك حيث انه في مقام تفسير القرآن مع عدم جوازه بالرأي ولا بروايات الاحاد ، على ان صاحب تفسير البرهان ونور الثقلين مع ان وضع كتابيهما على التفسير بالروايات ينقلان عنه ذلك بعنوان الرواية ، وكذا في التفسير الصافي ، هذا مضافاً الى ارسال ذلك في كتب التفسير للامامية ارسال المسلمات ، على ان الشيخ (قدس سره) في التبيان بعد ما يستدل على ، خلاف ما ذكره عامة المفسرين من العامة بعدم نزولها في حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: وقال قوم ان هذه الآيات نزلت في رجل من بني امية الخ والظاهر ان مراده الامامية او انهم من هذا القوم ، كما ان ظاهره تسالمهم عليه ، وهكذا عبارة الشيخ السروي ابن شهر آشوب (قدس سره) حيث انه بعد ما يستدل بادلة على خلاف ما ذكره من نزولها في حقه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول (قدس سره): وانما عبس صحابي ذكرنا شرحه في المثالب انتهى ، فيظهر منه الجزم والتسالم وشهرته بين الامامية وكان له شرح ذكره في كتابه المثالب ، وهكذا ما في كتاب مؤتمر بغداد فقية مرة هكذا قال العلوي: الاحاديث الصحيحة الواردة عن اهل بيت النبي الذين نزل القرآن في بيوتهم تقول أنها نزلت في عثمان بن عفان الخ ومرة أخرى قال: نحن الشيعة نقول ان السورة نزلت في عثمان بن عفان لافي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الخ ، وهكذا ما ذكره شيخنا البلاغي (قدس سره) ظاهره وقوفه على روايات هي احسن طريقاً من الروايات التي روتها

العامّة تكون بينهما المعارضة وبترجح الاحسن طريقاً على غيره.

مله على الشمال وذكر شيخنا الطبرسي (قدس سره) عن الصادق (عليه السلام) روايتين ، ففي احد الموضوعين يقول وقد روى عن الصادق (عليه السلام) انها نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي (ص) فجاء ابن ام مكتوم فلما راه تقذر منه وجمع نفسه واعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه.

العالم بالمال وهذه الرواية قريبة المتن مع ما ذكره الشيخ بعنوان (وقال قوم ان هذه الآيات نزلت في رجل الخ) فلعل هذا المتن كان مروياً بطرق كثيرة عن الصادق (عليه السلام) او عنه وعن غيره من آبائه (عليهم السلام) او ان مراد الشيخ (قدس سره) من القوم الذين رأبهم ما في هذه الرواية. وفي الموضوع الآخر يقول شيخنا الطبرسي (قدس سره) وروى عن الصادق (عليه السلام) انه كان رسول الله اذ ارى ابن ام مكتوم قال مرحباً مرحباً لا والله لا يعاتبني الله فيك ابداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يفعل به.

ولا يخفى أنه مع اتفاق الامامية على نزول الآيات في غير النبي (صلى الله عليه وآله) لا يمكن ان يصدر من الامام الصادق (عليه السلام) ما يكون تصديقاً لنزولها فيه (صلى الله عليه وآله) فما معنى هذه الرواية الاخيرة ، فهل صدرت تقية في زمن خلفاء بني امية والرواية الأولى صادرة في غير تقية كصدورها بعد انقضاء دولتهم لما ادرك الامام الصادق (عليه السلام) الدولتين ، أو أنها وان كانت في بادىء النظر كبعض الروايات عن طرق العامة توهم نزولها فيه (صلى الله عليه وآله) كما في: (ويقول اذا اراه مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي - تفسير ابى السعود ، تفسير الفخر الرازي) لكنها لو خليت وحدها مع قطع النظر عن تلك الروايات لا يظهر منها ذلك اذ يمكن ان يكون معنى قوله (لا يعاتبني الله فيك ابداً) اني لست ممن يعاتبني الله فيك ابداً ولم اكن كذلك فيما مضى واما كثرة لطفه به الى ان يخجله فمن جهة دلالة الآيات على عناية خاصة من الله به في فقره وعماه وانكسار قلبه عن عيبه في وجهه من رجال بني امية فاذا كان النبي رسول الرحمة حيث يقول سبحانه (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (1) فمن الطبيعي ان يعقب تلك الآيات

ص: 43

المشعره بالرأفة عليه من الله برحمة منه (صلى الله عليه وآله).

وبالجملة ، فلو كانت عبارة الرواية هكذا: (لا يعاتبني الله فيك بعد ذلك ابداً) لكانت تصدق بنزولها فيه (صلى الله عليه وآله) لكنها ليست كذلك بل هكذا (مرحباً مرحباً لا والله لا يعاتبني الله فيك ابداً) فهذه العبارة غير دالة على تصديق نزولها فيه (صلى الله عليه وآله) ، واما معنى قوله (وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يفعل به) فظاهره انه (صلى الله عليه وآله و سلم) يكثر اللطف والرحمة به لما رأى من عناية الله سبحانه به وكان كثرة لطفه الى حدّ يفعل الاعمى ويستحيى من عظمة النبي وما يفعل به من الاحسان فيمنع النبي (صلى الله عليه وآله) ويسئله الكف عن ذلك وكفّه عنه اي منعه عنه كقوله تعالى (وهو الذي كفّ أيديهم عنكم) (1)اي منع ايديهم عنكم.

وعلى هذا فهذه الرواية من الامام الصادق (عليه السلام) مؤكدة لما في روايته الاولى من عدم نزول تلك الآيات في شأن النبي (صلى الله عليه وآله) لا انها معارضة لما في الاولى كما استظهره بعضهم وعلى كل حال فلا شك في ان الامامية تبعاً لائمتهم (صلوات الله عليهم) قائلون بنزولها في غير النبي ، فلو فرض لهذه الرواية ظهور على خلاف ذلك لوجب معالجتها.

ص: 44

واما الروايات المفسرة من طريق العامة فهي كثيرة ولعل كلها او اكثرها بين ظاهرة او صريحة في أنّ الذي عبس هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وان الاعمى هو ابن ام مكتوم ولكن في ظهور بعضها في توجه الخطاب اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) تأمل كرواية ابي مالك رقم 7. قال الامام الرازي في تفسيره ج 8 ص 332 - اجمع المفسرون (يعني المفسرين من العامة) على ان الذي عبس وتولى هو الرسول (عليه الصلاة والسلام) واجمعوا ان الاعمى هو ابن ام مكتوم.

واليك رواياتهم:

1 - الترمذي والحاكم عن عائشة قالت انزل (عبس وتولى) في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعل يقول يارسول الله أرشدني وعند رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعرض عنه ويقبل على الآخر فيقول له اترى بما اقول بأساً ، فيقول لا فنزلت (عبس وتولى أن جائه الاعمى) ابو يعلى مثله عن انس (1).

وعن ابن المنذر وابن حبان وابن مردويه عن عائشة ايضاً - الدر المنثور للسيوطي -

2 - عبس - يقول كلح محمد (عليه السلام) وجهه - (وتولى اعرض بوجهه (ان جائه الاعمى) اذ جائه عبد الله بن ام مكتوم وهو عبد الله بن شريح وام مكتوم كانت ام ابيه وذلك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان جالساً مع ثلاثة نفر من اشراف قريش

ص: 46

منهم العباس بن عبد المطلب عمه وامية بن خلف الجمهي وصفوان بن امية وكانوا كفاراً (صلى الله عليه وآله) يعظمهم ويدعوهم الى الاسلام، ف جاء ابن ام مكتوم، فقال يارسول الله علّمني مما علمك الله فاعرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بوجهه

عنه اشتغالاً بهؤلاء النفر فنزل عبس الخ(1).

3- عبس وتولّى أن جائه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه، اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنده صنديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة، يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم، فقال يارسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله (عليه الصلاة والسلام) بالقوم، فكره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه، فنزلت فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكرمه ويقول اذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي، ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين(2).

المالية 4 - ابن المنذر وابن مردويه عن عائشة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجلس في ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة فيقول لهم اليس حسنا ان جئت بكذا فيقولون بلى والله ف جاء ابن ام مكتوم وهو مشتغل بهم فسئله فاعرض عنه فانزل الله (أما من استغنى فأنت له تصدّي وأما من جارك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهي) يعني ابن ام مكتوم(3).

5- عبد الرزاق وعبد بن حميد وابو يعلى عن انس قال جاء ابن ام مكتوم الى النبي

ص: 47

1- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 381 لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس .

2- (تفسير ابي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي القسطنطيني المتوفى سنة 982 في هامش تفسير الفخر الرازي ج 8 ص 380 وقريب منه ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره ص 331.

3- (تفسير الدر المنثور ج 6 ص 314 للسيوطي المتوفى سنة 910)

(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يكلم أبي بن خلف ، فاعرض عنه فانزل الله عيسى وتولى ان جائه الاعمى فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك يكرمه (1).

6 - ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس : قال بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب و ابا جهل بن هشام ، وكان يتصدى لهم كثيراً ويحرص ان يؤمنوا ، فاقبل اليه رجل اعمى يقال له عبد الله بن ام مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرىء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آية من القرآن قال يارسول الله علمني مما علمك الله فاعرض عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعيسى في وجهه وتولى وكره كلامه واقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نجواه واخذ ينقلب الى اهله امسك الله ببعض بصره ثم خفق برأسه ثم انزل الله عيسى وتولى ان جائه الاعمى فلما نزل فيه ما نزل اكرمه نبي الله وكلمه يقول له ما حاجتك هل تريد من شيء (2).

7 - سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن ابي مالك في قوله عيسى وتولى قال جاء عبد الله بن ام مكتوم فعيسى في وجهه وتولى ، وكان يتصدى لامية بن خلف ، فقال الله اما من استغنى فانت له تصدى (3).

8 - ابن ابي حاتم عن الحكم قال: ماروى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هذه الآية متصدياً لغني ولا معرضاً عن فقير (4).

9 - ابن ابي حاتم عن ابن زيد قال لو ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتم شيئاً من الوحي كتم هذا عن نفسه (5).

10 - الطبراني وابن مردويه عن ابي امامة قال: اقبل ابن ام مكتوم الاعمى وهو الذي نزل فيه عيسى وتولى ان جائه الاعمى فقال يارسول كما ترى قد كبر سنّى ورق عظمي وذهب بصري ولي قائد لا يلائمني قياده اياي ، فهل تجد لي من رخصة

ص: 48

1- الدر المنثور ج 6 ص 314.

2- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

3- الدر المنثور ج 6 ص 315.

4- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

5- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

اصلي الصلوات الخمس في بيتي؟ قال هل تسمع المؤذن قال نعم ما جدلك من رخصة(1).

11 - ابن مردويه عن كعب بن عجرة: ان الاعمى الذي انزل الله فيه (عبس وتولى) اتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله اني اسمع النداء ولعلني لا اجد قائداً فقال اذا سمعت النداء فاجب داعي الله(2).

12 - عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله (ان جائه الاعمى): قال رجل من بني فهر اسمه عبد الله بن أم مكتوم (اما من استغنى) عتبة وامية بن خلف(3).

13 - ابن سعد وابن المنذر عن الضحاك في قوله (عبس وتولى) قال هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقي رجلا من اشراف قريش فدعاه الى الاسلام ، فأثاه عبد الله بن أم مكتوم فجعل يسئله عن اشياء من امر الاسلام ، فعبس في وجهه فعاتبه الله في ذلك فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن أم مكتوم فاكرمه واستخلفه على المدينة مرتين(4).

14 - الحاكم وابن مردويه عن مسروق: دخلت على عائشة وعندها رجل مكفوف تقطع له الاترج وتطعمه اياه بالعسل فقلت من هذا يا ام المؤمنين فقالت هذا ابن أم مكتوم الذي عاتب الله فيه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت اتى نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنده عتبه وشيبه فاقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهما فنزلت عبس وتولى أن جائه الأعمى ابن أم مكتوم(5).

15 - عبد بن حميد عن مجاهد: قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخليا بصنديد من صنديد قريش ، وهو يدعوه الى الله وهو يرجو ان يسلم ، اذ اقبل عبد الله بن أم مكتوم الاعمى فلما رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كره مجيئه وقال في نفسه يقول هذا القرشي انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس فنزل الوحي (عبس

ص: 49

1- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

2- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

3- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

4- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

5- (الدر المنثور ج 6 ص 315).

وتولى) الى آخر الاية(1).

16 - ابن أم مكتوم ونزول سورة عبس.

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكلمه وقد طمع في اسلامه ، فبينما هو في ذلك اذ مر به ابن ام مكتوم الاعمى فكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اضجره ، وذلك انه شغله عما كان فيه من امر الوليد وما طمع فيه من اسلامه ، فلما اكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه فانزل الله تعالى فيه (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) الى قوله تعالى (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة) اي انما بعثتك بشيراً ونذيراً - لم اخص بك احداً دون احد فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تصدين به ممن لا يريد. قال ابن هشام(2) ابن ام مكتوم احد بني عامر بن لؤي واسمه عبد الله ويقال عمرو(3).

17 - هشام بن عروة عن ابيه: قال كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالساً مع رجال من قريش فيهم عتبة بن ربيعة وناس من وجوه قريش وهو يقول لهم أليس حسناً أن جئت بكذا وكذا قال فيقولون بلى والد ماء ، قال فجاء ابن ام مكتوم وهو مشتغل بهم فسئل عن شيء فاعرض عنه فانزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) يعني ابن ام مكتوم (اما من استغنى) يعني عتبه واصحابه (فانت له تصدى واما من جانتك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى) يعني ابن ام مكتوم(4).

18 - الضحاك في قوله (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تصدى لرجل من قريش يدعوه الى الاسلام ، فاقبل عبد

ص: 50

1- (الدر المنثور ج 6 ص 315)

2- ابن هشام المتوفى سنة 150 أو سنة 153 وفي الكني واللقاب للمحدث القمي سنة 218.

3- (السيرة النبوية لابن هشام ج 1 ص 363 الى ص 364).

4- طبقات محمد بن سعد ج 4 ص 153.

بن ام مكتوم الأعمى فجعل يسئله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرض عنه ويعبس في وجهه ويقبل على الآخر ، وكلّما سئله عبس في وجهه واعرض عنه فغيّر الله رسوله فقال (عبس وتولى أن جانه الأعمى وما يدريك لعله يزكي) الى قوله (فانت عنه تلهي) فلما نزلت هذه الآية دعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاكرمه واستخلفه على المدينة مرتين(1).

ص: 51

1- طبقات محمد بن سعد ج 4 ص 153.

هذه روايات القوم الذين فسّروا أوائل الآيات في سورة العبس في شأن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) غير مكترئين باثقال اوزارها، ولا منقحين لتلك الروايات سنداً و متناً ودلالة فاجتمعوا واجمعوا على العمل بها من غير رعاية لشرف النبي الاكرم ومكارم اخلاقه ومحاسن صفاته وما كان عليه من عظمة الروح وعلق الهمة وفضائله في المعاشرة المتواضعة.

هذا مضافا الى الغفلة العميقة عن الآثار الخبيثة للشجرة الملعونة في القرآن حيث عاشت الامة الاسلامية الف شهر تحت رئاستهم وما اصابوا منهم في دينهم وديناهم ، وقد تبههم الله سبحانه في كتابه فقال (واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس ولشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)⁽¹⁾وقد خوّفهم الله عن هذه الشجرة وارقدهم ونبههم ومع ذلك فقد اصاب الاسلام والقرآن والنبي الاعظم وعترته الطاهرون (صلوات الله عليهم اجمعين) واحاديثهم واحكامهم من هؤلاء بمصائب عظيمة ، سوّدت وجه التاريخ ولو مات منها المسلم اسفاً ما كان ملوماً.

وقد استأجروا اقلاماً خبيثة ممن اشتروا الصّلالة بالهدى الذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ص: 52

وقد خص شيخنا العلامة الاميني (قدس سره) في ج 5 من ص 209 الى ص من كتابه الغدير لذكر سلسلة الكذابين والوضاعين على ترتيب حروف المعجم ، ثم يذكر اصحاب الكنى واللقاب على اختصار واطار الى مأخذه من كتبهم ذاكراً أنّ هؤلاء شذمة قليلة منهم ، ثم من ص 288 الى ص 290 من ج ه يكتب قائمة مما وضعوه او قلبوه من الاحاديث ويذكر عدد موضوعاتهم ومقلوباتهم عن مأخذها ما يبلغ اربعمائة وثمانية آلاف وستمائة واربعه وثمانين حديثاً ، ثم يذكر ان ذلك نذر يسير يسير نظراً الى ما اخلقته ايدي الافتعال الاثيمة المتكثرة.

نعم لاغرو في دسيسة الشجرة الملعونة من آل اميّه والحكم بن العاص بعد رئاستهم على كيان المسلمين تحكماً وتجبراً ان يقبلوا الحقايق القرآنية تحريفاً في مقام التفسير بوضع احاديث على ان ماعوتب به رجل من بني أميه او شخص عثمان عفان مما

بن خوطب به النبي الاكرم الذي نزهه الله تعالى عن اوساخ الصفات ورذائل الملكات وعظم محامد اخلاقه الشريفه مزدوجاً بقسم منه سبحانه بانك لعلي خلق عظيم.

نعم لاغرو في ذلك بعد الامداد والاستمداد بحطام الدنيا واموال بيت المال للمسلمين فانّ الناس عبيد الدنيا والدين لعق على سنتهم يحوطونه مادرت به معاشهم فاذا مخصوا بالبلاء قل الدينون وقد بذلوا من بيت المال اموالاً جسيمة ومن الحكومة الاسلامية مناصب لمن استخدموه في سبيل اهوائهم وهدم احكام القرآن وتحريف الكلم عن مواضعه وضغط المسلمين والمؤمنين ، وقد كانوا يريدون ليطلقوا نور الله بافواههم والله متم نوره

بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون(1)

ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته(2)

ص: 53

1- سورة الانبياء - 18.

2- سورة الشورى 24.

كلام في سند الروايات المفسرة في سند الروايات و بيان انقطاعها وارسالها وضعف بعض رواياتها

لابد في اعتبار الرواية وجواز الاخذ بها من تنقيح سندها ليثبت ان سلسلة رواياتها مامونون من الكذب والخيانة ، وتطمأن النفس بصدورها وعدم سقوط واسطة فيما بينهم ، وعليه ففي فرض عدم الوثوق ولو باحدى النفرات من السلسلة او بسقط واسطة فيما بينهم الى زمان شهادة الواقعة او الحديث تسقط الرواية عن درجة الاعتبار ، وهذه جملة موجزة في هذا الباب يطلب تفصيلها من كتب تراجم رجال الحديث والدراية وما يرتبط بذلك من كتب اصول الفقه ، فليس كل ما ينسب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) او خلفائه واوصيائه وصحبه ممّا يسمّى بالحديث او الرواية ينبغي ان يتلقى بالقبول ولاسيما اذا كان في غير الفروع الفقهية من الموضوعات الشرعية او غير الشرعية من الامور التكوينية او مما وقع في مقام تفسير القرآن من الحوادث والوقايح مما لا يوجب علماً و لاعمالاً ولاسيما اذا كان مرتبطاً بالاصول الاعتقادية الدينية الاسلامية نقياً او اثباتاً وبالاخص اذا كان معارضاً لأصل اعتقادي ثبت بالعقل والنقل كما فيما نحن فيه

فهي هنا يجب التنبه والتذكر بانّ القضية بالنسبة الى مقام النبوة الخاتمية الذي هو اصل من اصول الدين وبتزلزله يتزلزل الدين بأركانه واصوله ، وقد تجاسروا في تلك الروايات بعصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعظمتته وشخصيته واعتبار اقواله وأفعاله مما هو الاساس في تبليغ الرسالة.

وهذه الروايات خالية عن اقل درجة الاعتبار مما يستفاد منه في المسائل الفقهية فضلاً عن مرتبة تناسب استعمالها في المسائل الاعتقادية ولاسيما فيما نحن فيه مما هو

وبيان ذلك بنحو الاختصار أنّ تلك الروايات ينتهي سندها الى سندها الى جماعة من الرواة فضلاً عما قبلهم ولها ارسال وانقطاع وضعف في جملة منها.

1 - عايشه ، حيث ينتهي في ثلاث من تلك الروايات اليها مع تعارضها وتضادها واضطرابها متناكماً سيجيء وهي مذكروها تحت رقم 1 و 4 و 14 فاقل شي في تلك الروايات من ضعف السند أنّ عايشة لم تكن داخله في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الهجرة فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) زوّجها قبل الهجرة بستين وهي ابنة ست ودخل بها في المدينة وزفّ معها في السنة الاولى من الهجرة وهي ابنة تسع وقال ابن الاثير تزوج عايشة بنت ابي بكر بمكة وبني بها بالمدينة سنة اثنين (اسد الغابة ج 1 ص 33) وقد سبق ان السورة مكية فلم تكن عايشة حاضرة وشاهدة لتلك الواقعة التي ترويه فلا محاله تصير الرواية مقطوعة السند ساقطة عن درجة الاعتبار حتى عن اقل مراتبها.

2 - ابن عباس وينتهي سند اثنين من تلك الروايات اليه ، وهي مذكروها تحت رقم 2 من تنوير المقباس لابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي وتحت رقم 6 ، فابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين فلم يكن ممن ادرك الواقعة او لم يكن له حينئذ التمييز والتشخيص فلا محالة لم يرو ذلك الا بالواسطة ولم يذكرها فتسقط عن درجة الاعتبار.

3 - انس بن مالك ، فقد كان غلاماً جاءت به امه الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واهدته اليه ليكون له خادماً وذلك في اوائل الهجرة ، فلم يكن قبل الهجرة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون قد شاهد الواقعة فما ينتهي سندها اليه وهي رواية رقم 5 غير معتبرة ، روى الزهري عن انس قال قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وانا ابن عشر سنين وتوفى وانا ابن عشرين سنة. (1)

4 - ضحاك ، وله روايتان ذكرنا احديهما تحت رقم 13 وثانيتها تحت رقم 18 فهو ابو القاسم بن مزاحم البلخي المفسّر المؤدب وهو مضافاً الى انه لم يدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعد من الصحابة ، أنّ فيه ضعفاً ففي ميزان الاعتدال للذهبي انه

ص: 55

حملت به امه عامين وفيه ايضاً عن شعبة ومشاش وعبد الملك بن ميسرة انه ما ادرك ابن عباس ومرادهم أنه يروى عنه ولم يلقه وعن يحيى بن سعيد انه ضعفه.

5 - مجاهد ، وله روايتان احديهما ذكرت تحت رقم 12 وثانيتهما تحت رقم 15 ، فهو مجاهد بن جبر ومضافاً الى انه من التابعين الذين لم يدركوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عما قبل الهجرة والحضور في الواقعة فروايته من المراسيل المقاطيع ، انه ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال المعد لذكره الضعفاء قال: قال ابو بكر بن عياش قلت للاعمش مابال تفسير مجاهد مخالف او شيء نحوه ، قال اخذها من اهل الكتاب وقال النباتي ذكر مجاهد في كتاب الضعفاء لابن حيان السبتي وقال ابن خراش وغيره: احاديث مجاهد عن علي (عليه السلام) مراسيل لم يسمع منه شيئاً.

6 - ابو مالك ، فلم يذكر في روايته اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (في قوله عبس وتولى) قال جاء عبد الله بن أم مكتوم فعبس في وجهه وتولى وكان يتصدى لامية بن خلف فقال الله (أما من استغنى فأنت له تصدى) فلعل مراده ممن عبس غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما عليه اصحابنا الامامية.

والظاهر انه ابو مالك النخعي الكوفي واسمه عبد الملك بن حسين وهو مضاف الى انه ليس من الصحابة فضلاً عن مشاهدته الواقعة فروايته من المقاطيع ، ان فيه ضعفاً ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وقال قال ابن معين ليس بشيء وقال البخاري ليس بالقوي عندهم وقال ابو زرعة والدارقطني ضعيف.

7 - هشام بن عروة عن أبيه ، فهو وابوه لم يكونا ممن شاهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن كونهما شاهدين الواقعة المذكورة في روايتهما ، بل ابوه يروى عن عايشة فروايته ايضاً من المراسيل لعدم ذكره الوسطة مضافاً الى انه ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وقال انه في الكبر تناقض حفظه ، وعن ابي الحسن القطان انه اختلط وتغير.

8 - كعب بن عجرة ، وقد سبقت روايته تحت رقم 11 لكن ليس في روايته في سبب النزول ذكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل ذكر فيها الاعمى الذي نزل فيه (عبس وتولى) وهو من الانصار او من حلفائهم على الخلاف فيه ، وتوفى بالمدينة سنة

احدى وخمسين او اثنين او ثلاث وخمسين *** على الخلاف فيه وعمره سبع وسبعون

وقيل خمس وسبعون سنة(1) فقبل الهجرة كان عمره اربع وعشرين لكنه لم يكن مسلماً ولم يكن بمكة فروايته من المقاطيع ، وايضاً ابن مردويه الذي ينقل عنه هذه الرواية وهو احمد بن موسى الاصفهاني المفسر توفى باسكاف سنة 352 فلا محاله يروى عنه مع الوساطة ولم يذكرها فروايته عنه من المراسيل .

9 - الحكم ، وقد سبق ذكر روايته تحت رقم 8 وحيث لم يميز باسم ابيه او غيره من المميزات فهو مشترك بين جماعة ذكرهم الذهبي في ميزان الاعتدال وضعفهم ، ويمكن ان يكون المراد منه الحكم بن نافع ابو اليمان الحمصي الذي وثقه جماعة ويروى عنه جماعة منهم ابن ابي حاتم الرازي ، ولكن اختلف في حديثه عن شعيب بن ابي حمزة ، وعلى كل حال فهو ممن لقيه وروى عنه ابو حاتم الرازي المتوفى سنة 277 والحكم هذا يروى عن امثال حريز بن حريز بن عثمان وصفوان وابي بكر بن مريم ، فلم يكن ممن ادرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن حضوره الواقعة فروايته من المقاطيع .

10 - ابو امامة ، وروايته قد مضت تحت رقم 10 لكن ليس فيه ذكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سبب نزول آيات سورة العبس ، وانما المذكور فيها ذكر الاعمى واما العباس وجهه عنه فمن هو فغير مذكور وغير معارض لما ذكره الامامية .

اضطراب الروايات وتضادها من جهات

الاولى - فيمن جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتصدى له دون الاعمى ، (وعند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من عظماء المشركين - رقم 1

(كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالساً مع ثلاثة نفر من اشراف قريش منهم العباس بن عبدالمطلب عمه وامية بن خلف الجمهوى وصفوان بن امية وكانوا كفاراً - رقم 2.

ص: 57

(وعنده صناید قريش عتبه وشييه ابنا ربيعه وابو جهل بن هشام والعباس بن المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة - رقم 3 - .

(كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجلس في ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل بن هشام وعتبه بن ربيعه - الروايه رقم 4 .

(جاء ابن ام مكتوم الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يكلم ابي بن خلف - رقم 5.

(بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يناجي عتبه بن ربيعه والعباس بن عبد المطلب و ابا جهل بن هشام وكان يتصدى لهم كثيراً -
رقم 6 -

(وكان يتصدى لاميه بن خلف - رقم 7.

(اما من استغنى - عتبه بن ربيعه وامية بن خلف - رقم 12-

(لقى رجلاً من اشراف قريش فدعاه الى الاسلام فاتاه عبد الله بن ام مكتوم - رقم 13.

(اتى نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنده عتبه وشيية - رقم 14.

(كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مستخليا بصنديد من صنديد قريش وهو يدعوه الى الله وهو يرجو ان يسلم اذ اقبل عبد الله بن ام
مكتوم - رقم 15.

(وقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكلمه وقد طمع في اسلامه فبينما
هو في ذلك اذ مر به ابن ام مكتوم - رقم 16 .

فانظر في تلك الروايات فيمن تصدى له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكل منها يذكر ما يخالف الاخرى حتى انه لعائشة ثلاث
روايات كل منها يخالف الاخرى ، ففي اولها (رجل من عظماء المشركين) وفي الثانية (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في
مجلس في ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل بن هشام وعتبه بن ربيعة) وفي الثالثة (وعنده عتبه وشيية).

الجهة الثانية في الأعمى في اسمه ونسبه ، فالروايات بعد اتفاقها في ان الأعمى هو ابن أم مكتوم تتعارض وتتضاد في اسمه ونسبه ، بحيث تعرّف لنا شخصين في جميع الجهات الا في العمى والكنية او تحكي عن جوّ غير سالم عن الكذب والافتراء ، وتدل على جريان سياسة شيطانية حاكمة في خلال تلك الروايات على رواياتهم ورواياتهم ، واليك الاشارة الى جملة منها:

(اذ جائه عبد الله بن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح وام مكتوم كانت ام ابيه - رقم 2 (واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه - الرقم 3 من الروايات السابقة.

(ان جائه الأعمى ، قال رجل من بني فهر اسمه عبد الله بن أم مكتوم - رقم 12.

(فاتاه عبد الله بن أم مكتوم - رقم 13 (اذا قبل عبد الله بن أم مكتوم - رقم 15.

وعلى هذه الروايات فابن أم مكتوم هو الذي يذكره عنهم شيخنا الطبرسي وغيره من انه هو عبد الله بن شريح بن مالك بن لؤي.

(اما اهل المدينة فيقولون اسمه عبد الله واما اهل العراق وهشام بن محمد بن السائب فيقولون اسمه عمر و ثم اجتمعوا على نسبه فقالوا: ابن قيس بن زائدة بن الاصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي وامه عاتكة وهي ام مكتوم بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة(1)

ص: 59

(عبد الله بن شريح وقيل عمرو وهو ابن أم مكتوم من بني عبد غنم بن عامر بن لؤي نسبه ابو موسى عن ابن شاهين هكذا - اسد الغابة ج 3 ص 183 -

(عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم ، واسم الاصم جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن عدى بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري ، وهو ابن ام مكتوم الأعمى المؤذن وامه ام مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد فانّ ام خديجه (رضى الله عنها) فاطمة بنت زائدة بن الاصم وهي اخت قيس - (1)

فهذا الاعمى على مانسبه في الطبقات واسد الغابة قرشي ابا وابن خال خديجة (رضى الله عنها) أمأ فهو من بيت الشرف امأ وابعاً ومع ذلك يذكر في الرواية رقم 15 انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في نفسه يقول هذا القرشي انما اتباعه العميان والسفلة والعيبد.

فصار الاعمى ملعبة للكتاب والرواة في حكومة آل امية فكل نسبه بنحو غير ما ينسبه الآخر كل ذلك في سبيل تحريف العتاب عن رجل من بني اميه الى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن التموج في القول الكاذب يوجب افشاء كذبه.

ص: 60

الجهة الثالثة ، تعارض الروايات وتضادها في موارد استخلافه

ففي عدة من الروايات انه بعد نزول الآيات كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستعطفه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين ، كما في الرواية رقم وفي رواية الضحاك رقم 13 (فاكرمه واستخلفه على المدينة مرتين. هذا.

ولكن في الطبقات لابن سعد - وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - عن الشعبي قال غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث عشرة غزوة مامنها غزوة الايستخلف ابن ام مكتوم على المدينة وكان يصلى بهم وهو اعمى. (1)

وعن الشعبي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة تبوك يأم الناس - عن قتاده استخلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن ام مكتوم مرتين على المدينة وهو اعمى. (2)

وعن الشعبي استخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن ام مكتوم حين خرج الى بدر فكان يصلي بالناس وهو اعمى. (3)

محمد بن سهل بن ابي حثمه قال استخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة ابن ام مكتوم حين خرج في غزوة قرقرة الكدر الى بني سليم وغطقان وكان يجمع بهم ويخطب الى جنب المنبر يجعل المنبر عن يساره ، واستخلفه ايضاً حين خرج

ص: 61

1- الطبقات ج 4 ص 151

2- الطبقات ج 4 ص 151.

3- الطبقات ج 4 ص 151

في غزوة بني سليم ببحران ناحية القُرع ، واستخلفه حين خرج الى غزوة احد وحين خرج الى حمراء الاسد والى بني النضير والى الخندق والى بني قريظة وفي غزوة بني لحيان وغزوة الغابة وفي غزوة ذي قرد وفي عمرة الحديبية.(1)

ويذكر ابن هشام في سيرته موارد استخلافه في غزوة بني سليم بالكدر - استعمل على المدينة سباع بن عرقطة الغفاري او ابن ام مكتوم(2)، وفي غزوة احد - استعمل ابن ام مكتوم على الصلوة بالناس = ص 64 ، وفي غزوة حمراء الاسد(3) - واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم . = ص 102 ، وفي غزوة بني النضير قال استعمل على المدينة ابن ام مكتوم . = 190 ، وفيغزوة الخندق استعمل على المدينة ابن أم مكتوم. ص 220، وكذا في غزوة بني قريظة ص 234 ، وغزوة بني لحيان ص 279 ، وفي غزوة ذي قرد ص 274.(4)

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستخلفه على المدينة في بعض غزواته.(5)

واستخلفه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة ثلاث عشر مرة في غزواته منها غزوة الالباء وبواط وذو العشيرة وخروجه الى جهينة في طلب كرز بن جابر وفي غزوة السويق وغطفان واحد وحمراء الاسد وبحران وذات الرقاع واستخلفه حين سار الى بدر ثم ردّ اليها ابا لبابه واستخلفه عليها.(6)

وهذه الروايات مع تضادها وتعارضها في استخلافه على المدينة تتوجه اليها اسئلة:

1 - ما معنى استخلافه وصيرورته خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة ايام غيبته عنها في تلك الغزوات او الغزوتين ، فهل يكون في خصوص الصلوة واما بالنسبة الى سائر الامور الشرعية والقضائية والحكومية فغيره كان خليفته ام كان شغل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة امامة الجماعة في الصلوة فقط فاستخلفه

ص: 62

1- الطبقات ج 4 ص 152.

2- ج 2 ص 46

3- على ثمانية اميال من المدينه

4- السيرة النبوية لابن هشام ج 2.

5- اسد الغابة ج 3 ص 183.

6- اسد الغابه ج 4 ص 127.

فيها فقط وفي الفرض الاول لم يذكروا غير ابن ام مكتوم لسائر الامور

2- على فرض ان يكون العتاب في تلك الآيات في سورة عبس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاي رابطة بين عتابه على اعراضه عن الاعمى لفقره وعماه وبين استخلافه في الصلوة او مطلقاً في جميع المناصب على المدينة ، فان مقتضى العتاب ان لا يعرض وجهه بعد ذلك عن الفقراء والعميان وبالاخص عن هذا الذي عوتب عليه لا ان يستخلفه على المدينة فانّ للاستخلاف اسباب غير ذلك.

3- الاستخلاف سواء كان في الصلوة او مطلقاً لابد وان يكون الخليفة لايقاً لما استخلف له في العلم والعدالة والتقوى والمديرية والتدبير وقوة القضاء بين الناس علماً وعملاً وغير ذلك ، ولا يمكن ان يكون ناشئاً عن الاستعطف فانه يوجب الفشل في امر الحكومة وادارة المملكة حتى فيما بين الحكومات الغير الاسلامية فضلاً عن الاسلام.

ص: 63

الجهة الرابعة - اضطراب الروايات وتعارضها في أذانه

ففي روايات انه كان مؤذناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) مع ان المؤذن له (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هو بلال الحبشي واما ابن ام مكتوم فاختلفت الروايات في كيفية اذانه:

(وهو ابن ام مكتوم الاعمى المؤذن) - (1)

عن عائشة ان ابن ام مكتوم كان مؤذناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو اعمى (2)

(ان بلال يؤذن ويقيم ابن ام مكتوم وربما اذن ابن ام مكتوم واقام بلال) (3).

(قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّ بلالاً - ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى قال وكان ابن ام مكتوم رجلاً اعمى لا ينادى حتى يقال له اصبحت ينادي ابن ام مكتوم - اصبحت (4)

عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّ بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم (5)

عن ابن عمر انّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال ان بلالاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن ام مكتوم (6)

عن ابن عمر قال كان يؤذن لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بلال بن رباح وابن ام

ص: 64

1- اسد الغابة ج 4 ص 127.

2- الطبقات ج 4 ص 152.

3- الطبقات ج 4 ص 152.

4- الطبقات ج 4 ص 152.

5- الطبقات ج 4 ص 152.

6- الطبقات ج 4 ص 152.

مكتوم قال فكان بلال يؤذن بليل ويوقظ الناس وكان ابن ام مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه فكان يقول كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم (...)(1)

بها فانظر في تلك الروايات بعين الاعتبار فقد يصير ابن ام مكتوم الاعمى الذي لا يقدر على تشخيص الاوقات الشرعية للصلوات مؤذنا لرسول الله ، وقد يصير المؤذن بلالاً والمقيم ابن ام مكتوم ، وفي بعضها يصيب في اذانه مع عماء ويخطيء بلال مع بصره وكيف يريد الراوي توجيه روايته؟

ثم انظر الى الروايات المعارضة.

(عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان ابن ام مكتوم ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال - (2)

(جاء ابن ام مكتوم الى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال يارسول الله منزلي شاسع وانا مكفوف البصر وانا اسمع الاذان قال فان سمعت الاذان فاجب ولو زحفاً او قال ولو حبوا(3)

(عن ابراهيم قال اتى عمرو بن ام مكتوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فشكاقانده وقال ان بيني وبين المسجد شجراً فقال له رسول الله تسمع الاقامة قال نعم فلم يرخص له ... (4)

(عن ابي امامة قال اقبل ابن ام مكتوم الاعمى وهو الذي نزل فيه عبس وتولى ان جائه الاعمى فقال يارسول الله كما ترى قد كبر سني ورق عظمي وذهب بصري ولي قائد لا يلائمني قياده اياي فهل تجد لي من رخصة أصلي الصلوات الخمس في بيتي ، قال هل تسمع المؤذن قال نعم قال ما اجد لك من رخصة- (5)

كعب بن عجرة ان الاعمى الذي انزل الله فيه عبس وتولى اتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال يارسول الله اني اسمع النداء ولعلي لا اجد قائداً فقال اذا سمعت النداء

ص: 65

1- الطبقات ج 4 ص 152.

2- الطبقات ج 4 ص 154.

3- الطبقات ص 154.

4- الطبقات ص 154.

5- الدر المنثور ج 6 ص 315.

وانظر في تلك المعارضات فاوليها تدل على ان ابن ام مكتوم كان يخطيء في اذانه ، والبقية تدل على عدم قدرته على الحضور للجماعة فضلاً عن الاذان ، وان المؤذن كان غيره حيث يقول اسمع النداء او ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول له هل تسمع المؤذن الخ.

قال ابن الاثير - بلال بن رباح ... وكان مؤذناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان يؤذن لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته سفيراً وحضراً او هو اول من اذن في الاسلام-(2)

(عن القاسم بن عبد الرحمن قال اول من اذن بلال)-(3)

(عن جابر بن سمرة ان بلالاً كان يؤذن حين يَدْحَضُ الشمس ويؤخر الإقامة قليلاً او قال وربما اخر الإقامة قليلاً ولكن لا يخرج في الاذان عن الوقت(4)

ص: 66

-
- 1- الدر المنثور ج 6 ص 315.
 - 2- اسد الغابه ج 1 ص 207.
 - 3- الطبقات ج 3 ص 167.
 - 4- الطبقات ج 3 ص 167.

ثم ان في تلك الروايات متناً ما يوجب الوهن فيها من جهات أخرى.

فمنها ما في بعضها من ان النبي (صلى الله عليه وآله) كره مجيئه (ابن ام مكتوم) وقال في نفسه يقول هذا القرشي انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس - الرواية رقم 15 ففيه اولاً:

من اين اكتشف ما في نفس النبي (صلى الله عليه وآله) ، ومن اخبر الراوي بما في نفس النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهل كان ذلك مجرد سوء ظن برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، او اتهاماً بمقام قدسه وعصمته.

وثانياً: فهل كان النبي (صلى الله عليه وآله) يرى في اتباعه العميان والسفلة من جهة المال والعشيرة والعبيد عاراً على نفسه ويستحيي من ذلك عند رجل مشرك جاهل يرى نفسه من صنديد قريش ويفتخر به ، افلم يكن هو خاتم الانبياء واشرف المرسلين والسفراء في المكارم والصفات العالية الانسانية ونوح النبي (عليه السلام) الذي كان اقل رتبة منه باجماع الامة لم يكن يتأبى من ذلك كما حكا الله تعالى عنه في القرآن قال تعالى: (فقال الملاء الذين كفروا من قومه مانريك الا بشراً مثلنا ومانريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين - قال يا قوم ... وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوماً تجهلون)(1).

ص: 67

انظر الى موقف نوح (عليه السلام) وما عابه قومه عليه وما اجاب هو (عليه السلام) عنهم فهل كان نبينا اقل رتبة في المكارم والمحامد والصفات النبوية وهو اعظمهم وافضلهم. وثالثاً: ان الظاهر من الروايات ان تلك الواقعة كانت في زمان اعلن النبي (صلى الله عليه وآله) دعوته فخرجت عن الاختفاء في جميع الابعاد ، وبعد ذلك كل مسلم يجتمع معه (صلى الله عليه وآله وسلم) علناً وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يدعو الاشراف وغيرهم علناً وبعد ذلك لا معنى لما في هذه الرواية وامثالها ، الم يكن ابن ام مكتوم من قبيلة الاشراف اباً واماً كما سبق ص 49 ثم ألم يعرف قريش وصناديدهم ان ابن ام مكتوم قد اسلم لكي يستخفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم ذلك.

ومنها: ما في جملة منها من انه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك كان يكرمه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين.

وفيه اولاً: ان العتاب على فرض توجهه اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) انما كان من جهة اعراضه عمّن سعى الى نبي الاسلام للاستفاضة من علوم القرآن واحكام الاسلام و آدابه كما اشير اليه في بعضها بانه كان يقول (علمني مما علمك الله - رواية رقم 2 ويارسول الله ارشدني - رواية رقم 1) وامثال ذلك مما في غيرهما من الروايات ، ويتوقع مثله من مثله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لا من جهة ان فقيراً اعمى التجأ الى ذي مكنة مالية وجاه ولم يأوه . ولم يغثه بعد استغاثته ليناسب اصلاحه بقضاء حوائجه ونصبه لمناصب حكومية.

وثانياً: انّ السورة مكيه وقد وقعت في مكة في اوائل البعثة او واسطها وبينها وبين الهجرة ثم استقرار الحكومة الاسلامية واجتماع المسلمين في الجماعة للصلوة ووقوع الغزوات فاصلة سنوات كثيرة فكيف تقول الروايات أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكرمه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين.

وثالثاً: استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هل كان مبنياً على الاستعطف والرافة ام على الصلاحية والاهلية فانّ هذا شيء لا يرتكبه عظماء الدنيا فضلاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي (لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)

ومنها ما في بعض تلك الروايات (1)شهد القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع- على ما عن المعارف لابن قتيبة - كما حكاه المحدث القمي في الكنى واللقاب ومثله ما عن انس بن مالك كما في الطبقات ج 4 ص 155 وقال ابن الاثير (وشهد فتح القادسية ومعه اللواء وقتل بالقادسية شهيداً وقال الواقدي رجع من القادسية الى المدينة فمات(2)).

وفيما قال شيخنا الطبرسي عنهم (وقال انس بن مالك فرايته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء).

وفيه اولاً: ينافي ذلك ما في عدة من الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله)(3)كرواية البراء - قال لما نزلت هذه الآية (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) زيदा وامره فجاء بكتف وكتبها فجاء ابن ام مكتوم فشكا ضرارته الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنزلت (غير اولي الضرر).

ومثلها رواية زيد بن ثابت وفي رواية اخرى عن زيد بن ثابت مثلها وفيها.

(فقام عمرو بن ام مكتوم وكان اعمى لما سمع فضيلة المجاهدين فقال يارسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد فما انتضى كلامه حتى غشيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه السكينة فوقعت فخذه على فخذي - الى ان قال - فقال اقرء يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال اكتب غير اولي الضرر - وفي رواية اخرى ايضاً عن زيد مثلها وفيها - فقال - ابن ام مكتوم يارسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلاً اعمى - الحديث(4)).

ص: 69

1- و حرب القادسية كان من المسلمين برئاسة سعد بن ابي وقاص وابي عبيدة الثقفي وبين الفرس بالقادسية قريبا من الكوفة سنة 14 هجرية في زمان عمر.

2- اسد الغابه ج 4 ص 127.

3- سورة النساء 95.

4- الطبقات ج 4 ص 155).

فمن كان غير مستطيع للجهاد في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى استثناه الله سبحانه لعذره وضرارته فكيف استطاع يوم القادسية في زمان عمر سنه اربعة عشر من الهجرة ، وماوجه الجمع بينهما.

وثانياً: ينافيها ما في رواية كعب بن عجرة قال ان الاعمى الذي انزل الله فيه عبس وتولى اتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال يا رسول الله اني اسمع النداء ولعلني لا اجد قائداً فقال اذا سمعت النداء فاجب داعي الله - وكذا رواية ابي امامة قال اقبل ابن ام مكتوم الاعمى وهو الذي نزلت فيه عبس وتولى ان جائه الاعمى فقال يا رسول الله كما ترى قد كبر سني ورق عظمي وذهب بصري ولي قائد لا يلائمني قياده اياي فهل تجد لي من رخصة اصلي الصلوات الخمس في بيتي قال هل تسمع المؤذن قال نعم قال ما اجد لك من رخصة(1).

فمن كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عاجزاً عن الحضور في المسجد للصلوة جماعة لكبر سنه ورقة عظمه وذهاب بصره وعدم قدرته على المشي من دون قائد فكيف صار بعد سنوات عديدة في حرب القادسية بطلاً فارساً صاحب اللواء - ان هذا لشيء عجاب ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق.

وثالثاً: ان يوم يوم القادسية لم يكن الا يوم المقاتلة والجهاد مع الكفار فلم يكن امر الجهاد مرفوعاً عن العجزة ومنهم الاعمى وأنه ليس على الأعمى حرج فكيف كان ابن ام مكتوم يحضر المعركة ، ثم ما ذا كان ينفع وجوده في المعركة وهو لا يقدر على المقاتلة بل من لم يكن يقدر على الحضور للصلوة جماعة في المسجد من دون قائد وكان يعتذر لذلك عند النبي (صلى الله عليه وآله) فلماذا حضر ساحة القتال ، ثم كيف صار صاحب الراية وصاحب الراية من قواد العسكر الى البراز والحرب بحسب المصالح الحربية والاعمى مضافاً الى عدم قدرته لذلك يحتاج الى القائد فيستوجب اشتغال رجل آخر من المقاتلين بقيادته ويستلزم ضرراً على العسكر بتعطيل محارب مجاهد آخر.

افلم ينظر الرواة والمحدثون في هذه الروايات بعين العبرة والانصاف والتتقح

ص: 70

والاحتساب ليخرجوا بذلك عن التكلف والاعتساف ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق؟

فهذه الروايات بعد ما عرفت من الضعف والاضطراب والتضاد والتعارض وآثار الوهن فيها ، فلا تصير لنا حجة شرعية ولا عقلية لصرف الآيات الى المعنى المشتملة له. بل وجودها تشعر بدسائس شيطانية حصلت عن ايدى الأمويين الذين عاشوا الف شهر فتنة للمسلمين وساسة على عباد الله يحكمون فيهم على ما يشاؤون ويقدرون وقد اشرنا الى ذلك قبلاً فراجع ص 42 - ص 53.

ص: 71

وهنا رأينا ان تصوير الجو الحاكم في الجوّ الحاكم في عصر نزول الآيات في قبال رسالة رسول(صلى الله عليه وآله) مما له اساس اكيد في تقريب الحقيقة الى الاذهان وفي ضوئه ينكشف لنا مخاطب آيات العتاب والا هدايا السامية في تلك السورة وتعاليمها وما فيها من التربية والتزكية وما يميز به بين الحق والباطل في سبيل الدعوة الى الاسلام ، ثم يميز بين من يليق بمقام السفارة والرسالة بحق ، ومن يشتهي ان يجلس مجلسه بغير حق تكلفاً وتكبيراً وتجبراً واتباع الهوى فيصله عن سبيل الله ويضل الناس بغير علم.

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولّى 1 ان جائه الاعمى 2 وما يدريك لعلّه يزكى 3 او يذكر فتنفعه الذكرى 4 اما من استغنى 5 فانت له تصدى 6 وما عليك ألا يزكى 7 واما من جائك يسعى 8 وهو يخشى 9 فانت عنه تلهى 10 .

حكاية واقعة يعالجها القرآن بتوجيه ارشادي من الصفات الرديئة الرذيلة الكاشفة عن ضعف النفس وانحطاطها الى المكارم السامية الاسلامية سيما في سبيل الدعوة الى الله سبحانه والى الحق والى الاسلام ، فيذكر القيم الانسانية فيوازنها بمقياس الحق وميزان الحقيقة بما يميزها عن الموازنة الجاهلية التي لاترى الا المظاهر المادية البحتة مما ليس ورائها حقيقة الانسانية وانما هي الماديات واسبابها وجلواتها المتسرة الى الفناء ، واما الانسانية فهي حقيقة تدور مدار قوة العقل وتراكم المعنويات والصفات العالية والمكارم الحميدة والاداب الحسنة مما تشأ عن ارتقاء الروح عن مستوى الحيوانات والبهائم والسباع والهوام الموزية فما يرفع الانسان ويكرمه ويرقيه ويسيطره على جميع

الموجودات ويسخر بيده الاسباب ويتوجه بتاج الملوكية على الارض وما فيها وما فوقها ، ليس هو نعومة جلده وصباحة منظره وحسن عيونه و
بياض اسنانه وثرعه ، وامثال ذلك من المحاسن البدنية اذا لم يستتبعها سلامة النفس وصفاء الروح ، فرب صبيح سالم الاعضاء في غاية
الحسن والملاحظة ساقط عن القيم الانسانية ، لا يعرف له الناس اى منزلة وشرف وشخصية ، ورب قبيح وجها او مؤف عينه او سمعه او يده او
رجله او غير ذلك من اعضائه ، ولكن له عظمة ، واكتسب المكانة السامية بالعلم والفضل او بالصفات العالية او غير ذلك مما جعله على
رؤوس الناس رفعة وشرفاً وسودداً ، وكذلك الثروة المالية والمكانة والجاه عند الجهال وكثرة الاولاد والاقارب والعشيرة والخدم والحشم
والسيطرة ، ليس بشاخص لما في باطن الانسان من العلم والكمال والآثار الحميدة والملكات الفاضلة الجيدة كما ان الفقر وانحطاط الجاه
عند ابناء الدنيا وعدم الممكنة ، غير كاشف عن دنائة النفس وقلة العقل واعوجاج الفكر ورذالة الصفات والفقر في المعنويات الانسانية فان
للفقر والغنى في المال والرقى والانحطاط عند الناس علماً واسباباً شتى ربما تكون خارجة عن اختيارات الانسان ، وما باختياره ربما استمد
من الحيل والغدر وانواع الظلم والهتك والتعدي وامثال ذلك ، على ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا وللآخرة امتعة اخرى فكثير مما يعدّ شرفاً
في الدنيا غير موجب للشرف في العقبى ، والقرآن ينظر الى الانسان بما انه انسان وهو اشرف الخلايق واكرمهم واعزهم عند الله سبحانه
وتعالى ، وهو خليفة في ارضه ولقد كرمه الله تعالى وحمله في البر والبحر ورزقه من طيبات الارزاق المادية والمعنوية وسخر له مافي
الارض والسماء ، ليصير فوق مافي الارض والسماء ، ويعرج الى رب الارض والسماء ، لا ليلعب بالتراب وما انتشر عنه ويغرق في هواه
ويختار الخلود تحت مكائن الماديات الارضية ، ويعبث بنفسه وعقله وكرامته في جو عالم وسيع سخر له .

واما الجاهلية سواء كانت تلك الجاهلية الماضية في عصر نزول القرآن او الجاهلية الحاضرة في عصر كشف الذرة وعصر السُّنن الفضائية ،
فللمظاهر المادية في نظرهم المكانة السامية والعزة والشرف ، وقد كان الفقر عند عندهم مما يوجب نقصاً ونزولاً وانحطاطاً فيتقدرون عن
الفقير ، ويقبضون وجوههم عنه ، ويضيقون عليه من غير ذنب

اذا قل مال المرء قلّ محبته *** وضاق عليه ارضه وسمائه

وقد حاربهم القرآن على تلك الخرافات الجاهلية كثيراً، وقال سبحانه (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) وقال الله تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)، وكذلك العمى وفقد البصر، ولو كان الاعمى بصير القلب غزير العلم محمود الصفات، حتى انهم كانوا يعزلون الاعمى عن مجالسهم وما كلهم ومشاربهم، فانظر في قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) (الاية) وما روى في نزوله والرسوم (أنداك فانزل الوحي الالهى بعدم الحرج في الاكل مع الاعمى او الاعرج والمريض، فكأنهم يرون في ذلك حرجاً شرعياً من عند الله تشريعاً جاهلياً من عند انفسهم، فانظر الى ما تصوره الآية الكريمة من أنه ليس على الاعمى والاعرج والمريض حرج؛ الحرج الذي تتصوره الجاهلية حتى تجتنب عنهم - المائدة في المؤاكله والمجالسة والحرج الذي يراه لهم حتى من عند الله لينتظر الوحي السماوي بنفي الحرج، والا- فالحرج كان شرعاً ثابتاً بنظرهم، وهكذا النظر الى الجو الذي تصوره الآية الأولى من انهم كانوا يرون ان المال والاولاد وكثرتهما يصير ملاكاً كلياً في السعادة في جميع الجهات والابعاد حتى عند الله سبحانه، فيوجب القرب والزلفى لديه سبحانه فايقظهم الله من هذه النعسة الجاهلية وان القرب والزلفى عند الله من الايمان والعمل الصالح، سواء في ذلك الغنى والفقير وذو الاولاد الكثيرة وصاحب العشيرة والابتر الوحيد الذي لا ناصر له الا الله، فالميزان العادل والقسطاس المستقيم هو هذا ليس الا.

وقد بارز وحارب القرآن على هذه الاوهام السخيفة حتى الى التضحية في سبيله كما انهم ايضاً حاربوا النبي (صلى الله عليه وآله) على ما هم عليه من الآراء الباطلة، فلم يكن في الحقيقة اكثر تلك المحاربات ولا سيما ما نشئت عن مكة الا على امثال تلك الآراء الجاهلية مع كثرتها وشدتهم في المقاومة عليها.

والنبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي اراهم المدينة الفاضلة في

تفسه الشريفة من اول الأمر باخلاقه الكريمة ومنهجه القويم ، فلم يكن يكتفي بالقول بل كان على خلق ومشى كريم فجرى بصفاته العالية وملكاته الفاضلة واخلاقه الطاهرة ثم دعاهم الى سبيله الذي هو سبيل ربه وجعل نفسه الشريفة التي هي تلك الخلق الحميدة اسوة للناس ، ثم ارشدهم الله الى ذلك فقال سبحانه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) فمن تلك الصفات اجريت البركات على النفوس المنحرفة واطفئت النيران عن روحياتهم المهيجة وصاروا على الأخوة الاسلامية والصفاء.

وكان من تلك الصفات الحميدة مجالسته مع الفقراء والعميان والعميد والموالي والاعرج على حد مجالسة غيرهم بل ربما كان على حنو زائد ، ويأكل ويشرب معهم كاحدهم من غير مميزات لنفسه في حلقات جلستهم محتسبا نفسه واحداً منهم ، منادياً أنه لافخر لأدمي على آخر وان كلكم من آدم و آدم من طين (وان اكرمكم عند الله اتقيكم) الى غير ذلك من انواع التواضع والاخلاق الحسنة.

وقوام الدعوة الاسلامية كثيراً ما كان على اساسين متينين وركنين قوتين:

الاول: المنهج الاخلاقي الرباني والسيرة المرضية التي مجسمتها النفس المحمدية(صلى الله عليه وآله وسلم)والصفات النبوية والآداب الطاهرة الملكوتية التي ترسم في شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذلك كان اوائل المؤمنين اكثرهم من قسم المحرومين من الفقراء والعميان والموالي والعميد امثال بلال بن رباح الحبشي وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر ووالديه ياسر وسمية وابن أم مكتوم واشباههم ونظائرهم ، فهؤلاء بعدما ذاقوا بانفسهم مرارات الجاهلية بشتى مظاهرها كانوا اسرع الى درك الاسلام وفهمه والوصول الى كنه مناهجه ومعارفه وطريقه ومشيه السامي وشموخ منهجه.

الثاني: المعارف الحققة الساطعة من البراهين القاطعة والمنطق البليغ في تصفية مناهج الافكار عن الأوهام السخيفة الى الحقائق الحققة، وهذا الركن الثاني مع علوه وارتقائه في القرآن الى اوج الكمال والى سماء لا يتصور فوقها سماء ، انما اثر اثره وانتشر في قلوب الناس بعد ما ازدوج مع الركن الاول ولاسيما في بدؤ ظهوره في المحيط الجاهلي في ذلك العصر ، فان صفوة المناهج الاخلاقيه علماً وعملاً والاعمال الصالحة

اكثر لمساً واقرب احساساً واسرع نفوذاً في القلوب، من مناهج العقل والفكر والعلم الجامد و المنطق المجرد وبهذين الركنين يهتف القرآن في كثير من آياته.

وكان اول من آمن بهذين الركنين وصدقه علماً وعملاً هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما قال سبحانه تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن) (الايه) بل لم يكن من اول نشوه وتكوّنه وانعقاده الا على هذه السمة المباركة الميمونة ، كما يشهد به تواتر الاخبار والسير ويشهد به شهادة صدق المخالف والمؤالف ولا كلام لاحد في ذلك.

وبعد ذلك فانظر بعين الانصاف انّ من هذه سيرته واخلاقه وآدابه افلم يكن من سخافة القول وسذاجة المنطق والتباعد عن الحقيقة نسبه الى هذه الخرافات السلوكية واعوجاجه عن الطريقة وانه اعرض بوجهه عن الاعمى لعماه اولفقره واقبل الى الاغنياء لثروتهم واموالهم وكثرة عشائهم، حتى عاتبه الله تعالى على ذلك وويخه باشد التوبيخ في طى آيات في مبتدأ هذه السورة و غرتها بقوله (عبس وتولى ان جائه الاعمى وما يدريك لعلّه يزكّي او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدّي واما من جائك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهي) فهذه الآيات الكريمة هل تناسب ان يخاطب بها الرسول ورسالته ، ام هل تناسب خَلقه و خُلّقه وتربيته ، او تناسب مشيه وطريقته وسيرته ، او تناسب دعوته وقرآنه وحديثه.

(قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)(1)

يا لله ولدعايات المناقين الماكرين المترصدين لاضمحلال الشريعة ثم من ورائهم الحميات الجاهلية والعصبيات القومية ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ثم من وراء ذلك كله الهمج الرعاء اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، ولا يلجأون الى ركن وثيق ، وياللاسف يتظاهر ذلك في كتب التفسير وكلام المفسرين وانا اليه راجعون .

ص: 76

مناقشة ما فسروه مع سائر الآيات في شأنه (صلى الله عليه وآله)

قد تبين تبيين مما ان مستمسك من فسر آيات العتاب بتوجهها الى النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) تلك الروايات التي عرفت حالها في نفسها ومع قياسها للسيرة القطعية له (صلى الله عليه وآله) و ما ارسل به و آدابه ومشيه وسلوكه واخلاقه الشريفة. ثم ان من عجائب القرآن انه يصدق بعضه بعضه ، ويطرد ما ألصق به بيد الخائنين من التفسير والتأويل، الا أنه يحتاج ذلك الى التدبر في آياته كما قال سبحانه افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً(1).

فما ذكرناه سابقاً فهو مع قطع النظر عن الادلة الصريحة الواضحة في خلال الآيات القرآنية ، مما يدل على خلاف مانسجوه من الروايات الواهية.

مثل قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً(2) فلم يكن صاحب الرسالة(3) اول معنى ومقصود من هذه الآية ، او لم يكن هو (صلى الله عليه وآله) امام اهل الكساء وقدوتهم في الطهارة من كل رجس علمي وعملي، اخلاقي وادبي في نفسه ومعاشرته مع غيره ، او لم يطهره الله من الاعوجاج السلوكية مع اصحابه واعوانه والمؤمنين به ، او لم يكن الاعراض بوجهه عن الاعمى لكونه

ص: 77

1- النساء 82

2- الاحزاب 33

3- عن ابي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال نزلت في خمسة في وف-ي-ع-ل-ي وحسن وحسين وفاطمة تفسير جوامع الجامع للطبرسي

اعمى او فقيراً والاقبال على اهل الثروة وذوي نفوذ الكلمة بين المشركين من الارجاس الاخلاقية ، واذا لم يكن فلم عاتبه الله تعالى عليه ،
واذا كان فلم لم يطهره الله عنها بنص آية التطهير.

ومن مجازفة الرأي هنا ما ربما يقال ان الاعراض عن الاعمى المؤمن الفقير لعماه وفقره والاقبال الى الاغنياء المعرضين عن الحق المشركين
لثروتهم وكثرة اموالهم ، لم يكن من الرجس والمعاصي قبل نزول تلك الآيات العتائية في اول سورة عبس بل صار رجساً بعد نزولها حتى
انه لو اعاد ما فعل في واقعة أخرى لاضر بالعصمة.

ولا يخفى سخافة هذا القول وما يجري مجراه ، فان آية التطهير لم تطهره عن خصوص المنهيات بل عن كل ماهو رجس ، فحقيقة هذا القول
ترجع الى ان ايذاء المؤمن والظلم والتقذر عن المؤمن الاعمى الفقير لعماه وفقره والاقبال الى ذوي الاموال والثروة والتكبر والسيطرة على
الناس لما هم فيه كل ذلك ، لم يكن رجساً قذراً اخلاقياً وعملياً منافياً للايمان بالله واليوم الآخر ، فضلاً عن الرسالة عن الله وفضلاً عن مقام
الخاتمية الا بعد نهى الله عنه ، فان النهي لا يغير الحقيقة بل كاشف عنها ومرشد الى كونه جسماً وقذراً اخلاقياً.

ومثل قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)⁽¹⁾.

افلن يكن هو (صلى الله عليه وآله) اسوة اهل الايمان والتقوى والقدوة الصالحة الذي يجب ان يقتدي به المؤمنون طراً في جميع اقواله
وافعاله واخلاقه ومعاشرته وسلوكه بنص القرآن ، فالله سبحانه وتعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ويعلم خائنة
الأعين وما تخفي الصدور وعنده علم الغيب ويعلم ماجرى ومايأتي وكان يعلم الطينة الطاهرة النبوية (صلى الله عليه وآله) ونفسه الشريفة
وما يترشح عنها من الفضائل ، جعله أسوة مطلقاً للمؤمنين وقدوة للصالحين واماماً لاهل اليقين ، فهل يتصور في حقه هذه الزلات حتى
يسدده الله بالمعاتبه عليه بعد وقوعه ، واذا امكن في حقه ذلك

ص: 78

فلم جعله الله أسوة للمؤمنين واطلق القول فيه ، افليس معناه انه أسوة في جميع الازمنة والامكنة والحالات في جميع آثار وجوده وافعاله وافقواله ، افليس معناه ان الله سبحانه يعلم أنه أسوة الى الابد فلا يصدر عنه ما ينافي ذلك ولا يصدر عنه ما ليس بمرضى عند الله سبحانه ، فكيف ينسب اليه صدور ما يستوجب المعاتبة ، فلا مفر عن القول بكذب تلك الروايات التي نسبت خطاب آيات العتاب في سورة عبس اليه (صلى الله عليه وآله).

ومثل قوله تعالى (ولولا- ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً- اذاً لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً)(1).

فه افلم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي يثبت الله على الطريقة المثلى في جميع احواله واطواره واموره ، وقد تبه الله على ذلك في هذه الآية حيث ثبته في قبال ان يكاد ويدنو الى الركون الى الكفار شيئاً قليلاً يستوجب بذلك ضعف الحياة وضعف الممات. والتثبيت كما يفيد السياق هو العصمة ، قاله في الميزان وقال (قدس سره):

والمعنى ولولا ان ثبتناك بعصمتنا دنوت من ان تميل اليهم قليلاً لكننا ثبتناك فلم تدن من ادنى الميل اليهم فضلاً من أن تجيبهم الى ما سألوا ، فهو (صلى الله عليه وآله) لم يجبهم الى ما سألوا ولا مال اليهم شيئاً قليلاً ولا كاد ان يميل.

فقد كان (صلى الله عليه وآله) تحت رعاية الله وحفظه وعصمته حتى في اقل قليل من الاشياء عند تهاجم المخاطرات ، فالشيء القليل من الركون الى الكفار اذا كاد فهو مما ثبته الله تعالى عنه فكيف بالكثير منه الذي يوجب المعاتبة عليه.

ومثل قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)(2)

فبمقتضى الحصر لم يصدر منه منطوق وكلام الا عن وحي من الله ، ولا يصدر منه عن الهوى ، فالوحي من الله هو الذي يبرز منه في منطوقه لا- الهوى ، فما احاط على نفسه الشريفه ، هو وحي الله لا- الهوى فهو الحاكم في افعاله دون الهوى ، فالمنطق مظهر من مظاهر نفسه الشريفه كما ان سائر افعاله ايضاً من مظاهرها ، فاذا احاط بنفسه الوحي بحيث لا ينطق الا عن وحي يوحى ففي سائر افعاله ايضاً كذلك ، فمانسب اليه في تلك

ص: 79

1- الاسراء 75

2- النجم آيه 3-4

الروايات اليه (صلى الله عليه وآله) من الاعراض عن الاعمى الفقير وهو يسعى لفقره وعماه والاقبال على الكفار ان كان عن وحي من الله كما يستفاد من العموم في آيات سورة النجم فلم عاتبه الله في سورة عبس عليه والا فيكذبها تلك الآيات الكريمة ، فيعلم ان العتاب على غيره (ص) وان تلك الروايات موضوعة مختلفة افتراء على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله).

عالمة ومثل قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)(1).

ومن كان هو والذين معه هذه صفتهم فكيف يمكن ان يتصدى لأغنياء الكفار لغنائهم و ثروتهم، ويعرض بوجهه عن المؤمن الاعمى الذي يسعى وهو يخشى لفقره وعماه .

ومثل قوله تعالى (ولقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم(2) حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)(3).

لما كان فاذا كان في رحمته ورأفته وحرصه بالمؤمنين على حدّ عزّ عليه ما يُعْتَبُهُمْ ويؤذيههم ويصعب ويشق عليهم ، وكان حريصاً على المؤمنين ورؤفاً ورحيماً بهم ، فهل يصدر منه اعراض عن المؤمن الاعمى لعماه وفقره حتى يتأذى من ذلك ، وينزل الوحي بمعاتبته وانك لماذا اعرضت عنم جائك يسعى وهو يخشى ولماذا تلهيت عنه واقبلت الى الاثرياء والاغنياء لغناهم.

ثم ان من وصفه في سورة عبس هل يمكن ان يصفه الله تعالى العالم بالحقائق الذي لا يقول الا الحق بقوله (لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم) الى آخر الآيه ، اليس هذا من تناقض القول او التشخيص ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقد قال سبحانه وتعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)(4) فما في

ص: 80

1- الفتح 28

2-

3- التوبه 128

4- النساء 82

تلك الروايات من توجّه العتاب اليه يوجب الاختلاف والتضاد المنفي ، فهذه الآيات تنفي وتكذب ما في تلك الروايات.

ومثل قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)(1).

وقال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً)(2).

وقال تعالى (فاعرض عنمن تولّى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)(3).

لمال فهذه الآيات تدل على لزوم الصبر مع المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، وانه لا يجوز ان يجتاز عينه عنهم ولا يجوز طردهم فان طردهم يصير من الظالمين.

وفي قوله تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انّي جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)(4).

وفي هذه الآية تصريح بان عهده لا ينال الظالمين فلا يشمل الظالمين ، عهد النبوة والامامة للناس وحيث ان محمداً صلى الله عليه وآله مصطفى النبيين واشرفهم وخاتمهم وافضلهم فيعلم انه لم يصدر منه ، ظلم ، والا لم يكن يناله عهد الله بالرسالة والامامة مع ان طرد المؤمن والمضايقة في المحاسبة عليه والاعراض بوجهه عنه وعدم الصبر معه ، مع ما عليه ظلم كما في الآية الاولى ، فيستفاد من المجموع انه (صلى الله عليه وآله) لم يعبس على الاعمى بوجهه ولم يعرض عنه ولم يشغل عنه بغيره من الكفار الاغنياء ، والا لكان (نعوذ بالله من الظالمين ولم يشمله عهد الرسالة والامامة فمن اصطفاه الله للرسالة والامامة لا يصدر منه هذه السيره مع المؤمنين ، ولا المماشاة مع

ص: 81

1- الانعام مكتته آيه 52

2- الكهف مكتته آيه 28

3- النجم 29 مكية

4- البقرة 124

الكافرين الغافلين عن ذكر ربهم المتبعين هو بهم.

فلا- محييص عن القول بان الآيات العتاييه في مبتدء سورة عبس وتولى لم تنزل في شأنه (صلى الله عليه وآله) بل المقصود بها غيره الذي تضاد صفاته وسيرته مع صفاته وسيرته (صلى الله عليه وآله) والروايات التي ذكروها في ذلك كلها كذب وافتراء على الله ورسوله صلى الله عليه وآله كيف لا وقد كتب الله سبحانه تعالى لأخلاقه الشريفة تقریظاً فائقاً ومدح لنبیه (صلى الله عليه وآله وسلم) في اخلاقه وخفض جناحه للمؤمنين ، وانه لولا ذلك لتفرق الناس من حوله ولم يجتمع شمل الهدى ، فقال سبحانه (ولو كنت فظاً غيلظ القلب لانفضوا من حولك)(1) ثم بعد آيات صرّح بالامتنان على المؤمنين برسالته مع ان الله تعالى لم يمنّ عليهم في سائر نعمه فقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(2).

مع ان الذي انتخبه واصطفاه الله لتزكية الناس في ضلالهم المبين ، لا بد وان يكون كاملاً لهذه الرسالة علماً وعملاً واخلاقاً وسيرة ، بحيث لا- يصدر منه ما ينافي التزكية عمّا يكون الناس عليه من الضلال فينافي ذلك كونه كسائر الناس في ضلال بالتقدر من الفقير الاعمى والاعراض عنه وجهاً والاقبال الى ذوي العشيرة وذوي الاموال.

فيعلم من ذلك ان الذي كان على الصفة التي عاتبه الله هو غير نبیه ممن لم يتزك بتزكيته ولم يتأدب بتأديب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يتخلق باخلاقه الشريفة فبقى على ضلاله حتى عاتبه في تلك الآيات ، وان تلك الروايات التي حرفت الكلم عن مواضعه روايات افترائية كاذبة افترت على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله).

ومثل قوله تعالى (ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجراً غير ممنون وانك لعلی خُلقي عظيم)(3).

بالله عليك انظر الى ما اطرق على اخلاقه الكريمة بتأكيدات كثيرة وازدوجه بالقسم

ص: 82

1- آل عمران 159

2- آل عمران 164

3-

الذي لا يقسم الله تعالى الا في الامور الهامة ثم وصفها بالعظمة وكم للعظمة عنده من عظمة فان كل شيء في جنب عظمته حقير ، ثم قف وقوف تدبر وتحقيق عند قوله (وانك لعلى خلق عظيم) وانظر الى ان من كان مستولياً على الاخلاق العظيمة مالكاً لها وملكاً عليها ومسيطرأً ومحيطاً عليها وبها واستوى على عرشها مع عظمتها عند الله العظيم ، فهل يزل قدمه في صراطها ليعاتبه الله عليه ثم ان ما يُسلط عليه انما هو الخلق العظيم الذي بعظمته لا يشذ عنه مورد واحد يعثر فيه.

ثم ان هذه المرتبة العظيمة انما هي عند الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ، ولا يغفل ولا يتغافل ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يقول الا- الحق الصريح ويقول (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) ولا- تكون في كلامه تعالى نقطة سوداء من الباطل من غير مسامحة وجزاف. فلو صدر عنه (صلى الله عليه وآله) ماعاتبه في سورة لخالفت وتناقضت مع مافي هذه الآيات من سورة القلم ، فيعلم ان المقصود بما في سورة عبس عتاباً عليه غيره (صلى الله عليه وآله) وان تلك الروايات التي نسبت ذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذب وافتراء على الله وعلى رسوله.

هذا مضافاً الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على عصمة الانبياء عموماً وعصمته (صلى الله عليه وآله) خصوصاً مما يطول الكلام بذكر جميعها.

فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

نعم كان مكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) رسول الاسلام علماً وعملاً، مكتب مكارم الاخلاق و محامد الصفات ومداراة الناس و اكرام المؤمنين واحترام اهل اليقين والحب في الله والبغض في الله وكظم الغيظ والعفو عن الناس ودفع السئيه بالحسنه والحياء وحسن البشر والابتسام في وجوه الناس وان يلقاهم بوجه منبسط متبسم وان يفرج عن المؤمنين الكربات ويدفع عنهم المصائب والنكبات ومصادقتهم ومصافتهم . وتوقيرهم وتعظيمهم والمازحة معهم وادخال السرور في قلوبهم وقضاء حاجاتهم وكتمان اسرارهم وستر عيوبهم ومجالستهم كاحدهم وزيارتهم ومحبتهم ورأفتهم .. الى غير ذلك من الآداب الحسنة والمعاشرة الطيبة مما يكشف عن طهارة الذات ونزاهة الصفات

وقداسة النّيات ، ويشهد بذلك قرانه واحاديثه وماتواترت به من سيرته وآثاره وتاريخه من غير فتور وقصور فيه (صلى الله عليه وآله).

فما في هذه الروايات المفسّرة لآيات العتاب في سورة عبس وتولى بتوجه الخطاب اليه(صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو مما لا يلصق به ، ولا يناسبه و آثار الكذب فيها موفورة كما سبق شطر منها.

ص: 84

دع عنك كل ماسبق في كشف الحقيقة ، وانظر في نفس سورة عبس ، وفي متن آياتها ، في لغاتها ، ومفرداتها ، وتركيب جملاتها هل فيها دلالة ما على ان المخاطب في اوائل آياتها هو النبي (صلى الله عليه وآله او ليس فيها دلالة على ذلك ، او ان فيها دلالة على انه غيره(صلى الله عليه وآله وسلم).

(افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها)(1)

(عبس وتولى ان جائه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما ن استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جائك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهي).

الذي اعتمد اليه من ارجع الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله) شيئان:

احدهما: الروايات الضعيفة المقطوعة المرسله التي فيها آثار الكذب والافتراء ، وقد تكلمنا فيها بشيء قليل و منها اخذ اهل السنة رأيهم في تفسير تلك الآيات وانعقد عليه اجماعهم من غير تحليل علمي وتدبر عقلي لافي الروايات ولا في الآيات ولا في الادلة العقلية في مباحث النبوة ، كل ذلك تقليداً لسلفهم واعتماداً على رواياتهم مع ان الله سبحانه يقول (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)(2)ويقول ايضاً (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق و درسوا ما فيه)(3)

ص: 85

1- سورة محمد - ص - 24.

2- سورة النساء 82.

3- الاعراف 169.

الثاني: الضمائر الخطابية في اكثر تلك الآيات التي توهم انها خطاب الي النبي (صلى الله عليه وآله) من جهة انّ الوحي كان ينزل عليه فلم يكن حين نزول الوحي مخاطباً غيره ، فالخطاب يتوجه اليه ، ثم انّ السعي للهداية والتزكية والارشاد انما كان الي النبي (صلى الله عليه وآله) لا- الي غيره فهو الذي كان قطب دائرة الدعوة الي الحق والارشاد الي الاسلام وتزكية الناس ، فالمتكفل لتلك الأمور المذكورة في تلك الآيات انما كان هو هو(صلى الله عليه وآله وسلم)، فيصير ذلك قرينة على انّ العثرة المستعقبه بالمعاتبه عليها من الله تعالى (نعوذ بالله) صدرت منه (صلى الله عليه وآله) فعاتبه الله عليها تأديباً لنبيه(صلى الله عليه وآله وسلم)وتسديداً له فيما بعد ، ليمشي في ظل هذا الادب الالهي في مسير دعوته وطريق ارشاده. نعم هذه قرائن بدوية يتجلّى في بادىء النظر ، يوهم رجوع الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله) وتقربها الروايات وكلمات عدّة من المُفسّرين الذين اتبعوا تلك الروايات بحيث لو صرفت وجهك عن تلك الروايات وكلمات هؤلاء المفسرين لم تبق هذه القرائن بهذه الجلوة.

اشكال على تفسيرهم من حيث البلاغة

ومع ذلك فالآيات الكريمة بهذا النظر ومع هذا التفسير الذي تؤديه الروايات غير خالية عن الغلق والاضطراب وتعقيد في البيان ، فإنّ الوجدان والممارسة لاهل البيان وذوقيات الفصحاء والبلغاء يقف هنا وقفة التسائل والاستيضاح في ان القرآن الذي تحدى ببلاغته وفصاحته الجن والانس على ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وقد عجز عنه الاؤلون واتبعهم الآخرون ، كيف سلك في تلك الآيات بغير الطريقة المألوفة فتكلم اولاً بنحو الغيبة مع ان مخاطبه حاضر ثم رجع عن الغيبة الى الخطاب ، فان كان المقام مقام التوبيخ والعتاب والتشديد والملامة كما هو كذلك ، فيقتضي ان يكون الامر بعكس ذلك بان يخاطبه اولاً ويحدّ النظر اليه ساخطاً غضبان ثم يصرف وجهه عن سال الخطاب الى الغيبة تأكيداً في اشتداد السخط ، كمن يغصّ عينه سَخَطاً وغيظاً وتذكيراً له الى انك غير لائق بالمواجهه والمخاطبة ، فيعاقبه ويوبخه خطاباً باغلظ مما بدء به في ابتداء كلامه من انواع الملامه والعتاب.

ما اجيب به عن الاشكال:

واما ما قيل في الذب عن هذا الاشكال من ان في ذلك لطف عظيم من الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) اذ لم يخاطبه في باب العبوس فلم يقل عبست ، فلما جاوز العبوس عاد الى الخطاب فقال (وما يدريك لعله يزكى)

بيان الفساد لما اجيب عن الاشكال:

فهذا غير وجيه في الغاية ومن سوء الدراية والتسرّع الى النتيجة والنهاية في مقدمات الاستدلال وانطباع التقليد في القلب عن الروايات الموهونه التي مضت مع كلام مختصر في بيان وهنها وافتعالها وتناقضها

وذلك فإنه لو كان المقام مقام التلطيف من الله سبحانه في تلك الآيات فلم خاطبه فيما بعد بما هو اشد عتاباً ونسبه مخاطبةً بما هو ادنى والوم من العبوس وهو التصدي للاغنياء والتلهي عمّن يسعى وهو يخشى ايماناً ورشاداً الى الحق ، فان العبوس بمجرد ليس من الصفات الذميمة ما لم يكن عن داع نفساني ، كما اذا كان سخطاً على مخالفة احكام الله واما التصدي للاغنياء المشعر بان التوجه اليهم لغناهم وثروتهم واموالهم ووجاهتهم فيما بين ابناء الدنيا ، وكذا التلهي والاعراض عن الاعمى الفقير بعد سعيه الى الله والى دينه ورسوله وخشيته عنه المشعر بان ذلك من جهة فقره وعماه ولو كان ذو سعي وايمان وخشية ، حيث ان ذكر متعلق الحكم موصوفاً مشعر بدخالة الوصف في القضية فهو من اردل الصفات والومه واخبثه الذي يشعر بان صاحبها لا يعتني بالايمان والسعي الى الله ، بل محور اهدافه هو الدنيا ومظاهرها ، فيعرض عن الفقير الاعمى ويقبل الى الاشراف والاغنياء ، وهذا مما لا ينتظر من اوساط المؤمنين فضلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ففي ذكر العبوس اوجب اللطف من الله سبحانه ان ذكره بنحو الغيبة ، واما بالنسبة الى هاتين الصفتين المنفورتين فلم يوجب تلطيفاً في البيان بذكرهما بنحو الغيبة ، مضافاً الى انه لو كان المقام مقام العتاب والتاديب فما معني التلطيف ولا سيما بهذا النحو الموجب لتشويش المعنى وعدم فهم المخاطب منه.

اشكال آخر على تفسيرهم:

ثم على هذا التفسير ما معنى قوله تعالى وما عليك ألا يزكى فهل عزله من

منصب الرسالة والدعوة او انّ الرسول ليس على عهدته تزكية الناس مع ان الله يقول (هو الذي بعث في الاميين رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم)⁽¹⁾ وقد كثر ذلك في في عدّة من الآيات.

وما اعتذروا به من دلالة الآية على اهمية الاعتناء والاهتمام بشأن المؤمنين من التصدي لتزكية غيرهم من الكفار.

فمضافاً الى ان ذلك أوّل الكلام وقد قال الله تعالى (انما انت منذر ولكل قوم هاد) وقال (ما على الرسول الا البلاغ) وقال (يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك) الى غير ذلك مما يدل على ان العمدة في شأن الرسول هو الانذار والبلاغ وادخال الناس في الاسلام ، ولذا قبل الاسلام حتى من المنافقين الذين اضمروا الكفر في قلوبهم وقد اظهره كثير منهم بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) وبعضهم حتى في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) عند بطانتهم ، ان الآية لاتدل على ما ذكره فأنّها تنفي التزكية عن عهدة النبي (صلى الله عليه وآله) وتقول (وما عليك الا يزيكى) ولا تقول (ان التصدي للمؤمن اهم او اولى من الكفّار) ، فما ذكره غير مطابق ولا مناسب للآية الكريمة ، - هذا على انه لا- محصل لهذا الكلام- في نفسه اصلاً فان النبي (صلى الله عليه وآله) أوّل ما بعث وأوّل من يواجهه في بعثته (صلى الله عليه وآله) و سلم) انما هم الكفار والا فمن اين صار المؤمن مؤمناً وانما كان كل من آمن في بداية امره كافراً فأمن بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله) و سلم) وارشاده وتزكياته فصار مسلماً مؤمناً حتى الاكابر من المؤمنين هذا مضافاً الى انه لم يكن تضاد بين ترضية المؤمن وعدم الاعراض عنه ، وبين تزكية الكفار والتصدي لهم فيمكن جمعهما بتوسّع اخلاقي ، وتقديم الأهم على المهم انما هو فيما كان بينهما التضاد ولم يتمكن من الجمع بينهما كالجمع بين الصلوة في آخر وقتها وانقاذ الغريق المشرف على الهلاك.

ص: 89

ان الحق يعلو ولا يعلى عليه، ويتجلى لذوي البصائر، ويتصادق مع جميع الجوانب، واما الكذب والافتراء فلا يدوم، بل ينخفض الى الأفول ويفتضح ولو بعد حين، لعدم تطابقه بل تضاده و تصادمه يظهر عيوبه وقبحه.

لم يصرح في تلك الآيات الكريمة بالمخبر عنه بل يقول سبحانه (عبس وتولى ان جائئه الاعمى) ومرجع الضمائر فيها غير مذكور، وانما كان معلوماً في ذلك الحين عند الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، ثم صار مستوراً، ثم صار مجهولاً بدسائس المخالفين، ولكن الله تعالى يحفظ ذلك بصورة أخرى لمن طهر قلبه طهر قلبه عن الحمية الجاهلية والعصية القومية وسنذكره ونوضحه انشاء الله .

ولا اشكال في أن المرجع لتلك الضمائر هو الذي يخاطبه فيما بعد بقوله (وما يدريك) الى آخره الا أنه ذكره بنحو الغيبة ثم رجع عنها الى الخطاب اليه من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب فاما ان يكون المعنى به والمقصود حاضراً ولم يخاطبه أولاً ثم رجع الى الخطاب اليه، وقد عرفت فيما سبق قريباً⁽¹⁾ أن ذلك خلاف ما يقتضي في المحاوره في الكلام البليغ، بعد أن المورد هو مورد العتاب والملامة وأما ان يكون غائباً، ثم في مقام تشديد العتاب فرضه كالحاضر وعاتبه خطاباً تصويرياً، وهذا هو الظاهر من تلك الآيات الكريمة، وبحسب ذلك تظهر بلاغتها ورسالتها ومحاسنها الكلامية وتصير على مقتضى الحال من دون غلق وتعقيد واضطراب، فان المتكلم اذا أخذ

ص: 90

في التعبير على أفعال قبيحة صدرت عن رجل ما كان ينبغي أن يصدر عنه هذه الأفعال ويريد اظهار سخطه وملامته وعتابه عليه وهو غير حاضر عنده، فيتكلم عليه بنحو الغيبة هو كذلك ويمضي على هذا النحو الى أن يشتد سخطه عليه شيئاً فشيئاً، واشتداد الغضب عليه توجب قوة وجوده في نظر المتكلم الى حد كأنه يتجسم عنده في الخارج بشكل حضوره لديه فيلنفت المتكلم من الغيبة حينئذ الى الخطاب معه، فيخاصمه ويعاتبه مخاطباً ويقول عليه ما يرى أنه يليق به من العتاب والملامة.

وربما كان المتكلم لم يتغير في نفسه بتلك الحالات، الا أنه في مقام البيان يخرج كلامه بهذا النحو لمجرد مفاهمة المقصود، وأن المحكي عنه يليق بذلك، كما لو كان المتكلم ممن لا يأخذه التغير واشتداد الغضب وتجسم الوجود الذهني في نظره، وعلى هذا النحو يجري كلام محاورة القرآن فانه كلام عربي بلسان القوم على مقتضى الأحوال فيتجلى في إفهام المقصود على مجرى محاورة أهل اللغة، وقد عرفت أنه على هذا النحو بل لا اختصاص لذلك بلغة دون اخرى كما هو الظاهر.

مثلاً اذا أهان زيد ولدك أو شتمه أو ضربه، وقد كثر انعامك على زيد من أول نشأته وحياته، ولم تنتظر منه ذلك، فبعد ما فعل وتأثرت عنه سخطاً وغيظاً تقول للحاضرين - زيد أهان ولدي، ثم سبه، ثم ضربه، من غير جرم وتقصير، لماذا أهانه، لماذا شتمه، ثم كيف جرى في لثامته حتى ضربه ضرباً مولماً موجعاً، ماذا صدر مني في حقه، أو من ولدي، حتى عاداني في ولدي العزيز، يا زيد، ألم أكن أكرمك، ألم أكن أحسنت اليك من أول طفولتك، وأطعمتك في بيتي غدواً وعشيّاً أولست انساناً أهكذا جازيتني، والله لئن وصلت اليك يدي لأفعلن كذا وكذا، وهذا النحو من الالتفات من الغيبة الى الخطاب كما يجري في الذم والعتاب والملامة يجري أيضاً في الثناء والتكريم واطهار الحب مثلاً- تقول فلان قد أرسل الى من ماله ألفي دينار وكلّما الأقيه يسئل عن حالي ببشر وجه وخلق كريم بل وجود على جميع الناس كم من الصفات المحمودة فيه ولم أر له نظيراً في كمالاته وانسانيته فديتك بنفسي ما أحسن اخلاقك ما أكرم نفسك جزاك الله خيراً ورفع لك ذكراً ...

والسر في كلا الموردين من الالتفات عن الغيبة الى الخطاب، هو ما ذكرناه من اشتداد السخط أو الحب الى أن يفرضه ويتصوره كأنه الحاضر عنده، ثم يخاطبه على هذا

النمط، وقد ورد في القرآن الالتفات من الغيبة الى الخطاب في كلا الموردین أما في مقام الثناء والمدح كما في سورة الحمد من قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد و اياك نستعين)(الى آخر السورة) وأما في مقام التوبيخ والعتاب والدم كقوله تعالى (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(1) وكقوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى)(2) وكقوله تعالى (وعم يتسائلون - عن النبأ العظيم - الذي هم فيه مختلفون - كلاً سيعلمون ثم كلاً سيعلمون - ألم نجعل الأرض مهاداً - والجبال أوتاداً - وخلقناكم أزواجاً (وجعلنا نومكم سباتاً)(3) وكقوله تعالى (واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك في اي صورة ماشاء ربك)(4).

وهذا من محاسن الكلام في فن الفصاحة و البلاغة

وبهذا النحو من الالتفات عن الغيبة الى الخطاب ظاهر سياق آيات العتاب في سورة عبس حيث قال سبحانه :

(عبس وتولى - أن جائه الأعمى - وما يدريك لعله يزكى - او يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى - فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جائك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى).

هذه الآيات تصوّر لنا مجلساً خاصاً من مجالس النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو مشغول بشأن الدعوة الى الاسلام والارشاد اليه على ما هو وظيفته، واهل ذلك المجلس من مسلم قد لبي دعوته واستجاب فقعد يسمع كلامه، ومن مسترشد يتعلم معالم دينه، ومن عدة من الزعماء وسادات العشائر وشيوخ القبائل وأشرف القوم، حملتهم أغراضهم الى الحضور، أو جذبتهم الدعوة النبوية، او عذوبة القرآن مع أنهم يرون أنفسهم مستغنيا عن

ص: 92

1- سورة البقرة 60

2- سورة القيامة 31 - 35

3- سورة النبأ آياتها 1 الى 9

4- سورة الانفطار 4 - 8

الدين الجديد بما عندهم من الثروة والغنى والزعامة والشرف عند عشيرتهم، لكن النبي (صلى الله عليه وآله) يحرص على هذبيهم ويجد ويجتهد في ارشادهم مع ما هم عليه من العتق والاستكبار، صبراً وتخشعاً وتواضعاً لله تعالى وحرصاً على ايمان القوم، وأمثال هذه الأندية والمجالس لا تخلوا غالباً من أفراد عطالين بطالين يأخذون لأنفسهم مكاناً حولها ويحاسبون بذلك شرفهم ومنزلتهم، وينظرون الى مستقبل الامور تزوّداً من اليوم للغد، ويتسرعون الى الجواب عمّن يسئل النبي (صلى الله عليه وآله) ولو لم يكن أهلاً لذلك، ويولون وجهاً عن يتقدرون منه ولو كان له أعلى درجات الكمال والعلم والصفات الحميدة الانسانية، لاسيما اذا عظمت الثروة والمال والشرف والشخصية الدنيوية في نظرهم، فلا محالة يحقرون من تأخر عن الامكانات المادية، ولا يرون له شرفاً جهلاً عن أن مقياس التقديم والكرامة والشرف عند الله تعالى بغير ذلك، وان الله تعالى بعث نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) لتنمية مكارم الاخلاق وحياء محاسن الصفات، وجهلاً عن أنّ أمثال هذه الأفعال يؤثر أثراً سوءاً عميقاً في تعقيم الدعوة الالهية، فكلمة يرى من أحد من المسلمين من الزّلة لا يحسب أنها زلّة من هذا الشخص بخصوصه بل تنسب الى انحراف الدعوة الاسلامية ولاسيما في العصر الجاهلي وابتداء الاسلام حيث لم يظهر للناس معالمه ومعارفه وآدابه فليس من مقتضى حكمة الله سبحانه أن يسامح تلك العثرات الحادثة في هذا النوع من المجالس بل عليه أن يحفظها ويصونها كيفما كان ولو بالتنبيه والتذكير بالزلات، ليعلم أنّ هذه زلّة من شخص هذا المسلم ولا تلصق غباره بذيل قداسة الاسلام، ثم تمضي الدعوة الاسلامية بقداستها وطهارتها ونزاهتها في أرجاء العالم طليقاً عن الانحراف.

هذا هو مجلس الدعوة الاسلامية في محضر النبي (صلى الله عليه وآله) طبعاً، اذ طلع فيه رجل أعمى وقد أسلم فيما قبل وفيه الخشية من الله وقد جرت خشيته الى هذا المجلس ساعياً الى الحق والى المعرفة وتعلم الاسلام وحقايقه، وطبعاً يدخل المجلس ويأتي بالتحية والسلام مقبلاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاذا اعترضه بعض الحواشي الذين يقعدون في حاشية مجلس الدعوة من المسلمين، لكنّه من قسم المترفين المنغمسين في حب الجاه والرئاسة والثروة وتجمّع الاموال ونفوذ الكلمة فيما بين الناس

ممن يرى الشرف والعزة في الزعماء من الكفار وشيوخ عشائر المشركين والوثنيين، ولم يظهر قلبه عن رسوبات الكفر ولم يتصف بعد بالصفات الحسنة الاسلامية والاخوة الدينية فيما بينهم والشدة على المعاندين من الكفار.

نعم هذا الرجل اعترض بين الأعمى والنبي (صلى الله عليه وآله) وهو بهذه الصفات الرذيلة يرى في الأعمى الشائب الفقير ذلاً وهواناً، ولا يرى المصلحة في حضور الأعمى في ذلك المجلس لانكسار شرف المجلس بزعمه عند هؤلاء الصناديد والشيوخ في نظره، فيشتمز ويسخط من هذا الاجتماع اجتماع الأعمى الفقير في محضر الشيوخ عند النبي (صلى الله عليه وآله) فكيف يمكر ويخادع وكيف يحيل بينه وبين أن يدخل أو يخرج بعد دخوله في المجلس، وحينئذ تنقبض أعصابه ويعبس وجهاً ويعرض اعراضاً مفهماً متظاهراً عمّا في قلبه عند القوم، وبالطبع يلتفت الأعمى ويفتهم، ولا يرضى على حريته العربية، وصراحة لهجته القرشية أن يمضى ساكناً عما شاهده من الرجل وسوء، محاضرته، بعد أن طغى عليه فقره وعماه وكبر سنّه، وعند ذلك لا يملك لسانه عمّا يقول عن القلب الحزين المنكسر، مبتهلاً الى الله الذي يسعى اليه والى دينه والى رسوله، ثم تنتشر سمعه ما أخفى من أقواله فيما بين القوم الحاضرين، الى أن تصل تلك الشمعة الى سمع النبي (صلى الله عليه وآله) النبي الرحيم الرؤف بالمؤمنين، الذي يعلم ما يناله المسلمون حينئذ من ناحية الكفار المشركين من أليم العذاب والطعن والتحقير، فهل يأخذ عتاب الرجل وملامته، ويذكره بسوء فعاله وهو حديث العهد بالاسلام، أو يجد في ملاطفة الأعمى ليخرج تلك الغموم والأحزان عن قلبه.

إذا ينزل أمين وحي الله بهذه السورة.

(بسم الله الرحمن الرحيم - عبس وتولّى أن جائه الأعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى أمّا من استغنى فأنت له تصدى و أمّا من جائك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى).

نزل الوحي، واسفر عن وجه الحق، وتسلى قلب الأعمى، وعالج الحادثة وما سيحدث فيما بعد من أمثالها وأشباهها ونظائرها وأضاء الطريق للمسلمين في كيفية محاضرتهم ومعاشرتهم مع الضعفاء والفقراء والعميان ولا سيما في قبال الأعداء وبالأخص

لمن يتصدى للدعوة الى الاسلام ومن يليق بشأن الدعوة ومن لا يليق بها، فمن بهذه الصفات المذكورة في تلك الآيات من أول السورة فهو غير لائق بأن يقدم نفسه لارشاد الناس، ويمضي في سبيل الدعوة الاسلامية وولاية المسلمين، وعلى المسلمين أن لا يتخذونه من الدعاة الى الحق والزعماء الدينية لا نفسهم فإن مثله لا يزيد الا فساداً على الاسلام والتفرقة بين المسلمين (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى)(1)

وبعد أن نزل الوحي وعالج الواقعة، وتبين الأمر من الله سبحانه، كان النبي (صلى الله عليه وآله) في فسحة لأن يعالج أصحابه في كل واقعة يماثلها بما أمره الله وأرشده اليه.

ومن ذلك ما رواه في الكافي باسناده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال جاء رجل مؤسر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نقي الثوب، فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء رجل معسر دَرَن، الثوب فجلس الى جنب المؤسر فقبض المؤسر ثيابه من تحت فخذه فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخفت أن يمسك من فقره شيء، قال لا، قال فخفت أن يصيبه من غناك شيء، قال لا، قال فخفت أن توسخ ثيابك، قال لا، قال فما حملك على ما صنعت، فقال يارسول الله انّ لي قرينا يزين لي كل قبيح ويقبح لي كلّ حسن، وقد جعلت له نصف مالي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمعسر أتقبل، قال لا، فقال له الرجل ولم، قال انّي أخاف أن يدخلني مادخلك.(2)

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يؤدّب أصحابه وجلسائه، والداء هو الداء والدواء هو نفس ذلك الدواء والمعالجة هي هي

وفي ضوء ما استظهرناه فلننظر ماذا تقول تلك الآيات الكريمة:

ص: 95

1- يونس 35.

2- الوافي ج 1 كتاب الايمان والكفر ص 137، اصول الكافي باب فضل فقراء المسلمين ص 331.

عبس الرجل المعهود المعروف لدى الجماعة الحاضرين الشاهدين، وتولّى معرضاً، و سبب اعراضه و عبوسه ان جائه الأعمى المعهود المعلوم، ايها الرجل العبوس وجها المعرض عن هذا الأعمى مايدريك و أنت جاهل بما في بواطن روحيات الأشخاص فلعل الأعمى ممن يزكى ويتطهر من الأرجاس الجاهلية والكفر، و أنت لاتدري طهارة قلبه او صار زكياً طاهراً، فيستفيد ويتزوّد من مجلس الدعوة والتذكرة والتتبيه، فتتفعه الذكرى، فان الذكرى تنفع المؤمنين، كيف تعبس وجهاً وتعرض عن الأعمى و أنت تجعل اقبالك وبشرك وابتسامك وتصديك لمن استغنى عنك وعن دينك بما عنده من الأموال و وجهة عند المشركين والكفار، ويرى في ذلك لنفسه غني عن الدين الحنيف الاسلام ويرضى بخباثة كفره ودنائة صفاته، و ما عليك ألا يزكى هذا الكافر المتكبر المستغنى بكفره عن الاسلام فان شأن التزكية وتطهير الناس عن أرجاس الكفر إنما هو على من زكى نفسه وطهر قلبه عن صفات الكفر والكافرين لاعليك أيها العبوس المعرض عن المؤمن الأعمى الفقير فان الطاهر الطهور يطهر، و أما المتنجس فيحتاج الى تطهير نفسه، وليس مطهراً لغيره، فلم يجعل الاسلام وظيفة التزكية والتطهير الأ على عهدة الطاهرين المطهرين من هذه الزلات.

وقيل في معناها: أي لاتبالي زكيا كان أو غير زكي اذا كان غنياً.

ولعل المعنى الأول اظهر بحسب سياق الآيات، ولاسيما بملاحظة الآيات التي ستأتي من قوله (بايدي سفرة كرام بررة).

وعلى كل حال فكفاك لوماً أيها الرجل أن فيك اقبالاً الى الكفار المتكبرين ولكن من جانك ساعياً الى الدّعوة الاسلامية والى صاحب الرسالة فأنت تتغافل وتتلهى عنه للاعراض عنه، كلاكلاً لماذا أعرض عنه وعبس وجهه، فما كان شأنه في هذا المقام وهو لا يليق بالمداخلة في أمور الدعوة الاسلامية.

ودليل عدم لياقته، نفس هذه الأفعال الذميمة المتجانبة عن روح الدعوة الاسلامية وعن الاسلام، فمن لم يصطبغ بصبغة الاسلام كيف يدعو اليه بعد عدم حزمه له، و عدم تثبته فيه، ولم ينبت عروقه في قلبه وروحه.

كلا، كلا، ليس هذا حقه، ولم يكن ما وقع ممن وقع عنه حقيقاً بذلك، ولم يكن

ينبغي أن يجري الأمر كما جرى ممن جرى بيده، بعد أن هذه أوصافه، وهذه معاشرته مع المسلم الفقير الأعمى وهذه مجاملته مع الكافر المتمرد الذي استغنى.

الي فية كلا ، ليس الامر كذلك فلم يجعل الله تعالى الاسلام تحت أيدي المتغالين، بحيث لو قبلوه عن مسلم لقبه الله منه ولو طردوه لصار مطروداً عن دين الله ورحمته، بل هذا الرجل العبوس المعرض المقدم نفسه في مسير الدعوة، هو وهذا الأعمى وغيرهما على حد سواء في قبال الاسلام ودعوته، بل الله سبحانه جعل الاسلام والقرآن منارة لمن استنار به ونوراً لمن استضاء به ، و ملجأ لمن التجأ اليه، وتذكراً لمن تذكره، و هادياً لمن استهدى به .

كلا انها تذكرة، لمن لمن هي تذكرة، لكل من شاء أن يتذكر به، فمن شاء ذكره، فقيراً كان أو غنياً بصيراً أو أعمى، عبداً او حراً عربياً أو عجمياً، قرشياً أو غير قرشي، نعم هي تذكرة عامة من غير حجاب و سد و حائل، فلماذا صار هذا الرجل العبوس حاجباً، و صدأً عنه، ولماذا اختار الكافر المترف الذي استغنى و عيس وأعرض بوجهه عن الاعمى طرداً واضراباً وما جعل الله تعالى أمثال هذا الرجل العبوس بواباً لأبواب رحمته، ولا حارساً لاسلامه، فليطب نفساً كل من يريد أن يدخل في الاسلام، وليعلم أن الدعوة شاملة، وأن القرآن تذكرة فمن شاء ذكره، وليعلم الناس، و ليطيبوا نفساً، و ليأخذهم بهجة و سرور، من أن القرآن و شان الدعوة الاسلامية و التزكية و التذكرة، انما هي بأيدي سفرة، الذين هم سفراء الله بينه وبين خلقه، و هو الذي اختارهم واصطفاهم وانتخبهم وطهرهم تطهيراً عن كل رجس علمي وعملي و أخلاقي، فهم كرام عند الله، كرام في الصفات، و كرام في الناس و كرام الى الناس فهم منزهون و مطهرون عن كل ما ينافي الكرم على عموم معناه و من غير نظر الى متعلقه.

بَرَّةٌ أَنَّهُمْ بَرَّةٌ، أَنَّهُمْ موصوفون بالبر الذي هو فوق الاحسان، ويشتمل على التحنن والرافة، ففيهم رحمة و رافة و بر و احسان.

فسفراء الله سواء كانوا من الملائكة أو من الناس كرام، قال تعالى بالنسبة الى جبرئيل (عليه السلام) (انّه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع

ثمّ أمين(1)وبالنسبة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون - انه لقول رسول كريم - وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون وما هو بقول كاهن)(2)وبالنسبة الى النبي موسى بن عمران (صلوات الله عليه) يقول تعالى ولقد فتنا قوم فرعون وجائهم رسول كريم أن أدوا الي عباد الله)(3).

كما أنهم مطهرون بنص آية التطهير بالنسبة الى رسول الله و اهل بيته (صلوات الله عليهم) الحاملين للدعوة الاسلامية.

ومن الأعاجيب أن البخاري صاحب الصحيح قال في تفسيره لهذه السورة مالفظة: مطهرة لا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة و هذا مثل قوله (فالمدبرات أمراً) جعل الملائكة والصحف مطهرة لأن الصحف يقع عليها التطهير فجعل التطهير لمن حملها(4)مع ذلك يتغافل هو وقاطبة العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله) المطهر بنص آية التطهير وبقوله تعالى (لا يمسه الا المطهرون)(5)مع قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)(6)ويقولون أنّ السفارة في سورة العيس هم الملائكة دون النبي (صلى الله عليه وآله).

وبالجملة فالقرآن والدعوة الاسلامية بأيدي سفرة كرام بررة لانها صحف مكرّمة مرفوعة مطهرة فلا تقع رسالتها الا بأيدي سفرة كرام بررة.

لم يزل الاسلام والدعوة الحقه الاسلامية والقرآن ان كان عند كريم بار، الى كريم بار، ثم الى كريم بار ثم ... فالله سبحانه كريم بر رحيم رؤف وقد كان القرآن كتاباً (أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)(7)ثم أنزلت الى الروح الأمين وهو رسول كريم ثم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو رسول كريم ومن سفراء الله الكرام البررة وهكذا كل من بعده ممن يتصدى لذلك قال تعالى (قل هذا سبيلي ادعوا

ص: 98

1- التكوير 19

2- الحاقه 40

3- الدخان 17

4- صحيح البخارى ج 6 ص 206

5- الواقعة 79

6- النحل 44

7- هود 1

الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله و ما أنا من المشركين(1)وكيف لا يكون كذلك وهي صحف مكرّمة عند الله تعالى مرفوعة الشأن في غاية الرفعة و المنزلة، مطهّرة عن كل باطل، فلا بد أن يحملها من هو كذلك، يكون مكرّماً عند الله مرفوع القدر عن سائر الناس، مطهراً نفسه و اوصافه عن كل باطل، فالقرآن كريم مكرم

رفيع ظاهر من عند الله الكريم البار القدّوس فحملته هم السفرة الكرام البررة.

كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة

ان كلمة (كلاً) كلمة ردع تردع عما قبلها، ثم الآيات التي بعدها ترشد الى ما هو الحقيق، بعد أن كان فيما قبلها المصير للدعوة مصيراً غير صحيح ولم يكن مما ينبغي.

فهذه الآيات الشريفه فيما بعد كلمة (كلاً)، تهتف وتنادي باعلى صوتها بان الذي (عس وتولّى أن جائه الأعمى) لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانه من السفرة الكرام البررة والذي (عس وتولّى أن جائه الأعمى) كان من اللثام الخسرة، فما اغفل وما اجهل من ارجع الضمائر في الآيات الاول الى النبي (صلى الله عليه وآله) وحرف الكلم عن مواضعه ثم قال في تفسير (الكرام البررة) انهم هم الملائكة الكتبة. الم يسجد الملائكة لآدم، او لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيد ولد آدم واشرفهم و افضلهم، او لم يكن هو من السفرة الكرام البررة، بل اعظم سفراء الله تعالى و اكرمهم و ابرهم، ثم افلم يتدبروا في نظم تلك الآيات، او لم ينظروا في ارتباط بعضها ببعض سيما بعد هذا الترصيف الرصين والتنظيم الحكيم.

هذا الا انّ الله تعالى سيكفي نبيه (صلى الله عليه وآله) عن شرّ المقتسمين، الذين جعلوا القرآن عضين وقال تعالى (فورتك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين)(2) فهذه التحريفات من آثار الدولة الاموية والمنافقين قد بقيت اثارها الى زماننا، ولكن من الطرق البديعه في القرآن الحكيم في دفع كيد المحرفين ما اودع في نفس اياته الكريمة

ص: 99

1- سورة يوسف 108

2- الحجر 12 - 95

من القرآن المظهرة للمقصود بنحو مرموز يقصر عنها افهام الماكرين ، كما في هذه السورة على ما بيناه ، ثم امر الله سبحانه بالتدبر والتفكر فيها ليظهر ويجلوه له ، فان التفكير حياة قلب البصير.

والعجب من شيخنا الطبرسي (قدس الله نفسه الطاهرة) انه فسر كلمة كلاً هنا بقوله اي لا تعد لذلك وانزجر عنه.

مع ان هذه الكلمة تدل على انزجار المتكلم وردعه عما سبق عليها ، لا أنها امر الى المخاطب بالانزجار عما سبقها - قال شيخنا الطوسي (قدس الله روحه) اي ليس الامر ينبغي ان يكون هذا - وعن نجم الاثمة الرضي - وعن نجم الاثمة الرضي رحمه الله انه قال تقول لشخص فلان يبغضك ، فيقول كلاً ردعاً لك اي ليس الأمر كما تقول ، - وبالجملة ان المتكلم يأتي بكلمة كلاً رادعاً عما سبقها ، حتى ان جماعة قالوا متى سمعت كلاً في سورة فاحكم بانها مكتبة لأن فيها معنى التهديد والوعيد ، واكثر ما نزل ذلك بمكة لان اكثر العتوكان بها كما ذكره ابن هشام عنهم في المغني في بحثه عن (كلاً).

وعلى هذا فالسورة الى ما قبل كلاً تذكر الحادثة مع العتاب على العبوس على ما وصفناه ، ثم يردع ويزجر بكلمة كلا وان هذا لم يكن على ما ينبغي ، ثم يذكر ما هو حقيق بان يكون ، وما هو حق المقام بعد كلمة كلاً مبتدأ ب- (ان) الدالة على الابتداء بالتحقيق واطهار ما هو الحق في هذا السبيل فيقول تعالى (أنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة).

تأخذ تلك الآيات في بيان ما هو الحقيق في هذه المرحلة ، مع الاشارة الى الدليل المرشد الى الحق ببيان مستدل منطقي برهاني ، فالدعوة دعوة القرآن ، ودعوة الاسلام ودعوة النبي صلى الله عليه وآله ، دعوة تذكيرية من الله تعالى لارشاد خلقه وهدايتهم ، يريد ان هديهم على الاختيار ، لا على القسر والجبر ، وفي ذلك هم على حد سواء عنده ، فليس في هذا الطريق مانع ولا دافع ، فمن شاء ذكره ومن اراد توجه الى الله والى هدايته - فهو ومشيته - ، ثم ان هذه الدعوة وستنتها وطريقها ودينها مضبوطة في صحف ونسخ ، فمنها ما هو في لوح محفوظ عند الله تعالى ، ومنها ما هو عند السفراء من الملائكة ، ومنها ما هو بايدي السفراء من الناس ، - فان الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس - وفي

جميع تلك المراحل مكرمة معظمة من غير هوان وحقارة، وهي مرفوعة عن ان ينالها ايدي الارجاس الانجاس ، فهي مصونة عنهم - قال تعالى (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق). وقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجاباً مستوراً)، وقال تعالى (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) - ومطهرة عن كل دنس ، فهي كالماء الطيب الزلال العذب يخرج عن ينابيعه ويطهر ويزكي ويروي كل عطشان ، من غير أن يشمئز عنه احد ومن غير أن يتقَدَّر منه من له استقامة الطبع والمزاج ، وانما يعرض له الاقدار من المجرى القذر الذي منه يسري الى الطالبين كما في العبوس المعرض عن الاعمى المتصدّي للكافر المتكبر الذي استغنى ، لكن الله سبحانه لم يجعلها بايدي امثال هذا الرجل العبوس.

كلاً ، ثم كلاً ، ولم يجعل لهم سلطاناً عليها ، بل كما جرت عن ينبوع زكي طاهر ، وكما كانت مكرمة مرفوعة مطهرة ، كذلك جعلت وديعة وامانة بايدي سفرة الذين سفراء الله ورسله وصفوته وخلصائه ، وهم كرام من غير تحديد لكرامتهم ، ومن غير تقييد بزمان ومكان واحدٍ دون احد ، وللكرام نفسية وروحانية فائقة غير منفصلة وغير مغلوبة عن مناظر اصحاب الاموال والاغنياء وذوي الجاه المتكبرين المترفين ، فلا تملأ نفوسهم الكريمة عن هولاء هيبة وعظمة، كما انهم بهذه النفسانية الشريفة لا يتضايقون عن الفقراء والعميان، بل ينظرون الى كل من المستغني المترف والفقير المدقع ، والاعمى والبصير، بالمقدار الذي هم عليه من شرف الانسانية والصفات الحسنة واضدادها ، ويواجهون كلاً بما يستحقه ، فلا يعبسون على اعمى، ولا يتصدون خضوعاً للمتكبر المترف الذي استغنى، بل هم مضافاً الى انهم كرام ، بررة ايضاً كذلك من غير تقييد لحدود صفتهم هذه بزمان ومكان وتفاوت بين آحاد الناس ، الا ان الفقر والمسكنة والعمى لمما يستجلب البرّ عن البررة اكثر مما يستجلبه ويستجذبه الغني المترف ، ومقتضى ذلك ان يشتد تحننهم وعطفهم ورأفتهم الى الاعمى الفقير الساعي الى الحق اكثر منه الى المعافي عن الفقر والمسكنة والعمى والضرر، فالدعوة دعوة شريفة زكية رفيعة لا ينالها الا من اصطفاه الله ، وجعل له منصب السفارة والارشاد من المطهرين الكرام البررة الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فالله اعلم حيث يجعل رسالته فلا ينالها الظالمون

ممن هو دني طبعاً وخسيس نفساً ووصافاً.

الى هنا وجدت الضمائر في تلك الآيات مرجعها صريحاً واضحاً من غير ان يضل في طريق الرجوع الى مقاصدها، فالمتدبر في تلك الآيات الكريمة يمضي مستبصراً ومستتيهاً فيرى ان الآيات العتابية لم تتوجه الى النبي صلى الله عليه وآله، بل اخذت طريقها الى رجل آخر، بل صرحت الآيات التي بعد كلمة - كلاً - بقداسة النبي الاعظم يوجب عتاباً عليه، واطرئت عليه مدحاً بليغاً وكتبت تقریظاً على اوصافه ونزاهته عمّا الحميدة.

نعم، لم تتعرض الآيات العتابية في اول السورة لتسمية الرجل العبوس، ولم تعرفه لنا باسمه وعنوانه مشخصاً، وهذا من ادب القرآن وعفاف بيانه من غير ان يفصح احداً بالتسمية

فهل تقتفي على اثر القرآن ونسلك مسلكه ونسكت عما سكت عنه، او نأخذ في طريق التفتيش عن الرجل العبوس لئلا يختفي بين اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويستوجب سوء الظن بالابرياء منهم، على ان القرآن قد اجمل البيان في كثير من الموارد لبينه النبي (صلى الله عليه وآله) ومن بعده خلفائه الراشدون فقال تعالى: (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وقال تعالى (ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقال تعالى (واذ اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون).

ص: 102

قد تلاعبت ايادى الخونة من الرواة والوضاعين من المحدثين والمحرفين من اصحاب السير والتواريخ بكثير من الحقائق حتى اجهلوه علينا وقد صار كثير منهم في ايدي اصحاب السلطات والحكومات الجائرة المستبدة آلة واداة لرياستهم طمعاً في دنياهم ، واعراضاً عن الله وعن مثوبته في الآخرة ، حتى ان بعضهم قد حرّف الحقائق فجعل موضوع المدح والثناء في الكتاب العزيز والروايات النبوية (ص) المذمومين والمنافقين واطار غبار ذمهم على رؤوس الابرياء والاصفياء ظلماً وعتواً ، نعم والمقام ايضاً من هذا القبيل.

وقد سبق تفصيل اقوال الامامية وان شيخنا الطوسي قدس سره قال انها في رجل من بني امية وروى ذلك عن الامام الصادق عليه السلام ويستظهر ايضاً من شيخنا الطبرسي قدس سره واختاره شيخنا ابوالفتوح الرازي وصاحب المنهج قدس سرهما والرواية الأخرى التي في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام مما يوهم خلافه قد ذكرنا توجيهها فراجع(1).

وقال شيخنا علي بن ابراهيم القمي قدس سره انها في عثمان بن عفان وعليه السيد الحسين بن علي العلوي والسيد جمال الدين علي ما في مؤتمر بغداد والمحدث القاساني في تفسيره الصافي.

وقال سيدنا المرتضى قده انها في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كما ان شيخنا السروي ابن شهر آشوب قدس سره قال انما عبس صحابي ذكرنا شرحه في المثالب.

شهادة سيرة عثمان على انه المعنى به في تلك الايات

نعم اذا راجعنا سيرة عثمان بن عفان خصوصاً وبني أمية نوعاً واكثرأ نجد فيهم شواهد صدق على رجوع تلك الضمائر اليهم بحسب احوالهم ومشيتهم وسيرتهم مع كل من ضعفاء المؤمنين الصالحين الذين ليس لهم قوة مالية ونفوذ كلمة بين الناس ، ومع غير المؤمنين كالكفار والمنافقين اذا كانوا ذوي جاه وثروة، ولنقتصر هنا بعثمان بن عفان منهم فقط، فيكون انموذجاً لهم وهو اصلحهم عندهم واكثرهم في المعروفة بين المسلمين ، ولعلّ غيره من بني امية لم يكن حين نزول السورة داخلاً في زمرة المسلمين مع ان ظواهر الآيات تدل على ان العبوس المعرض عن الاعمى كان احداً من المسلمين فالمسلم اعرض عن مسلم اعمى لعماه وفقره ، واقبل وتصدّى للكافر لاستغناؤه وثروته وجاهه.

ترى هذه الصفات في عثمان المسلم الصحابي حتى الى اواخر سنين عمره وشيخوخته وبعد ما صار خليفة للمسلمين وزعيماً على بلادهم فلم يقدر ان يجانب تلك الصفات وان يزيلها عن نفسه فلم يؤثر فيه التأديب الالهي والتزكية القرانية والانفاس الربانية النبوية من اول امره الى آخر دهره حتى اثار السخط في نفوس المسلمين وآل امره الى ان قتلوه تقتيلاً فجيعاً ، فلم يكن يعبأ باسلام مسلم وصلاحه وتقواه وتقدمه في الاسلام وكونه مهاجراً او بديراً أو احدياً ، ولم يعتن بما اوصاه رسول الله صلى الله عليه وآله في حقهم ولا رعى اكرام من اكرمه ولا اعظام من عظمه ولا تصديق من صدقه ولا تقديم من قدمه وما جعله صلوات الله عليه اسوة في ذلك.

نعم لم يراع شيئاً من ذلك اذالم يوافق هواه او راه سداً في سبيل رضاه فعبس في

وجوه جمع من اكابر الصحابة وضيق عليهم وطردهم عن حوله وشردهم عن اوطانهم واوكارهم بل وحتى ضربهم ضرباً موجعاً وكاد ان يقتلهم لولا انه يرى نفسه محصورة بين تشديد المؤمنين وتغليظهم عليه وعتابهم وتحديدهم وتهديدهم وارصادهم ولم يكن لهم ذنب الا تأكيدهم على تطبيق قواعد الاسلام بين المسلمين وسعيهم الى الله والى احكامه الله تعالى فوعظوه باوامر الله فلم يتعظ و نصحوه فلم يقبل منهم بل هاج من ذلك سخطة وغيظه وغضبه حتى فعل بهم ما فعل وسيأتي لذلك امثلة.

هذا بالنسبة الى المؤمنين ذوي السعي والجد والاجتهاد.

واما بالنسبة الى من تكبر واستغنى عن الله وعن اسلامه وقرانه واحكامه فقربهم الى نفسه وجعلهم من حاشيته ووزرائه واعوانه وامرائه في البلاد وبسط لهم أموالا وايادي مفضالاً وكرمهم واحسن اليهم مالاً وخلقاً وادباً وثناء وتعظيماً الى ان صيرهم على رؤس المسلمين وجعل بيدهم مفاتيح بيوت الاموال الاسلامية يستعملونها كيفما شاءوا..... الى ان انتكث عليه قتله واجهز به عمله وحاصره المسلمون وضيقوا عليه حتى استأصلوه.

فانظر الى ما فعله بعمّار بن ياسر وايي ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود وعامر بن قيس التميمي البصري الزاهد الناسك وعبدالرحمن بن حنبل الجمحي وكعب بن عبدة والحارث بن عبدالله الاعور الهمداني وكميل بن زياد النخعي، وعمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي، وعدي بن حاتم الطائي، وزيد وصعصعة ابني صوحان العبدي ومالك بن الحارث الاشر النخعي وغيرهم من وجوه المؤمنين من الصحابة والتابعين ممن يطول الكلام بذكرهم، وان شئت تفصيل ذلك فراجع الغدير ج 8 و 9 لشيخنا العلامة الاميني قدس الله روحه، وشرح النهج لابن ابي الحديد، وتاريخ اليعقوبي ومروج الذهب للمسعودي والامانة والسياسة لابن القتيبة الدينوري والتاريخ الكامل لابن الاثير وتاريخ الطبري وغيرهم.

ما فعله عثمان بعبد الله بن مسعود

فمن البلاذري في انسابه ج 5 ص 36 انّ عبدالله بن مسعود حين القي مفاتيح بيت

ص: 105

المال الى الوليد بن عقبة قال من غير غير الله ما به و من بدل اسخط الله عليه وما ارى صاحبكم الا وقد غيّر وبدل يعزل مثل سعد بن ابي وقاص ويولّي الوليد فكتب الوليد الى عثمان بذلك ، فكتب عثمان باشخصاصه ، وشيعة اهل الكوفة فاوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن ، فقالوا له ، جزيت خيراً ، فلقد علمت جاهلنا وثبت عالمنا واقراتنا القرآن وفقهتنا في الدين فنعم اخو الاسلام انت ونعم الخليل ، ثم ودّعوه وانصرفوا ، وقدم ابن المسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رآه قال ألا انه قد قدمت عليكم دويبة سوء ، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح ، فقال ابن مسعود لست كذلك ولكنّي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان ونادت عايشة اي عثمان اتقول هذا لصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم امر عثمان به فاخرج من المسجد اخراجاً عنيفاً وضرب به عبدالله بن زمعة الارض ويقال بل احتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الارض فذق ضلعه ، فقال علي عليه السلام ، يا عثمان اتعمل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله بقول الوليد بن عقبة ، فقال ما بقول الوليد فعلت هذا ولكن وجهت زيد بن الصلت الكندي الى الكوفة، فقال له ابن مسعود ان دم عثمان حلال فقال علي عليه السلام احلت عن زيد على غير ثقة(1).

وابن مسعود هو احد كتاب الوحي وحفاظ القرآن والفقهاء المفسرين من اعظم الصحابة، وقد نزلت في شأنه ايات كثيرة ووردت عن النبي صلى الله عليه وآله لعظمته روايات عديدة، فعن مسلم وابن ماجة من طريق سعد بن ابي وقاص ان قوله تعالى: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي)(الآية) نزلت في ستة نفر منهم عبدالله بن مسعود. ، وعن الحاكم في مستدركه ان ناساً اتوا علياً فاثنوا على عبدالله بن مسعود، فقال اقول فيه مثل ما قالوا وافضل من قرأ القرآن واحل حلاله وحرم حرامه فقيه في الدين عالم بالسنة ، والآيات والروايات في شأنه وفضله كثيرة اقتصرنا على هذا.

ص: 106

وقال ابن قتيبة في الامامة والسياسة ما لفظه - وذكروا انه اجتمع ناس من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فكتبوا كتاباً وذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه ، وما كان من هبة خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع سبع دور بناها بالمدينة، دار لئائله، ودار لعائشة وغيرها من اهله وبناته وبنيان مروان القصور بذئ خشب وعمار الاموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات في اهله وبنو عمه من بني امية احدث واغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور ، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو امير عليها سكران اربع ركعات ثم قال لهم ان شئتم ازيدكم صلاة زدكم وتعطيله اقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة ، وما كان من ادارة القطايح والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه الصلاة والسلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزان الى السوط وانه اول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدره والخيزران ، ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان ، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشراً ، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده فمضى حتى جاء دار عثمان فاستاذن عليه فاذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بني امية ، فدفع الكتاب فقراه فقال له انت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال كان معي نفر تفرقوا فرقاً منك قال من هم من هم قال لا اخبرك بهم قال فلم اجترأت علي من بينهم ، فقال مروان يا امير المؤمنين ان هذا العبد الاسود يعني عمار قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من روائه ، قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشى عليه

فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به ام السلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام فادخل منزلها وغضب فيه بنو مغيرة ، وكان حليفهم ، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال اما والله لئن مات عمار من ضربة هذا لاقتلن به رجلاً عظيماً من بني امية، فقال عثمان لست هناك. (1)

وعمار رضي عنه هو الصحابي العظيم العالم الفقيه المفسر الذي اودى في سبيل الله هو ووالداه ياسر وسمية واستشهد والداه في سبيل الحق، وقد نزل في شأنهم قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن ،بالايمان كما اعترف به جمع من الحفاظ والمحدثين والمفسرين وغيره من الآيات عموماً او خصوصاً كقوله تعالى (امن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً) (الآية) وكقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) (الآية) وكقوله تعالى (افمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه) (الآية) وغيرها من الآيات وقال النبي صلى الله عليه وآله ف- عدة احاديث على اختلاف الفاظها - ابشروا آل ياسر موعدكم الجنة. وقال(صلى الله عليه وآله وسلم)ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار. الى غير ذلك من الروايات الدالة على عظمته في الاسلام وعند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله.

ما فعله عثمان بأبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

وقال المسعودي في مروج الذهب ما لفظه - ومن ذلك ما فعل بابي ذر وهو انه حضر مجلسه ذات يوم فقال عثمان ارايتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره فقال كعب لا يا امير المؤمنين فدفع ابو ذر في صدر كعب وقال له كذبت يا ابن اليهودي ثم تلا (ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) (الآية) ، فقال عثمان اترون بأساً أن نأخذ من بيت مال المسلمين فننفضه فيما ينوبنا من امورنا ونعطيكموه فقال كعب لا بأس بذلك فرقع ابوذر العصا فدفع بها في صدر كعب وقال يا ابن اليهودي ما اجرأك على القول في

ص: 108

ديننا فقال له عثمان ما اكثر اذاك لي غيب وجهك عني فقد اذيتنا فخرج ابوذر الى الشام فكتب معاوية الى عثمان ان ابا ذر تجمع له الجموع ولا آمن ان يفسدهم عليك فان كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك فكتب عثمان بحمله فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطرون به حتى اتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف فقيل له انك تموت من ذلك فقال هيهات لن اموت حتى أنفي وذكر جوامع ما ينزل به بعد ومن يتولى دفنه فاحسن اليه عثمان في داره اياماً ، ثم دخل اليه ، فجلس على ركبتيه وتكلم باشياء وذكر الخبر في ولد ابي العاص اذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ، ومّرّ الخبر بطوله ، وتكلم بكلام كثير ، وكان في ذلك اليوم قد اتى عثمان بتركة عبدالرحمن بن عوف الزهري من المال فنثرت البدر(1) حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال اني لارجوا لعبد الرحمن خيراً لانه كان يتصدق ويقرى الضيف وترك ماترون ، فقال كعب الاحبار صدقت يا اميرالمؤمنين فشال ابوذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ماكان فيه من الالم ، وقال يا ابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال ان الله اعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول - ما يسرني ان اموت وادع ما يزن قيراطاً - فقال له عثمان وار عني وجهك ، فقال اسير الى مكة ، قال لا والله ، قال فتمعني من بيت ربي اعبده فيه حتى اموت قال اي والله ، قال فالى الشام قال لا والله ، قال البصرة قال لا والله فاختر غير هذه البلدان قال لا والله ما اختار غير ما ذكرت لك ولو تركتني في دار هجرتي ما اردت شيئاً من البلدان فسيرني حيث شئت من البلاد قال فاتي مسيرك الى الربذة، قال الله اكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله قد اخبرني باني امنع عن مكة والمدينة و اموت بالربذة و يتولى مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز وبعث ابوذر الى جمل له فحمل عليه امراته وقيل ابنته ، و امر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير الى الربذة(2).

وابوذر هو الرابع او الخامس ممن اسلم فكان من اوائل المؤمنين ولم يكن يعبد الاصنام قبل اسلامه بل كان من الموحدين ثم اسلم وصار من اعظم الصحابة هدياً ونسكاً

ص: 109

1- البَدْرَة جلد السخلة جمع بدر.

2- مروج الذهب ج 2 ص 339 - 341

وتقوى وعلماً وفقهاً وادباً وجهاداً. فعن ابي نعيم الأصبهاني في حلية الاولياء ج 1 ص 156 انه قال العابد الزهيد القانت الوحيد ، رابع الاسلام ورافض الازلام قبل نزول الشرع و الاسلام، تعبد قبل الدعوة بالشهور والاعوام و اول من حيا الرسول بتحية الاسلام لم يكن تأخذه لائمة اللوام ، ولا تفزعه سطوة الولاة و الحكام ، اول من تكلم في علم البقاء و الفناء وثبت على المشقة و العناء ، و حفظ العهود و الوصايا و صبر على المحن و الرزايا و اعتزل مخالطة البرايا ، الى ان حل بساحة العناية ، ابوذر الغفاري رضي الله عنه، خدم الرسول و تعلم الاصول و نبذ الفضول.(1)

و الاحاديث في عظمته و علمه و تقواه و صدقه كثيرة جداً منتشرة في كتب الفريقين من كتبهم في التفسير والحديث والسير و انه ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر ، و انه في الامة على زهد عيسى بن مريم ، و انه هو و ثلاثة اخر ممن يحبهم الله ، الى غير ذلك من الفضائل المروية له ، و المنافرة بينه و بين عثمان أنما كانت مما يفعله عثمان من ادخاره اموال بيت المال لنفسه و لخاصته فكان ابوذر يسعى لاقامة احكام الله على حدودها و يجاهد في ذلك خشية من الله ، و يذكر عثمان ان الله تعالى يقول (ان كثيراً من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل والذين يكتزون الذهب و الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)- مشيراً له الى ان الوالى الحاكم بين المسلمين ليس له ان يدخر اموالهم لنفسه و قد عاتب الله اهل الكتاب على ذلك تذكرة للمسلمين ، لكن عثمان بقى على سيرته و عس في وجوه من يسعى الى الاسلام و اقامة احكامه و حدوده و تولّى عنهم و نفيهم عنه و عن المدن الاسلامية و شردهم تشريداً.

و هذا شطر يسير من اسائه و عبوسه مع المؤمنين و غلظته على الساعين الى طريق الحق و الاسلام من غير ان ينظر الى مكائنتهم و ايمانهم و تقويهم و رأيهم و قولهم و نصحتهم و رشادهم.

واما مجاملته مع المتكبرين عن قبول الحق و احكام الاسلام فهي ايضاً ظاهرة في

ص: 110

1- نقله عنه في الغدير ج 8 ص 312

ايام خلافته من توليته الولاية و مجالسته مع امثال ابي هريره و كعب الاحبار و ابي سفيان و مروان بن حكم و ابيه الحكم بن العاص طريدى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و قد ولى معاوية بن ابي سفيان الشام و ابن ابي سرح المصر و الوليد بن عقبة الكوفه ، و قد اكتنز جمع من الشيوخ و الاشراف من عطياته كنوزاً ضخمة ، كالزبير بن العوام ، و عبيدالله التيمي ، و عبدالرحمن بن عوف ، و سعد بن ابي وقاص ، و يعلى بن اميه ، و زيد بن ثابت ، و عبدالله بن ابي سرح ، و الحكم بن العاص ، و مروان و ابوسفيان ، و غيرهم فكان من الدينار لمروان خمسمائة الف ، و لابن ابي سرح مائة ألف ، و لطلحة مائة الف ، و لعبد الرحمن بن عوف خمس وستين و مائة الف ، و ليعلى بن اميه خمسمائة ألف و لزيد بن ثابت مائة الف الى غير ذلك مما شهد به كتب السير ، هذا سوى ما لهم من القصور في الامصار و المزارع و العقار و العبيد و الاماء و الغنم و البعير و الفرس و غيرها مما يشغل العدايين فى حسابه و يتمطون الفقراء منه فقداً و حسرةً او يرتعشون غيظاً و سخطاً(1).

هذا عثمان بن عفان من بني اميه ، و قد مضى من اسلامه و تزكيته و تأدبه و رشاده من ارشاده النبي صلى الله عليه و آله قريب من نصف قرن و صار شيخاً كبيراً و مع ذلك يحكى مشيه و سيرته و اخلاقه انه هو الذى نزل فيه سورة عبس و انه هو الذى عبس و تولى ان جائه الاعمى ، الذى لعله يزكى ، او يذكر فتفعله الذكرى ، و انه هو الذى اذا جائه من يسعى و هو يخشى فعنه كان يتلهى ، و انه الذى كان يتصدى لمن استغنى و انه الذى ردعه الله عما ادخل نفسه فيه مما لا يليق به بقوله سبحانه (كلا)، ثم ان الله سبحانه نبه الامة و جميع الناس على ان امر الدعوة الاسلاميه و الزعامة الدينية ، و تعليم الكتاب و الحكمة و تزكية الناس و ارشادهم بايدى سفرة كرام بررة ، فان الله اعلم حيث يجعل رسالته ، و انه لا ينال عهده الظالمين .

نعم ذكرهم الله سبحانه باخلاق الرجل و عبوسه مع المؤمنين و تصديه للمتكبرين و انه هو هذا ولكن لم يرتدع الأمة عن ردع الله سبحانه الى ان ال الامر ان صار خليفة للمسلمين و زعيماً عليهم واجتمع حوله من بصفاته و اخلاقه جماعة من الاحداث و

ص: 111

1- راجع في ذلك الغدير ج 8 ص 254 الى 286.

الاعلمة من بني امية وغيرهم وضاق على المسلمين و اكابر الصحابة والموحدين الذين احبوا الاسلام و القرآن بجهدهم و جهادهم ودمانهم ثم انفجرت من غيظهم و سخطهم و نقاتهم عليه شعلة عظيمة حاصرت الخليفة و ضيقت عليه الامور اكثر من اربعين يوماً و قضت على الخليفة و صار عبرةً لاولي الابصار - (من اعرض ذكرى فان له معيشةً ضنكا و نحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى و قد كنت بصيراً قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها و كذلك اليوم تنسى).

اعداء الاسلام من اهل الكتاب و اغتنام الفرصة

الى هنا قد عرفت الحق و انكشف لك الحقيقة في مرجع الضمائر في الآيات العتابية و اسفر عن وجه الحقيقة بطرق شتى و ظهر تحريف المنافقين و ما صنعوا من توجيه الآيات العتابية عن انفسهم الى النبي الاعظم صلى الله عليه و آله.

ولكن اعداء النبي صلى الله عليه و آله من اهل الكتاب لعبوا حول ذلك طرفى الافراط و التفريط.

فتارة تشبوا بتلك الروايات المختلفة في الحطّ من شأن النبي الاكرم صلى الله عليه و آله و الطعن فيه و صار ذلك بضاعة لجملة من مبشري النصرارى و مبلغى المسيحية و غذاء لتبليغاتهم على كرامة الاسلام و نبيه صلى الله عليه و آله.

وانت تعرف ان العدو العنيد اذا حصل بيده سند للطعن كيف يتجول حوله و يترقى من مقدمات ولو سخيفة الى نتائج تطابق مقصوده ، و لا ينتظر منهم الا- امثال ذلك ، و قد اخبر الله سبحانه بذلك في غير مورد في كتابه الكريم مثل قوله تعالى (لتبلون في اموالكم و انفسكم و لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و من الذين اشركوا اذى كثيراً) (1).

ولله در شيخنا العلامة المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغى قدس الله روحه

ص: 112

1- آل عمران.

واسكنه جنته حيث تصدّى لتقد جملة مما نالوا على قداسة لاسلام و القرآن و النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في كتابه (الهدى الى دين المصطفى) و قد سبق منه ما يناسب المقام و ما اجابهم به فراجع (1) ونحن نكتفي بذلك.

وتارة أخرى جالوا جولة شيطانية مزوّرة من ناحية أخرى بان امثال هذه الآيات التي بلغها النبي صلى الله عليه وآله في نقد اخلاق نفسه و ادابه اقوى دليل على صدق نبوته ورسالته عن الله و انه لا يكتتم شيئاً و لو على نفسه و يعلن كلما يوحي اليه من ربه و يبلغه الى الناس كان له او عليه ثم يزينون الحادثة المختلقة بما سيأتي في كلام بعض المنخدعين عنهم وانه لم يكن ذلك الا امراً عادياً يقع كثيراً ما ممن يحرص في سبيل

الدعوة الى الحق اذا فوجيء بواحد يصد عنه في دعوته او يقطع كلامه الارشادي.

لكنك ذو معرفة باحوال نبيك رسول الرحمة وصاحب العصمة ومجلى اسماء الله تعالى وصفاته العليا ومن اختاره الله بين عباده الصالحين واصطفاه من خيرة العالمين لما يعلم انه يمشي على صراطه المستقيم ودينه القويم وانه لا يضل ولا يزل في سبيله وانه يبلغ رسالات الله علماً وعملاً و اخلاقاً و ادباً في تعليم الأمة و تاديبهم و تركيتهم و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، و آثار صدقه و براهين امانته اكثر من ان يحتاج حتى الاعداء الى امثال ذلك مما يחדش كماله و عصمته صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 113

وقد عثر جملة من العلماء و الفضلاء من كتاب عصرنا سدد الله خطاهم بتسديده عن الزلات و العثرات و ايدهم بتأييده ، فانصفوا بزعمهم فواقفوا انفسهم في ورطة الخطاء (نعوذ بالله تعالى من امثاله) بالنسبة الى النبي الكريم صلى الله عليه وآله فاستظهروا بزعمهم من الايات العتائية انها في شأن النبي صلى الله عليه وآله ، ثم انهم لما رؤا انفسهم بين الاشكالات الواردة المنبعثة عن عقايدهم الاسلاميه الشيعيه الحتمية اليقينية جالوا في عرصات الدفاع كحركات المذبوح و اعتذروا باعتذارات تافهة.

و نحن نرجوا من سماحة شخصياتهم الكريمة العفو عما لو طغى القلم (لاسمح الله بذلك) في التعابير حينما ندافع عن النبي الاعظم الاشرف خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله هذا اولاً ، وثانياً ان يجددوا النظر فيما كتبوه ، و ما كتبنا فان كان الحق فيما ذكرناه (والرجاء الوثيق هو ذلك) اصلحوا ماسبق منهم و اتقنوا صلاح ما مضى منهم فان الحق احق بان يُبدي سيما في هذه الاعصار العبوسة على الاسلام و المسلمين ، ولعلهم اعرف منى بتلك الظروف و الشرائط.

إشارة

و هولاء الذين ذكرتهم، تفاسيرهم وكتبهم باللغة الفارسية ونحن نترجمها بالعربية مختصراً فبعضهم (1) بعد ان ذكر رأى الجمهور من اهل السنة في نزولها في شأن النبي صلى الله عليه وآله قال ما ترجمته بالعربية - ان جماعة من المفسرين رأيتهم ان ليس المراد بها هو صلى الله عليه وآله ثم ذكر بعض ادلتهم بالاختصار ، ثم ذكر الرواية التي مضى نقلها في المجمع عن الصادق عليه السلام بأنها في رجل من بني امية ، الى ان قال:

لكن سياق الاية بانضمام ما بعدها تفيد ان المقصود بها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينافى عصمته و حسن اخلاقه حين اهتمامه بما هو اهم من اسلام جماعة يعدون من اشرف العرب و ساداتهم ظناً منه (صلى الله عليه وآله وسلم) انهم لو اسلموا اسلم من تبعهم من عشائريهم ، و عتابه من الله تعالى لعظمة شأن ابن ام مكتوم لتبنيه رسول الله صلى الله عليه وآله لثلاثا يعود الى عدم الاعتناء بامثاله لفقرهم و عماهم ، والتصدي للاغنياء و احترامهم لثروتهم و رياستهم و ان اكرمهم عند الله اتقاهم.

اجوبة عنها

اقول: اما تمسكها بسياق الايات على توجيهها الى النبي الكريم صلى الله عليه

ص: 116

1- مخزن العرفان الجزء الاخير ص 6-7 للعامة الفاضلة الاصبهانية السيدة الجليلة حسنة الدهر و مفخرة نساء العصر دامت بركاتها.

وآله سواء ارادت منها ذلك بحسب كونها خطائية ، او من جهة كيفية الالتفات من الغيبة الى الخطاب فقد عرفت فيما تقدم ص 70 الى ص 79 انها على خلاف ذلك اذل وان ل ظهور لها اصلا في توجهها الى النبي صلى الله عليه وآله ، وقد عرفت كلام سيدنا المرتضى قدس سره وغيره من عباقرة الادبيات العربية وكلام سيدنا الاستاد العلامة الطباطبائي قدس سره وكذا شيخنا العلامة البلاغى قدس سره حيث قال السيد قدس سره اما ظاهر الاية فغير دال على توجهها الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا فيها ما يدل على انه خطاب له بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل عند التأمل على ان المعنى بها غير النبي صلى الله عليه وآله (وقد سبق ايضا كلام المحدث القاساني في تفسير الصافي حيث قال (و اما ما اشتهر من تنزيل هذه الايات في النبي صلى الله عليه وآله دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللاتفة بمنصبه، وكذا ما ذكر بعدها الى آخر السورة كما لا يخفى على العارف باساليب الكلام ويشبه ان يكون من مختلقات اهل النفاق خذلهم الله وقد ، حكاية كلماتهم.

واما حكم السياق لو انضمت الى الآيات التي بعد كلمة (كلا) الردعية فقد عرفت انها فوق الظهور ولعلها تصريح بمغايرة من انزل اوائل الآيات في شأنه عن النبي الكريم البر الرؤف و ان القرآن والدعوة الاسلامية في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة لا ينالها الا السفرة الكرام البررة ، ولا- ينال بعهد الظالمون الذين يتقذرون عن الاعمى الفقير عابسا عليه وجهاً ومعرضاً عنه ولو كان يسعى ويخشى مقبلاً إلى الاثرياء حباً في الدنيا واهلها.

واما ما ذكرت اخيراً من تعليل العتاب وانه لايراز شأن ابن ام مكتوم وشخصيته (الى آخر ما ذكرته) فلايد ان يعد ذلك من زلات الاقلام ، ونعوذ بالله من الخط عن شأن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الى هذا الحد حتى ينسب اليه الاعراض عن الاعمى الفقير لفقره وعماه والتصدي للاغنياء واحترامهم لثروتهم ورياستهم ، حتى ان واحداً من اوساط العلماء المؤمنين المسلمين لو نسب اليه ذلك لاشمئز روحه وانكسر قلبه ولدافع عن نفسه باشد الدفاع ، و هل بلغ ابن ام مكتوم من ، و هل بلغ ابن ام مكتوم من الشأن عند الله الى هذا الحد ، وانحط العياذ بالله النبي الاعظم صلى الله عليه وآله الى هذا الحد ، حتى انزلت فيهما سورة يعاتب فيها النبي صلى الله عليه وآله و يتذكر امثال ذلك من صفاته وتقرء في الصلوات

وغيرها وقد كان اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله و اليوم الآخر ، (اللهم لا تمقتنا).

هذا، على ان ذلك اشبه شي بالتفسير بالرأي حيث لم يعتمد فيه على ظهور لفظي من القرآن ، ولا على حديث معتبر من الائمة الاطهار الذين هم عدل القرآن ، واما اقوال المفسرين فليست حجة عقلية ولا شرعية يمكن الاعتماد عليها في تبين معاني القرآن و تفسير المراد منه ، ولا سيما ان المفسرين الذين ذكروا ذلك بالجزم هم من اهل السنة ، اخذوا هذا الرأي في التفسير من الروايات التي فصلنا القول فيها متناً وسنداً، وتبين انها ضعيفة من جهات مختلفة تكشف عن انها مختلقة.

ص: 118

و بعضهم (1) قال - ان مما ذكره الطبرسي في المجمع يعلم ان العلماء المفسرين من صدر الاسلام اتفقوا على رجوع الضمائر اليه صلى الله عليه وآله ولم يظهر الخلاف الآمن السيد المرتضى قدس سره ، حتى ان الطبرسي في تفسير الجوامع الجامع الذي صنّفه المجمع و الكافي و الشافي ، و مع اختصاره اجمع و اكمل من اخواتها لم يذكر فيها من الاقوال الا رأي عامة المفسرين من رجوع الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله و سلم).

اقول فيه اولاً: ان شيخنا الطبرسي قد نسب ذلك الى (قيل) وهو مشعر بضعفه ولم يذكر هنا اقوال المفسرين جميعاً ، لا بعنوان جامع كلفظ الاتفاق او الاجماع ولا نسبته الى المفسرين بصيغة الجمع ، ولا ذكر اقوالهم واحداً واحداً ، بل يذكر اولاً ما ذكره صاحب (قيل) بأنه في شأن النبي صلى الله عليه وآله ثم يعقبه بكلام السيد المرتضى علم الهدى قدس سره ، في ردّ هذا القول، ثم يؤيد كلام السيد بالكتاب و الحديث عن الامام الصادق عليه السلام انها في رجل من بني امية. ثم يأخذ في ان يدافع عن مقام العصمة على فرض صحة ما ذكره (القيل) ثم يؤيد دفاعه بكلام عن الجبائي فراجع كلامه ص 10 يكشف لك ما ذكرناه.

و ثانياً: ان ما استنبطه من كلام المجمع من عدم الاستثناء عن المفسرين غير السيد في غير محله اذ لم يذكر عموماً ثم الاستثناء عنه قول السيد و انما ذكر اقوالاً ، 1- بعنوان قيل 2- بعنوان السيد الى آخر ما ذكره قدس سره ، فان استنبط من ذلك رأى عموم المفسرين

فهذا فاسد جداً و ان اقوال المفسرين من الشيعة لم يجمع في كتاب بالنسبة الى هذه السورة

و ثالثاً: ان ما ذكره عن تفسير جوامع الجامع من انه لم يذكر من الاقوال الآ رأى عامة المفسرين ففيه انه لم يذكر فيه الا رأى العامة من المفسرين ومن اهل السنة لا عموم المفسرين من العامة والخاصة وبينهما بون بعيد لا ينبغي لمثله خلطه.

ورابعاً: قد عرفت مما سبق من نقل كلمات المفسرين من الشيعة ان المخالف لا ينحصر بالسيد المرتضى قده بل المحدث المفسر الجليل الخبير ناشر آثار الاثمة الطاهرين الذي عاصر بعض الاثمة عليهم السلام علي بن ابراهيم القمي قدس سره قد سبق السيد في ذلك ذكراً انها في عثمان بن عفان من دون ترديد ثم شيخ الطائفة ذكر ذلك في التبيان وهكذا بعدهم الشيخ الطبرسي و ابو الفتوح الرازي و ابن شهر آشوب وغيرهم قدس الله ارواحهم و قد مر نقل كلمات اكثر من عشرة شخصية من اساطين الشيعة من القدماء بل لم نر من اكابر علماء الشيعة وزعمائهم من رأى خلاف ذلك فكل من رأينا الى الآن قال بان مرجع الضمائر في الآيات العتابية غير النبي صلى الله عليه وآله على ما مرتصييه و نقلنا عباراتهم بالفاظها فراجع اول الكتاب.

وخامساً: ان كتاب المجمع مقتبس من كتاب التبيان للشيخ الطوسي شيخ الطائفة الامامية على ما صرح به في اول المجمع ، واما كتابه الجوامع الجامع فقد صنّفه بعد عثوره على الكشف للزمخشري واقتباسه منه كتابه المسمى بالكافي الشافي فصنّف الجوامع الجامع بالتماس ولده ابي نصر الحسن ليكون متوسطاً بين كتابيه المجمع و بين الكافي الشافي ففي الحقيقة يكون كتابه هذا مقتبساً من المجمع ومن الكشف للزمخشري بل لعلّه يغلب عليه كلمات الزمخشري كما قال قدس سره (و هجس بضميري بل القى في روعي محبة الاستمداد من كلام جار اله العلامة فان لالفاظه لذة الجدة وروثق الحداثة) فراجع اول كتابه ومن المعلوم ان الزمخشري وان كان من المحيين لآل البيت عليهم السلام على ما يظهر من كتابه ربيع الابرار الا انه كان على مذهب العامة وتابعاً لآرائهم وقد عرفت اتقاقهم على رجوع الضمائر اليه(صلى الله عليه وآله وسلم).

على ان اكثر اهل ايران ولا سيما خراسان الذي كان موطن الشيخ الطبرسي كانوا

من اهل السنة في ذلك الزمان ولم يكن الشيعة ممن يتمكنون من اظهار امثال ذلك من دون ستار و ان يصرحوا نظريتهم بانها في عثمان او رجل من بني امية.

«...ثم قال - ان الرأي او التردد الذي اظهره المرتضى وتبعه في ذلك بعض الشيعة فذلك مورد للنظر، 1 اما ما ذكره من ان ظاهر الآيات لا دلالة فيها على رجوع الضمائر الى النبي ص الاكرم، ففيه انه كيف لا دلالة فيها على رجوعها اليه مع ان كلها ضمائر خطابية و المخاطب فيها هو الذي عبس وتولى ، وهل يظن ان تلك الخطابات المتوالية تتوجه الى شخص مجهول من بني امية، ومن كان هذا المشرك المخاطب الذي اهتم به القرآن بهذه العناية ، وهل كان المسؤل عن تركية الناس ذاك المشرك حتى اقبل اليه الاعمى بهذا الداعي ، وهل توجد في الخطابات الابتدائية مورد في القرآن يكون المخاطب فيها غير الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

اقول - قد عرفت تفصيل الكلام في رجوع الضمائر ومرجعها وذكرنا ان مرجعها لو كان حاضراً ما كان يحسن ان يؤتى اولاً بصيغة الغائب ثم الالتفات منه الى الخطاب ولذا تصدى من ارجع الضمائر اليه ص من المفسرين لتوجيه ذلك ، وقلنا ان ذلك من ركيك الكلام بحيث لا يليق بشأن القرآن المتحدّي على الجنّ و الأّنس في فصاحته و بلاغته و غيرهما فراجع ما ذكرناه هناك(1).

و اما ما ذكره من توجه الضمائر الى شخص مجهول - فهذا مما لم يتفوه به احد ، بل كان المرجع معلوماً حين نزول الايات وبعدها ثم اجهله التاريخ والرواة ككثير من امثاله الذي كان مما يوهن الدولة الأموية وحكومتهم ، وهذا شيء ظاهر لم يتوقع ان يستتر لمثل هذا المؤلف الذي كتابه مشتمل على التحقيقات الحسنة في تفسير القرآن.

و اما ما ذكره من انه من ذلك المشرك فهذا من العجائب عن مثله وانه كيف لم يراجع الكتب التفسيرية للشيعة فمن القائل أنه كان من المشركين ، بل بعضهم قال بأنه رجل من بني امية كما في الرواية عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً و بعضهم صرّح بأنه عثمان بن عفان ، وعلى كل حال كان رجلاً مسلماً أراد القرآن تنبيهه بعدم لياقته لشأن الدعوة الاسلامية

ص: 121

1-ص73

والتصدّي لتزكية الناس وتنبه سائر المسلمين بذلك لئلا يجعلوه زعيماً للدعوة الاسلامية ورئيساً لدولتهم وحكومتهم ، وبالجملة فلم يقل احد بانه كان رجلاً من المشركين.

واما ما ذكره من انه هل يوجد في الخطابات الابتدائية مورد يكون المخاطب غير النبي ص - ، فهذا اعجب واغرب من سابقه ، فانه اولاً ليس خطاباً ابتدائياً بل التفات من الغيبة الى الخطاب فقال تعالى اولا (عبس وتولى ان جاءه الاعمى) ثم التفات منه الى الخطاب. وثانياً ليس الخطاب ولو ابتداء في القرآن الا مثل الخطاب في الكتب المصنفة فالمخاطب لا يلزم أن يكون شخصاً خاصاً لو لم يكن قرينة في البين كأن يكون في مقام الرد و المناقشة لاحد فيخطبه في مناقشاته، وفي تلك الآيات الخطاب الى من اراد القرآن عتابه. واما من هو فقد اخفاه التاريخ في ايدي الحكومات الجائرة الاموية والرواة المتساجرة ولم يتسع المجال للشيعه لذكرهم من جهة التقية منهم الا شذمة قليلة كما نقلنا جملة من كلماتهم. ، وثالثاً: ان الخطابات الابتدائية كثيرة في القرآن ولا دليل لنا على رجوعها الى النبي صلى الله عليه وآله بل عكسه اظهر أو متعين كقوله تعالى الم تركيب فعل ربك باصحاب الفيل - حيث ان النبي ص كان مولده عام الفيل ولم ير ذلك فكيف خاطبه الله به ومثل قوله تعالى - (الم تركيب مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً) وظاهر الآيات حولها انها في مقام التوبيخ الذي لا يليق بشأن النبي صلى الله عليه وآله وامثال ذلك في القرآن كثيرة.

فانظر في تلك الموارد فمن المخاطب فيها (فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية)(1)، (واذا رأيت ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً)(2)، (والمؤتفة اهوى فغشيها ماغشى فباي آلاء ربك تتمارى)(3)، (الم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم)(4)، لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً)(5)، (وترى الارض هامدة فاذا انزلنا

ص: 122

1- الحاقة 7 و 8

2- سورة الدهر 20

3- النجم 55

4- المجادلة 14

5- الحشر 21

عليها الماء اهتزت(1)، (وترى الجبال تحسبها جامدة)(2)، (الم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة)(3)، (الم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض)(4)،

ولو فرضنا صحة ما ادعاه في غير هذا الموضوع فما الدلالة في ذلك على ان الخطاب في هذه الايات العتاييه ايضا اليه(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلنفرض انها كانت اول سورة نزلت عليه(صلى الله عليه وآله وسلم)، فهل عدم وجود خطاب ابتدائي فيه متوجه الى غيره يدل على تعيين مرجع الضمير او يحتاج ذلك الى قرينة خاصة تدلنا عليه.

(... 2 - واما ما ذكره السيد من انّ العبوس لم يكن من صفاته و اخلاقه ولا سيما بالنسبة الى المؤمنين ، فالجواب ان هذه تأثرات روحية تظهر لكل احد في كل مقام ولا سيما اذا كان في مسيره الى اهداف عالية و الدعوة الى الله تعالى تثيرها العواطف في ظروف و اوضاع خاصة و ليست من قسم الصفات و الاخلاق ، على انها اذا لم تكن في سبيل الامال و الاغراض الشخصية فغير مذموم ، بل اذا كان في سبيل الدعوة الى الله فهي بنفسها حسن و ممدوح ...)

اقول هذا ايضا من الغرائب فان قوله ان تلك التأثيرات مما تنبعث في ظروف خاصة لكل احد - لو اراد لكل احد عصبي ضعيف غير مالك لنفسه في تلك الظروف فهو صحيح و اما بالنسبة الى رسول رب العالمين الذي هو فوق كل احد من الناس في سعة القلب و انشراح الصدر و السكينة الالهية و العصمة الربانية فهو مالك زمام نفسه فلا يضل و لا يزل اقدمه فضلاً عن سيّد الانبياء و خاتم السفراء و اعظم رسل الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و اما قوله انه لم يكن من قسم الصفات و الاخلاق ، فهذه مناقشة لفظية ، فلنفرض انها كانت عثرة و زلة ، لكنّها لا تليق بشأن من يعصم من قبل الله فانه لو لم يكن حصون عصمته قويه متينه(5) لا احتمال في حقه في كل امر من اموره في كل حال بالنسبة

ص: 123

1- نوره

2- النحل 88

3- الحج 63

4- الحج 65

5- كه نيم كوهم زحلّم و صبر و داد *** كوه راكى در ربايد تند باد

اليه العثرات و التّلات و اذا لم يكن يليق بسفارة الله سبحانه و لا يعتمد عليه في اداء الرسالة و ابلاغها و اذا لم يكن اصطفائه و اختياره من الله سبحانه بحق و هذا مستلزم لاقوال فاسدة في صفات الله سبحانه من الجهل في مقام الاصطفاء او عدم القدرة و امثال ذلك فسبحان الله عما يصفون ، بل بالنسبة الى ملوك الدنيا و حكامها ايضاً لا يرون افعاله لايقاً لذلك ، بل امثاله نقص في حكوماتهم.

واما قوله انها حيث لم يصدر منه في سبيل اغراضه الشخصية بل في سبيل الدعوة الى الله تعالى فهي في نفسها غير مذمومة بل ممدوح مستحسن ، فهذا ايضاً من غرائب الكلام فانه لو تسلّم انه كان كذلك و لم يكن مذموماً فلماذا ذمه الله و عاتبه عليه باشد الذم والعتاب ، ثم انه لو كان الهدف هو الدعوة الى الله من دون اى شائبة نفسانية فكيف اعرض عن المؤمن الذي يتزكى و هو يسعى الى الله والى دينه و الى رسوله لفقره و عماه ، و يقبل الى الاغنياء لثروتهم و رياستهم (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على

آنکه از بادی رود از جا خسیست *** زانکه باد نا موافق خود بسیست

باد خشم و باد شهوت باد آرز *** برد او را که نبود اهل نیاز

کوهم و هستی من بنیاد اوست *** و ر شوم چون کاه بادم باد اوست

جز به باد او نجنبد میل من *** نیست جز عشق احد سرخیل من

خشم بر شاهان شه و ما را غلام *** خشم را هم بسته ام زیر لگام

تیغ حلمم گردن خشمم زده است *** خشم حق بر من چو رحمت آمده است

تا احب لل ----ه آى-د-ن---ام-م-ن *** تا که ابغض لل-ه-آى-د-ک--ام-م-ن

تا که اعطى لله آید جود من *** تا که امسک لله آید بود من

بخل من لله ، عطال الله و بس *** جمله لله ام ، نیم من آن کس

و آنچه لل-ه-میکنم تقلید نیست نیست *** تخیل و گمان ، جز دیدنیست

زاجتهاد و از تحری رسته ام *** آستین بر دامن حق بسته ام

گرهم-ی-پ--رم-ه-م-ی-ب-ی-ن-م-مطار *** ورهمی گردم-ه-م-ی-ب-ی-ن-م-م-دار

ورکشم ب---اری ب-دانم تا کجا *** ماهم و خورشید پیشم پیشوا

مثنوی مولانا جلال الدین مولوی

الله الأ الحق) ، وبالجملة فصدور هذه التهيجات و التأثيرات من ضيق النفس و انقباض الاعصاب ولا يمكن قيادة الملة وزعامة الجماعة وارشاد الناس الا بعد انشراح الصدر و لذا سنله موسى عليه السلام من ربه حين رسالته فقال ربّ اشرح لي صدري و يسر لي امرى وقال سبحانه بالنسبة الى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله (الم نشرح صدرك) فهيجان النفس وانبعاثها في حالات التأثر عند اوضاع مولمة و ظروف قاسية حتى يصدر عنه افعال ذميمة اّما هو شأن النفوس الغير الراقية من سواد الناس لا زعماء الرشاد و اركان البلاد و الهداة في سبيل النجاة فضلاً عن ائمة الدين و امناء ربّ العالمين و فوقهم النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

«... 3 - و أما ما ايد به لنظريته من الرواية عن الصادق عليه السلام ففيه اولاً انها مجهولة السند و ثانياً مخالفة للتواريخ المسلمة و رأى عموم المفسرين ، و قبل ذلك مخالفة لرواية اخرى عن الصادق عليه السلام من ان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا رأى ابن أم مكتوم يقول مرحباً مرحباً لا والله لا يعاتبني الله فيك ابداً...»

اقول اما ما ذكره من ضعف الرواية بانها مجهولة السند فقد سبق الكلام فيها و ان عليها عمل الاصحاب و اكابهم و اساطينهم كعلي بن ابراهيم و السيد المرتضى و شيخ الطائفة و الطبرسي و ابن شهر آشوب و ابن طاووس و اضرابهم من دون نقل خلاف عن اصحابنا الكاشف عن اتقاقهم و انما نقلوا الخلاف عن العامة و قد تقدم نقل عباراتهم في اول الكتاب بالفاظها فاصحابنا قاطعون على هذا الرأي مستدلون عليه ببراهين كثيرة من العقل و النقل مضافاً الى ما سبق مما ذكرنا انه يكشف من عباراتهم وجود روايات كثيرة و انه كان رأى الامامية و المتهم صلوات الله عليهم غاية الأمر عدم وصول روايتهم بشكل الرواية الا هذه ففي كلام شيخ الطائفة و ابن شهر آشوب و علي بن ابراهيم و غيرهم ما يشعر بذلك مضافاً الى موافقتها للكتاب و مخالفتها للروايات المختلفة مما يوجب قوتها و رجحانها كما هو محرر في محلّه.

واما ما ذكره من مخالفتها للتواريخ المسلمة و رأى عموم المفسرين فهذا اشبه شيء بالرجم بالغيب بعد ان هذا المؤلف لم يتصفح التاريخ و لم يأت بكلام احد منهم فضلاً عن كونه المسلم عليه في التواريخ و لم يتتبع اقوال المفسرين من الامامية الا قليلاً

ممن كان كتبهم عنده و يشير اليه كمجمع البيان و الجوامع الجامع و الا فكيف يمكن ان يختفي عليه اقوال من ذكرنا عباراتهم بالفاظها مع عدم التيسر لنا المراجعة والتتبع حقه لعدم وجود مكتبة عامرة عندنا.

نعم مخالف لتواريخ جماعة من العامة كابن سعد في طبقاته و السيرة النبوية لابن هشام - حتى ان ابن الاثير في اسدالغابه يذكر ابن ام مكتوم في موضعين تارة باسم عبدالله بن شريح وأخرى باسم عمرو بن قيس ويقول انه ابن ام مكتوم المؤذن ولم يذكر في الموضوعين شيئاً من تلك الروايات فمن ذلك يعرف انه ما كانت القضية مسلّمة عند ابن الاثير او كان ينكرها ، فلو سلمنا كونها مسلمة لتواريخهم ورأى العموم من المفسرين ، فانما ذلك عند العامة ، والمؤلف سيد علوى شيعي امامي محقق في التفسير فلا يليق به رمى القول به الى عموم المفسرين وتسلم التواريخ.

وقد سبق عن شيخ الطائفة انه قال - وقال قوم انها نزلت في رجل من بني امية - فيعلم منه عدم انحصار القول به بالسيد المرتضى بل عليه قوم و جماعة، وقد نسب السيد ابن طاوس نزوله بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله الى كثير من المفسرين لا عمومهم و.قال ابن شهر آشوب بعد مناقشاته الكثيرة على القول بكونها في شأن النبي صلى الله عليه وآله قال - وانما عبس صحابي ذكرنا شرحه في المثالب -

فكيف ينسب هذا المؤلف القول بنزولها في شأن النبي صلى الله عليه وآله الى تسلم التاريخ و عموم المفسرين ، ولا سيما بعد ان لعبت سياسة الحكومات الاموية برواة العامة و مفسريهم و احاديثهم سيما من زمان معاوية بن ابي سفيان الى زمان مروان الحمار وقد تملكوا زمام المسلمين الف شهر ثم تبعهم بنو العباس، اكثرهم، قروناً كثيرة فهل يبقى بايديهم بعد ذلك حقيقة باكرة تخالف شؤونهم لوبقيت غير ممسوخة الى زماننا الم تفكر عميقاً فيما عن الائمة عليهم السلام بان الحق في خلافهم - فان ايادي سياسة الخلفاء اوقعتهم في خلاف الحق وهذا شيء كالدّم يجري في عروق كثير مما عندهم مما يخالف سياساتهم وشؤوناتهم.

واما مخالفة الرواية لرواية أخرى عن الصادق عليه السلام فقد سبق الكلام في ذلك مفصلاً فراجع ص 36 - 37 و قلنا بعدم ظهور لها في المعارضة و على فرضها فتحمل على

التقية وصدورها في حكومة الأمويين و صدور الأخرى على غير تقية في زمان زوال حكومتهم حيث انه عليه السلام ادرك حكومة الامويين والعباسيين و هذا هو المتعين بعد ما علمنا ان رأى الشيعة على خلافها فأنهم على رأى ائمتهم عليهم السلام، بل الظاهر من علي بن ابراهيم شيخ القميين ان نزولها في عثمان بن عفان كان من المسلمات حيث ذكر ذلك قاطعاً من دون ترديد او اشارة الى الخلاف فيه ولم يظهر منه تمسكه بخصوص هذه الرواية في انها في رجل من بني امية.

(... و اما توهم ان عتاب الله تعالى اياه يدل على انه معصية صدرت منه لينافي مقام عصمته، فهو غير صحيح لأن العبوس و الاعراض لم يعدا من المعاصي، و عتابه من الله سبحانه و تعالى يدل على كمال توجهه اليه و مراقبته اياه، و الايات 73 و 74 و 75 من سورة الاسراء اشدّ عتاباً و اقسى تهديداً من تلك الآيات العتابية (وان كادوا ليتفنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره و اذاً لا تخذوك خليلاً 73، و لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً 74 اذاً لا ذنباك ضعف الحيوية و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً 75). (1)

اقول، اما ما ذكره من ان العتاب غير دال على صدور المعصية - ففيه انه لو سلمنا ذلك فحكاية الافعال الموجبة للعتاب يكفي في ذلك فان العبوس على الاعمى المؤمن لعماه و فقره و الاعراض عنه للتصدي و الاقبال الى الكفار لغناهم و ثروتهم و رياستهم من اقبح القبائح عقلاً فضلاً عن الشرع بل ذلك نوع من الظلم بل ربما يكون اشد الماً من الضرب بالسوط فيقرح منه القلب بعد جرحه و لا يلتئم الى زمان بعيد سيما اذا كان عند جماعة من اشراف الدنيا و ذوي الجاه و الرياسة و لا سيما من رجل لا ينتظر منه امثال هذه الافعال و بالاخص في المجالس الدينية من غير جرم الا العمى و الفقر.

و اما ما ذكره من ان عتابه من الله تعالى يدل على كمال توجهه اليه و مراقبه اياه - ففيه ان كمال المراقبة لحساسية الموقف لا يدل على ان هذا الاعراض و العبوس للاعمى لفقره و عماه و التصدي لمن استغنى لثروته و رياسته غير مذموم، فحساسية الموقف عند

ص: 127

اوائل الرسالة بل في جميع ادوار الدعوة الاسلامية في سبيل اداء الرسالة حيث ان الانحراف فيها له خطر عظيم و اثاره المشومة كثيرة من حيث انعكاس السوء في تربية المسلمين مع ان الموقف موقف مدرسة مكارم الاخلاق و محامد الصفات يوجب اشد العتاب على من فعل ذلك واما استنتاج ان الفعل لم يكن معصية و مذموماً او تحميله على صاحب الرسالة فكل ذلك ممنوع والايات تدل على خلافه و قد سبق تفصيله.

و اما ما ذكره في تلك الآيات من سورة الاسراء من انها اشد عتاباً و اقسى تهديداً فهو ممنوع اشد منعاً لأن بينهما فرق كثير . اما اولاً فان الايات العتابية في سورة عبس تدل على العتاب و الملامة و التقييح على افعال صادرة من فاعلها و اما تلك الآيات في سورة الاسراء فتدل على ان المشركين سعوا سعياً بليغاً في سبيل افتتان النبي صلى الله عليه وآله و ردفوا اسبابه و احدا بعد واحد ليفتنوه عن بعض ما اوحى اليه بحيث لولا - لولا العناية الالهية و العصمة الغيبة لكاد ان يركن اليهم شيئاً قليلاً، لكن ادركته تلك العناية و التثبيت الربانية و الافاضات اللاليقة بساحة عصمته، فلم يكد ولم يقترب حتى بمقدار ان يركن اليهم شيئاً قليلاً فلم يقع في طريق ما ارادوا منه ولا تحت تأثيرهم و ليعلم النبي صلى الله عليه وآله حساسية هذا الموقف بانه لو اقترب الى ان يركن اليهم شيئاً قليلاً لاذقه الله ضعف الحياة و ضعف المماة ولن يكن يجد بعده على الله نصيراً و لم يكن الكفار قادرين على نصرته من بأس الله تعالى . فليحمد على تلك العناية من الله تعالى و ليعلم ان الله ناصره و كان فضل الله عليه كبيراً، و ثانياً قد ظهر مما ذكرنا الآن في بيان الآيات انه ليس في آيات سورة الاسراء ادنى عتاب و شائبة ملامة اصلاً بل تدل على تعظيم النبي و ان فضل الله عليه كبير و انه في ثباته و استقامته كان على حد لم يكن يركن اليهم شيئاً قليلاً، فليس في تلك الآيات ادنى ملامة و عتاب فضلاً عن ان يكون اقسى تهديداً و اشد عتاباً، بل بيان لحساسية الموقف كما ذكرنا، و نظير ذلك قوله تعالى - (وَهُمْ بِهَا لَوْلَا اِنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ) (1) ولعله ايضاً هي العصمة الالهية بالنسبة الى يوسف الصديق صلوات الله عليه .

ص: 128

وفي ختام استدلالاته على مقصوده قال:

«... الخطاب في تلك الآيات مع العتاب والتهديد الكثير متوجّه الى شخص النبي صلى الله عليه وآله، ومع وآله، ومع ذلك لم يتصدّد احد من العلماء و المفسرين حتى السيد المرتضى رحمه الله لتوجيهه و تأويله انتهى كلامه.

ثم صوّر صورة خيالية للواقعة بحسب بعض ما زعمه من الشواهد و القرائن.

وقد صوّرنا الواقعة بنحو آخر يتوجّه الخطاب الى رجل من بني امية او شخص عثمان بن عفان لا الى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله
[فراجع \(1\)](#)

اقول اما ما ذكره من عدم تأويل احد من العلماء للايات فهذا غريب منه فان السيد وغيره ممن يرى انها في رجل من بني امية او عثمان بن عفان لا يحتاج الى التأويل و انما يحتاج اليه من يرى نزولها في شأن النبي صلى الله عليه وآله مع منافاتها لما عليه من مقام العصمة و سمو الصفات و الاخلاق الحميدة.

نعم يمكن ان يكون نظره الى ما سيجيء من تفسير فارسي آخر ولعله هو الاصل لما مضى من هذا التفسير في هذه السورة وهو أن بعض من جعل الآيات العتابية منصرفة عن النبي صلى الله عليه وآله الى غيره اخذ في منهاج تفسير الآيات طريق من ارجع الضمائر اليه بحيث يوهم ان المراد منها هو ص لا غير و سيجيء ذلك مع رده انشاء الله تعالى.

و لا يخفى ان المؤلف المعظم دامت بركاته كثيراً ما في طي كتابه لهذا التفسير كان تحت ضغط شديد في سجن او اقصاء من فرعون زمانه ولم يكن له مجال لتتبع الكتب و مراجعة المكاتب و قد اشار الى ذلك في مقدمة تفسيره و بذلك اعتذر عما احتمل من وقوعه في العثرات و الزلات و اوصى الى القراء الاعزاء بتذكره قال في اخر مقدمة تفسيره في الجزء الاول ما لفظه: (خواننده عزيز اگر در مطالب اين مقدمه و قسمتي از كتاب اشتباه يا لغزشي يافتيد تذكر فرمائيد و معذورم بداريد زيرا در مدتي نگارش يافته كه از همه جا منقطع بوده و بمدارك دسترسى ندارم و مانند زنده در ميان

ص: 129

قبر بسر میبرم،

شرح این هجران و این خون جگر *** این زمان بگذار تا وقت دگر

فرج الله عن الاسلام و المسلمین بمتّه و فضله و رحمته ،

ربیع الاول سنه 1383 مرداد ماه سنه 1342 ، سید محمود طالقانی)

ص: 130

كلام صاحب تفسير (نوين) و الجواب عنها:

وفى تفسير نوين الفارسي الذي اقتصر فيه على الجزء الاخير من القران و ببالي عن بعض مواضعه أنه ذكر انه الفه فى طى عشرين سنة ، و الحق ان مؤلفه تحمل المشقات فى تأليفه و فيه من التحقيقات و جمع المكتشفات ما لا يستهان بها و يليق ان يستفاد منها فلله تعالى اجره و جزاه الله عن الاسلام و القرآن و اهله خير الجزاء.

ولكن مع ذلك لا يخلو عن عثرات نرجو من الله تعالى أن يوفقه لاصلاحها و ان يسدّ خطواته فى سبيله.

ومن عثراته العظيمة التي لا يمكن الاغماض عنها ما صدر عنه فى هذه السورة حيث اقتفى أهل السنّة مع انه من الشيعة وجعل المخاطب بالايات العتابية فى اول السورة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله ولم يكتف بما ذكره اهل السنة حتى اجتهد و جد فى تمهيد مقدمات كثيرة ليضع ثقل العتاب والملامة فى تلك الايات على النبي الخاتم صلى الله عليه وآله ، لكن بيان يهين وزره و يخفّف ثقله لئلا يصعب عليه ان يحمله على

صاحب النبوة الخاتمية والعصمة والطهارة.

وما استطعت الى الان ان اتصوّر محملاً عقلاً لهذه التكاليف و ما تحمله فى طى هذه الصفحات الكثيرة من الابحاث حول ذلك مما لا اساس لكثير منها حتى فى جملة من نقلياته و ما يستفيد منها و سنعرضها عليك.

فذكر عبارة عن الشيخ المحقق المفسر المتقدم ابى الفتح الرازي قدس سره من ان الجمهور على نزولها فى شأن النبي صلى الله عليه وآله (الى ان يقول) وهو قول ابن عباس و قتاده و المجاهد و ضحاك ، ثم يذكر اقوال عدّة من العامة كالزمخشري و البيضاوى

و النيسابورى و الرازى و الميبدى و الطنطاوى ، و قد ادعى الرازى الاجماع عليه ، ثم يقول ولكن الشيعة اختلفوا فمنهم كابن عباس يرى ما هو رأى الجمهور ، ثم يأخذني مدح ابن عباس و ترفيع شأنه الى ان يجعله في صف سلمان و ابى ذر و اضرابهما ، و ينقل عن بعض أنه ارفع شأناً من ان يطعن اويعباب عليه بادنى شيء (نعم كل ذلك في سبيل الطعن على النبي(صلى الله عليه و آله و سلم) و توجيه العتاب عليه و اثباته).

عدم حجية آراء ابن عباس رضي الله عنه في التفسير

اقول قد عرفت سابقاً رأى الجمهور من العامة و رواياتهم و ما في ذلك و كذلك قد عرفت ما عليه علماء الامامية و ادلتهم فلا نعيدها

و اما ابن عباس رضي الله تعالى عنه حبر الامة فعظمته شيء ، و نسبة هذا القول اليه شيء آخر ، و حجية اقواله في التفسير اذا كان عارياً عن الانتساب الى المعصوم شيء آخر اما نسبة هذا القول اليه فقد وردت في جملة من روايات العامة كما مرت و مر الكلام فيها ، و كذا وردت في التفسير المنسوب اليه و عندنا نسخة منه لكنه تأليف من ابى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس الشافعى العامى و لعله ايضا مستند على تلك الروايات و لم يكن اقواله مشهوراً بين علماء الشيعة و روايتهم لاستغنائهم عنها بروايات الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم.

كلام المحدث القاسانى صاحب الصافى قدس سره

قال المحقق الحكيم المحدث الفقيه المفسر القاسانى قدس سره في الصافى ما لفظه - لم يدروا ما صنعوا بالقرآن و عمّن اخذوا التفسير و البيان فعمدوا الى طائفة يزعمون انهم من العلماء فكانوا يفسرونه لهم بالاراء و يروون تفسيره عمّن يحسبونه من كبرائهم مثل ابى هريرة و انس و ابن عمر و نظرائهم وكانوا يعدون مثل امير المؤمنين عليه السلام من جملتهم و يجعلونه كواحد من الناس و كان خير من يستندون اليه بعده ابن

مسعود و ابن عباس ممن ليس على قوله كثير تعويل ولا له الى لباب الحق سبيل(1).

ثم ان الشيخ قده في التبيان لم ينقل ذلك هنا عن ابن عباس و ان نقل عنه في تعيين الاعمى انه ابن أم مكتوم في قول ابن عباس و مجاهد وقتادة والضحاك و ابن زيد و هكذا شيخنا الطبرسي قده في المجمع لم ينقل عنه ذلك. له على انه يظهر من رواية الشيخ الكشي في رجاله انه لم يتعلم ابن عباس تفسير القرآن با جمعه تنزيلاً و تأويلاً عن امير المؤمنين صلوات الله عليه ، و هي ما ذكرها في ترجمة ميثم التمار عن العياشي عن الطيالسي عن الوشا عن المنقري عن علي بن اسماعيل عن فضيل عن حمزة بن ميثم عن ابيه انه خرج الى العمرة فاستأذن ام سلمة رحمة الله عليها (الى ان قال) فخرجت فاذا ابن عباس عليهما الرحمة جالس فقلت يا ابن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن فاني قرأت تنزيله على امير المؤمنين عليه السلام و علمني تأويله فقال يا جارية هاتي الدواة و القرطاس فاكتب. (2)

و بالجملة فابن عباس رضي الله عنه وان كان من اكابر الشيعة حتى ان علماء الرجال والتراجم وقعوا في كلفة التوجيه للمكاتبة الخشنة عن امير المؤمنين عليه السلام بالنسبة اليه حين كان والياً عنه في البصرة لما عرفوا له من العظمة والعلم والايمان ولكن الظاهر من مجموع الاثار انه لا يتوازن مع امثال سلمان و ابي ذر و سائر الاربعة وعلى كل حال لا دليل على حجية اقواله في تفسير القرآن ولو ثبتت النسبة فضلاً عن ان دون اثباتها خرط القتاد، وسيجيء كلام الشيخ قده في ذلك.

و اما امثال قتادة و الضحاك و مجاهد فضعفهم ظاهر مضافاً الى عدم حجية اقوالهم و قد مر الكلام فيهم.

كلام من العلامة البلاغي قدس سره في عدم حجية آراء المفسرين

قال شيخنا العلامة البلاغي قدس سره في مقدمة تفسيره المسمى بالآء الرحمن -

ص: 133

1- تفسير الصافي، ج 1، ص 4.

2- رجال الكشي ص 76

و اما الرجوع في التفسير واسباب النزول الى امثال عكرمة و مجاهد و عطاء و ضحاك كما ملئت كتب التفسير باقوالهم المرسلة فهو مما لا يعذر فيه المسلم في امر دينه فيما بينه وبين الله ولا تقوم به الحجّة لان تلك الاقوال ان كانت روايات فهي مراسيل مقطوعة ولا تكون حجة من المسانيد الا ما ابتنى على قواعد العلم الديني الرصينة ولو لم يكن من الصوارف عنهم الا ما ذكر في كتب الرجال لاهل السنة لكفى، وان الجرح مقدّم على التعديل اذا تعارضا. اما عكرمة فقد كثر فيه الطعن بانه كذاب غير ثقة و يرى رأي الخوارج وغير ذلك. وقيل للاعمش ما بال تفسير مجاهد مخالف او شيء نحوه قال اخذ من اهل الكتاب و مما جاء عن مجاهد من المنكرات في قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) قال يجلسه معه على العرش. واما عطاء فقد قال احمد ليس في المراسيل اضعف من مراسيل الحسن وعطاء كان يأخذان عن كل احد. و قال يحيى بن القطان مراسلات مجاهد احب الى من مراسلات عطاء بكثير كان عطاء يأخذ من كل ضرب و روى انه تركه ابن جريح و قيس بن سعد ، و اما الحسن البصري فقد قيل انه يدلّس و سمعت كلام احمد فيه و في عطاء و اما الضحاك بن مزاحم المفسر فعن يحيى بن سعيد قول الضحاك ضعيف عندنا وكان يروى عن ابن عباس و انكر ملاقاته له حتى قيل انه ما راه قط. و اما قتادة فقد ذكروا انه مدلس. و اما مقاتل بن سليمان فقد قال فيه وكيع كان كذابا، وقال النسائي كان مقاتل يكذب، وعن يحيى قال حديثه ليس بشيء، و قال ابن حبان كان ياخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي وافق كتبهم، واما مقاتل بن حيان فعن وكيع انه ينسب الى الكذب و عن ابن معين ضعيف و عن احمد بن حنبل لا يعبأ بمقاتل بن حيان ولا بابن سليمان فانظر الى ميزان الاعتدال للذهبي من كتب الرجال اقلّاً (1).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

فاذاً الحجّة عندنا اثنان القرآن وعدله وهو اقوال المعصومين الاربعة عشر وهم

ص: 134

النبي وفاطمة والائمة الاثني عشر صلوات الله عليهم اجمعين ، فالقرآن نصوصه وظواهره حجة لا بد من اتباعه ، واما المتشابهات منه فيعلم تأويله الله والراسخون في العلم من المعصومين اهل بيت الوحي والعصمة والطهارة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً حيث ان القرآن العظيم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون فهم يفسرون القرآن اذا احتاج الى التبيين والتفسير قال الله تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)، وقال الله تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

و اما اقوال غيرهم فلا قيمة لها عندنا الا تأييداً و امثاله سواء كانوا من الطبقة الاولى او الطبقة الاخيرة وسواء كانوا من الصحابة ام من غيرهم وليس المقام يسع لتفصيل القول في ذلك ليظهر الغث من السمين.

و العجب من المؤلف حيث نقل عن الشيخ قدس سره جملة مبتورة الطرفين وجعلها شاهدة لمدعاه في حجية اقوال من ذكرهم من المفسرين الاقدمين حيث جعلهم الشيخ ممن حمدت طرائقه ومدحت مذهبهم.

اقول ان هذه الجملة لا تدل على حجية اقوال هؤلاء والشيخ قدس سره ايضاً لا يريد بها بذلك ، و الاولى نقل عبارة الشيخ ليظهر الحال قال قدس سره في اول التبيان ما لفظه (ولا ينبغي لاحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبيء ظاهرها عن المراد مفصلاً او يقلد احداً من المفسرين الا ان يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع، لأن من المفسرين (من حمدت طرائقه و مدحت مذهبهم) كابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم و منهم من ذقت مذهبهم كابي صالح والسدي⁽¹⁾والكلبي وغيرهم ، هذا في الطبقة الاولى. ، واما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبهم وتأول على ما يطابق اصله ولا يجوز لاحد أن يقلد احداً منهم، بل ينبغي ان يرجع الى الادلة الصحيحة اما العقلية او الشرعية من اجماع او نقل متواتر به عن من يجب اتباع قوله ولا يقبل في ذلك خبر واحد

ص: 135

1- هو ابو محمد اسماعيل بن عبدالرحمن الكوفي المفسر والسدي بضم السين وتشديد الدال كما في الكنى واللقاب منسوب الى سدة باب مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود. - منه .

خاصة (الأظ) اذا كان مما كان طريقه العلم(1).

ومراد الشيخ ممن حمدت طرائقه الخ على ما يظهر من عبارته ليس هو محمودية المذهب وممدوحية العقائد في مقابل من ذكرهم من الكلبي وامثاله، وذلك اما اولاً فانه قال حمدت طرائقه و مدحت مذاهبه ولم يقل طريقه و مذهبه فظاهره انه اراد طرائقه و مذاهبه في كيفية تفسير آيات القرآن

ترجمة مختصرة للسدي والكلبي هشام و ابوه محمد بن السائب

وثانياً انه جعل السدي ممن ذمت مذاهبه مع انه في رجاله جعله من اصحاب السجاد عليه السلام ص 82 والباقر عليه السلام ص 105 والصادق عليه السلام ص 148 واسمه اسماعيل بن عبدالرحمن بن ابي كريمة الكوفي المفسر توفي في حدود سنة 128 على ما في الكنى واللقاب للمحدث القمي قده. وعن ابن حجر انه صدوق متهم رمي بالتشيع وعن السيوطي في الاتقان امثل التفاسير تفسير اسماعيل السدي روى عنه الائمة مثل الثوري وشعبة انتهى. وعن الترمذي انه وثقه سفيان الثوري وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم. وكذا الكلبي سواء كان المراد منه هشام بن محمد بن السائب او كان المراد منه ابوه محمد بن السائب فكل منهما صاحب كتاب في التفسير كما ذكره ابن نديم في الفهرست ص 50. اما هشام بن محمد بن السائب فذكره النجاشي ص 339 من رجاله، وقال العالم بالايام المشهور بالفضل والعلم وكان يختص بمذهبنه وله الحديث المشهور قال اعتلت علة عظيمة نسيت علمي فجلست الى جعفر بن محمد عليهما السلام فسقاني العلم في كاس فعاد الي علمي وكان ابو عبدالله يقربه و يدنيه و يبسطه انتهى. و اما ابوه محمد بن السائب فذكره الشيخ في رجاله من اصحاب الباقر عليه السلام ص 136 ومن اصحاب الصادق عليه السلام ص 289 فقال محمد بن السائب بن بشر ابو النصر الكلبي

ص: 136

الكوفي انتهى . وفي الكنى واللقاب ج 3 ص 102 ذكر ترجمة الوالد و الولد مفصلاً. وثالثاً قد سبق ما ذكره العلامة البلاغي قدس سره في هؤلاء المفسرين عن علماء الرجال وما عن الاعمش في مجاهد في اخذه عن اهل الكتاب وما قاله في قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً من انه يجلسه معه على عرشه وما ذكره عنهم في الحسن انه مدلس وكذا في قتادة من تدليسه.

و على هذا فمراد الشيخ قدس سره لا بد أن يكون (ممن حمدت طرائقه و مدحت مذهبه) انه حمدت طرائقه و مدحت مذهبه في تفسير الآيات عند القوم لا عند نفسه و كذا (من ذمت مذهبه) يعني مذهبه في تفسير الآيات عند القوم لا عند نفسه او عند الامامية وليس ذلك لا توثيقاً للاولين و تضعيفاً للآخرين ولا بياناً لحقية مذهب هؤلاء و بطلان مذهب الآخرين و ليس ذلك ايضاً بياناً لاختيار نفسه في التوثيق و التضعيف بل كان مجرد ذكر ما عليه القوم من المدح لاحديهما و الذم للآخرين ولا يمكن الاعتماد على هذه العبارة لشيء آخر و يكون الفعل مجهول في (حمدت و مدحت و دمت).

وعلى كل حال رايت ان الشيخ قد صرح بانه لا يجوز تقليد احد منهم سواء كان ممن (حمدت طرائقه و مدحت مذهبه) او كان ممن (ذمت مذهبه) بل لا بد من اتباع دليل صحيح عقلي او شرعي من اجماع او نقل متواتر عن من يجب اتباع قوله وهم المعصومون عليهم السلام لا غيرهم حتى ابن عباس مع علو شأنه رضي الله تعالى عنه.

(... و ايضاً من التفاسير الموجودة (يعني من الشيعة) مجمع الصادقين و الكاشفي على هذه العقيدة - و الشيخ ابو الفتوح مع انه خالف هذا الرأي في بيان شأن النزول لكنه في طي تفسيره للايات سلك هذا المنهج و يجعل المخاطب في قوله - و ما عليك الا يزكى - هو النبي صلى الله عليه وآله و يقول - و ان ما عليك هو البلاغ و الرسالة - فلا- يبقى ادنى ريب في ان المخاطب هو النبي صلى الله عليه وآله و آله و الذاهبون الى هذا الرأي من الشيعة و اهل السنة يروون ايضاً رواية و هي كما في المنهج يقول نقل انه كان كلما تلى عليه جبرائيل هذه الآيات تغير لونه (صلى الله عليه و آله و سلم). و بعد تفصيل لبكائه ص يقول ورد في الاخبار ان سيد العالم استعقب ابن ام مكتوم و ارجعه الى المسجد و فرش له رداءه و اجلسه عليه و تلطف في حقه و كان كلما يلقيه يقول له مرحباً بمن عاتبني فيه

ربي. و الشيخ الطبرسي ايضاً ذكر هذ العبارة و ايضاً في طي اجوبته للمخالفين روى عن الصادق عليه السلام ما هو بهذا المضمون بادنى تفاوت في لفظه ...»

اقول اما نسبة القول برجوع الضمائر العتائية خطاباً الى النبي صلى الله عليه وآله الى صاحب مجمع البيان فهذا من اعجب الغرائب بعد تصريح شيخنا الطبرسي بخلافه و ما استدل به عليه فانه بعد ذكره كلام السيد المرتضى قده قال و يؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه و انك لعلى خلق عظيم وقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فالظاهر ان قوله عبس وتولى المراد به غيره انتهى كلام مجمع البيان. ثم ذكر الرواية عن الصادق عليه السلام انها في رجل من بني امية الى آخر ما نقلنا عنه في اول الكتاب بالفاظه ، فكيف ينسب اليه القول المشهور عن العامة و أعجب من .. من صاحبي (تفسير پرتوى از قران) و (قاموس قرآن) جعلوا ذلك من تنمة كلام السيد المرتضى قده و لعله نشأ من (تفسير نوين) و نحن قد نقلنا كلام السيد المرتضى بتمامه عن كتابه تنزيه الانبياء وكلام الشيخ الطبرسي في مجمع البيان لسهولة المراجعة وكشف الحقيقة فراجع و تأمل(1)حتى ترى قلة تأمل هؤلاء المفسرين فيما لابد لهم من لتأمل فيه ، و عدم فرقههم بين كلام السيد و الطبرسي قدهما و لولا ما استهانوا بالتدبر في تلك الكلمات لا يمكن ان لا يقعوا في هذا الرأي الركيك في اتهام النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

و اما صاحب منهج الصادقين فقد نقلنا ايضاً كلامه الفارسي مترجماً بالعربية(2)فهو ايضاً ذكر كلام السيد المرتضى قده ثم اردفه بتأييدات وادلة في نصره ما ذهب اليه السيد -الى ان يقول) فالظاهر ان المراد بها غيره كما روى عن الصادق عليه السلام انها نزلت في رجل من بني امية (الى آخر ما ذكره قده)

و ما ينقضي تعجبي عن قلة تدبر هؤلاء لا في التفاسير العربية ولا الفارسية حتى نشأ عنهم ما نشأ في تشييد هذا الرأي المخالف للمذهب في ما يرتبط بعصمة النبي صلى الله عليه وآله و ما يوجب طعن بعض اهل الكتاب على نبينا صلوات الله عليه.

ص: 138

1- ص 6 - 10

2- في ص 16

واما ما نسبه الى الكاشفي فلم يكن تفسيره موجوداً عندي حتى ارى صحة هذه النسبة وعدمها .

كلام في الكاشفي وكتاب تفسيره.

الآن الكاشفي لم يعلم انه شيعي أو سني مع كثرة مصنفاته في التفسير و اخلاقه المحسني و انواره السهيلي حتى استدل شيخنا المحدث القمي قدس سره في الكنى و الالقاب على تشييعه بهاتين البيتين :

ذرتي سؤال خليل خدا بخوان *** واز لاينال عهد جواش بكن ادا

گردد توراعيان كه امامت نه لايق است *** آنرا كه بود بيشتتر عمر در خطا

فلو فرضنا تشييعه ايضاً لكفى انه اخفى مذهبه في تلك المصنفات الكثيرة وجرى فيها على مذهب العامة تقيّة أو لغيره من الدواعي فلا يوجب رأيه في ذلك تكثير القول من الشيعة بنزول تلك الايات العتاييه في شأن النبي صلى الله عليه واله

و لصاحب منهج الصادقين كلام في مقدمة تفسيره بالنسبة الى تفسير الكاشفي فنذكر ترجمته هنا بالعربية و نذكر عين عبارته الفارسيه في الهامش (1) قال: - و تفسير الكاشفي وان كان محلّي بجواهر عبارات بليغة و لآلى الفاظ فصيحة لكنه يوافق منهج المخالفين و يخالف مذهب الائمة الصادقين صلوات الله عليهم اجمعين فقي المنظر بالاعتبار بمثابه حيّة مزينة بلون الذهب حيث ان ظاهره مزين بنقوش جميله و باطنه مملوّ من سموم العقائد القاتلة.

انتهى كلام منهج الصادقين.

ص: 139

1- و تفسير كاشفي اگر چه بجواهر عبارات بليغه و لآلى الفاظ فصيحة محلّي بود اما چونكه موافق روش مخالفين و مخالف مذهب ائمه صادقين بود صلوات الله عليهم اجمعين در نظر اعتبار بمثابه مار زرنگار مينمود چه ظاهر آن مزين بود بنقوش جميله و باطنش مملو از سموم عقائد قاتله. (مقدمه منهج الصادقين)

و اما ما جرى صاحب المجمع والشيخ ابي الفتوح قدس سرهما في تفسير هذه الاية (وما عليك الا يزكى) و ما بعدها على ما هو المشهور بين العامة فهذا غير مناف لما اختاره اولاً في شأن النزول فهل يزعم صاحب تفسير نوين ان الشيخين الجليلين الطبرسي و الرازي نسيا ما ذكره في سطور قبله ام رجعا عن قولهما فيما قبل ذلك مع عدم الفاصلة الاسبطور قليلة ... فلا بد ان يقال انهما ما نسيا ولا رجعا بل تمشياً على المشهور بين العامة تقيية او لغير ذلك من الدواعي لئلا يتظاهرا بالاصرار على خلاف المشهور بينهم.

واما ما ذكره من رواية تغير وجه النبي صلى الله عليه و اله عند نزولها و بكائه و تكريمه لابن ام مكتوم (الى اخر ما ذكره عن المنهج)

فهذا كله مما ذكره عن العامة و رواياتهم و ينقله عنهم، ثم يعقبه برده اولاً بما يذكره عن السيد المرتضى قدس سره ، ثم يعقبه برده بادلة اخرى من نفسه ثانياً ثم يقول ثالثاً فالظاهر ان المراد غير النبي صلى الله عليه و اله كما روى عن الصادق عليه السلام بأنها في رجل من بنى امية (الى اخر ما ذكره).

فصاحب تفسير نوين يخالط هنا بين النقليات من المنهج والمجمع بنحو يتراى منه انه من مختارهما كما انه ذكر ذلك بعد العبارة السابقة في جرى صاحب المجمع و ابي الفتوح في نفس اية (وما عليك الا يزكى) على ما هو المشهور بحيث يؤيد بذلك ان صاحب المنهج ايضاً في نقله هذه المنقولات تمايل الى رأى العامة مع انه كما عرفت ليس كذلك بل ذكر ذلك في صدر كلماته في تفسير الآيات و عقبه برده.

فراجع كلام المنهج و ابي الفتوح والمجمع فيما قدمناه و ما فعله صاحب تفسير نوين ليظهر لك ما البسه في طي نقلياته.

وعلى كل حال فهذه من روايات العامة وليس لها اثر في روايات الشيعة و قد تكلمنا لضعف تلك الروايات سنداً مضافاً الى كونها مقطوعة مرسلة على ان فيها شواهد كذب و افتراء متناً و قد سبق بعض الكلام فيها فراجع (1).

ص: 140

واما الرواية المرسله عن الصادق عليه السلام التي ذكرها في المجمع فقد مضى فيها ايضاً بعض الكلام فراجع(1).

«... و بعض آخر من مفسري الشيعة خالفوا نزولها في شأن النبي صلى الله عليه وآله وقالوا ان ذلك لا يناسب اخلاقه الكريمة وفي رأسهم السيد الجليل علم الهدى السيد المرتضى قدس سره وغيره كالتبيان و البرهان و الصافي و النهاوندي. اما اتوا بعين عبارته او بعين استدلاله فلم يأتوا باكثر مما ذكره السيد فنحن نورد عبارة السيد نقلاً عن المجمع...».

ثم ذكر ترجمة عبارة السيد بزعمه نقلاً عن المجمع لكن من دون تمييزين ما عن السيد وبين ما ذكره صاحب المجمع من تأييد كلام السيد باليتين والرواية عن الصادق عليه السلام فزعم ان الجميع للسيد و ان صاحب المجمع ينقله عنه فيقول بعد ذلك، ان الطبرسي بعد نقله قول السيد يقول ان العبوس على الاعمى لو كان صادراً عن النبي صلى الله عليه هل هو معصية اولاً فالجواب... (الى آخر ما يذكره عنه).

مع ان صاحب المجمع لم يأت بعبارة السيد اصلاً وانما ذكر مراده ملخصاً في سطور ثلاثة تقريباً ثم يقول ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه انك لعلى خلق عظيم... الى ان يختم تأييده بالرواية عن الصادق عليه السلام وقبل ذكر الرواية يقول (فالظاهر ان قوله عبس وتولى المراد به غيره فراجع(2) حتى ترى الفرق بين كلام السيد و ما ذكره الشيخ الطبرسي قده و ان صاحب تفسير نوين لم يميز بينهما).

و هكذا ذكرنا عبارة التبيان(3) فراجع ليظهر لك انه لم يأت بما ذكره السيد بل وافقه في المدعى و ذكر ادلة اخرى، فالمدعى لهؤلاء الاكابر من اساطين الشيعة قدس الله ارواحهم واحد واما في طريق الاستدلال فكل جرى على غير ما جرى غيره الآ- في بعض مواد الادلة فراجع(4) و تأمل حتى يظهر لك انه هو قول الشيعة ولم يظهر منهم قول آخر الى زماننا هذا حتى نشأ من هؤلاء هذا القول.

ص: 141

1- ص 36 و ص 37

2- ص 10

3- ص 7

4- من ص ؟ الى ص 27

نعم مثل صاحب تفسير البرهان كصاحب تفسير نور الثقلين حيث ان شأن مؤلفه فيها مجرد نقل الاحاديث وما هو بمنزلتها فلم يزد على ما ذكره علي بن ابراهيم وما ذكره الشيخ الطبرسي من الروايتين عن الصادق عليه السلام.

و من ذلك يظهر ان ما ادعاه صاحب تفسير نوين من ان السيد قده اول من رأى هذا الرأي كلام خال عن التحقيق بل نحن لم نعرف من الشيعة قولاً على خلاف ذلك الا ما عن ابن عباس رضي الله عنه وقد عرفت وهن هذه النسبة، وقد رأيت كلام شيخ الطائفة قدس سره المعاصر للسيد وقد تتلمذ عليه حيث قال في التبيان (و قال قوم ان هذه الآيات نزلت في رجل من بني امية) حيث يعرف منه ان القائل بذلك قوم و جماعة.

و بالجملة فالذي يظهر من كلماتهم كما قدمنا توضيحه اطباق قدماء الشيعة على ذلك و الخلاف انما نشاء من بعض المعاصرين من غير تحقيق حقيق.

و الى هنا ظهر انّ ما تبين لنا من الشيعة ممن صرّح بهذا الرأي، هم: علي بن ابراهيم القمي و السيد المرتضى، و ابو الفتوح الرازي و ابن شهر آشوب، و شخصان علماء من الشيعة في مؤتمر بغداد الحسين بن علي العلوي و السيد جمال الدين في القرن الخامس و السيد ابن طاووس، و صاحب الصافي، و صاحب منهج الصادقين، و الشيخ في التبيان و الطبرسي في المجمع و الشيخ عبد علي الحويزي البحراني معاصر العلامة المجلسي في نور الثقلين، حيث نقل كلام علي بن ابراهيم و الطبرسي المشتمل على كلام السيد و الرواية عن الصادق عليه السلام في انها في رجل من بني أمية ولم يذكر عن المجمع الرواية الأخرى عن الصادق عليه السلام الموهمة خلاف ذلك، فيظهر منه انه على هذا الرأي، و العلامة المجلسي قدس سره حيث يذكر في باب عصمة نبينا صلى الله عليه وآله ما يتعلق بهذه السورة من كلام مجمع البيان ثم كلام السيد المرتضى قدس سره عن تنزيه الانبياء كما قدمناه(1)، ثم يقول بعد ذلك ما لفظه - اقول بعد تسلم نزولها فيه صلى الله عليه وآله كان العتاب على ترك الاولى او المقصود منه ايداء الكفار وقطع اطماعهم عن موافقة النبي صلى الله عليه وآله لهم و ذمهم على تحقير المؤمنين كما مر مراراً(2).

ص: 142

1- ص 6

2- بحارج 17 ص 78.

فيظهر من صاحب البحار انه على رأي الشيخ الطبرسي و السيد المرتضى ثم على فرض التسليم للخصم يجيب عن ذلك باجوبة يدافع بها عن عصمة النبي صلى الله عليه وآله مضافاً الى من بعدهم كالسيد الشبر أو المقاربين لعصرنا كالشيخ البلاغي او المعاصرين كالسيد الاستاذ الطباطبائي صاحب الميزان وغيرهم

ومضافاً الى ما يظهر من كلمات هؤلاء من كثرة القائلين بذلك كما رايت من كلام الشيخ حيث قال (وقال قوم ان هذه الآيات نزلت في رجل من بني امية).

فما يظهر من صاحب تفسير نوين من جده واجتهاده في تقليل القول بذلك وتكثير القول بنزولها في النبي الاعظم صلى الله عليه وآله باطل كسراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجدا الله عنده فوقاه حسابه.

ثم ان مؤلف (تفسير نوين) صار بصدد تخفيف ثقل العتاب في هذه الايات وجعله امراً هيناً لئلا يستوحش عنه المسلم الغيور...».

فذكر كلام الطبرسي في آخر بحثه عن شأن النزول من انه على فرض القول بنزولها في شأن النبي صلى الله عليه وآله لا يلزم منه خروجه صلى الله عليه وآله عن العصمة لان الاعمى لا يتفاوت معه العبوس والابتسام لعدم رؤيته فلا يتأذى، ثم نقل ما ذكره العلامة المجلسي قدس سره بعد نقله كلام السيد المرتضى في تنزيه الانبياء، من انه على فرض تسليم نزولها فيه ص يعد هذا من ترك الاولى او أن المقصود منه ايداء الكفار وقطع رجائهم عن موافقة النبي صلى الله عليه وآله معهم وذلتهم على تحقير المؤمنين. (ثم يقول) ان الشيخ الطوسي مع مخالفته لهذا القسم من شأن النزول (نزولها في النبي ص) يصرح بعد آية (كلاً انها تذكرة) بان هذا على فرض صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله لا يكون معصية ولا يخالف العصمة فعليه فلو ان احداً كان يعتقد كونه صلى الله عليه وآله مخاطباً في تلك الايات لم يتجاسر (العياذ بالله) بساحة قدسه ص و على هذا فنحن نوضح ذلك على قدر فهمنا واطلاعنا وان استلزم التطويل فوق الحد المعمول لكن حيث ان الموضوع له اهمية كثيرة فلا محيص عنه...»

اقول اما ما ذكره عن الطبرسي وغيره من عدم تفاوت الحال للاعمى بين العبوس وعدمه فهذا مما لا محصل له فانه اولاً ، لو لم يتفاوت الحال له فلماذا نزل العتاب بهذه

الشدة. وثانياً، ليس الاشكال في العبوس فقط من حيث ايداء الاعمى و عدمه بل الاشكال يقع ايضاً في أن العبوس للفقر و العمى و التصدي للرؤساء والاعنياء لثروتهم ورياستهم فيما بين المشركين مضافاً الى انه ظلم قبيح عقلاً كما سبق بيانه يدل ايضاً على غاية انحطاط فاعله في نفسانياته و اخلاقه بحيث لا يليق باوساط المسلمين فضلاً المعصوم و فضلاً عن خاتم الانبياء و افضل السفراء صلوات الله عليهم.

واما القول بان ذلك لتنبية الكفار ، او لما يتوهم منه انه كان لفقره او لعماه و امثال ذلك، ففيه اولاً أنها توجيهات باردة تنافي ظواهر الايات ولا سيما مع ما فسره هؤلاء بانه عبس و تولى و اعرض عن الاعمى لعماه و فقره و اقبل الى من استغنى لغناه كما أن الاشارة بالوصف مشعر بالعلية كما لا يخفى على المطلع على المحاوره وقد تقدم ذلك مفصلاً. وثانياً، ان تنبيه الكفار على عدم تحقير فقراء المؤمنين و عميانهم و ضعفائهم او التشديد في عدم تحقير الفقراء و العميان و امثال ذلك من الدلالات الالتزامية واما المدلول المطابقي الصريح فهو العتاب على من عبس و تولى عن الاعمى المسترشد المستهدي لفقره و عماه و اقبل على من استغنى و تصدى له لاستغناؤه ولا يمكن ان يكون المراد المدلول الالتزامي من دون المدلول المطابقي ولا سيما مع عدم القرينة لذلك اصلاً.

و اما التنازل في ذلك على فرض التسليم والقول بانه من باب ترك الاولى كما ارتكبه شيخنا العلامة المجلسي قدس الله نفسه الطاهرة فلا يمكننا المساعدة عليه اذ كما ذكرناه سابقاً هذه الافعال المعاتب عليها في تلك الايات تدل على غاية خسة فاعلها بحيث لا يليق بشأن اوساط المؤمنين فضلاً عن عدولهم و اكابرهم و فضلاً عن المعصوم و فضلاً عن خاتم الانبياء و اشرف السفراء و افضل اولي الغرم من الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذا ترى ان السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه الطاهرة لا يتنازل الى ذلك الى آخر كلماته فيقول قده - ونحن و ان شككنا في عين من نزلت فيه فلا ينبغي ان نشك الى أنها لم يعن بها النبي صلى الله عليه وآله و اي تنفير ابلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلهي عنهم و الاقبال على الاعنياء و الكافرين و التصدي لهم، وقد نزه الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله عما هو دون هذا التنفير بكثير انتهى وأما ما نسبته الى الشيخ الطوسي قدس سره - من انه على فرض صدوره عنه ص

لم يكن معصية. فهذه تهمة على الشيخ قده بل الشيخ قدس سره ينقل ذلك عن قائل مجهول وهذه عبارته - وقيل ان قوله كلاً دال على انه ليس له ان يفعل ذلك فيما يستأنف فاما الماضي فلم يدل على انه معصية لانه لم يتقدم النهي عنه. انتهى، مضافاً الى ان هذا القائل الذي ينقل عنه الشيخ ايضاً لم يقل بانه على فرض صدوره عنه لم يكن معصية بل يريد الدفاع عنه ص بنحو آخر وهو انه حين الصدور حيث لم يرد عليه نهى فلم تكن معصية فمن الآن لو صدر عنه تصير معصيته للنهي عنه ولذا قال تعالى بعد ذلك - كلا - ردعاً على تكرارها وقد سبق ذكر هذا القول ايضاً والجواب عنه ص 63 و 64 و نبه عليه سيدنا الاستاد العلامة الطباطبائي قدس الله روحه(1).

ثم بعد ذلك يبحث عن العصمة وانها لا تنافي القدر على المعصية ويقول

«... ليس معنى العصمة ان النبي او الولي غير قادر على المعصية بل كما يظهر من صريح الايات وتصريح العلماء ويدل عليه لفظ المعصوم لغةً أنها بمعنى المحفوظية والممنوعة عن ارتكاب المعصية فالعبد اذا شمله من الله لطفه وعنايته الخاصة يجعله في حمايته حتى اذا اجتمعت له شرائط المعصية و مقتضياتها يكون موقفاً لكف نفسه عنها ا وحفظها ولو اراد ذلك اشتبهاً اخرجها عن الاشتباه وينبئه على الحقيقة وامتياز المعصوم عن غيره انه يليق ويستحق ذلك من الله تعالى بخلاف غيره حيث ان الحكيم لا يفعل عبثاً ولا يمنع لطفه عن غيره بلا علة و سبب ولا يتصور في ساحة قدسه ظلم او بخل.

ثم ينقل عن الشيخ المفيد، انه يقول: ان العصمة من الله تعالى لحججه (الانبياء والائمة) هي التوفيق واللفظ وبهما يكون المعصوم محفوظاً في الدين عن المعصية والخطأ و هي تفضل من ربهم بالنسبة الى من يتمسك بعصمته وقبوله من المعصوم المعتصم والعصمة غير مانع عن القدرة على المعصية ولا تلجأه على المعروف وفعل الحسن.

ثم الشيخ (المفيد) يعقب المطلب بعد استدلاله بآيات من القرآن ويشرح ان الله كان يعلم ان سائر المكلفين لم يكونوا لائقين بهذا اللطف والا لشملهم.

ص: 145

ثم يقول ان السيد المرتضى قدس سره فصل الكلام في هذا المعنى في كتابه الغرر والدرر ووضح هذا المعنى.

والمحقق الطوسي قال في التجريد - العصمة لا تنافي القدرة -

والعلامة في شرحه يفصل القول في شرح كلام المصنف ويقول ان العصمة لطف من الله وهو لاسباب اربعة، (ثم يقتصر صاحب تفسير نوين على ذكر رابعها).

فابعها هو مواخذته على ترك الاولى بحيث يعلم انه لم يترك مهماً بل يضيق عليه الامر حتى في غير الواجب ايضاً من الامور الحسنة ، ثم في آخره يقول (العلامة) العصمة لا تنافي القدرة بل المعصوم قادر على فعل المعصية والا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب ولبطل الثواب والعقاب في حقه ...»

ثم يقول (صاحب تفسير نوين) فعلى هذا فاعتقاد الشيعة في العصمة ان الله تعالى بلطفه وعنايته الخاصة يمنع الانبياء والائمة عن فعل الحرام وترك الواجب ويحفظهم ولكن ترك الاولى يمكن صدوره عنهم وعليه فلا يلزمنا تأويل ما يدل على ترك الاولى من الآيات سواء كان بنحو العتاب ام بغيره ليفتح باب التأويل للمعرضين والمبتدعين وبعد ان تبين معني العصمة فلا نحتاج في جواز ترك الاولى بالاستشهاد بكلام ولكن تأكيداً لذلك ننقل قول اكبر مدافع عن عصمة الانبياء وهو السيد المرتضى في تنزيه الانبياء في قوله تعالى عفى الله عنك حيث يقول - وقد بينا ان ترك الاولى ليس بذنب... فان الانبياء يجوز أن يتركوا كثيراً من النوافل - باب العصمة من البحار بنقله عن تنزيه الانبياء...».

اقول اما قوله ان العصمة لا تنافي القدرة على المعصية.. وتطويله الكلام في ذلك فهذا اجنبي عن مبحثا بالكلية، فان القدرة لا يستلزم حصول المعصية ولا- ارادتها من النبي صلى الله عليه وآله ليعلم انه قادر عليها، والا لخرج عن العصمة، بل القدرة معناها وجود وسائل المعصية و ادواتها لدية مما يرجع الى النفس والبدن بحيث لو ارادها مع قطع النظر عن العصمة لا يستحيل وقوعها منه واما مع العصمة فمحال ارادتها ووقوعها من باب الضرورة بشرط المحمول

ثم لا يخفى ان مانسبه الى العلامة قدس سره مما نقلناه عنه خلاف ما في شرح التجريد فانّ ذلك قول بعض آخر ينقله العلامة بقوله - و آخرون قالوا... الخ ولم يشر الى

قبوله هذا القول اصلاً، فراجع شرح التجريد في مبحث الامامة، وهذا ايضاً مما يوجب سوء الظن بما ينقله في (تفسير نوين عن الاعظم.

كلام السيد المرتضى في تنزيه الانبياء

واما ما نقله عن السيد المرتضى قده بواسطة البحار في عصمة نبينا صلى الله عليه وآله فنحن نذكره عن تنزيه الانبياء وهذه عبارته.

الجواب قلنا: اما قوله تعالى (عفى الله عنك) فليس يقتضي وقوع معصية ولا غفران عقاب ولا يمنع ان يكون المقصود به التعظيم والملاطفة في المخاطبة لان احدنا قد يقول لغيره اذا خاطبه ارايت رحمك الله وغفر الله لك ، وهو لا يقصد الاستصفاح له عن عقاب ذنوبه بل ربما لم يخطر بباله ان له ذنباً وانما الغرض الاجمال في المخاطبة واستعمال ما قد صار في العادة علماً على تعظيم المخاطب وتوقيره، و اما قوله تعالى (لم اذنت لهم) فظاهره الاستفهام والمراد به التقرير واستخراج ذكر علة اذنه وليس بواجب حمل ذلك على العتاب لان احدنا قد يقول لغيره لم فعلت كذا وكذا تارة معاتباً واخرى مستفهماً وتارة مقررأً فليس هذه اللفظة خاصة للعتاب والانكار، واكثر ما يقضيه وغاية ما يمكن ان يدعي فيها ان تكون دالة على انه صلى الله عليه وآله ترك الاولى والافضل وقد بينا ان ترك الاولى ليس بذنب وان كان الثواب ينقص معه فان الانبياء عليهم السلام يجوز ان يتركوا كثيراً من النوافل وقد يقول احدنا لغيره اذا ترك الندب لم تركت الافضل ولم عدلت عن الاولى ولا يقتضي ذلك انكاراً ولا قبيحاً تنزيه الانبياء(1).

كلام السيد المرتضى في الغرر والدرر

وقال في الغرر والدرر ما لفظه - ما ورد في القرآن من معاتبات الرسول عليه السلام

ص: 147

مع عصمته وطهارته وكونه الحجة على الخلق اجمعين.

الجواب: انه اذا ثبت بالدليل عصمة الانبياء عليهم السلام فكل ما ورد في القرآن مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضي وقوع الخطأ منهم فلا بد من صرف الكلام عن ظاهره وحمله على ما يليق بادلة العقول، لان الكلام يدخله الحقيقة والمجاز، و يعدل المتكلم به عن ظاهره، و ادلة العقول لا يصح فيها ذلك الا ترى ان القرآن قد ورد بما لا يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال كقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)(1)، وقوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)(2)، ولا بد مع وضوح الادلة على ان الله تعالى ليس بجسم واستحالة الانتقال عليه الذي لا يجوز الا على الاجسام من تأويل هذه الظواهر والعدول عما يقتضيه صريح الفاظها قرب التأويل او بعد))))))

))))))ولو جهلنا العلم بالتأويل جملة لم يضر ذلك مع التمسك بالادلة وكان غاية ما فيه الا نعلم قصد المتكلم بما اطلقه من كلامه ونعلم اذا كان حكيماً ان له غرضاً صحيحاً

))))))على ان ظواهر الآيات التي خوطب بها النبي عليه السلام مما ظاهره كالعتاب منها المقصود به امته والخطاب يتوجه اليه ولهذا روى عن ابن عباس انه قال نزل القرآن باياك اعني واسمعي يا جارة، ويشهد بذلك قوله تعالى: (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء النساء)(3) فخاطب النبي عليه السلام والمراد بذلك جميع الأمة))))))

))))))ومنها ما يظن انه عتاب وليس كذلك بل هو تعليم وتأديب ولا محالة ان تأديب النبي عليه السلام كان صادراً عن الله تعالى.

ثم يذكر جملة من الآيات كقوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه)(4). وقوله (ما كان لنبي ان يكون له اسرى)(5) - الى ان يقول:

فاما قوله تعالى (عفى الله عنك لم اذنت لهم) - فليس يقتضي معصيته وذلك

ص: 148

1- الفجر ، 22

2- البقرة ، 210

3- الطلاق 1

4- الاحزاب 37

5- الانفال 67

ان المقصد في الغالب بمثل هذا الخطاب التعظيم للمخاطب واستيضاح ما عنده فيما فعله الا ترى ان الواحد منا يقول لغيره لم كان كذا وكذا رحمك الله وغفر لك وهو لا يقصد الا الملاطفة له وحسن المحاورة ولا يقصد الاستصفاح له عن زلة وانما الغرض الاجمال في الخطاب وقد صار ذلك عرفاً بين الناس والمقصد به التوقير والاجلال.

فاما قوله (لم اذنت لهم) فليس يجب حمله على العتاب لان هذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة بل قد يطلق ويراد به الاستفهام وتارة يراد بها التقرير وتارة العتاب وهي محتملة لجميع المذكور فلم نحملها في حق النبي عليه السلام على العتاب دون بقية الاقسام وغاية ما في ذلك حمله على ترك الاولى حسب ما تقدم في الآيات واستقصاء ذلك وذكر ما في الآيات يطول. (1)

وما احسن كلام السيد قدس سره وما امتنه حيث يجعل الكلام هنا من الدوران بين الادلة القاطعة العقلية والنقلية مما لا يمكن التصرف فيها بتخصيص او تقييد وبين ظواهر الالفاظ والاقوال لو سلم لها ظهور وحيث دلنا الدليل القاطع على عصمة الانبياء عموماً ونبينا خصوصاً صلوات الله عليهم فلا محيص عن التصرف في دلالة الالفاظ والاقوال وبعبارة اخرى ان الدليل العقلي والنقلي القطعي يكون قرينة يتكى بها المتكلم لارادة خلاف ظواهر كلامه ويتمسك بها المستمع في صرف كلامه عن ظاهره صوتاً لكلام الحكيم عن ارادته خلاف المقطوع به من الادلة العقلية والنقلية.

على انه قدس الله روحه ذكر ان العتاب احد المحتملات من الكلام لو سلمنا امكان الدلالة عليه فكيف يصار اليه.

ثم انه قد سبق انا ذكرنا ان العتاب في آيات سورة عبس مشتمل بما لا يمكن حصوله عن اوساط المؤمنين فضلاً عن اكابهم وفضلاً عن المعصوم وفوقهم اشرف السفراء وخاتم الانبياء صلوات الله عليهم وهو التلهي عن الاعمى لفقره وعماه وهو يسعى الى الاسلام والحق وهو يخشى ، والتصدي لمن استغنى لغناؤه واستغنائه وهذا ظلم قبيح في حق المؤمن من جهة و من جهة اخرى يدل على ان ملاك التفاضل في نظر من

ص: 149

عبس تلك المظاهر الدنيوية وهذا لا يليق بشأن مؤمن صادق فضلاً عن الرسول المصطفى المنتجب المنتخب من الله سبحانه.

وأنت ترى ان السيد قدس سره لم يلتزم بورود عتاب في حقه ص وما يوهم ذلك يلتزم بتأويله لما يرى من مخالفته الادلة العقلية على عصمته ص ويقول لابد من تأويل تلك الآيات ويجعل غاية الاقتراح هو الحمل على فعل ما غيره اولى منه مضافاً الى ان الآيات التي يذكرها ليس فيها عتاب صريح بخلاف آيات سورة عبس فانها صريح في العتاب على امور قبيحة عقلاً فضلاً عن الشرع كما سبق ولذا لم يذكرها السيد قدس في زمرة تلك الآيات بل تعرض لها في كتابه تنزيه الانبياء واصر على انها في غير النبي صلى الله عليه وآله من دون تأويل وحمل على ترك الاولى، فما ادري لأي علة اخذ (صاحب تفسير نوين) بهذا الكلام من السيد قدس من مقام آخر وادرجه في خلال هذا المبحث.

وبالجمله ففي نقليات المؤلف تلبس وخلط في اكثر الموارد التي راجعنا فيها الاصل المنقول عنه بحيث يردفها حسب ما يريد الاستنتاج منها على مقصوده من دون رعاية للامانة في النقل ومن دون رعاية لحق النبي الاعظم صلى الله عليه وآله على كل انسان فضلاً عن المسلمين وان اقل ما لابد من رعايته ان يتأمل ويتدبر في ان ما نسب اليه مما لا يليق به أحق ام كذب وافتراء.

وقد ظهر ان العبوس والتولي والاعراض والتلهي عن الاعمى الذي يستهدي ويسعى وهو يخشى لفقره و عماء، والتصدي والاقبال الى الاغنياء والاشراف وهم ممن يستغنى سواء عوتب عليه ام لا لا يليق بساحة قداسة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله فليس الاشكال العويص عنوان العتاب فقط ليرى المؤلف (صاحب تفسير نوين) ان العتاب لا بأس به ويستشهد بكلام من الشيخ او المحدث الفيض قدس سرهما في بعض الموارد ذكراً ذلك لو سلمناه بهذا المعنى.

وقد بسط (المؤلف) القول في ذلك طويلاً بما لا يرجع الى محصل ونحن لا نرى لتعرضه كثير فائدة مضافاً الى ان العتاب لا يصح الا مع نقص في المعاتب عليه ولا يمكن ذلك في المعصوم بعد وفور الادلة في عصمته.

ثم ذكر فصلاً في فوائد العتابات في القرآن

1 - خلاصته ان اشقى الشقاء واخسر الخسران بالنسبة الى كل احد ان يكله الله الى نفسه و يسقطه عن عين رعايته ، و العتاب يدل على كمال رعاية الله سبحانه للمعاتب عليه فيدل العتاب في تلك الآيات على كمال لطفه و رعايته و رحمته بالنسبة اليه صلى الله عليه وآله...

اقول العتاب كما يدل على ان الله تعالى لم يسقطه من عين رعايته يدل ايضاً على قبح ما عوتب عليه و نقص فاعله ، و انه صار حقيقاً بالملامة و العتاب و هذا غير لايق بمقام النبي و عصمته صلى الله عليه واله .

«2... - حاصله ان ذلك يوجب ان يتنبه النبي صلى الله عليه وآله من انه تحت المراقبة الشديدة من الله تعالى و هذا يوجب شدة موظبته على ترك المعاصي كما ذكره العلامة في العبارة المتقدمة ، من ان ذلك من الاسباب القوية للعصمة .

اقول معرفته بالله بالمرتبة الكاملة مع قداسته و طهارته يكفي في عصمته بعد ان طهره الله تطهيراً ، ولا يحتاج الى العتاب ليواظب على نفسه اشد المواظبة فالمعصوم لا يرى شيئاً الا ويرى الله قبله و معه و بعده ولا يرى الخلق الا ظلالاً لوجوده و قدرته و عظمته و اسمائه ولا ينسي ولا يغفل عن ذكر الله ، فكيف يتصور فيه المعصية. و عن امير المؤمنين صلوات الله عليه انه كان يقول «الهي ما اطعتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك بل وجدتك اهلاً للعبادة» فهل يحتاج امثالهم الى التخويف او التطميع او العتاب في المشي على الصراط المستقيم فالعمدة في ذلك معرفتهم و معرفة مقام عصمتهم و ما خصهم الله تعالى به حيث خلقهم الله انواراً و جعلهم بعرشه محققين حتى من علينا بهم فجعلهم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فلا ظلمة فيهم حتى يحتاجوا الى العتاب في مشيهم سويماً على الصراط المستقيم.

على انك عرفت ان نسبة ذلك الى العلامة قدس سره في شرح التجريد في غير محله بل العلامة نقل ذلك قولاً عن غيره ولم يشر الى اختياره فراجع شرح التجريد في مبحث الامامة و عصمته.

«3... - خلاصته ان الطباع البشرية على طرفي الافراط والتفريط الآ اليسير منهم من يمشي سويماً على صراط مستقيم ولذا يذكر الناس اساطير في حق كبرائهم ، حتى صدر

الغلو من جماعة من الشيعة بالنسبة الى اميرالمؤمنين و الامام الصادق عليهما السلام واما النبي صلى الله عليه وآله فما غلوا فيه اصلاً وعدم الغلق بالنسبة اليه له موجبات اهمها ما ورد من العتاب في حقه في القرآن

اقول على راي المؤلف (صاحب تفسير نوين) كان يلزم على الله سبحانه (العياذ بالله) ان يعاتب عليا وصادقاً صلوات الله عليهما لثلا يقع الشيعة في الغلق بالنسبة اليهما فهذا من غرائب القول في هذا الباب.

و الغلو بالنسبة الى الانبياء و الائمة عليهم السلام انما نشأ من نقص الأمة و اتباعهم في معرفتهم و هذا يعالج باشياء عمدتها الارشاد في بيان الحقيقة في معرفة شخصية النبي و الائمة عليهم السلام ، لا العتاب جزافاً في حقهم ، و هذا هو الذي ورد في القرآن بالنسبة الى النصرى و نبيه عيسى بن مريم عليهما السلام ، قال تعالى (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه منه ، فامنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات والارض وكفى بالله وكياً) (1)

وانت ترى ان الله سبحانه في القرآن لم يأت بما استحسنته هذا المؤلف من العتاب على المسيح عليه السلام و انما بين الحق للنصارى مما عليه المسيح فضلاً و منقبة و سودداً من كونه رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه من دون تنقيص لمقامه الشريف و عتابه .

(...4 - حاصله ان هذه العتابات تؤثر في تهذيب اخلاق المسلمين وتربيتهم حيث انهم اذا رآوا ان الله تعالى يضيق على نبيه ص مع محبوبيته وعظمته فكيف حال الأمة ثم استشهد بكلام للطبرسي قدس سره في تفسير قوله تعالى (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) (2)، أنه قال وانما افرد بالخطاب ليعلم ان عظيم الشأن اذا اوعد فكيف حال من هو دونه و اذا أحذر فغيره اولى منه بالتحذير ...».

اقول: التحذير شيء ، و العتاب على امر واقع شيء آخر ، فان التحذير للحد عن

ص: 152

1- النساء 171.

2- الشعراء 213.

شيء عظيم الخطر لو وقع فيه ، و اما العتاب فهو على امر قبيح وقع من المعاتب عليه وهذا لا يليق بشأن النبي الخاتم المعصوم صلى الله عليه وآله.

على ان الشيخ قدس سره في التبيان في تفسير هذه الآية هكذا يقول - ثم نهى نبيه ص و المراد به المكلفين فقال ولا تدع ... و تقديره انك ان دعوت معه الهاً آخر كنت من المعذبين انتهى . و على كل حال ان العتاب ان كان لصدور قبيح (العياذ بالله) من النبي صلى الله عليه وآله فهذا مقطوع بعدم لمنافاته للدلالة القطعية على طهارته وعصمته وان كان بنحو الجفاف لمجرد تهذيب المسلمين في اعمالهم و اخلاقهم فهذا و ان كان ربما يصدر من الحكام والسلاطين الظلمة لاعلام الرعية بطشهم في تشديد امرهم، الا انه من الله سبحانه و تعالى مخالف لعدله و حكمته و قدرته و رأفته و رحمته فلا يمكن صدوره منه ولا سيما بالنسبة الى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وكان فضل الله عليه كبيراً . و بالجملة ان كان العتاب في محله فمضافاً الى مناهمه لمقام النبي صلى الله عليه وآله فلا يحتاج الى فائدة اخرى عائدة الى المسلمين في تهذيب اخلاقهم و ان لم يكن في محله فصدوره من الله تعالى قبيح .

و هذا بخلاف التحذير فإنه غير مستلزم لتقص في المحذور بل انما هو لظهار الخطر في المحذور عنه . و لعله لا بأس بتحذير من هو معصوم عن الوقوع فيه لاعلام عظمة خطره بالنسبة الى سائر المكلفين ، لما ذكره الشيخ الطبرسي قدس سره يعني بداعي تشديد الامر ليعلم المسلمون ان عظيم الشأن اذا اوعد فكيف حال غيره ، او من قبيل اياك اعني واسمعي يا جارة وعلى كل حال فهذا لا ربط له بالعتاب على اعمال قبيحة تنيء عن صفات ذميمة فاجراء كلام الشيخ الطبرسي من آية التحذير الى ما نحن فيه قياس مع الفارق .

(... 5 - و من فوائد تلك العتابات التنبيه على تبعد النبي صلى الله عليه وآله المعاصي طراً وان اكبر ذنب صدر عنه امثال هذه الاشياء التي صدرت عنه في سبيل اهدافه السامية حين الدعوه الى الاسلام و تبليغ الدين و تكثير جمعية المسلمين سيما من ذوي الجاه والثروة والرياسة بين الناس فلذا اعرض عن الفقير الاعمى الذي يحتمل ان يمنع ملابسه الخرقه البالية واعماله الشذوذية عن تأثير كلام النبي صلى الله عليه وآله في نفوس هؤلاء الاشراف و مثل ما أجازه لعدة من المنافقين لترك الخروج الى الجهاد . و مثل

تحريمه شرب العسل او المضاجعة مع المارية القبطية الى شهر، الى غير ذلك مما هو من هذا القبيل، فعوتب على امثال ذلك.

حتى ان بعض المفسرين قال ان اشد العتاب ما في اول سورة التحريم (يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك) فمن هذه الآيات يعلم شدة مراقبته لنفسه وتركه المعاصي والاعمال السيئة، وفي القرآن الكريم قد تكرر نسبة الذنب والعصيان والغواية الى الانبياء ومنه ما نسبته الى نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله بتعبير الذنب و امره بالاستغفار و المفسرون ذكروا لذلك توجيهات من كون النظر الى الامة و معصيتهم و ان الخطاب اليه من قبيل اياك اعني و اسمعي يا جارة كما عن الصادق عليه السلام من ان القرآن نزل على هذا الوجه، لكن في قوله تعالى (واستغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات) حيث لا تستقيم تلك المحامل فلا بد ان يحمل على ترك ما هو اولي فعله فان (حسنات الابرار سيئات المقربين) و ان الله سمى هنا ترك المندوب ذنباً فانه لم يكن يرتكب ذنباً الا مثل ذلك و لعظمته و جلالة قدره و منزلته قد سمى ذنباً ما لو فعله غيره لكان مباحاً .

... فيعلم من ذلك انه(صلى الله عليه وآله وسلم)على اي الاعمال كان يعاتب عليه فلو صدر عنه ما هو اكبر منه لنزل العتاب باعظم من ذلك وحيث لم ينزل فيعلم انه لم يفعل الا هذه الاشياء المذكورة...»

اقول العتاب على ما ذكرنا غير مرة انما يتوجه الى امر قبح صدره منه و هو غير لائق بمقام العصمة و الطهارة و لذا ترى ان العلماء و المفسرين يتصدون للدفاع عن ذلك بالنسبة الى الانبياء عليهم السلام فيما ظاهره ذلك او مما يوهمه، و هذا هو الذي حمل السيد المرتضى قدس الله نفسه لتأليفه كتابه تنزيه الانبياء، على انه قد سبق كراراً ان آيات سورة عبس لم تكتف على مجرد العتاب حتى اشارت الى علتها من افعال يقبح صدورها عن مسلم فضلاً عن النبي ص. و سيرة النبي صلى الله عليه وآله في الخلوة و العلانية سراً و حضراً وصلت اليها بالاخبار المتواترة من جهة حرص المسلمين و علاقتهم بنقلها و ضبطها و التوجه اليها و هي تدل على كمال نزاهته و قداسته حتى صدقه في ذلك اعدائه من سائر الأمم كاليهود و النصرارى و قد كتبوا في ذلك اشياء كثيرة يبتهج منه المسلم من

غير أن يحتاج في ذلك الى امثال ما ذكره هذا المؤلف وقد تنبه وذكر كثيراً منها هذا المؤلف في مقدمات كتابه .

ثم أنه قد ذكرنا ان ما اشير اليه في تلك الآيات من معاملة الاعمى بالتولي والتلهي والاعراض عنه لفقره وعماه والاقبال الى الاثرياً والرؤساء لثروتهم ورياستهم لم يكن امراً هيناً من مسلم فضلاً عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله ليقال ان العتاب يفيد ان اعظم ذنونه امثال ذلك وليس بعظيم لابل هو امر عظيم قبيح و لذلك تعرض لتزيهه عنه في تنزيه الانبياء.

نعم هو امر قبيح ولم يكن فاعله النبي صلى الله عليه وآله والمؤلف (صاحب تفسير نوين) لا يهينه ليراه هيناً بل ليسهل حمله على النبي صلى الله عليه وآله ويدافع به عن رجل من بني امية او عثمان بن عفان ففي موضع يهينه ويخففه وفي موضع آخر يكبره. ونحن نرى ان عصمة النبي ص وعظمته وسيرته ومشيه يدفع عنه ذلك. و من ناحية اخرى نفس السورة بعد التدبر فيها والتعمق في آياتها من اولها الى آخرها ايضاً يدافع عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، وتبين ان المعاتب عليه غيره وانه صلى الله عليه وآله من السفرة الكرام البررة، وسيأتي انشاء الله تعالى.

من العمل يعلم ان هذا لا يقاس بالموارد التي ذكره من نسبه الذنب والعصيان والغواية وامثاله الى الانبياء او الذنب مع الاستغفار بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وآله، فان الامر في اطلاق هذه الالفاظ الى الانبياء سهل بعد ان لم يذكر لها سبباً قبيحاً غير لايق بهم. اما لما ذكره من ان حسنات الابرار سيئات المقربين او لغير ذلك مما ذكره العلماء في كتبهم المعدة لذلك واما في المقام فغير قابل لتلك المحامل بعد أن اشير الى الفعل المعاتب عليه والصفة التي كان عليها فاعله وحيث ان التعرض لكل واحد من تلك الموارد المشار اليها يوجب الخروج عن وضع هذه الرسالة فلا بد من ان نحيله الى محله المناسب. نعم ما نسب المؤلف (صاحب تفسير نوين) الى السيد المرتضى قدس سره في تنزيه الانبياء فيه خلط و تلبس وتدليس فان السيد قد ذكر ذلك عن غيره واجاب عنه ثم اختار وجهاً آخر، ولست ادري كيف نسب ذلك الى السيد قدس سره فانه بعد ما يذكر السؤال عن الآية يقول ما لفظه - الجواب - قلنا اما من نفي عنه ص صغائر الذنوب مضافا الى

كباثرها فله عن هذه الآية اجوبة نحن نذكرها ونبين صحيحها عن سقيمها منها ... الى ان يقول و منها أنه سمي ترك الندب ذنباً... الى ان يقول و هذا الوجه يضعفه على بعد هذه التسمية أنه لا يكون معنى لقوله اني اغفر ذنبك ولا وجه في معنى الغفران يليق بالعدول الى الندب (الى ان يقول) وقد كنا ذكرنا في هذه الآية وجهاً اخترناه و هو اشبه بالظاهر مما تقدم ... وحاصل ما يذكره على مختاره ان المراد من الغفران الازالة و ذنبك مصدر اضيف الى المفعول و فاعله المشركون و المراد منه هو صدهم و منعهم اياه عن مكة و المسجد الحرام، و هذا المعنى هو الذي يليق ان يترتب على فتح مكة لا- الوجوه السابقة فيصير المعنى انا فتحنا لك فتح مكة ليزيل عنك الذنب الذي اذنبه المشركون في حقتك من منعهم اياك دخول مكة و صدهم اياك فان المصدر كما يضاف الى الفاعل يضاف الى المفعول ايضاً كما هو محرر هو محرر في محله. انتهى مع اختصار في بعضها(1).

وقد سبق الشرح والتفسير لهذه الآية في كلام شيخنا العلامة البلاغي فراجع(2).

ثم ان آيات سورة التحريم وغيرها مما جعلها المؤلف (صاحب تفسير نوين) مشتملة على العتاب ليس كما ذكره، بل لكل منها بيان وجواب لا يسع المجال لذكره و لعل الله تعالى يوفقنا لتفسير تلك الآيات في محل آخر و الجواب عما ذكره هذا المؤلف وغيره - على انه لو فرض تسميته ذلك عتاباً فهو على تركه المباح اعني ما احل الله له لا على امر قبيح عقلاً و شرعاً كما في آيات سورة عبس.

«...6 - هذه العتابات تدل على ان القرآن لم ينشأ من افكار الرسول ص و ليس من مختلقات البشر، اذ كما ذكرنا قبلاً لا يسعى احد في فضاحة نفسه و ابداء مكنوناته و افشاء ضمائره ليعاتب عليه في الملاء العام فهذه العتابات لم يصدر الا من الله سبحانه قطعاً لعدم امكان فرض شق ثالث له، اذ لم يقل احد أن القرآن ليس من الله ولا من محمد صلى الله عليه وآله ..

و اذا نظرنا الى الوحي المفترى من البشر كالبيان لعلي محمد الباب نرى فيه من تركيبته لنفسه و مدحه لشخصه الى ان يوصله الى مقام الالوهية من دون طعن و قدح فيه

ص: 156

1- تنزية الانبياء ص 147 - 150.

2- ص 24

فمن ذلك نعرف ما يتميز به القرآن عن غيره وأنه حق ووحى الهى بما تضمن من امثال تلك العتبات كما ذكر ذلك انكليزي...».

اقول ان مقام النبوة والسفارة الالهية اجل واعظم من ان يثبت بهذه الامور التافهة مما يتمكن كل سياسي حيال مكار ان يتوسل بها للنيل الى اثبات دعاويه وليس هذا امراً مستحيلاً من غير الله وغير المنصوب من الله حتى يستدل به على اثبات النبوة وانه سفير الله تعالى، فكم يتواضعون ابناء الدنيا غدرًا ومكرًا وحيلة للسيطرة على الناس والاستكبار في الارض ويقولون اقبلونى اقبلونى ولست انا خيرا منكم وانما انا كاحدكم ان عثرت نهبوني او ان اعوجت اقيمونى و امثال ذلك و يستدلون الجهال بذلك على كمال تواضعهم و تذللهم لله سبحانه مع أنه غدر و مكر و رياء و ما استكانوا لربهم و لم يخضعوا لاحكامه و بذلك يستديمون على ظلم العباد و ضغط اولياء الله و لكن اكثر الناس لا يعلمون و عدم توجه امثال ميرزا على محمد الباب الى ذلك و عدم استنتاجه من تلك الحيل لا يدل الا على قلة سياسته الشيطانية فى هذه الجهة و الا فمن سبقه من الضالين المضلين قد عمل بها و به اخمد و اطفأ انوارا من اولياء الله و عاش تحتها سنين متمادية.

على ان نسبة صدور ما عوتب عليه فى تلك الايات اليه صلى الله عليه و اله و حاشاها و نعوذ بالله منها على عدم لياقة المنسوب اليه للسفارة عن الله سبحانه ادل و اوفق لدلالاتها على انه كان عاكفًا على مظاهر الدنيا و زخرفها فيشتمز من الشيخ الاعمى الفقير سيما اذا قبح و اسود وجهه و يترجج عنده ذوو الثروة و الجاه و الشرف عند ابناء الدنيا و لم يكن له شرح صدر يقدر حتى على اخفاء ضمائره السيئة بحيث يتظاهر بذلك فى مجلس الدعوة الى الاسلام و الى المساواة و الى العدالة الحققة و يتغاير و يتضاد اقواله اعماله و افكاره و روحياته حتى يواخذ الله عليه و يعاتبه و يقول (اما من استغنى فانت له تصدى) فانت تتمايل الى الغنى و الثروة، فكلمة (استغنى) بما فيها من مادة الغنى تدل على انه صار علة لاقباله اليه كما ان فيما قبلها تدل على ان العمى و الفقر صار سببا للاعراض عن الاعمى الذى يسعى و هو يخشى اما العمى فلدلالة كلمة الاعمى و اما الفقر فللمقابلة بينه و بين من استغنى و بالجملة فاوساط المؤمنين لم يكونوا بهذه

الخشة والدنائة، فكيف ينسب ذلك الى من اصطفاه الله تعالى واختاره من جميع البشر من لدن آدم الى زمانه بل الى انقضاء الدنيا فجعله خاتم الانبياء صلى الله عليه و اله و سلم.

و اما ما تمسك به المؤلف من قول انجليزى فى ذلك وانه قال بهذه العتابات تبين انه وحى الهى اكثر تبيناً.

فلا يخفى اولاً ان الابتهاج بقول انجليزى ان دل على شىء فانما يدل على المغلووية الروحية و الفكرية من المستعمرين الذين تسيطروا على الافكار و الاموال فى الممالك المستضعفة ولا ينبغى لمسلم فضلاً عن المتفكرين و الكتاب و الفضلاء منهم ان يخضعوا لما يترأى من المستعمرين ولو قالوا بحق فانهم لا يؤمن من مكرهم و خدعهم فى جميع الحالات و فى جميع مظاهرهم - فانهم الذين يقولون - (آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار و اكفروا آخره لعلهم يرجعون -- ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) (1)، وقد عرفت فيما سبق نقله عن العلامة البلاغى قدس سره ما ناقشه بعض هولاء من اهل الكتاب على هذه السورة و ما نالوا فيها على نبينا صلى الله عليه و اله و ما اجابه العلامة البلاغى فراجع (2) وثانياً ان المؤلف (صاحب تفسير نوين) يسعى فى توجيه العتاب الى النبي صلى الله عليه و اله و يزعم أنه يفيد شيئين احدهما التقريب بين الشيعة و اهل التسنن ليستوجبوا وحدة فى قبال اعدائهم من الكفار كما يظهر منه فى ص 61 و ص 62 و غيرهما من الموارد و ثانيهما الاستمداد فى تقوية الاسلام عن كتاب الممالك المستعمرة لجلب انظار الطلاب فى الجوامع العلمية كما يظهر من تمسكه بكلماتهم و اغتراره بها.

ولكن التقريب و ايجاد الوحدة ليس معناه ضغط الحقائق المعتقد بها من الجانبين فانه امر غير ممكن الا أن ينتحل احد الفريقين الى المذهب الآخر؟ بل معناه رفع التباض و العداوة و الحميات الجاهلية بين الفرق الاسلامية بعد اتحادهم فى الاسلام اصولاً و فروعاً و عدم وجود ما يوجب العداوة بينهم فان التفرقة بينهم و ايجاد الشحاء

ص: 158

1- ال عمران 72

2- ص 19 الى 22

فيهم انما كان بايدي اعدائهم من كفرة اهل الكتاب الذي كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفئها الله ويسعون في الارض فساداً - واما تفسير الايات وكشف الحقائق الاسلامية فلا بد فيه من اتباع الادلة الصحيحة وكشف الواقعيات من صحاح الادلة ويرتضي ذلك كل انسان حي حرّ له حرية ادراكية مستقلة لم يكن همج الرعاء واتباع كل ناعق فان النيل الى الحقائق هو امل كل طالب علم.

ثم يقول المؤلف (صاحب تفسير نوين) ما ترجمته مع اختصار:

«... ثم انا نرجع الى ما كنا فيه من آيات اول سورة عبس وقبل ذلك لا بد ان يتوجه الى ان النبي الاكرم ص كان حريصاً على ايمان قومه وكان يتحمل في ذلك التعب الشديد سيما من الاغنياء والاقوياء وقد ذكرنا قبلاً ان اشد خصمائه والد اعدائه كان هولاء الاشراف الاغنياء، وكانوا اقوى الموانع في سبيل نشر دعوته فلو آمنوا واسلموا لقوى الاسلام بايمانهم وانتشر في العالم واستخلص المسلمون من شرهم ومكائدهم فلهذا كان يحق على النبي ص ان يجهد غاية جهده لايمانهم، وان لا يمتنع في سبيل ايمانهم من كل امر ممكن مشروع، لكن الله سبحانه عالم الغيب والشهادة يعلم اسرار كل احد و ما ينتهي اليه خاتمة امره وان بعضهم لا يؤمن ولو راى كل آية من آيات النبوة وعلى رغمهم فينتشر الاسلام بايمان اقوام آخرين من غيرهم والله ينصر دينه و نبيه، فبمقتضى رافته وفضله لنبيه كان يمعنه عن تحمل التعب والمشقة في سبيل ايمان امثال هولاء وانه ما عليك الا يزكى احد من هولاء الاشراف، وربما يعاقبه تليفاً ورأفة ورحمة بان لاتعتن بثروتهم وقدرتهم فليس هناك قلب عارف ولا عين بصير ولا اذن سميع ولا هم يذكرون.

فاليك انموذج من تلك الآيات:

1 - (ان تحرص على هديهم ف- فان الله لا يهدي من يضل)(1).

2 - (ولقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)(2).

ص: 159

1- النحل 37

2- التوبة 128

3- (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً)(1)

يقول الفيض رحمه الله انّ الله سبحانه كانه شبه النبي ص في ذلك حيث لم يؤمن قريش به واعرضوا عنه بمن اشتد حزنه وراء اعزّته اذا فارقه حتى يريد ان يقتل نفسه حزنا على مفارقتهم...».

اقول: اما انه صلى الله عليه وآله كان حريصاً على ايمان قومه فهذا مما لا كلام فيه لاقتضاء رسالته العامة الى عموم الناس وكونه رحمه للعالمين على ما قال سبحانه وتعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)(2) ، فكان صلى الله عليه وآله مظهراً لرحمة الله سبحانه حريصاً على ان يدخل جميع الناس في الاسلام لكي يزيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويخرجهم من الظلمات الى النور باذن ربهم ويهديهم صراطاً مستقيماً من غير فرق بين احد منهم حتى الخبيث منهم ويغتم ويحزن على تمردهم ويشهد لذلك آيات كثيرة كقوله تعالى (طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى)(3)، وقوله تعالى (ان تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل)(4)، وقوله تعالى (ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء)(5)- وقوله تعالى (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)(6)، الى غير ذلك من الآيات.

واما انه كان حريصاً على ايمان الاغنياء والاقوياء بالخصوص اكثر مما كان عليه بالنسبة الى غيرهم فلم نعثر في ذلك على دليل من القرآن والروايات المعتمدة او السيرة الصحيحة من كتب السير، والآيات التي استشهد بها المؤلف ليس فيها حتى الاشعار بمزيد عطف توجهه صلى الله عليه وآله الى خصوص الاثرياء فضلاً عن الدلالة على ذلك فان تلك الآيات كقوله تعالى (ان تحرص على هديهم) او قوله تعالى (ولقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم) او قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبغني نفقاً في الارض او سلماً في السماء

ص: 160

1- كهف 6

2- الانبياء 107

3- طه 1 - 2 .

4- النحل 37

5- البقرة 272

6- القصص 56

فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين(1)، تدل على عموم حرصه بايمان الناس و تاثره من تمردهم من غير فرق بين فقرائهم و اغنيائهم نعم ربما كان يترأى ذلك لكن لم يكن في الحقيقة من ناحية النبي صلى الله عليه و آله تقديم للطبقة المترفة و الاشرافية بل هم كانوا يتقدمون و يقدمون انفسهم في المحاضرات حيث ان الضفعاء و الفقراء كثيراً ما بمقتضى انحطاطهم بين المجتمع المادي يكونون اتباعاً لذوي الجاه و الثروة و شيوخ العشائر فيترأسون هؤلاء على هؤلاء و يصيرون لسانهم في الامور العامة طوعاً أو كرهاً، و هؤلاء الشيوخ كانوا يخافون من دين الاسلام و التوحيد فانه دين المساواة و العدالة يخاف منه كل متكبر ظالم محتكر متملك لنتائج هود الناس، و كثيراً ما كان شرف هؤلاء الشيوخ و رياستهم من قبل قبضتهم معابد الشرك و مشاهد الاصنام، فمن هذا وذاك، كانوا يصدون عن سبيل الحق و الاسلام و يفتنون عن الدين الجديد و يطالبون النبي صلى الله عليه و آله بمعجزات و ايات اقتراحية كما تدل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى (ذرني و من خلقت و حيداً و جعلت له مالا ممدوداً و بنين شهوداً) الى آخر تلك الآيات في سورة المدثر بالنسبة الى الوليد و كقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله و الملكة قبلاً او تكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء)(2)

فالشيوخ و الاشراف كانوا يتقدمون بالحروب الشديدة على الاسلام بسيفهم و لسانهم و النبي صلى الله عليه و آله و القرآن يدافع عن اذاهم و آفاتهم.

و ما ذكره في المجمع و ابو الفتوح قدس سرهما في شأن نزول قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشى يريدون وجهه و لا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هوايه و كان امره فرطاً)(3)، من أنه طلب جماعة من قريش طرده للموالى و العبيد و الضفعاء عن

ص: 161

1- الانعام 35

2- الاسراء 90 - 93

3- الكهف 28

حوله حتى يؤمنوا فنزلت الآية - فلا يدل على اكثرية حرصه على ايمان الاغنياء من الفقراء بنحو من انحاء الدلالة بل مجرد طلب منهم من دون اجابة بل ردّهم الله ومنع نبيه عن اجابتهم. هذا - مضافاً الى ان ذلك طلب منهم على تمايز الموالي والعبيد عن الاشراف الاحرار ولا ربط بالغنى والفقير، بل الآية في الحقيقة كالايات السابقة في تمردهم عن الايمان والاعتذار عنه بطلب ما لا يناسب شخصية النبي ص ولا دينه الاسلام ولا شفقتة العامة ولا أخلاقه الفاضلة ولا تحنّته على الضعفاء والمستضعفين.

والحاصل ان الدعوة الاسلامية قد ابتداء بها النبي ص و شرع فيها شيئاً فشيئاً سرا ثم جهراً من زوجته خديجة رضي الله عنها الى سائر اقربائه فقراء كانوا كابي طالب واولاده ام اغنياء كالعباس وابي لهب كما يدل عليه قوله تعالى (وانذر عشيرتک الاقربين)(1) ثم اتسع نطاق الدعوة بامر الله سبحانه جهراً لعموم الناس فقراء كانوا ام اغنياء ضعفاء ام اقوياء احراراً او عبيداً او موالي فقال سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيّنك المستهزئين)(2).

ثم لو فرض ان حرصه على ايمان الاغنياء والاقوياء كان اكثر على ايمان الفقراء والضعفاء، فاما ان نقول انه كان صواباً، لما ذكره هذا المؤلف من العلل من أن ايمانهم كان اكثر نفعاً في تقوية الاسلام ونشره، واما ان نقول انه خطأ صدر منه (صلى الله عليه وآله وسلم) (والعياذ بالله). فان كان صواباً فلماذا عاتبه الله تعالى عليه فان العتاب على امر صواب قبيح وهذا المؤلف يرى أنه صواب لما ذكره من العلل .

ولو كان خطأ فيرد عليه اشكالات آخر. 1- وقوع الخطأ والزلة بل امكان صدوره منه صلى الله عليه وآله ينافي العصمة في سبيل ابلاغ رسالات الله فان العصمة عندنا تستلزم عدم صدوره الخلف منه لا عمداً ولا خطأ. 2 - ان الخطأ لا يستوجب العتاب بل العتاب عليه قبيح لعدم القصد الى المخالفة فان الخاطيء قد يقصد امراً صواباً فهو كمن قصد سقي لماء للعطشان ولكن صادف أنه كان خمراً فيقبح حينئذ عتابه على ذلك الفعل الخطائي. 3 - قد ذكرنا ان الظاهر من الآيات انه لم يكن خطأ وانما تأثر فاعله من

ص: 162

1- الشعراء 213

2- الحجر 95

المظاهر المادية دون المعنوية الانسانية فاشمئز من الفقير الاعمى ولو كان يخشى وهو يسعى مع صفاء باطنه وقصده للتزكية وابتهاج و سرّ بمجالسة الاغنياء ولو مع خباثة بواطنهم و تمردهم عن قبول الاسلام وكان يتكبر و يستغني، فلم يكن هدفه تقوية الإسلام و تيسير نشره بادخال الاغنياء في الاسلام، بل كان غريقاً في حبّ الدنيا والغنى و الثروة و الجاة و الشرف بين المشركين بحيث لم يقدر على ان يتمالك نفسه لئلا يتظاهر بذلك علانية حتى هناك، وكل ذلك لا يتناسب مقام النبوة والرسالة و العصمة و الطهارة و كونه صفوة الانبياء، فلامحالة يكون المعاتب عليه غير النبي صلى الله عليه وآله وسلّم.

«... و ايضاً بقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً)(1)، فقال الطبرسي وابو الفتوح رحمهما الله أنها نزلت في شأن عيينة بن الحصين واقرع بن حابس واصحابهما حيث دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وعنده سلمان وابو ذر وصهيب وعمار و خباب وغيرهم من فقراء الاصحاب فقالوا: يا محمد، اما تتعير من هؤلاء ولا تتنفر ولا تكره من ريحهم ونحن لا نقدر على مجالستهم ولو ساعة و انا سادات البلد و اشرافها فلو آمنابك لآمن سائر الناس، ولو لم تقبل الايمان لم يؤمن بك ساير الناس، فاجعل لنا مجلساً تجالسنا و وقتاً ولهم مجلساً آخر و زماناً آخر، و يقول الشيخ الطبرسي بعد قوله تعالى (تريد زينة

ص: 163

1- الكهف 28 (النزول - نزلت الاية الأولى في سلمان و ابي ذر و صهيب و عمار و خباب و غيرهم من فقراء اصحاب النبي ص وذلك ان المؤلفة قلوبهم جاؤا الى رسول الله ص عيينة بن الحصين و الاقرع بن حابس و ذوهم فقالوا يا رسول الله ان جلست صدر المجلس و يخت عنا هؤلاء و ارواح صنانهم و كانت عليهم حبات الصوف، جلسنا نحن اليك و اخذنا عنك فلايمنعنا من الدخول عليك الا هؤلاء فلما نزلت الآية فقام النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ملتمسهم فاصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عزوجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا و معكم الممات.) مجمع البيان. - الصنان - نتن الأبط - يخت - يستحي - حبات - جمع الحبة - منه .

الحياة الدنيا) يعني حال كونك تريد مجالسة الاشراف والاغنياء) ثم يقول ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حريصاً في ايمان عظماء المشركين طمعاً في ايمان اتباعهم وعشائريهم، والا فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يتمايل لا الى الدنيا وزينتها ولا الى اهلها ابداً، وانما كان يلين في بعض الاحيان للرؤساء طمعاً في ايمانهم فعوتب بهذه الآية وامر بالاقبال على فقراء المؤمنين وان لا يرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الاشراف

«... ونظير هذه الآية آية أخرى في سورة الانعام 57 يقول (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) قالوا في سبب نزول الآية ان الاشراف اناطوا حضورهم عند النبي ص بطرده الفقراء وقالوا نحن نستحيي ذلك ممن يدخل من خارج البلد، فلما لم يقبل منهم النبي بان يطردهم كلياً قالوا فلا اقل من طردهم حينما ندخل عليك. قال ابو الفتوح ان النبي ص اهتم ان يقبل منهم ذلك حرصاً في ايمانهم فلم يقبلوا منه الا بان يكتب ذلك فاحضر امير المؤمنين علياً عليه السلام ليكتب لهم ذلك فانزلت الآية...»

اقول حاصل ما ذكره واستعان عليه بما حكاه عن الطبرسي وابي الفتوح رحمها الله تعالى في تفسير الآيتين يرجع الى ان الاشراف طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله طرد الفقراء او عدم مشاركتهم في المجالسة معهم فكاد ان يقبله النبي ص حرصاً على ايمانهم فنهاه الله تعالى فلم يفعل ما يستوجب العتاب.

والجواب عنه اما اولاً: انه لا ربط له بما نحن فيه حيث ان هذا المؤلف يستدل بهذه الآيات على ان المعنى بهذه الآيات هو النبي وانه عبس وتولى واعرض و تلهى عن الاعمى وهو يسعى ويخشى فاعرض عنه لفقره وعماه واقبل وتصدّى للمتكبر الذي استغنى لكونهم اغنياء لا للحرص في ايمانهم وبينهما بون بعيد و فرق كثير لا يخفى على النافذ البصير وذوى الشعور الحية فقياس احدهما بالآخر وتبين هذه الآيات بالآيتين وتفسيرها بهما مما لا يجوز.

وثانياً ان ما ذكره الشيخ ابو الفتوح ونقله المؤلف (صاحب تفسير نوين) وقريب منه ما ذكره الشيخ الطبرسي مع تفاوت كثير بينهما كل ذلك مأخوذ من روايات العامة التي هي مع قطع النظر عن سندها مضطربة غايتها، اما بالنسبة الى آية سورة الكهف ففي

بعضها الاغنياء عيينة بن بدر واقرع بن حابس ، و فقراء المسلمين سلمان و ابوذر و في بعضها عن سلمان أنها نزلت في وفي رجل دخل على النبي ص الخ. و في بعضها نزلت على رسول الله وهو في بعض ابياته (و اصبر نفسك الآية) فخرج يلتمسهم فوجد قوماً يذكر الله ثائر الرأس و جاف الجلود و قال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان اصبر معهم. و في بعضها جاء رجل يقرأ سورة الحجر او سورة الكهف فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المجلس الذي امرت ان اصبر نفسي معهم الى غير ذلك من الاختلاف الكثير والتعارض والتكاذب بين تلك الروايات مما يوجب القطع او الاطمئنان الى أنها كلها او اكثرها موضوعة و معطوفة على الروايات التي مضت في شأن النزول في سورة عبس فراجع (1).

واما بالنسبة الى آية سورة الانعام - ففي بعضها مرّ الملاء من قريش على النبي وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، و في بعضها مشى عبته بن ربيعة و شيبه بن ربيعة و قرظة بن عبد عمرو بن نوفل و الحارث بن عمار بن نوفل و مطعم بن عدي بن الخيار بن نوفل في اشراف من عبد مناف الى ابي طالب فقالوا لو ان ابن اخيك طرد عنا هؤلاء الاعبد فانهم عبيدنا الى آخره. و في بعضها جاء الاقرع بن حابس و عيينة بن حصين الفزازي فوجدا النبي ص قاعداً مع بلال و صهيب و عمار و خباب في اناس ضعفاء من المؤمنين (الى ان يقول) فنزل جبرئيل بهذه الآية ولا تطرد الذين (الى آخرها) و في بعضها (ما حاصله) أنه كان صلى الله عليه وآله بعد صلوة الصبح انصرف الى اسطوانة التوبة (في المسجد) وقد سبق اليها الضعفاء والمساكين و اهل الضر و الضيوف ضيوف النبي ص و المؤلفة قلوبهم و تحلقوا حوله حلقاً ويحدثهم ويحدثونه الى طلوع الشمس فجاءه اهل الطول و الشرف فقالوا له يارسول الله لو طردتهم عنا و نكون نحن جلسانك واخوانك... فانزل الله و اصبر نفسك الآية. و في بعضها عن سعد بن ابي وقاص أنها نزلت في ستة انا و عبد الله بن مسعود و بلال و رجل من هذيل و اثنين... فانزل الله ولا تطرد الذين (الى آخر الآية). و في بعضها عن مجاهد المصلين بلال و ام عبد

ص: 165

كانا يجالسان محمداً صلى الله عليه وآله فقالت قريش محقرة لهما لولاهما لجالسناه فنهى عن طردهم حتى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين. وفي بعضها كان رجال يستبقون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله بلال وصهيب وسلمان فيجيء اشراف قومه... فقالوا صهيب رومي و سلمان فارسي (آلى آخره).

وثالثاً: ان هذا الروايات بعضها حاكية عن ايام كونه ص بمكة فتذكر قريشاً و اشرافها باسمائهم او بالاشارة اليهم وبعضها حاكية عن المدينة و مسجدها و صلوته فيها و بعضها حاكية عن الجمع بين وقائع مكة و اشرافها و المدينة و من اسلم بها مثل سلمان الفارسي فمن وضع تلك الاحاديث لم يجمع بين متفرقاتها بنحو لا يتكاذب بعضها بعضاً، ولكن الظاهر ان جميع هذه الاحاديث و ما اختلقوها في سورة عبس كلها صادرة عن منبع واحد و سياسة شيطانية واحدة وهي الايادي الاثيمة من عمال الشجرة الملعونة الأموية ثم جرت و سرت الى الكتب من غير تدبّر و تنقيح (1).

ورابعاً الظاهر من الروايات في الدر المنثور ان سورة الانعام نزلت جملة واحدة بمكة فهي من السور المكية التي انزلت جملة واحدة باتفاق الاراء و الروايات الآتلات آيات قال السيوطي بعد ثقله تلك الروايات و ما ذكره ابن عباس ان سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة قال - فهي مكية الا ثلاث آيات منها نزل بالمدينة - قل تعالوا اتل - الى تمام الآيات الثلاث - وفي التبيان قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و غيرهم ان سورة الانعام مكية، وفيه قال شهر بن حوشب هي مكية الا اثنين منها قوله (قل تعالوا اتل ما حرم عليكم) والتي بعدها و روى عن ابن عباس انه قال نزلت سورة الانعام جملة بمكة معها سبعون الف ملك الحديث. وفيه و روى عن ابن عباس أنه قال هي مكية غير ست آيات منها فانها مدنيات قل تعالوا اتل و آيتان بعدها و قوله و ما قدروا الله حق قدره الى آخرها والآية التي بعدها و من اظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال او حى اليّ الى آخرها - وفيه عن انس عنه صلى الله عليه وله أنه قال ما نزل على سورة من القرآن جملة غير سورة الانعام - الحديث.

ص: 166

1- راجع الدر المنثور ج 3 ص 13 و ص 14 من سورة الانعام.

والروايات عن ائمة اهل البيت صلوات الله عليهم في نزولها جملة واحدة مستفيضة كما في رواية علي بن ابي حمزة عن الصادق عليه السلام ورواية العياشي مرسلأ عنه ورواية الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام ورواية ابي بصير عن الصادق وفي رواية الطبرسي في الجوامع الجامع عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله ورواه في الدر المنثور بعدة طرق قال صلى الله عليه وآله انزلت علي الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك (الحديث).

و سياق آياتها و مناسبة بعضها بعضاً ايضاً شاهد على نزولها جملة واحدة وكونها مكية بتمامها.

فمن ذلك ايضاً يستشهد بكذب الروايات التي في شأن النزول لقوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم)(الآية) حيث تدل تلك الروايات على نزول هذه الآية وحدها في هذه الواقعة و على نزولها بالمدينة كما في جملة منها.

ونظير ذلك في سورة الكهف في انها مكية وأنها نزلت جملة واحدة وبذلك روايات من الخاصة والعامة ، وقد وردت روايات كثيرة من الفريقين على أنّ سبب نزولها سؤال بعض المشركين بدلالة بعض علماء اهل الكتاب عن النبي صلى الله عليه وآله عن عدة امور كالروح وذي القرنين واصحاب الكهف فوعدهم جوابها من غير تعليق بمشية الله تعالى فاسبطيء الوحي لعدة ايام حتى قال المشركون ما قالوا ثم نزلت السورة في جوابهم وفيها قوله تعالى (ولا- تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله) هذا. على ان تناسب الآيات دال على نزولها جملة واحدة، كما اعترف به سيدنا الاستاد العلامة الطباطبائي قدس سره، فإنه بعد ذكره بعض الروايات التي نقلها المؤلف (صاحب تفسير نوين) عن الطبرسي وابي الفتوح قدس سرهما قال - ولازم الرواية كون الآيتين - مدينتين وعليه روايات أخر يتضمن نظيرة القصة، لكن سياق الآيات لا يساعد عليه . انتهى الميزان ج 13 ص 328 .

فالذي ظهر من مجموع ما ذكرناه ان الآيات في سورة الانعام وفي سورة الكهف ليس فيهما حكاية عن واقعة بين النبي صلى الله عليه وآله وبين اشراف قريش بالنسبة الى ضعفاء المؤمنين وفقرائهم لتكون سبباً للنزول كما تقتضيه تلك الروايات المتضادة

المشار إليها وعرفت ضعفها من جهات عديدة، بل ليست الا في مقام بيان وظائف اخلاقية للنبي صلى الله عليه وآله بالنسبة الى المؤمنين المخلصين تبيها لسائر المؤمنين على عظمة مقام من ذكر في هذه الآيات ليعرفوا منازلهم عند الله وكرامتهم لديه و حرمتهم عنده فيعاشروهم على قدر ذلك وانه يمكن ان يكون بين هؤلاء وبين ربهم اسراراً في عباداتهم و مناجاتهم و غير ذلك ليس على النبي صلى الله عليه وآله محاسبتهم وما من حسابهم عليه من شيء. وبالجملة فالنظر فيما قبلهما وما بعدهما من الآيات يشهد بما ذكرنا فنذكرهما لتتدبر فيها وتعرف صدق ما ذكرناه.

ففي سورة الكهف آية 26 (واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً 27 واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (اي لا تكن ممن تعد عينك عنهم لارادة زينة الحياة الدنيا) ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً 28 وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الخ.

وقال تعالى في سورة الانعام آية 50 (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى و البصير افلا تتفكرون 51 وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون 52 ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين).

فليس من اللازم في الآيات التي في مقام البيان للوظائف و التكاليف و غير ذلك ان يكون لكل مورد منها سبب واقع لشأن نزولها.

و يحتمل ان يراد من الطرد المداقعة في حسابهم و التفتيش عن احوالهم و التجسس عن اسرارهم وما يعد من عوراتهم فاته يوجب الطرد لعدم حجبهم افشاء اسرارهم فلا يجتمعون بعده عند النبي صلى الله عليه وآله ، فلو اغمض عن ذلك وعاشروهم على ظواهر امورهم لاجتذبوا اكثر من ذلك ، ولذا فرع قوله - فتطردهم - على المحاسبة المذكورة قبله.

و بالجمله فترى ان الآيتين بقرينة ما قبلهما وما بعدهما ليستا واردتين للعتاب على اعمال صدرت عنه صلى الله عليه وآله بل مجرد بيان لما يجب عليه في سيرته المؤمنين المخلصين.

«...وفي الخاتمة نذكر اية أخرى تقطع توجهه صلى الله عليه وآله الذي كان له الى الاشراف و الاغنياء في سبيل نشر دينه و تمنعه عن ذلك و تأمره بالمجالسة مع هؤلاء الفقراء المؤمنين وان يطيب بهم نفساً ولا يحزن على تمرّد الاشراف و الاغنياء و بذلك نختم هذا المبحث (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين)(1) قال الفيض رحمه الله بعد قوله (ولا تحزن عليهم) يعني لو لم يؤمنوا حتى يقوى الاسلام و المسلمون بهم - و بعد آخر كلمة من الآية يقول - و تواضع لمن معك من المؤمنين و ارفق بهم و طيب نفساً عن ايمان الاغنياء و الاقوياء. .. فمع هذه السابقة الممتدة منه صلى الله عليه وآله في حرصه على ايمان الاشراف من قريش و ذوي المقام و الثروة و بعضهم من اقربائه ليسعدوا و يستريح ضعفاء المسلمين من بغيهم و ايدائهم و يؤثر في ترويج الاسلام و تقويته مع ما كان الاشراف من ذلك تنفرهم الشديد عن الفقراء و منعهم من تشرفهم بمحضر النبي ص و استماعهم من كلماته - صلى الله عليه وآله فاي اشكال يحصل من ان يعبس وجهها و يكره عن ابن ام مكتوم.

.. و اما قول السيد الجليل علم الهدى اعلى الله مقامه الشريف من (ان العبوس لم يكن من صفاته مع اعدائه فكيف بالمؤمن المسترشد) ففي غاية المتانة و الصحة ، الا انا نقول ان ذلك قضية في واقعة صدرت منه (صلى الله عليه وآله و سلم)، لا أنه كان من اوصافه ، و بينهما فرق واضح فلا يقال لمن ضيف مرة واحدة أنه يقري الضيف ، و لمن غصب مرة واحدة لا يقال انه خشن الخلق ، و النبي صلى الله عليه وآله اذ حرّم على نفسه شرب العسل او المضاجعة مع أمته و اقسم عليه حتى نزل عليه (يا ايها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك) فلا يقال له انه كان محرم الحلال بعنوان الصفية (العياذ بالله)

ص: 169

.. واما القول بأنه لم يعبس وجهاً على اعدائه فضلاً عن المؤمنين حتى على غير وجه الصفية فمن البديهي ان هذا يخالف مع المقتلة بامرہ في الغزوات والسرايا ، واما مع المؤمنين فكان يغضب عليهم فيما اذا اقتضت المصلحة ذلك فكيف بالعبوس.

... ولنذكر لذلك مورداً واحداً.

.. واتي لا اظن احداً كان احب اليه ص من ابنته الصديقة فاطمة سلام الله عليها حتى ان جماعة من المورخين منهم العلامة المجلسي قدس سره في عاشر البحار ذكروا، ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبدأ في سفره ذهاباً و آياباً ببيت الزهراء وزيارتها فمرة رأى ستره خيرية علقته على بابها فظهر آثار الغضب في وجهه ورجع عنها غضبان اسفاً حرصاً عليها ان لا يتلوث قداستها بزخارف الدنيا ، ولكنه بالنسبة الى ابن ام مكتوم كان عبوسه لئلا يعرض الاغنياء عن الاسلام ويبقى الاسلام خلوا عن اتباع اقوياء...

اقول: اما ما ذكره من الآية من سورة الحجر في نهيه ص بقطع توجهه عن الاغنياء ففيه.

1 - ان النهي لا يدل على انه كان يحرص على الاغنياء وايمانهم وانه كان يقدمهم على الفقراء في مزيد عنايته وكثير انعطافه للمصالح التي ذكرها هذا المؤلف (صاحب تفسير نوين) و ما ذكره المحدث الفيض قدس سره ايضاً لا يدل الأعلى بيان الآية وليس في كلامه نسبة مزيد توجه منه ص الى الاغنياء ، بل هي آية في سلك آيات تدل على بيان وظائف النبي صلى الله عليه وآله في سبيل دعوته الى الاسلام ، و تقييد للمسلمين وغيرهم فوائد اخرى حيث يعرفون مسلكه و ممشاه المأمور به من الله سبحانه فيجعلونه قدوة واسوة لانفسهم في معاشرتهم وايضاً لا ينتظرون منه غير ذلك ولا يستدعون منه ص ما يضاذه ويناقضه ، فالاحرى ان نذكر تلك الآيات الكريمة من آخر سورة الحجر فانظر فيها و تدبر ليتضح لك ما ذكرناه.

(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل - ان ربك هو الخلاق العليم - ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين - وقل اني انا النذير المبين) الى آخرها.

ص: 170

ونظير هذه الآية قوله تعالى (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير و ابقى)(1).

ففى تلك الايات الكريمة يبين منهجه و يشجعه على المخالفين

2 - ما ذكره في تفسير الآية مخالف لروايات الشيعة حيث يظهر منها أنه لم يكن سبب النزول شدة توجه النبي صلى الله عليه وآله في الهداية الى الاشراف والاعنياء فعن تفسير العياشي عن حماد عن بعض اصحابه عن أحدهما عليهما السلام في قول الله (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم) قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله نزل به ضيقة فاستسلف(2)، من يهودي فقال اليهودي والله ما لمحمد ثاغية(3)، ولا راغية، فعلى ما اسلفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اني لامين الله في سمائه وارضه، ولو ائتمنتني على شيء لأديته اليك قال فبعث بدرقة فرهنها عنده، و انزلت عليه (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم) الخ. و عن تفسير علي بن ابراهيم بسنده عن المفضل بن عمر عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، و من رمى ببصره الى ما في يدي غيره كثر همه ولم يشف غيظه، و من لم يعلم ان الله عليه نعمة الآ في مطعم او ملبس فقد قصر علمه و دنا عذابه، و من اصبح على الدنيا حزينا اصبح على الله ساخطاً و من شكى مصيبة نزلت به فانما يشكوربه و من دخل النار من هذه الامة ممن قرأ القرآن فهو ممن يتخذ آيات الله هزواً و من اتى ذا ميسرة فتخشع له طلب ما في يده ذهب ثلثا دينه - ونظير هذه الرواية الاخيرة ما نقله في البرهان عن كتاب الزهد للحسين بن سعيد الالهوازي الى قوله و دنا عذابه اختلاف في بعض الالفاظ و تقارب المعنى. و من هذه الرواية الاخيرة يظهر أنه لم يكن سبب خاص عتابي في حق

ص: 171

1- طه 131

2- استسلفه اي طلب منه السلف اي بيع شيء مؤجلاً في ثمنه او استقرض منه.

3- الثاغية الشاة و الراغية التافة و الدرقة الترس من جلود ليس فيها خشب ولا عقب.

النبي صلى الله عليه وآله لنزول الآية وان المراد منها هو الذي ذكره في هذه الرواية من رمي بصره الى ما في ايدي الناس لا الذي ذكروها في حرص النبي ص في ايمان الاشراف والاغنياء ، بل لعل ظاهر السياق ان الخطاب في الآية عام وافراده الضمير خطاباً اليه ص تشريفي محض.

فالى هنا تبين مما ذكرنا أنه لم توجد آية او رواية تدل على مزيد حرصه ص على ايمان الاشراف والاغنياء ، وعليه فعلى المؤلف (صاحب تفسير نوين) ان يسترد قوله (فمع هذه السابقة الممتدة منه صلى الله عليه وآله في حرصه على ايمان الاغنياء).

واما ما اجاب به عن كلام السيد المرتضى علم الهدى قدس الله روحه الطاهرة من المناقشة معه باننا لا ندعى كون العبوس من صفاته بل صدر منه مرة واحدة.

ففيه، اولاً باننا لو جمعنا بين ما ذكره هذا المؤلف فليس النتيجة الا ان هذا كان من سيرته و صفاته ، فأنه قال - فمع هذه السابقة الممتدة منه ص في حرصه على ايمان الاغنياء والاشراف ليقوى الاسلام ... فأى اشكال من ان يعبس وجهاً على ابن ام مكتوم - ونتيجة جملته الاخيرة انه اذا اقتضت المصلحة كان يأمر بالقتل كقتل ابن اخطل بامر وهو معلق باستار الكعبة وقتل بني قريظة بامر وكان يغضب ايضاً فضلاً عن العبوس - فالسابقة الممتدة في الحرص على ايمان الاغنياء والاشراف كان مقتضياً على الغضب و العبوس على من يصد ذلك عن وكان لذلك سابقة ممتدة فكان هذا سيرته وكان من صفاته لا أنه صدر منه مرة واحدة فهذا المؤلف كأنه نسي مفاد كلماته السابقة.

وثانياً: ان من البعيد جداً ان يواخذ الله بالمعاتبه الشديدة في قرآن يقرأ أثناء الليل و النهار الى آخر الدنيا على عشرة وقعت عن مستقيم الطريقة مرة واحدة بل فيما بين الناس يصفحون عن امثال ذلك و يرون الافشاء والمؤاخذه عليه من سوء الاخلاق حيث ان من كان على استقامة في اخلاقه و معاشرته اذا عشر عشرة في مورد يندم فوراً فمؤاخذته بالمعاتبه الشديدة قبيح فلا محيص عن القول بان من عبس وتولى وتلهى عن الاعمى الفقير و اقبل و تصدى لمن استغني انما كان يفعل ذلك عن صفات وروحيات ذميمة يجره الى ذلك فعاتبه الله ليصلح نفسه وليعلم المسلمون ما عليه من الصفات وأنه لا يليق بهذا المقام بل اللائق بحمل اعباء رسالة الله هم السفرة الكرام البررة.

وثالثاً أنّ الظاهر من كلام السيد قده ان هذه الافعال لا يناسب صفات النبي صلى الله عليه وآله والا فهي افعال لا صفات و لذا عبر عن ذلك تلميذه شيخ الطائفة قده بنحو آخر يقرب ما ذكرنا فقال - لان النبي ص قد اجلّ الله قدره عن هذه الصفات وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب وقد وصفه بأنه على خلق عظيم الخ.

ورابعاً: اما ان يقول ان هذا كان عشرة منه ص على خلاف الشرع و الاسلام (العياذ بالله) حتى عاتبه الله عليه، و اما ان يقول ان ما فعله بداعي ترويج الاسلام و توسعة نطاقه و نشر دعوته و رفع موانعه كان امراً مطلوباً حقيقياً متيناً على كمال المصلحة للاسلام فالاول ينافي العصمة المعلومة منه الثابتة له و السيرة المرضية التي عرفها منه الموالمف و المخالف، و هذا هو الذي يؤكد عليه السيد قدس سره، و على الثاني يقبح عتابه من الله سبحانه سيّما بهذا البيان الذي يهجو و يعيره كما مر توضيحه فيما سبق و قلنا ان قوله (عبس و تولى ان جاءه الاعمى) يدل على أنه عبس و جهأ و اعرض مؤلياً عنه لكونه اعمى، و الاعمى عند اهل الجاهلية كان منفوراً كما يدل عليه ما ذكرنا في سبب نزول قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) (1)، و بقرينة المقابلة لمن استغنى يستشعر منها ان في الاعمى كان سببان للاعراض والتلهي عنه هما العمى و الفقر ولو كان ذا شخصية اسلامية انسانية حيث انه لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى وأنه جائك و هو يسعى و هو يخشى و ان من كان غنياً يتصدى له لما فيه من الغنى كما يدل عليه عنوانه الوصفي، فصار الملاك ملخصاً في الاعراض، الفقر و العمى وفي الاقبال و التصدى، الغنى، ليس الآ- لا- الحرص على الايمان و لا تقوية الاسلام، ولا ولا ولا كل شيء مما ذكره، فان جميع ما ذكره خارج عن مداليل الفاظ آيات السورة، فقوله فاي اشكال في يعبس (صلى الله عليه وآله و سلم) في وجه ابن ام مكتوم الخ)، فالاشكال هذا، و من كان هذا مشيه و سيرته و هذه ضمائره و مطويات نفسه لا يليق لمقام النبوة و لا الخلافة الالهية بل ولا اي مقام في سبيل الدعوة الى الاسلام (وقد مريانه) (كلاً أنّها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرّمه مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة)

ص: 173

واما ما اخذ في تكثير القول على السيد المرتضى قدس الله روحه و استشهاده لاثبات عبوس وجهه ص على الاعداء في حروبه او على اخص اقربائه وبضعته الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها الى آخر ما نقلنا عنه. فليس لنا مفرّ، الا ان نحمل ذلك منه على المغالطة او على سوء فهمه لكلام السيد، قده، فان الغضب منه في مورده او القتل بل اللعن والسب و امثال ذلك اذا كان في محله المناسب له فلا اشكال في جوازه وعدم قبحه بل في حسنه او وجوبه كما فعل النبي صلى الله عليه وآله، بل الله سبحانه و تعالى يغضب و يلعن و يسبّ من يستحق ذلك و في القرآن من ذلك آيات كثيرة - (انّ الله لعن الكافرين واعد لهم جهنّم، (ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزائه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه ولعنه)، (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم).

واما ما فعله ص بالنسبة الى الزهراء سلام الله عليها فهو انما كان في مقام التأديب لها و التنبيه للعموم بان بنت النبي ص بل و بيته لا بد ان يسلك منهجه في الاعراض عن زخارف الدنيا فلم يكن يحبّ لها الا ما يحبّه لنفسه فلذا اعرض عنها لأنها كانت بضعته يؤذيه ما يؤذيها، على ان لبيت النبي صلّى الله عليه وآله خصائص لا بد من رعايتها في مصلحة الامة الاسلامية، لانه ص كان زعيماً هياً و قدوة و اسوة للامة قال الله تعالى (يا ايها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيواة الدنيا و زينتها فتعالين امتعكن و اسر حكنّ سراحاً جميلاً وان كنتن تردن الله ورسوله و الدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً) [\(1\)](#)، فلم يكن بيت النبي ص من بناته و ازواجه الأبيت الزهد و التقوى و الاعراض عن زخارف الدنيا و هو صلى الله عليه وآله كان مأموراً من الله بتطهير بيته و اصلاحه فلم يكن في اعراضه عنها ما يضاد اخلاقه الحميدة و سيرته المرضية بل كان مما يؤكد في علوّ مشيه و سلوكه. و اما العبوس في هذه الآيات في سورة عبس فلا يجوز نسبته اليه ص، فان الاعمى الذي يسعى الى الاسلام و هو يخشى و يريد أن يتزكى، لم يكن له ذنب يستوجب الاعراض و العبوس و التلهي عنه، الا حضور الغني، او فقره و عماه، و ان العابس كان غريقاً في حبّ المظاهر الدنيوية و التقدر عما يضادها بحيث

ص: 174

يبتهج ويسر لمجالسة الغني والاشراف وشيوخ المشركين وينقبض اعصابه بمشاهدة الاعمى الفقير، بالله عليك فهل كان نبينا صلى الله عليه وآله هكذا ولو مرة واحدة، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

«... وأما ما يقوله السيد قدس سره - وبعد فوصف النبي ص بأنه يتوجه الى الاغنياء ويعرض عن الفقراء الى غيرهم، فكل من يعرف النبي ص لا يصفه بذلك وهذا لا يشابه اخلاقه الكريمة وايضاً لا يناسبه مع ما له من الرأفة والرحمة على قومه - فكلامه صحيح متين، ولكن هنا ايضاً لابد لنا من تكرار قولنا السابق من أنه لم يكن كذلك منحوا الوصف الثابت فيه، بل على شكل عمل وفعل نشأ عن مصلحة في واقعة واحدة اتفاقاً ولا اشكال في ذلك. على أنه في المقام يستفاد منه كاملاً ان مقصوده من الاقبال على الاغنياء انما هو التذكير والتركية وقد طمع في ايمانهم وهم كانوا يستعمون كلامه، والنبي ص كان يتفكر في ان هذا الاعمى مع هيئته الخاصة وكيفية تكلمه في خلال وعظه و تبليغه يوجب انضجار الكفار و يمنعهم عن الايمان بدينه فلذلك انضجر عنه و عبس وجهه و اقبل اليهم في تعقيب دعوته و ارشادهم الى الاسلام، ولكن الله سبحانه حيث يعلم انهم لن يؤمنوا به، فمنع النبي ص بصورة العتاب تكسيراً لنخوتهم و تكبرهم و تجليلاً لاهل الايمان، كما قاله الطبرسي وغيره من ان اعراضه عن الاعمى لم يكن لفقره و اقباله على الاغنياء ايضاً لم يكن لثروتهم، بل كان لشدة علاقته بترويج الاسلام و ابلاغ دينه...».

اقول اما ما كرره في جواب السيد قدس سره فقد اجبنا عنه فلا نكرهه فراجعص 147.

ولست ادري انّ هذا المؤلف اذا يقبل متانة كلام السيد وصحته فاي داع له في الاصرار على الصاق غبار هذا العمل بساحة قدس النبي الاعظم صلى الله عليه وآله فترى يسعى غاية جهده من هنا وهناك ان يجمع رطباً و يابساً مما يزعمه انها قرائن يستدل بها على نظريته المشوهة المشومة التي اختلقتها ايادي الحكومة الاموية و الصولة الجائرة منهم حتى يردوا ما انزل فيهم من العتاب والملامة الى ساحة عصمة النبي الطاهر الامين صلى الله عليه وآله وسلم، فانّ معنى قوله ان كلام السيد قدس سره صحيح متين تصديق لما

ص: 175

يقوله السيد قدّه (وان ذلك لا يشابه اخلاقه الكريمة ومن يعرفه لا يصفه بذلك ولا يتناسب رأفته ورحمته للمؤمنين) فاذا لا يناسب اخلاقه و صفاته فمن اين لك (ايها المؤلف) ان تستدل بصحة نسبته وهل كنت شاهداً للواقعة او وردت الروايات المتواترة القطعية بصحته مما شاهدتها ولم يشاهدها غيرك ، او نزل عليك الوحي من الله سبحانه ، فما اصررك على هذا القول الشنيع وما اجرأك على التحامل على النبي الطاهر المطهر المنتجب المصطفى صلوات الله عليه وآله. وما ذكره من ان ذلك من جهة طمعه وحرصه في ايمان الاشراف غير مناسب لتلك الآيات الكريمة ولا فيها اشعار بذلك بل فيها ظواهر ونصوص لو تدبر فيها حق التدبر لذهب عن فكر الناظر كل غبار ويحق الله الحق بكلماته ، وانما جيمع تلك الوسوس الشيطانية نشأت من الروايات التي دونها العامة في كتبهم في تفسير هذه السورة مما يلوح عنها آثار الوضع من ايادي الامويين الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن ، والا فالآيات تشعر بان الاعراض عن الاعمى كان تنفراً و تقذراً عنه لفقره و عماه وان الاقبال الى الاغنياء و الاشراف لكونهم اغنياء أو استغنى.

وما نسبه الى الشيخ الطبرسي قدس سره افتراء محض وقد نقلنا عبارته بالفاظها في اول الكتاب وهي صريحة في مخالفته لهذا الرأي بنحو مستدلّ متين كغيره من اعاضم الشيعة ولم يعرف هذا القول من احد من قدماء علماء الشيعة بطريق معتبر الا ما عن ابن عباس رضي الله عنه وقد عرفت ضعف هذه النسبة ولا من متأخريهم الا في زماننا ممن في عصرنا من كتاب العصر.

وبالجملة فهذا الرأي المردود يخالف ظاهر الآيات في نفس هذه السورة كما سنبينها انشاء الله تعالى و يخالف سائر الآيات الواردة في شان النبي صلى الله عليه وآله وما ثبت من سيرته كما سبق بيانه ، و يخالف آراء المفسرين من علماء الشيعة و رواياتهم مما وصل اليها بطريق معتبر عنهم كما مضى ذكره ، وليس لهذا الرأي المردود الذي يجد هذا المؤلف في استحكامها الا الاجماع المدعى من بعض العامة و آراء كثير منهم ، و رواياتهم التي اذا عرضناها على كتاب الله تعالى يكاذبها و يعارضها و يناقضها ، وقد مرّ بيانه مفصلاً .

(...ولكلام السيد المرتضى قدس سره ، وقد نقلناه عنه بواسطة الشيخ الطبرسي

في المجمع ذيل اظنّ ظنا متأخماً بيقين ان الطبرسي لم يحب ان يذكره و كذا الشيخ ابوالفتوح حيث ذكر كلام السيد من دون استناد اليه فابي ان يذكر هذا الذيل لكنّ ابن شهر آشوب ذكره مع هذا الذيل من دون ان ينسبه الى السيد وكذا العلامة المجلسي ذكره في البحار في باب عصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نقلاً عن تنزيه الانبياء للسيد ونحن نذكره عن البحار مترجماً له (بالفارسيه) - (وكيف يقول سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وما عليك - اوليس عليك او لا بأس عليك ان لا يتزكى هذا المستغنى وكيف ليس عليه تزكيتة و هذا القول يمنعه عن حرصه على ايمان قومه).

والحق ان هذا اللكلام من عالم مثل السيد كلام عجيب ولا مناص لنا الا ان نقول امثال هذه الغفلات من امثاله لان يمتاز مقام المعصوم عن غيره وليعلم ان غير المعصوم كائناً من كان فهو غير مصون عن الاشتباه.

فمن معاني باب التفعّل المطاوعة و قبول الفعل فمعنى التزكي قبول التزكية و وظيفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التزكية و التطهير و على الناس التزكي و قبول التزكية - انما انت مذكر ، يعنى تنحصر وظيفتك في التذكير و عليهم ان يتذكروا و يقبلوا منك ، فلو لم يقبلوا منك فليس عليك بأس ، و القران بشرائره مملوء من هذه التعبيرات من انك عليك لست عليهم بوكيل او حفيظ فمن اهتدى فأتّما يهتدى لنفسه ، و وظيفتك الابلاغ و الارشاد و في سورة قصيرة تكررت هذه الجملة مرات (فهل من مذكر) (1) و في سورة الاعلى يقول (سيدكر من يخشى) وكذا يقول (وقد افلح من تزكى)، فما الفرق بين قوله هنا (وما عليك ان لا يزكى) و بين قوله (ليس عليك هديهما)

و خلاصة الكلام انه ليس عليك مسئولية افعالهم فلا تتعب نفسك و لاتحرص و لاتهتم عليهم فوق حده لايمان الاغنياء (انا ارسلناك بشيراً و نذيراً و لاتسئل عن اصحاب الجحيم) (2) قال الفيض رحمه الله في ذيلها - فلا عليك ان اصروا او كابروا. فمع قطع النظر عن المطالب الآخر فللسيد المرتضى هنا اشتباه مخصوص و غفلة حاصلة له لا مفر عنه ، و الشيخ ابوالفتوح من الموافقين له و الطبرسي من مخالفيه كلاهما

ص: 177

1- سورة القمر 54

2- سورة البقرة 119

ذكر اكلامه لكن حيث توجّها الى ما يرد عليه من الاشكال اغمضنا عن ايراد هذه الجملة من كلامه...».

اقول انا على عقّة القلم و البيان لانحب ان نذكر شيئاً على هذا المؤلف (صاحب تفسير نوين) الذي لم يعرف قدر نفسه فيما بين الناس و تجاسر على اكابر علماء الاسلام مثل الشيخ الطبرسي و الشيخ ابو الفتوح ولاسيما السيد المرتضى علم الهدى الذي اطراً عليه كل من ترجم له من العامة و الخاصة و تعجبوا من غزارة علمه في جميع الفنون و العلوم ولاسيما الادبيات العربيه التي كان رحمه الله من كثرة ما حفظ من اخبار العرب و محاسن اشعارهم ولغتهم عد في الرعيال الاول من الحفاظ و الادباء كاستاده في الادبيات ابي عبدالله المرزباني الذي كان اماماً في الادب في عصر ازدهار العلم بحيث قلما يوجد مثله في تاريخ الاسلام في عصر آل بويه في حوزة علمية مثل بغداد الذي كان يقصده رواد العلم من اقصى البلاد كشيخ الطائفة الطوسي وامثاله من ايران وغيره.

قال المحدث القمي قدس سره في الكنى واللقاب في حقه - متوحد في علوم كثيرة مجمع على فضله مقدّم في العلوم مثل علم الكلام و الفقه والاصول والادب والنحو والشعر واللغة وغير ذلك انتهى. و عن ابن الاثير أنه عده من مجددى مذهب الامامية في رأس المائة الرابعة و عن ابن خلكان أنه كان اماماً في علم الكلام والادب والشعر وقال النجاشي الذي تولّى غسله - علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ابو القاسم المرتضى ، حاز من العلوم ما لم يدانه فيه احد في زمانه و سماع من الحديث فاكثروا و كان متكلماً شاعراً اديباً عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا انتهى. وقال تلميذه شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في الفهرست - كنيته ابو القاسم لقبه علم الهدى الاجل المرتضى رضى الله عنه ، متوحد في علوم كثيرة مجمع على فضله مقدّم في العلوم مثل علم الكلام و الفقه و اصول الفقه و الادب و النحو والشعر ومعاني الشعر و اللغة وغير ذلك (1) ثم عد مؤلفاته و اقتصر على اعيان كتبه وكبارها مما يقرب خمساً وثلاثين كتاباً

ص: 178

وكفناك في تضلّعه و معرفته في الادبيات كتابه غرر الفوائد في مجلدين حيث يغوص في بحار العلوم الادبية والتفسير وغريب القرآن والحديث و يتحننا من دررها ما يعجز عنه عباقرة الادبية و يصارع فيها مع ائمة الادب و يصرعهم.

على أنه كان عربياً قرشياً من طائفة هم افصح طوائف العرب و لسانهم كان عربياً من اول ما نشأ في بيت عربي اما و اباً.

فهل يكون من الانصاف ان ينسب اليه الاشتباه في معاني باب تفعل من دون ان يتدبّر في كلامه لفهم مقصوده و مرامه ، وهل يمكن القول في حقه انه اختفى عليه معاني باب التفعّل التي يعرفها اصغر اصاغرة طلاب العلوم العربية اذا قرأ كتاب صرف مير وكتاب التصريف في جامع المقدمات في اول ما يتبدأ بذلك مناقه و المال النصاب الي ثم لم يعرف السيد (على زعمه) ان قوله - ما عليك الا يزكى - ان كلمة يزكى - صيغة للغائب يعود الى غير من خوطب به في (عليك) ثم بقي الاشتباه والغفلة الى زمان ابن شهر آشوب حتى تبعه في ذلك من غير أن يتفرس لذلك ، ثم مثل الشيخ الطبرسي و ابي الفتوح (على زعم هذا المؤلف صاحب تفسير نوين) صاروا بصدد ستر هذا العيب الفاحش على السيد و ابن شهر آشوب.

فهل العلماء و المحققين شغلهم في كتبهم ذلك او النقد والبحث و التحقيق و كشف الحقائق العلمية الاسلامية القرآنية و حفظ الامانة الالهية و الوديعه النبوية و ثقلي رسول الله صلى الله عليه وآله الذين ما ان تمسك بهما الأمة لن يضلوا و هما كتاب الله و عترته و نشر احكامهما و علومهما و حفظهما عن التحريف و ابيادي المحرفين و المنافيين و هم امناء الرسول و ثقات الامة و حجج الائمة على الملة و صفوة النخبة من اهل الخبرة في علوم الاسلام و حفظها، فهل عليهم و هم ثقات الاسلام ان يستروا على السيد قده (بزعم هذا الرجل) عثرته في تفسيره للقرآن او انّ عليهم حفظ كتاب الله على الامة لئلا يضلوا في فهمه و تفسيره و علومه ثم كيف وقف هذا المؤلف (صاحب تفسير نوين) بعد عشرة قرون على ضمائر هؤلاء و كشف له انهم كانوا بصدد ستر العيب على السيد.

دع عنك كل ذلك وان هذا المؤلف يفترى صريحاً على الشيخ الطبرسي و صاحب

منهج الصادقين في موافقته لرايه السخيف على النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وقد ذكرنا في اول الكتاب عبارتهما بعينها لتعرف ان هذا المؤلف على اي موقف في نقلياته انهما صريحاً خالفوا هذا الرأي و استدلا على ذلك بادلة كثيرة وبراهين تيرة.

حل المشكلة:

انا لا اتكلم على شيء من هذه الجهات مما تعرض له هذا المؤلف بل اجعل الحكمية على القراء الكرام حيث ركض في غير ساحته واحل نفسه بغير مكانه.

ولكن اقول في جوابه وحل مشكلته ان التزكي وان كان من باب التفعّل ومن معاني باب التفعّل المطاوعة لفعل آخر وقبول التأثير من فعل الفاعل كقولك - كسرت الكوز فتكسر - الا- ان حصول الاثر في القابل كما ينسب الى القابل وجوداً او عدماً من حيث قبوله لاثر فعل الفاعل او عدم قبوله كذلك ينسب الى الفاعل من حيث حصول الفعل منه الى القابل او عدمه.

وبعبارة اخرى ان الاثر الحاصل في الخارج من الفعل يتقوم حصوله بالفاعل من حيث الصدور اولاً وبالقابل ثانياً ويكفي في سلبه سلب احدهما.

والتزكية من باب التفعّل عبارة عن تقومه بالفاعل والتزكي من باب التفعّل عبارة عن تقومه بالقابل وقبوله لذلك الاثر الصادر من الفاعل فهناك شيء واحد وهو مادة الاشتقاق فباعتبار انتسابه الى الفاعل صدوراً يكون فعلاً للفاعل و باعتبار انتسابه الى القابل يكون انفعلاً وقبولاً لاثر الفاعل.

فليس للفاعل الا التأثير وليس للقابل الا القبول و الاثر فلا يمكن انتظار غير الفعل و التأثير من الفاعل و لا غير التأثير و القبول من القابل.

وعلى هذا فلو حمل تكليف التأثير على الفاعل فلا بد من حمل كلامه على ارادة لزوم تأثيره و اتمام فاعليته صوتاً للكلام عن اللغوية. مثلاً اذا قال مدير المدرسة للمعلم - لماذا نرى في التلاميذ ضعفاً في علومهم الرياضية فمعناه الايراد عليه بضعف التعليم من المعلم فان تعلمهم ليس بيده الا من طريق التعليم فقط. و اذا قال للمعلم نحن لا نريد من

الصف الثاني الابتدائي من الحساب الضرب و التقسيم او قال ليس عليك ان يعرفوا الضرب و التقسيم - فمعناه - ليس عليك تعليمهم للضرب و التقسيم لا تعلمهم فان تعلمهم مع قطع النظر عن تعليمه ليس بيده ، ولذا لو كان فيهم ضعفاً في الاستعداد من حيث البلادة و البلاهة فللمعلم رد ايراد المدير عن نفسه باني لم اقصر في تعليمهم وانما القصور في استعدادهم وفهمهم.

ففيما نحن فيه ايضاً كذلك يقول سبحانه (عبس وتولى ان جائه الاعمى وما يدريك لعله يزكى - الى قوله - وما عليك الا يزكى) فهذا التزكى وان كان قبولاً للتزكية من القابل وهو الاعمى الا أنه يعاتب على العابس فيه و يظهر بذلك نقطة الضعف فيه بانك لماذا اعرضت عنه ولعل فيه القابلية للتزكي اي كان المناسب الاقبال و الاشتغال لتزكيته - او يذكر فتنفعه الذكرى - وهنا ايضاً يكون التذكر من القابل الا انه على عهدة الفاعل من حيث التذكير والتأثير لا من حيث أنه تأثر و تذكر و قبول من القابل (اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى) فنفى المسؤولية عن الفاعل المخاطب بالنسبة الى تزكي المستغني الذي هو القابل انما هو من حيث فاعليته و تأثيره اي ليس عليك مسؤولية هدايته و ارشاده و تزكيته و تذكيره.

فهنا يتوجه ما اشكله السيد المرتضى قدس سره بأنه لو كان المخاطب هو شخص النبي صلى الله عليه وآله و سلم فمعناه رفع مسؤولية الارشاد و التزكية عن-ه بالنسبة الى المستغني مع انها من وظائف مقام الرسالة كما قال سبحانه (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة)(1).

وهذا بخلاف ما اذا جعلنا مرجع الضمائر الخطابية العتابية غير النبي صلى الله عليه وآله ممن تصدى و استقدم نفسه في ذلك مع انه لم يكن ذلك من شأنه كعثمان بن عفان او رجل من بني امية - ولعل كلتي الروايتين ناظرتان الى واحد - فحينئذ يستقيم الكلام حيث يقول ايها العابس وجهه على الاعمى الفقير لفقره وعماه ، المقبل الى المستغني لثروته و

ص: 181

غناه لتتصدى لأرشاد الغني و تزكيتة ، ليس لك شأن ذلك ، فإنه لا ينبغي التصدي للتزكية و الدعوة الى الاسلام الذي هو دين العدالة و الاخوة و المساواة ممن هو غير متخلّق بالاخلاق الاسلامية و غير متصف بصفاته ، بل متصف بما يضاد الاسلام و ينبأ عن الايمان بالماديات لا بالله و اليوم الآخر فهو متنقّر عن الفقير الاعمى لعماه و فقره و مبتهج مقبل متصد للمستغني المترف لثروته او من يستغنى عن الاسلام تكبراً و عناداً لشرفه و سيادته بين المشركين ، فهذا المتصدي ليس له قابلية الدعوة الى الاسلام و تزكية المشركين و الكفار ، فان التطهير هو شأن الطاهر لا القذر فان عمله و اوصافه يدعوا الى ما يخالف لسانه ، بل مقام الدعوه و التزكية (بايدي سفرة كرام بررة) الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا ، فهم مطهرون عن الواث القذارات المعنوية الاخلاقية و شرح الله صدورهم للاسلام فهم على نور من ربهم ، وهذا كان من شؤون النبي الطاهر المطهر ، فإنه هو الذي بعثه الله في الامتين يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ، فلما ذا تصدى لها هذا القذر الذي اظهر مطويات نفسه باعراضه عن الفقير الاعمى ، و اقباله الى من استغنى .

و بالجمله فوق جملته (و ما عليك الا يزكى) بعد قوله (اما من استغنى فانت له تصدى) يدل على انزال المخاطب عن منصب الدعوة و الوساطة في ابلاغ الاسلام الى المشركين و تزكيتهم ، فلم يكن السيد المرتضى علم الهدى استاد العلماء من اهل التقى ممن لم يعرف معاني باب التفعّل و فرقه عن باب التفعيل و لم يظنّ به احد هذا السوء الظنّ او ظنّه المتأخّم للعلم الذي حصل لهذا المؤلف ، وقد كان السيد قدس سره مع كونه من اهل اللسان العربي من ائمة علماء العربية في جميع ادبياتها و كتبه الموجودة اكبر شاهد على ذلك .

هذا وقد مضى على كلام السيد قدس سره هذا الف سنة او اكثر و كتابه (تنزيه الانبياء) بمروئي من اكابر العلماء و الادباء و لم يتجاسر عليه احد بمثل هذا الاشكال الفاسد الكاسد . ثم ان ما نسبته الى الشيخ ابي الفتوح و ابن شهر آشوب من انهما ذكرا كلام السيد من دون استناد اليه ثم اسقطا ذيل كلامه مما اوجب طعن هذا المؤلف عليهم جميعاً (بحسب زعمه) فكل ذلك افتراء محض و رجم بالغيب فانهما لم يذكرا كلام السيد اصلاً بل اتفق

اتحاد كلماتهم في بعض الأدلة لهذا المدعي فراجع اول الكتاب في نقل عباراتهم.

ثم انه كيف لم يعرف هذا المؤلف ان الكتب العلمية ساحة البحث و النقد و مضمار السبق و التفتيش و التحقيق و ان الحق احق بان يُبدى وليس لاحد في هذا المضمار ستر الهفوات و العثرات فان ذلك لا سيما في تفسير القرآن و تبين مقاصده يعدّ من كتمان ما انزل الله و قد قال سبحانه (ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا و اصلحوا و بينوا فاولئك اتوب عليهم و انا التواب الرحيم)(1)، و قال تعالى ايضاً (ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم)(2).

فلو فرضنا على نحو فرض المحال صحة ما ادعي هذا المؤلف من الاشكال على السيد قده فلا يمكن القول بالنسبة الى مثل ابن شهر آشوب و الطبرسي و امثالهما من اعظم ثقات العلماء أنهم توجهوا الى هذا الاشكال و اغمضوا عنه تحفظاً على مقام السيد و ستر على عيوبه (العياذ بالله) لئلا يفتضح بين امثال صاحب تفسير نوين كيف و كتبهم مملوثة من المباحثات العلمية و المناقشات التحقيقية الفكرية فيما بينهم لكشف الحق و الحقيقة و ابطال الباطل من غير فتور و قصور.

و عليكم ايها القراء الكرام مراجعة كلمات اساطين الشيعة و عظماء علمائهم الاقدمين في هذا المبحث مما نقلنا عباراتهم بالفاظهم في اول الكتاب ليظهر لكم ما وقع لهذا المؤلف و امثاله من الاشتباه في فهمها و من نسبة متابعة بعضهم لبعض او نسبة موافقته لرأي العامة الى الشيخ الطبرسي او الى اكثر الشيعة و غير ذلك من العثرات و الزلات مما نبهنا عليه فيما تقدم.

«...والذي يؤيد باعتقادنا قول قدماء المفسرين مثل ابن عباس وكذا الطبرسي و المولى فتح الله وغيرهم ممن يرى ان المخاطب بهذه الآيات هو النبي صلى الله عليه

ص: 183

1- البقرة 159

2- البقرة 174

وآله يكون كما يلي.

1 - ان عامة المفسرين سواء من جعل المخاطب النبي ص ، او من كان مخالفاً لهذا فكلهم يتفقون على ان ابن أم مكتوم جاء الى النبي ص ، فلا بد ان يكون الضمير ان في جائه - وجائك - راجعين اليه ص ، اذ لا معنى لان يقول الله سبحانه لرجل آخر كان هناك ان الاعمى جائك ، وقد جاء الى النبي ص.

2- ان من لحن الخطاب و العتاب يستفاد بنحو واضح ان غرض من اعرض عن واحد و اقبل الى آخر ، انما كان هو التزكية والتذكرة ، وهما مما يشبههما القرآن أنهما من وظائف النبي ص معينا ، والآ فغني متكبر اذا اعرض عن رجل اعمى الذي لبس ثياباً باليا ، فباي مناسبة يقال له (وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى) على ان الغني الذي يكون معاشرته و مجالسته مع الاغنياء ، كيف يعاتب على اقباله الى الاغنياء ، فلنفرض ان اعراض غني عن فقير غير محبوب ، ولكن لماذا يؤاخذ على اقباله الى امثاله و زملائه ، ولا سيما بهذا التعبير (اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى) فهل يستحسن التكلم من رجل متعارف بهذا النحو ، فكيف بكلام من الله سبحانه يتحدثى باعجازه ، هذا ، ولكن اذا جعلنا المخاطب شخص النبي ص فحينئذ ينتظم الكلام كما رأينا نظائره فيما قبل ذلك...».

اقول اما الوجه الاول مما ايده مختاره ، ففيه انه ان اراد بذلك ان ابن أم مكتوم جاء النبي ص وحده ، ولم يكن عنده احد ، فهذا خلاف ما اتفق عليه جميع المفسرين من الخاصة و العامة ، فلو اراد المؤلف هذا ومع ذلك نسبه الى اتفاق الفريقين فهذا افتراء محض اذ كما ذكرنا اتفقوا على أنه حين مجيء ابن أم مكتوم كان عنده ص غيره ايضاً. وان اراد انه جاء الى النبي ص مع انه كان عنده جماعة آخرون ، ففيه انه حينئذ كما يصح ان يقال ان ابن أم مكتوم جاء النبي فكذلك يصح ان يقال جائهم وجاء كل فرد منهم فان المجيء الى احد ومجيء احد عبارة عن ملاقاته بعد مشيه اليه فيقال جائه وجائك ، وان اراد انه كان قصده من مجيئه هو النبي صلى الله عليه وآله فقط ، فنقول ان القصد غير المجيء ولم يقل في الآيات قصده و قصدك بل قال جائه و جائك ، وقد عرفت معنى ذلك.

ص: 184

واما الوجه الثاني فهو مغالطة محضه ، فان غرض العابس (لوفرض) انه كان هو التذكرة والتذكية فلا ربط له بان ذلك من وظائف النبي ص بصراحة القرآن لينتج من المقدمتين ان المعنى بها في تلك الآيات العتابية هو النبي ص بل نقول ان المقدمتين على خلاف مقصوده ادل ، فانه يثبت بذلك ان العابس تصدى للتذكية و التذكرة مع أنه لم يكن من وظائفه ، ولم يكن له قابلية ذلك ، وقد كان ذلك من وظائف النبي صلى الله عليه وآله ومن شأنه المناسبة له ، ولكن العابس تصدى لها فضولاً حيث كان حاضراً مع انحطاط اوصافه و اخلاقه و ملكاته ، فلذا عابته الله تعالى لئلا يعود هو ولا امثاله فيما سيأتي من امثال تلك الاندية والمجالس الاسلامية ولا في غيرها ولا يقبله المسلمون لزعامه الاسلام و تزكية المسلمين ولا- من يماثله في الاداب و النفسانيات و الافكار ، و لئلا يتوهم المسترشدون ان تلك الارجاس و الرذائل الاخلاقية ناشية (العياذ بالله) من تعليمات الاسلام و تربيته وان الاسلام هو الذي تجلى في اوصاف هذا العابس المنحرف المتمرد المقبل الى الدنيا و اهلها و زخارفها ، بل يتبرأ القرآن في هذه السورة من تلك الاوصاف و الاعمال الرديئة و يخرجها عن زمرة الدعاة الى الحق.

نعم، اعلن ردعه و انزجاره عن امثال هذا العابس ثم ذكر طهارة الدعوة وما يتضمنها و دعائها و طهارتهم و كرمهم و كرامتهم و برهم و أنهم هم السفراء المنصوبون الله لذلك و صحف الدعوة بايديهم و تحت نظارتهم فقال سبحانه (كلاً، انها تذكرة ، فمن شاء ذكره في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بايدي سفرة ، كرام بررة)وقد مضى شطر من الكلام في ذلك و سيجيء ضمائم انشاء الله تعالى.

واما قوله - والا فغني متكبر مغرور اذا عرض عن رجل اعمى فقير فباي مناسبة يعاتب بهذه العبارات (وما يدريك لعله يزكى - او يذكر فتتفعه الذكرى).

فنقول - اولاً- لم يذكر في تلك الآيات ان العابس كان غنياً متكبراً مغروراً وان اعراضه عن الاعمى الفقير نشأ عن تكبره او غروره او غناه فيمكن انه كان فقيراً ، مثل الاعمى الا ان حب الدنيا و أبنائها استمكن في قلبه و ازدوج مع ضعف الايمان و امثال ذلك كما هو الظاهر ممن يعمل هذه الاعمال و بالجملة فكلامه هذا خارج عن مدلول الآيات ، نعم على القول بان المراد به هو عثمان عفان لا يبعد ذلك الا انه مع ذلك

توصيفه بالغنى و التكبر والغرور ايضاً غير مفروض في تلك الآيات بل المذكور فيها مجرد صدور هذه الافعال منه ، فمنشأه اي شيء من التكبر و الغنى و الغرور ، او حبه الدنيا و اهلها و عظمة المشركين في عينه و حقارة اهل الايمان و الاسلام في نظره ، او غير ذلك ، فلم يذكر في الآيات ، نعم ظاهر هذه الاعمال عظمة المشركين و سيادتهم فيما بينهم في عينه و اقباله الى الدنيا و ثروتها و حقارة اهل الايمان و الاسلام اذا كان مع الفقر و العمی في نظره و حسابه ، و على كل حال فشيء من ذلك لا يؤيد مقصود هذا المؤلف .

وثانياً: ان العتاب فيها ليس لمجرد المواخذة على مسلم يعظم المشركين لثروتهم و شرفهم و سيادتهم الجاهلية، وان يحقر مؤمناً أعمى فقيراً مقبلاً - ساعياً مستراً شداً يريد أن يتزكى مع استعداده و قابليته لذلك ، يحقره لكونه فقيراً أعمى ، ليس لمجرد ذلك ، و ان كان ذلك ايضاً بمجرد ذنباً عظيماً لا يخفى على العاقل اللبيب تبعاته و آثاره على الاسلام و المسلمين من حيث أنه يوجب تضعيف الاسلام و المسلمين و تقوية المشركين - لا - بل ظاهر الآيات ان العمدة في عتابه انه عرض نفسه في سبيل الدعوة الاسلامية و تظاهر بذلك مع هذه الاعمال الردية المردودة في الاسلام الكاشفة عمّا نفسه في من الصفات المذمومة و هذا ذنب عظيم و ايجاد نقص كبير في مقام الزعامة الاسلامية و كثير من الشناعات في سبيل الدعوة الاسلامية و انتشارها انما تنشأ من ذلك حيث ان فاسقاً او دنياً في الصفات و الاخلاق و الاعمال مثل يزيد بن معاوية و امثاله يتجلون بصورة زعماء المسلمين و خلفاء رسول رب العالمين فيعظمون الفساق و الكفار و المشركين و يحقرون المسلمين و صفوة المؤمنين بل يقتلون و يأسرون و يحقرون و يسيئون على الحسين صلوات الله عليه و اهل بيته و انصاره من صفوة المؤمنين سلام الله عليهم و عمدة الذنب على المسلمين الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون و يتجاهلون و لا يتدبرون القرآن ، و الا فكيف استتر الحق في تفسير هذه الآيات من سورة عبس حتى يدعى انعقاد الاجماع من مفسري اهل السنة بالصاق غبار عتابها بذيل قداسة النبي الخاتم الطاهر المطهر ، مع صراحتها بطهارة السفارة و برهم و كرامتهم بعد العتاب الشديد على العابس المتعرض نفسه في دعوة الاسلام و نشره .

واما قوله فلنفرض ان اعراضه عن الاعمى الفقير كان مذموماً ، لكن اقباله على

امثاله وزملائه ليس بمثابة ينزل الوحي في عتابه بهذه العبارة (اما من استغنى) الخ فنقول ان المؤلف كأنه فرض مورد العتاب في الآيات مجرد تعظيم غني لغني مثله وتصوّر ذلك بصورة ما نرى في زماننا من القاء آداب الاسلام والغائها فيما بين المسلمين لا سيما بين أهل السوق حيث لا يفرقون بين المسلم والكافر والمشرک واليهودي والنصراني وغيرهم و صار ذلك بينهم امراً هيناً وهو عند الله عظيم ، مع ان الاسلام يحكم بنجاستهم ويقول (لا- تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايديهم بروح منه ويدخلهم جنات)(1)، وقال تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جائكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم (الى أن قال) ان يتفقوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا)(2)، ثم يوجب ويفرض على المؤمن مودة المؤمنين واخوتهم وتعظيمهم و تكريمهم ولا يتهم والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وانما المؤمنون اخوة هذا.

ولكن العمدة في العتاب ما ذكرناه من بروز تلك الافعال على حاشية الدعوة الاسلامية وفي جنبها فاقبل الى الغني متصدياً له ومتواضعاً في قبالة مع تحقيره المؤمن الفقير الاعمى فيتصور من ذلك حتى عند هذا المستغني ان الاسلام دعاية لمجلبته الثروة واهلها ولرئاسة صاحب الدعوة وان صاحب الدعوة ليس له وراء الثروة والرياسة والدنيا في نفسه شي ككثير من احبار النصرارى وقسيسيهم وان الدين وسيلة لجلب الغنى والرياسة الى انفسهم وانه مثل شبكة لاصطياد الماديات كالمكاتيب المادية الا انه بنحو غير مستقيم فيتظاهرون ويتفوهون بشيء ورائه شي آخر من الاغراض الفاسدة المادية كما يقوله الماديون بالنسبة الى جميع الاديان السماوية ، وليس لهم مستند دعاية الا ما يترانى من بعض من يتلبس بلباس الداعي الى الحق من دون حقيقة في نفسه ، والا فمن يدعوا الى الاسلام عن ايمان واعتقاد فهو قبل دعوته صار مصبوغاً بصبغة الاسلام صبغة الله ومن

ص: 187

1- المجادلة 22

2- الممتحنة 1-2

احسن من الله صبغة ، فهو يدعو الى الدين بافعاله ومعاشرته واخلاقه قبل اقواله (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه)(1)، (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله وكفى بالله حسيباً)(2)، (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)(3)، (افمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدي)(4)

وبالجملة ، فالذي يمكن ان يستفاد من خلال تلك الآيات الكريمة ان مورد العتاب مضافاً الى صدور تلك الافعال الذميمة عنه ، و مضافاً الى تظاهرة بها في سبيل الدعوة الاسلامية ونشرها ، كان ايضاً ممن يجب ان يتصدى لمنصب الدعوة الاسلامية واشتغاله بالزعامة الدينية وكان يجد ويجتهد في ان يصوّر نفسه في انظار الناس بهذه الصورة وينتظر من المسلمين او حتى من شخص النبي صلى الله عليه وآله ان يجعلوه على هذا المقام الشريف.

فلذا نرى ان الله تعالى بعد ان يبين نقاط ضعفه عمّا يتوقعه ويعد أن يبعده عن مقام الدعوة بقوله (وما عليك الا يزكي يذكر منهاج الدعوة الاسلامية بمراتبها المتناسبة المترتبة المتنازلة من الله سبحانه ، الى امين وحيه فالى سفيره ورسوله ، وهكذا فيمن بعده ، من حفاظ دين الله وكتابه و منهجه ، فيقول (كلا ، أنّها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، في صحف مكرّمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة).

فراجع لبيان ذلك ص 79-84.

ولعلك بعد ذلك لا يخفى عليك ان عتاب العابس على تصديه واشتغاله بالمستغني و اقباله اليه بعد عبوسه و اعراضه و تلهيه عن الفقير الاعمى المسترشد باي مناسبة يكون وان المناسبة باعلى مراتبها محفوظة في كلام الله سبحانه وانه على ايجازه ، له ان يتحدى باعجازه ، كيف لا وأنه بعد مضي قرون متطاولة كثيرة و تلاعب ايدي الخونة بالتاريخ ، ولا سيما في مسألة الخلافة و الزعامة الاسلامية ، يظهر و يوضح لنا الحقيقة و

ص: 188

1- البقرة 285

2- الاحزاب 36

3- الفتح 29

4- يونس 35

يرشدنا الى ما هو الصواب ويزيل الغبار عن وجه الحق فيما مضى و يدلنا الى مصالحنا فيما سيأتي.

3 - ان سياق الآيات التي بعدها يدل على ان المخاطب هو النبي ص حيث ذكرنا في بيان شأن النزول ان النبي ص كان يقرأ القرآن على المشركين ويعظهم ويدعوهم الى الاسلام ويحرص على ايمانهم الى ان جائه الاعمى وقال - علمني واقرني القرآن - فعبس في وجهه ونزلت الآيات العتابية وفي ذيلها يقول (كلاً أنها تذكرة) انته يعني عن هذا العمل فان تلك الآيات تذكرة فمن شاء ذكره ثم بعدها يمجّد القرآن وانه مرفوع مطهر يقبله قلوب طاهرة ولو من الفقراء وما انت تتوجه الى الاغنياء فغير وجيه فلا يلتقى الكلام الحق على الدني القسي فان قلوبهم لا تتأثر بالموعظة ، ثم يقول في ذمهم (وقتل الانسان ما اكفره)، فاذا لو كان الخطاب متوجهاً الى صحابي او اموي فاي تلك الآيات الا ان نقول لا تحتاج الى المناسبة او نتكلف في ايجادها...».

اقول قد سبق الكلام في مناسبة الآيات التي ذكرها المؤلف وقلنا ان هذه المناسبة هي التي التي تدلنا الى صواب الرأي وطريق الحق ، وان الاستفادة من ظاهر سياقها ان المخاطب فيما قبل كلمة (كلا) غير النبي صلى الله عليه وآله فان النبي ص من السفارة الكرام البررة الذين بايديهم التذكرة التي هي في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فحيث انها مطهرة فلا ينال بدعوتها الا من طهره الله تطهيراً من كل رجس و دنس ولا ينال بعهد الظالمون

وحيث انه قد مر تفصيل ذلك فلا نطيل الكلام باعادته فراجع ص 78 الى 83 و سيأتي انشاء الله تعالى القول في تفسير الآيات الى آخر السورة لسترى اعجازها مع ايجازها لكشف الحق ورفع تحريف المنحرفين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وان السورة يعرفنا العبوس باوصافه و مميزاتة وكيف كان ماهيته وما جزائه في الآخرة ، وفي قبالة الرسول الطاهر الامين افضل سفراء الله تعالى المتشعشع وجهه و سيرته و اخلاقه و منهاجه في الدنيا والآخرة ، الذي بانوار وجوده و اوصافه و سيرته يستنير المنورون وبه يفوز الفائزون ، وعلى ضوء وجهه يمشي المؤمنون في الدنيا والآخرة ويقال لهم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يا شمال

وإذا راجعت تلك الصفحات التي اشرفنا عليها فترى انا ذكرنا ان كلمة (كلا) ردع عما سبقها ، وليس معناها (انته عن هذا العمل) وان المؤلف (صاحب تفسير نوين) اخذ ذلك عن الشيخ الطبرسي حيث فسر كلمة (كلا) بقوله (لا تعد لذلك و انزجر عنه) وقلنا هنالك أنه غير صحيح و استشهدنا بكلام الشيخ في التبيان ونجم الائمة الشيخ الرضي فعليك بمراجعتها وراجع في ذلك ايضاً كلام ابن هشام في المغني في الباب الاول حرف الكاف من كلمة كلاً وغير ذلك من كلمات القوم وتحقيقتها لتعرف الحق في ذلك وراجع ص 3 - 84.

ثم لا يخفى عليك بعد التأمل في كلام هذا المؤلف ههنا عدم رعاية المناسبة في مقدمات استدلاله الثالث وعدم ربط بينها وبين ما يريد من نتيجتها فاستدلالة هذا اشبه شيء بالطرفة.

«4...- في الموارد المشابهة لها وهي كثيرة قد ذكرنا منها امودجا ، يكون الخطاب فيها كلاً الى شخص النبي ص حتى في الموارد التي يكون المقصود منها غيره ايضاً صار هو المخاطب ، كما في قضية اصحاب الصفة (الذين هم باعتقاد بعضهم كابي الفتوح سبعمائة نفرات وعند بعض آخر كمحمد فريد الوجدي في الدائرة المعارف ستمائة نفرات وفيهم من اكابر الصحابة كابي ذر وعمار و سلمان و امثالهم - و المشركون مضافاً الى اعمالهم الموهنة في حقهم كانوا يشتمونهم و يعدونهم السفلة و السقاط و ان ريحهم ريح الغنم و امثال هذه العبارات و طلبوا من النبي ص طردهم فالخطاب و العتاب في ذلك متوجه الى النبي ص والله سبحانه لم يخاطب المشركين حتى بكلمة واحدة.

فهل كل احد يمكن ان يليق بتشريف الله له بخطابه ولو بصوره العتاب ، و اساساً ليس سياق القرآن كذلك ، فلو انزل آيات في مورد صحابي او اموي عبس على الاعمى عتاباً عليه ، فبالنسبة الى اضطهاد افراد مثل عمّار و بلال و ابن مسعود يلزم ان ينزل سورة كبيرة كسورة البقرة او اكبر منها وهكذا في قتل ابرياء من المسلمين مثل ياسر و سمية والدي عمّار ، مع ان اعظم امودج من هذا القبيل في الذم و اللعن على احد ، هو سورة (تبت) مع أنها بصورة الغيبة لا الخطاب ، وكذا بالنسبة الى الوليد الذي كان وحيد عصره من حيث الشخصية و الثروة حيث انتخب من قبل المشركين ليقضي في حق القرآن و

ارتكب اعظم خيانة و جناية ، فعلى خلاف ما كان يعتقد باطناً و تشخيصه الحقيقي حكم انه قول البشر وانه سحر يؤثر فالله سبحانه في ذلك خاطب نبيه ص و ذم الوليد و اوعده العذاب لكن بشكل الغيبة لا الخطاب فقال - ذرني و من خلقت و حيداً - وهكذا سائر الموارد و بالاخص الخطابات المفردة في اوائل السور سواء كان المقصود بها النبي ص كقوله (انا اعطيناك الكوثر) و (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) و (الم نشرح لك صدرك) او كان المقصود بها عاماً يشمل جميع المسلمين مثل (ارايتم الذي يكذب بالدين) و (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) فالمخاطب هو شخص النبي ص و يحتمل ان الشيخ الطوسي قدس سره توجه الى هذا المطلب في هذه السورة حيث قال قبل قوله (وما يدريك) التقدير قل يا محمد - يعني لا بد أن يقدر ذلك قبله ليتوجه الخطاب الى شخص النبي ص.

و خلاصة الكلام انه اذا بنينا على ان القرآن يفسر بعضه بعضاً كما هو مبنى العلامة آية الله الطباطبائي متع الله المسلمين بطول عمره الشريف في تفسيره الكبير (الميزان) فنحن نقدر (بعد التوجه الى الموارد المشابهة الكثيرة المتفق عليها بين العامة والخاصة على ان المخاطب فيها هو النبي ص وكذا بعد التوجه الى ان سبك القرآن في كلامه عموماً عن الشخصيات الاخير والاشرار ذماً او مدحاً خصوصاً الخطابات المفردة في اوائل السور ان يكون الخطاب متوجهاً اليه ص). ان نقول ان الخطاب هنا ايضاً متوجه اليه صلى الله عليه وآله...».

تحقيق فيما ذكره من أصحاب الصفة

اقول: في كلماته هنا مواقع كثيرة للنظر حتى في نقلياته مثل قصة اصحاب الصفة وما نقل فيهم ، فنقل عن دائرة المعارف لمحمد فريد الوجدي المصري أنهم كانوا ستمائة مع انه ينسب الى القليل انهم اربعمائة و هذه عبارته - اهل الصفة كانوا قوماً من الفقراء - قيل - كان يبلغ عددهم اربعمائة ، كانوا منقطعين في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم للعباده وكانوا يعطون من مال الزكاة ليأكلوا وكانوا كلما جاء حرب خرجوا يجاهدون

بانفسهم ولما كثر المال في ايدي المسلمين وزاد عددهم اخرجهم عمر ليبحثوا عن ارزاقهم بكدهم(1)

وهكذا ما افتراه على الشيخ ابي الفتوح من أنهم كانوا سبعمائة ايضاً غير صحيح بل الشيخ ابو الفتوح يصرح بأنهم كانوا اربعمائة فإنه ذكر في تفسير قوله تعالى (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا- يسألون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فإنّ الله به عليم)(2)، ان اهل الصفة كانوا اربعمائة ، وهذه عبارته بالفارسية قال - و ايشان فقراء مهاجرين بودند، بنزدیک چهارصد مرد بودند ، ايشانرا در مدينة سرائى نبود و مسكنى و ملكى و ضيعتى و عشيرتى و مالى و صنعتى همه روز و شب در مسجد بودندى... ايشان اصحاب صفة بودند... - تفسير ابي الفتح ج 2 ص 384 -

وقال الشيخ الطبرسي بعد ذكره الآية - قال ابو جعفر عليه السلام نزلت الآية في اصحاب الصفة وكذلك رواه الكلبي عن ابن عباس وهم نحو من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر ياورون اليهم فجعلوا انفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله(3).

وقال الشيخ الطوسي قدس سره قال ابو جعفر عليه السلام نزلت في اصحاب الصفة.

وفي البرهان و نور الثقلين اقتصر على ما رواه الطبرسي عن أبي جعفر عليه السلام والظاهر انه انقضى الفقر عن اصحاب الصفة ولم يبق منهم احد على فقره و مسكنته في حدود السنة الخامسة او الرابعة من الهجرة حيث ان آيات سورة الحشر تدل على انه لم يبق من فقراء المهاجرين على الفقر الا- من اقامهم الانصار في بيوتهم فاراد الله تعالى رفع الفقر و ازالته عنهم بان يجري عليهم من فييء بني النضير ما يزيل عنهم الفاقة.

ص: 192

1- دائرة المعارف ج 5 ص 523

2- البقرة 275

3- مجمع البيان ج 1 ص 150 طبع قديم

فعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بني النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم و تشاركونهم في هذه الغنيمة ، وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شي من الغنيمة فقال الانصار بل نقسم لهم من ديارنا و اموالنا و تؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) الآية مجمع البيان.

فهؤلاء كانوا بقية من فقراء المهاجرين فعالج فقرهم بذلك ، فلو كان اصحاب الصفة وهم اشد فقراً ومسكنة و فاقة - باقين على حالهم لكانوا اولى بان يعالج فقرهم مع ان الآية في سورة البقرة بالنسبة الى اصحاب الصفة و الآية في سورة الحشر بالنسبة الى هؤلاء من فقراء المهاجرين الساكنين في بيوت الانصار قريبتان من حيث اللفظ والمعنى. قال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا و يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)(1).

و اما ما ذكره هذا المؤلف من تسمية ابي ذر و سلمان و عمار رضي الله عنهم في جملة اصحاب الصفة، فالظاهر أنه ايضا مما لا اصل له.

فان اباذر رضي الله عنه كان من اوائل من اسلم، رابعهم او خامسهم ، ولما اسلم رجع الى قومه باذنه ص ، ثم لحق النبي صلى الله عليه بعد غزوة الخندق بالمدينة.

قال ابن الاثير - ابو ذر جندب بن جنادة اسلم و النبي ص بمكة اول الاسلام فكان رابع اربعة وقيل خامس خمسة ... ولما اسلم رجع الى بلاد قومه فاقام بها حتى هاجر النبي ص فاتاه بالمدينة بعد ما ذهبت بدر واحد و خندق و صحبه الى ان مات(2).

واما عمار بن ياسر فكان من المهاجرين من مكة الى ارض الحبشة.

قال ابن هشام فكان جميع من لحق بارض الحبشة و هاجر اليها من المسلمين

ص: 193

1- الحشر 9.

2- اسد الغابة ج 1 ص 301.

سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ثلاثة وثلاثين رجلاً ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه(1).

واما سلمان رضي الله عنه فكان بعد اسلامه بالمدينة اول مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله الخندق ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق(2)، او ادى تمام مال المكاتبه لمالكة فصار عتيقاً وحرراً على ما في السيرة النبوية لابن هشام(3)، قال فشهدت مع رسول الله ص الخندق حرراً ثم لم يفتني معه مشهد(4).

كان عطائه خمسة آلاف فاذا خرج عطائه فرقه واكل من كسب يده وكان يسف الخوص(5).

عاش ثلثمئة و خمسين سنة ، يقال انه ادرك عيسى بن مريم وقرأ الكتابين(6).

والظاهر ان المؤلف (صاحب تفسير نوين) اعتمد في ما ذكره من اصحاب الصفة بالنسبة الى هؤلاء من اكابر الصحابة الى الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة)(7)، وقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة)(8)، وطبق برايه ونظره هذه الروايات الضعيفة على اصحاب الصفة ، مع أنه لم يذكر ذلك احد من المفسرين من الفريقين فيما رايناه مضافاً الى ما مر من ضعفها من جهات شتى فراجع(9).

هذه نبذة من عشرات هذا المؤلف في ذكره اصحاب الصفة.

وبالجملة ففيما ذكره لنا فيه مناقشات نذكرها فيما يلي.

1 - ان القرآن حيث انه كتاب هداية لعموم البشر الى يوم القيامة فهذه الجهة قرينة على ان الخطاب فيه مفرداً او جمعاً يتوجه الى العموم سواء كان في اوائل السور او في

ص: 194

1- السيرة النبوية ج 1 ص 303.

2- اسد الغابة ، ج 2 ص 330

3- ج 1 ص 221

4- اسد الغابة ج 2 ص 330

5- اسد الغابة : ج 2 ص 331

6- اسد الغابة : ج 2 ص 332

7- الانعام 52

8- الكهف 28

9- ص 138 - 144

اواخرها او في واسطها كقوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل)(1)، وقوله تعالى (الم تر الى ربك كيف مد الظل)(2)، (واولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى)(3)، وقوله تعالى (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا)(4).

فالخطاب في القرآن نظير الخطاب في الكتب المؤلفة يتوجه الى القراء، الا اذا دل دليل خاص على الاختصاص فلا بد من اتباع هذا الدليل الى مورده الخاص كقوله تعالى (الم نشرح لك صدرك)(5)، (انا اعطيانك الكوثر)(6)، والا فالعموم اوفق و انسب فيخاطب به كل من يقرأ او يسمع او يبلغه.

2- كون الخطاب في مورد او موارد خاصة الى شخصه صلى الله عليه وآله ليس دليلاً ولا قرينة يتكئ عليها في محل آخر لصرف الخطاب اليه مع عدم الدليل فيه بالخصوص فان كل قرينة كلامية تتبع في موردها لا في مورد آخر فانه اشبه بالقياس والتفسير بالرأي.

3- تفسير القرآن بعضه ببعض ليس معناه قياس بعضه ببعض ولا سيما اذا كان

القياس بالعقول الناقصة من جهة بعض التشابه بينها او مع الفارق البين بل معناه تبين بعض الآيات بعضاً آخر وكشف الستر عنها، ولا يمكن ذلك الا مع احراز وحدة الموضوع من جميع الجهات، مثلاً في آية تقول (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)(7)، حيث يتوهم منها الابصار بالعين فتفسرها آية اخرى حيث تقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)(8)، الى غير ذلك من الموارد المتشابهة ذكرها في الميزان وغيره في غيره.

والعجب من المؤلف (صاحب تفسير نوين) الذي يستحسن الاساس التفسيري

ص: 195

1- سورة الفيل

2- الفرقان 45

3- القيامة 35

4- الاعلى 16

5- انشراح 1.

6- الكوثر 1

7- القيامة 23

8- الانعام، 103

الذي بنى عليه سيدنا الاستاد العلامة الطباطبائي في تفسيره حيث لم يراجع في تفسير سورة عبس ليرى أنه لم يرتكب ما ارتكبه ولم يؤيد نزولها في شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل قال ان هذه الآيات غير ظاهرة على انها في شأن النبي ص بعين ما اختاره السيد المرتضى واستدل عليه بادلة كثيرة وقد نقلنا عبارته فيما سبق فراجع.

4 - ان جملة من الخطابات في القرآن لا يمكن ان يتوجه الى النبي صلى الله عليه وآله بوجه من الوجوه وهي ليس بقليل كقوله تعالى (اولى لك فاولى ثم اولى فاولى)(1)والذي يبعد ذلك فيه كقوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل)(2)، لعدم جهة اختصاص له ص فيه الى غير ذلك من الموارد التي ذكرنا بعضها فيما سبق(3).

5 - ما ذكره من ان الخطاب الى النبي ص في موارد العتاب ولو كان فاعله غيره فيه تشريف للنبي ص كلام تخيلي شعري ، فاي تشريف للعتاب على النبي ص فيما فعله غيره من المحرمات او غير المحرمات مما لا يرتضيه الاسلام ، فعلى قول هذا المؤلف لا بد ان نحمل الخطاب في هذه الموارد الى النبي صلى الله عليه وآله تشريفاً له (العياذ بالله) (يا ايها الانسان ما غرّك بربك الكريم)(4)، (بل تكذبون بالدين وانّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون)(5)، (افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون)(6)، (إمنت من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور)(7)، (انا كاشفوا العذاب قليلاً انكم عائدون)(8)، الى غير ذلك من الموارد.

6 - قد ذكرنا سابقاً أنه ليس الابتداء في سورة عبس بالخطاب بل بالغيبة ثم

ص: 196

1- القيامة 35

2- الفيل

3- ص 101

4- الانفطار 6

5- الانفطار 12

6- القلم 39

7- الملك 6

8- الدخان 15

الالتفات منها الى الخطاب ، وحيث أنه من المعلوم وحدة المرجع في كليهما فلا بد من الفحص أولاً من مرجع الضمير الغائب في قوله (عبس) و(تولى) و (ان جائه الاعمى) فاذا تبين هذا الغائب الذي هو مرجع هذا الغائب الذي هو مرجع تلك الضمائر فيتبين المخاطب الذي التفت من الغيبة اليه فليس هنا خطاب ابتدائي ليقال انه لا بد وان يكون متوجهاً الى شخص النبي صلى الله عليه وآله.

فمَنْ هذا الغائب الذي ذمّه القرآن ثم بعد اشتداد الغضب و العتاب عليه صوّره لنا بصورة الخطاب لارائه اشتداد السخط عليه و لياقته بالاهانة عليه بنحو الخطاب من دون ستر و حجاب...

وقد بيننا ذلك مفصلاً في اوائل الكتاب فراجع.

7 - ما ذكره عن الشيخ الطوسي قدس سره لا بد أن يعد من الاعاجيب حيث قال عنه (ويحتمل ان الشيخ الطوسي قدّس سرّه توجه الى هذا المطلب في هذه السورة حيث قال قبل قوله (وما يدريك) ان التقدير قل يا محمد ، يعني لا بد ان يقدر ذلك قبله ليتوجه الخطاب الى شخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

وما ادري كيف يستصلح منه ذلك ، فهل يمكن بعد هذا التقدير ان يتوجه كاف الخطاب في (وما يدريك) الى شخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، بان يكون التقدير هكذا(قل يا محمد وما يدريك يا محمد) ، بحيث لم يكن الخطاب ممكناً بدون هذا التقدير ، فاضطر الشيخ اليه ، وهل اشبته الأمر على هذا المؤلف (صاحب تفسير نوين) بهذا الحد ولم يكن يقدران يفهم او اراد شيئاً آخر (نعوذ بالله). فما التفت الى ان الشيخ الذي يرى ان الآيات العتابية نازلة في رجل آخر غير النبي ص ويكون النبي ص واسطة في ابلاغ تلك الآيات الى هذا الرجل ، فانشاء الخطاب الى ذلك الرجل حين نزول الوحي غير ممكن عند الشيخ الا بتقدير (قل يا محمد ، وما يدريك ايها الرجل العابس في وجه الاعمى فلعله يتزكي) ، فعليه فليس كاف الخطاب عند الشيخ متوجّهاً الى شخص النبي صلى الله عليه وآله بل الامر بالعكس وان النبي مامور بان يخاطب الرجل العابس بالعتاب عليه من الله سبحانه. فما ذكره هذا المؤلف في توجيه كلام الشيخ جهلاً او تجاهلاً من قبيل الجمع بين المتضادين فان فاعل الخطاب لا يمكن ان يكون مخاطباً بل هما متغايران.

«5... - (وخلصته) ان من اعظم آثار الاسلام العجيبة التي يمكن ان يعد من معجزاته تغييره القيم الاجتماعية و اوزانها ، فهو في مدته القليلة في محيط الجهل والفساد رفع عن المجتمع المميّزات القوميّة واسقطها ، وجعل الكرامة للعلم والايمان والتقوى بحيث لو امعنا النظر في زماننا في المجامع البشرية مع ترقياته العجيبة ، انه لم ترتفع تلك المميزات بين الابيض والاسود حتى في مثل امريكا و اوجب ذلك غائلة الحروب الكثيرة بينهما ، او الحرب بين الحزب النازية ومن يقابلهم من الطوائف ، اليهود وغيرهم في المانيا (الجرمن) فهم مع رقيهم في العلوم لم يقدروا على تغيير هذه الخرافات الجاهلية عن مجتمعهم فعند ذلك نقدر أن ندرك عظمة الاسلام في تربيته المجتمع و ازالة تلك الخرافات عنهم.

لكن النبي صلى الله عليه وآله كان مأموراً بالظاهر وان يسير في رسالته بنحو متعارف ففي حروبه كان يجد في تهيئة اسبابها من العِدَّة و العُدَّة ، ولم يكن يهمل شيئاً منها وهكذا في سائر أموره ياخذ الاسباب الظاهرية.

فلهذا كان حينما رأى ضعفاً في الاسلام والمسلمين يتحمل المشقة لأن يلحق الاشراف و الاغنياء بالاسلام لتقويته و جبران ضعفه ولأن يأمن المسلمون من ظلمهم و اذاهم و ضغطهم.

لكن الاشكال الذي ينشأ هيئنا أنه يمكن أن يصير عمله هذا منشأ لسوء الظن ولو كان صغيراً ولحساسيّة الموقف وخطراته لا يمكن ان يصون فيه الا بلطف و عناية من الله سبحانه بان يحفظه و يعصمه.

ولذا ينقل الشيخ الطبرسي في ذيل هذه الآية (فاستقم كما امرت) عن ابن عباس انه لم ينزل عليه ما هو اشد و اصعب من هذه الآية و لذا حينما قيل له ص ما اسرع شيبك قال (صلى الله عليه وآله وسلم) شيبتي سورة هود و واقعة.

ففي هذا الموقف الحساس كان ربّه الرحيم يحافظ و يراقب نبيه و حبيبه فحيث يرى ان ما يوجب اتعاب نفسه غير مؤثر فينبهه و يمنعه عنه كقضية حرث بن نوفل و كلما يرى أنّ ما يعرضه المشركون عليه يكون تحته خدعة و مكر فيعلمه كما في آية 52 من سورة الانعام (ولا تطرد الذين ...) حيث اتاه جبرئيل واعلمه بان ما عرضه المشركون

عليه من طرد الفقراء حتى يؤمن به هؤلاء انما هو لان يطرد عن نفسه هؤلاء وهم لا يؤمنون بعده.

ففي مورد البحث (من سورة عبس) ما فعله من العبوس على الفقير واقباله و تصديه للاشراف في قبال اعمى لا يرى شيئاً لينكسر قلبه - فهذا الفعل لو صدر من غيره لم يكن به بأس، لكنه شخص يؤسس مكتباً جديداً ويريد ان يغير القيم و الاوزان الاجتماعية و يقدم اهل الايمان والتقوى ولو كان فقيراً و يعلن كرامتهم على غيرهم و يحطّ الجاهل وغير المومن و يخفض اوزانهم ولو كانوا من الاشراف و الاغنياء و يسقطهم عن درجة الاعتبار في الانظار. فهذه المعاملة مع الاعمى يمكن أن تصير وسيلة بايدي المترصدين لتحقير الفقراء و تجليل الاغنياء المشركين الكافرين، لكن الله اسقط هذا المستمسك عن ايديهم و عاتب به نبيه ص لاعلان عظمة المؤمن المسترشد ولتعيين مسير نبيه و لاسقاط عظمة المشركين عن اعين الناس.

فلو كان هذه العتابات متوجهاً الى غير النبي صلى الله عليه وآله لم تحصل تلك الفوائد على ان هذا العتاب يدل على قداسة النبي ص كما قدمنا ذلك حيث يدل على أن اعظم ذنب صدر منه هو امثال هذا، فلو صدر منه اعظم منه لذكره في القرآن مع انه لم يكن فيه شيء من امثاله.

(ثم يذكر ما لم افهم تناسبه و ارتباطه وما هو مراده فيقول):

ان المعاتب عليه لو كان له ذنب معتنى به اكبر من ذلك للزم ان يعاتب عليه ايضاً مع أنه لم يذكر في جميع القرآن لهذا الصحابي الاموي شيء.

فلو قيل ان هنا عوتب عليه لاهانتة المؤمن ، ولحفظ حرمة المؤمن وكرامته ، لقلنا أنهم قتلوا المؤمنين في صدر الاسلام فلماذا لم يعاتب عليهم خطاباً، بل وحتى من اهان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ضربه لم يرد عليه خطاب ، حتى ان ابا جهل حينما غضب شديداً على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّه لم يعتن بالهتنا ولا يسجد لها فلو اعد و عبد الله وحده و صلى لأضغط عنقه برجلي حتى يقطع نفسه ، فالله سبحانه يذكره و وقاحته و يهدده بالعذاب لكنه بضمير الغيبة و يجعل المخاطب نبيه ص - ارايت الذي ينهى عبداً اذا صلى - و سيجيء حديثه في سورة العلق انشاء الله.

فهذا ما كان ذكره ضرورياً بنظرنا لحفظ الآيات الكريمة عن التكلف في تأويلها و بهذا النحو تتحفظ الفوائد والنتائج الكثيرة للآيات العتابية...».

اقول: والجواب عنه أولاً: ان ما ذكره من سرعة نفوذ الاسلام في تغيير آثار الجاهلية الى ارقى مجتمع متمدن فاضل راق ورفضه الحميات القومية و تبديلها بصفات حميدة انسانية و اخوة و ايثار و ... وان كل ذلك كان بالاسباب الطبيعية و الاخذ بالطرق العادية التربوية الظاهرية و ... انما كان جميع ما ذكره من الرسول الطاهر المطهر الكريم المنتخب المنتجب المصطفى الذي اختاره من جميع البشر حيث علم الله تعالى انه لم تكن فيه نقطة سوداء و علم انه لايق لان يصطفيه للرسالة الالهية و يجعله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر ، فكان بما فيه من الكمال و الطهارة و القداسة معصوماً مطهراً من كل انحراف ، كما انه كان متصلاً بعصمة الله و مؤيداً من عند الله كان محفوظاً معصوماً من كل زلة و عثرة ، فلم يكن يمشي في حالة وآن من الآفات خالياً عما ذكرناه حتى يعثر ويزل قدمه و حتى يعاتب عليه ، ثم ينسد عنه بعد ذلك باب الاعتراض عنه بهذا العتاب ليكون العتاب سداً يسد به هذه الثلمة الواقعة بما فعله سهواً أو غفلة أو جهلاً (العياذ بالله) بل كان صلى الله عليه وآله في رسالته التشريعية مظهراً للنظام الاكمل الاتم و مجلى اسماء الله الحسنى و صفاته العليا و كان بالمؤمنين رؤفاً رحيماً من غير فتور و قصور و عثور و من غير زلة و غفلة ، فكلما كان موقفه حساساً خطيراً فلم يكن يضره لنورانيته و كماله الذاتية و ان الله تعالى ينصره و كان فضل الله عليه عظيماً و الله سبحانه كان معه ولن يفارقه ليزل قدمه حتى يعاتب عليه.

فكما نحاسب حساسية الموقف و سيره و مسيره فيما بين الاوضاع الطبيعية فكذلك لابد ان نحاسب بنيانه القوي اللايق بذلك المصدق من الله تعالى و ان نحاسب نصره الله لرسوله و حبيبه و نجيبه و عصمته و حفظه.

وثانياً: ما استعان به لتأييد كلامه بآية 52 من سورة الانعام (ولا تطرد) قد مضى تفسيرها و شرحها و جواب ذلك مفصلاً فراجع (1).

ص: 200

1-ص 139

وثالثاً: ان ما ذكره من ان الاموي المعاتب عليه لو كان له ذنب اكبر منه لعوتب عليه مع أنه ليس في القرآن من ذلك اثر ... ففيه مضافاً الى وهن هذا الكلام ووهن منطقه انه كلام خال عن التحقيق ، فان الامويين قد عوتبوا في القرآن ببيانات متفاوتة ولعنت شجرتهم الخبيثة وحذر الله المسلمين من حكومتهم وتسلطهم على المسلمين بافصح لسان وابلغ بيان في سورة الاسراء في آيات عديدة و وصفوا بالفتنة وتعقت بذكر ابليس و دسايسه و وساوسه ، واليك ذكر تلك الآيات:

قال الله تعالى (واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً -60- واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال اءسجد لمن خلقت طيناً -61- قال ارايتك هذا الذي كرمت عليّ لئن آخرتن الى يوم القيمة لا- حتكنّ ذرّيته الا قليلاً- -62- قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزائكم جزائاً موفوراً- (63)- (1)

فالامويون ، هم الشجرة الملعونة في القرآن باتفاق روايات الفريقين ، وهم الذين حذر الله المسلمين فتنتهم فما زادهم الا طغياناً كبيراً على المسلمين ، وهم مظهر ابليس في عداوته على آدم و ذريته و حسده على من كرمه الله من ذرية آدم على ابليس و الابالسة وهم الذين لم يخضعوا للانسانية بل تكبروا و حسدوا على من اصطفاه الله للرسالة وعلى ذريته الذين هم ائمة الرسالة في استدامتها ، فاخذوا جدهم و اجتهدهم في ضغط الاسلام و المسلمين والطغيان على المؤمنين بعد ان اخذوا من المترفين اعواناً و انصاراً فهجموا على القرآن و الاسلام و المسلمين المؤمنين في مدة الف شهر من ملكهم كما اشار الله سبحانه اليه في سورة القدر .

ففي سورة عبس عاتب علي صحابي اموي من الشجرة الملعونة في القرآن ، ونبه المسلمين على طويات روحياتهم وصفاتهم في العبوس على المؤمن المسترشد الفقير الاعمى ، و التولي عنه و الاقبال على ذوي الجاه والثروة من المشركين و الكفار ، فبهذا

ص: 201

عرقهم الله للمسلمين بل جميع الناس ليعلموا ان الاسلام و نبي الاسلام و رسول الحق و الحقيقة و صاحب الدعوة القرآنية و قرانه و دعوته مرفوعة مكرمة مطهرة عن جميع ذلك ، لئلا يصير هذا الصحابي الاموي او من هو اسمه عثمان بن عفان و صفاته يحكي عن صفات شجرته وعشيرته ، صدا و سداً في سبيل الدعوة الاسلامية.

فلو ساعدهم الدهر الخائن و ابناء الدنيا على حكومتهم على الاسلام و المسلمين في مدة الف شهر ، لعلم اهل الحق حقيقة الامر وانهم منحرفون عن الاسلام و القرآن و لا يساعدهم القرآن و الاسلام على حكومتهم و مشيهم و سيرتهم ، ليمشي القرآن و الدعوه الاسلامية بين الناس الى يوم القيامة طليقاً مطهراً مكرماً مرفوعاً عن قذارات الشجرة الملعونة.

فما ذكره هذا المؤلف (صاحب تفسير نوين) من انه لم يذكر في القرآن لهذا الصحابي الاموي ذنب في غير محله ، وما ادري ما الذي كان داعياً لهذا المؤلف في الدفاع الاكيد الشديد الطويل عن الاموميين و الشجرة الملعونة في القرآن و تحريف عتاب القرآن عنهم الى النبي الكريم الطاهر المصطفى صلى الله عليه وآله و سلم مع وجود تصريحات في القران و اقوال رسول الله صلى الله عليه وآله من تجانبهم عن الاسلام و صراطه المستقيم و مع ذلك حرصهم على حيازة الحكومة الاسلامية و مناصب رياستها و تقديم انفسهم في الدعوه الاسلامية و اخذها بايديهم مع انحرافهم عنها علماً و عملاً و خُلُقاً و خُلُقاً و منطقاً مع ان الله سبحانه و تعالى قال (- كلاً - أنها تذكرة .. بايدي سفرة كرام بررة ... قتل الانسان ما اكفره).

ورابعاً ان ما اصر به في مواضع من كلماته من ان الله سبحانه لم يواجه الخطاب في القرآن الى المشركين و الكفار و المنافقين و اعداء النبي صلى الله عليه وآله فقد مرّ جوابه مراراً و انه كلام شعري خيالي خال عن التحقيق ، وقد سبق في نقضه ذكر آيات كثيرة في الخطاب اليهم ، حتى أنه سبحانه في سورة البرائة عنهم يخاطبهم بقوله تعالى (فسيحوا في الارض اربعة اشهر و اعلموا انكم غير معجزى الله و ان الله مخزى الكافرين ... فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله ...) (1).

ص: 202

والخطاب في القرآن الى المشركين و الكفار غير قليل فراجع و تدبر فيها

وخامساً: انّ ما ذكره اخيراً من ذلك ما كان بنظره ضرورياً في حفظ الآيات عن التكلف في التأويل - فهذا من العجائب بعد ان تكلف في طي عشرين صفحة من صفحات كتابه في تأويل آيات السورة ليحمل العتبات فيها على النبي الاعظم الخاتم صلى الله عليه و اله و به يبرء الاموتين عموماً و عثمان بن عفان خصوصاً عن تلك العتبات و التوبيخات و كان كلّ ذلك تأويلات مع التكلف عن ظواهر الآيات الى ما يريد من تفسيرها بأرائه و يحزّف الكلم عن مواضعه من غير سند من ظهور آيات او روايات عن يعقوب باقوالهم من المعصومين عليهم السلام، بل كان جميع ما لفته اعتماداً برأيه في تفسير القرآن و استناداً الى ما ينتهي الى روايات موضوعة مختلقة باسناد ضعيفة مما اشرنا الى بعض ما فيها من آثار وضعها و ضعفها سابقاً فراجع ص 42 و ما بعدها.

مع أنه لم يذكر المخبر عنه في السورة بل بصفاته التي لا يناسب صفات النبي صلى الله عليه و اله بل يناسب صفات عثمان بن عفان و صفات عشيرته و شجرته ، و قد مرّ بيان ذلك ايضاً فراجع (1).

والعجب منه أنه بعد ذلك يقول - وبهذا يحفظ الفوائد و النتائج الكثيرة للآيات العتابية - فما نسجه و لفته مما يرجع الى التوهين على قداسة صاحب الرسالة الخاتمية يسمّيه بالفوائد فسبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

ص: 203

1- ص 86 الى ص 93.

كلام صاحب (قاموس القرآن) و الجواب عنه:

وممن حمل العتاب من هذه السورة (سورة عبس) على عاتق النبي الخاتم صلى الله عليه و اله و سلّم صاحب (قاموس قرآن) من العلماء المعاصرين.

وانى وان لم اعرف شخصه لكن اعجبني كتابه هذا في نظمه و تنسيقه و آثار الفضل و التحقيق والتفسير و خلوص نيّته في ذات الله تعالى و حبّه القران و التدبر في آياته فجزاه الله سبحانه عن الاسلام والمسلمين خيراً.

هذا ولكن (النار قد يخبوا و الجواد قد يكبو) فعثر هنا و زلّ قلمه حيث حمل العتاب من هذه السورة على كاهل افضل ولد آدم سيد الانبياء و افضل السفراء و الرسل و خاتمهم محمد صلى الله عليه واله وسلم في موضعين من كتابه.

الموضع الأول في (عبس)

فنقل كلام مجمع البيان ناقصاً من دون نقله لما اختاره و ارتضاه و ادلته ، ثم ذكر ان اهل السنة و احاديثهم و تقاسيرهم متفقة على ان العتاب في تلك الآيات كان بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه واله ، ثم ذكر كلام السيد المرتضى ثم كلام على بن ابراهيم ثم كلام المحدّث الفيض في الصافي قدس الله اسرارهم ، ثم قال:

يقول المؤلف - اولاً - ان دقة النظر تقضى بان المخاطب هو شخصه (صلى الله عليه و آله و سلم) ففى عين حكاية الآيات عن ملامته ص تحكى عن مسئوليته العظيمة ، و ان وجه الكلام مع من يجب عليه حين ارشاده الناس و قبولهم منه و ان يتساوى الناس في نظره (كلاً أنّها تذكرة فمن شاء ذكره) فتأمل فيها مرة ثانية.

وثانياً ان ما رواه في المجمع و البرهان و الصافي و غيرها عن الامام الصادق عليه

السلام مرسله من غير سند ، وفي المجمع لفظه (روى) وفي البرهان لفظه (على بن ابراهيم قال نزلت في عثمان) ولذا لا يتيسر معها التصرف في ظهور الآيات.

وثالثاً - في كثير من الآيات خاطبه ص بلحن اشد من ذلك مثل (لا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)⁽¹⁾، (ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ما جئتك من العلم انك اذاً لمن الظالمين)⁽²⁾، (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لآخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)⁽³⁾.

والله اعلم والفرق بين هذه الآيات وما في (عبس) ان هذه الآيات مشروطة بما لم يقع ولكن في (عبس) يخبر عن امر تحقق في الخارج.

والطبرسي المرحوم في جوامع الجامع نقل القول المشهور ولم يشر إلى كلام السيد المرتضى على ان هذه الآيات نزلت في اول الرسالة ، و مصونيته من كل ما لا يصلح انما هي بسبب هذه الآيات ونظائرها.

ومن جهة اخرى لم يكن له في ذلك خاطرة سوء بل كان بنفع الدين الا ان تلك الآيات نبهه على شدة مراقبة الله تعالى له.

وفي (سفر) ذيل آية (بايدي سفرة) توضيحات تناسب المطلوب⁽⁴⁾.

وما ذكره هذا المؤلف (وقفه الله للاصلاح) لا يزيد عما ذكره صاحب تفسير نوين ومن سبق ذكرهم ، وقد وقفنا عند كل واحدة من ادلتهم و زلاتهم موقف تحقيق و جواب على اختصار فراجع شرطاً شرطاً.

ولكن نكتفي هنا بما كتبناه على هامش كتابه في هذا المقام - قلنا -

بل دقة النظر في الآيات تقضي بان العتاب فيها في حق غيره صلى الله عليه وآله وهو الذي عرض نفسه فضولة قبال ابن ام مكتوم واجابه عوضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وعبس في وجهه وذلك.

اما اولاً فان الضمائر تكون في الابتداء بشكل الغيبة وبعدها التفت عن الغيبة الى

ص: 205

1- الاسراء 39

2- البقرة 145

3- الحاقه 44، 46

4- (قاموس قرآن) ج 4 ص 285 ص 288).

الخطاب - ينفي المسؤولية عن المخاطب (وما عليك الا يزكى) (مع أنه ص المبعوث من الله سبحانه للتركيزية (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم)(1).

وثانياً في الجملات التي بعد (كلا) جعل مسؤولية التبليغ والتذكير بايدي السفارة الكرام البررة، وان القرآن وتبليغه بايدي السفارة، وذلك تثبت وتظهر ان ما قبل (كلا) خرج عن مجراه الصحيح فيما عومل مع الاعمى (أي لم يكن بايدي السفارة الكرام البررة) و الا فالقرآن وتبليغ الاسلام وتذكرته الذي على رفعة من الشأن والطهارة مرفوعة مطهرة جعل من الله سبحانه بايدي السفارة الكرام البررة، الذين يعاملون مع من يسعى وهو يخشى بالبر والاحسان والاكرام - (كلاً أنّها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرّمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة)، ولفظ (كلا) يردع عمّا قبله مما لم يكن ينبغي ان يتحقق ويوضح فيما بعده، عما ينبغي من الاسلوب الصحيح بحيث لو جرت هذه الواقعة على هذا النحو لم يكن يصدر الخلاف المعاتب عليه.

وثالثاً حسب التتبع الذي وفقنا الله سبحانه له لم يذهب احد من أكابر مفسري الشيعة بل ولا من غير اكابرههم الى هذا القول بل كلّهم ممن يبرّون النبي صلّى الله عليه وآله عنه ويذكرون لذلك ادلة قاطعة.

ورابعاً التفرقة بين الغني وبين الاعمى الفقير في الاقبال والتصدي على الغني والاعراض والتولي عن الاعمى الفقير والعبوس عليه امر قبيح يستقبح من عالم مبلغ اسلامي متعارف فكيف يستصلح مع مقام الطهارة والعصمة والرسالة الالهية الخاتمية التي هي افضل مراتب الرسالة بحيث تستدعى صفات وملكات ارقى من جميع الانبياء والمرسلين، مع ان نوحاً النبي على نبينا وآله وعليه افضل الصلوات، اذ لاومه قومه وقالوا: (وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي)(2)، اجابهم عليه السلام بقوله (وما انا بطارد الذين آمنوا أنّهم ملاقوا ربّهم ولكنني اريكم قوماً تجهلون)(3).

ص: 206

1- الجمعة 2

2- هود 27

3- هود 29

فكيف بخاتم الانبياء وافضلهم واكملهم صلوات الله عليهم اجمعين.

سال الاف وخامساً هناك آيات كثيرة لا يسع المقام لذكرها كلها تنافي ما ذكره من مواجهة العتاب اليه صلى الله عليه وآله مثل (اشداء على الكفار رحماء بينهم)(1)، (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)(2)، وهذه هي سيرته و اوصافه الثابتة الغير المتغيرة التي حكاها الله عنه وقد علم الله ذلك فيه و راه حقاً بنحو لا يشوبه ما يضاده .

وسادساً: ما ذكره هذا المؤلف من الآيات التي بزعمه يواجهه(صلى الله عليه وآله وسلم) بلحن اشدّ فقد ذكر هو بنفسه جوابها وانها كانت مشروطة و معلقة بشروط لم يتحقق و بامور لم يقع فلا تفيد الأحساسية موقفه الخطير ، واما مافي آيات - عبس - فهو عتاب شديد على امور واقعة فلا يمكن ان يتحمّله ص ولا ان يلصق بذيله غباره مع عصمته و طهارته و صفاته العليا التي مدحه الله سبحانه عليها.

وسابعاً ذكر اكابر مشايخ الشيعة العارفون بالمذهب و انظار ائمتهم عليهم السلام أنها في - عثمان - في رجل من بني امية - واما الروايات التي في كتب اهل السنة فهي ظاهرة الضعف و الوضع و التضاد ، وقد مرّ شرط من الكلام في ذلك فراجع .

هذا ما ذكرناه في حاشية كتابه مع تغيير يسير و تعريبه و تفصيل الجواب ما سبق.

الموضع الثاني في (سفر) فبعد أن ذكر - سفر - بالكسر بمعنى الكتاب وجمعه - اسفار - ثم ذكر - سفير - بمعنى الرسول و الوكيل و جمعه - سفراء - ثم ذكر - سافر - بمعنى الكاتب و جمعه - سفرة - و مثل له بقوله تعالى (بايدي سفرة) ثم بعد سطور قال:

المراد من - سفرة كرام بررة - الكتاب المحترم المطاع - من هم - وما الصحف قالوا المراد الملتكة الكاتبون حيث جاء (وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين)(3) وايضاً قالوا- سفراء الوحي و الانبياء.

وايضاً عن قتادة ، أنهم قارؤا القران الذين يقرؤنه و يكتبونه.

ص: 207

1- الفتح 29

2- التوبة 128

3- انفطار 10 و 11

وهكذا بالنسبة الى الصحف ، قالوا - المراد منه اللوح المحفوظ - ويمكن تأييده بآية (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون)(1).

وايضاً قالوا: المراد منه كتب الانبياء الماضين - ويمكن ايضاً ان يستشهد له بآيات تبين ان هذا القرآن كان في صحف الانبياء مثل (انّ هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى)(2)، ونحو (وانه لتنزيل ربّ العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين، وأنه لفي زبر الاولين)(3)، ولا يبعد ان تكون الصحف من الكتب التي كانوا يكتبون القرآن فيها حيث كان بالطبع طاهراً مكرماً محترماً.

وهنا احتمال آخر بان يراد من الصحف القلوب ومن السفارة المفسرون وكتاب القرآن - توضيحه انه جاء بالنسبة الى القرآن (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا- تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون)(4)، هذه الآية صريحة في ان القرآن في القلوب و مكتوبة فيها فالقلوب صحف مخصوصة وفي موضع آخر جاء (كتب في قلوبهم الايمان)(5)، فالقلوب صحف كتابة القرآن.

فالقلوب المكتوبة فيها القرآن محترمة مكرمة - مرفوعة مطهرة - في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة - و اتيان الصحف منكراً - يويد هذا القول.

بايدي من كتب و يكتب القرآن في هذه القلوب ؟ بايدي كتاب مكرم مطاع.

وليتأمل في متعلق الباء في بايدي سفرة وانه ماذا ، فيمكن كونه - مرفوعة - او مكتوبة - وكون الباء للسببية ، يعني ان الآيات القرآنية تذكرة ، فمن شاء ذكره و تعلم و هذه التذكرة في قلوب مكرمة مرفوعة مطهرة ، بايدي كتاب محترم مطيع كتبت فيها و هم الذين استداموا بكتابة القرآن و قرائته و تفهيمه على طول القرون وحيث ان الكتابة في

ص: 208

1- الواقعة: 77 ، 78

2- اعلى ، 18 و 19

3- الشعراء 192 ، 196

4- العنكوت 48 و 49

5- المجادلة 22

القلوب بسبب القراءة و امثالها متيسرة فلذا (بايدي سفره) يشمل جميع طرق التفهيم كتابة او قراءة او غيرهما.

وفي تفسير البرهان عن الصادق عليه السلام ان (سفرة كرام بررة) هم الائمة عليهم السلام.

ولهم عليهم السلام في تفهيم القرآن وكتابته في القلوب حظ كثير.

فيالها كما ان اميرالمؤمنين عليه السلام كتب القرآن جديداً في محل واحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و الروايات عن اهل البيت عليهم السلام في الترغيب بتعلم القرآن فوق الحد كما في الكافي والوسائل.

والاحتمال السابق اكثر ما يقويه انما هو من جهة ان اوائل آيات السورة تقول للرسول صلى الله عليه وآله لماذا تعتني بالاغنياء ومن لا يعتني بالقرآن وتعيس وجهها وتعرض عمّن يريد ان يتزكى بالقرآن ، فلا تصنع هكذا ، فان القرآن تذكرة ، فمن شاء ذكره كائناً من كان.

قال المفسرون جاء جماعة من ذوي الثروة و الجاه من اهل مكة عنده صلى الله عليه وآله وهو يكلمهم بابتهاج لعلهم يؤمنون فيوجب تقوية الاسلام ، اذ جائه ابن ام مكتوم المسلم الاعمى يريد أن يتعلم القرآن منه(صلى الله عليه وآله وسلم)فعبس في وجهه لئلا يتنفروا عنه فلا يسلمون فنزلت هذه الآيات في منعه عن هذا الفعل.

فمن هذا يفهم أنه صلى الله عليه وآله بالنسبة الى نشر الاسلام كان خائفاً فيريد ان يجذبهم الى الاسلام لنشره فقال الله لتسليية قلبه الشريف ، ان الجميع بالنسبة الى القرآن على حد سواء. على ان القرآن حيث يكتب في القلوب الطاهرة بايدي كتاب مكرم فلا يحو بل يتزايد نشره فكن على منهج سواء بالنسبة الى الجميع قوياً كان او ضعيفاً في مقام ترويج القرآن(1).

وقد كتبنا هنا حاشيتين احدهما على بيانه من حيث اللغة على كلمة (سفر) و

ص: 209

ثانيهما على بيانه من حيث التفسير.

ففي الأولى قلنا - ان بيان المتن يوهم ان (سفرة) تقع جمع (سافر) بمعنى الكاتب فقط، وليس كذلك ، بل يمكن ان تكون جمع (سفير) ويمكن كونه جمع (سافر) بمعنى السفير و الرسول ايضاً كما يظهر من مجمع البيان و مجمع البحرين و التبيان و مصباح المنير و البيضاوي ، ولعلّ كلام المتن كان متكياً على كلام الراغب في مفرداته مع انه ايضاً آخر كلامه ذكر ما يوافق ما ذكرناه و هذه عبارته - فالرسول و الملكة و الكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم ما استبهم عليهم(1).

فعلى هذا فبحسب اللغة يمكن أن تكون (سفرة) بمعنى السفراء اي الرسل واما من حيث التفسير القرآني فلا بد من الاستفادة من سياق الآيات و ظواهرها و القرائن و الروايات كما سيأتي توضيحه في الحاشية التالية.

وفي الثانية قلنا - كلمة - كلاً - بمعنى الردع عما قبلها من المطالب مما ذكر من أول السورة يعني ما عبس رجل من بني امية او عثمان لمجيبىء ابن ام مكتوم لتعلم القرآن من النبي الاكرم صلى الله عليه وآله ، مع تصديه و اقباله على الكفار.

كما ذكره علي بن ابراهيم و السيد المرتضى قدس سرهما.

وفي روايات العامة وان نسب ذلك الى شخص النبي صلى الله عليه وآله ، ولكن جميع مفسري الشيعة (على ما تتبعنا) اجابوا عنه و ردّوه.

فعلى هذا فالآيات مع كلمة - كلاً - تبدأ بتخطئة ما سلكه العابس و تبين منهج الدعوة الاسلامية و انها بالقرآن و توضح ان القرآن للتذكرة لمن شاء ان يتذكر و انها في صحف كانت مكرمة من اول نزولها من الله سبحانه ، الى ان بلغ الى الرسول ص و كانت مرفوعة القدر من ان يصل اليها غير ايدي المطهرين (لا يمسه الا المطهرون) و مطهرة عن امثال هذه الانحرافات التي صدرت من العابس في سيرته و سلوكه مع كل من الاعمى الذي يسعى و هو يخشى ، و من يستغني من الكفار ، بل هذه التذكرة و هذا القرآن انما هي بايدي سفرة يعنى جعله الله بايدي سفرائه الذين انتخبهم من عباده الصالحين

ص: 210

1- مفردات القرآن للراغب.

المطهرين لذلك ، و السفراء كرام بررة فلا- يمكن ان يعبس احد منهم مع مثل ابن ام مكتوم (المسلم الفقير الاعمى الذي يسعى وهو يخشى) ويعرض عنه ليصانع ويجامل مع الكفار كلا- ليس الامر كذلك بل سفراء الله طاهرون مطهرون عن ذلك - هم بررة على المؤمنين رؤف رحيم (لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)(1).

ثم ان هذا المؤلف ذكر المحتملات لكلمة (سفرة) و (صحف) و ايدها ببعض الآيات بمناسبات بعيدة وبيانات غريبة مما يطول الكلام بذكرها و اجوبتها و يخرج عن بحثنا و لذلك اعرضنا عن ذكرها و سيجيء القول في بيان ما ذكر في تفسير (سفرة) و (صحف) و البحث عنهما انشاء الله تعالى.

818

ص: 211

1- توبة 128

الاضطراب في بعض التفاسير وجعل المعاتب غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ارجاع بعض الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله وسلم)

اشارة

وهنا لا بأس بالتذكر على شيء:

وهو ان بعض من صرّح بان العتاب في هذه السورة لغير النبي صلى الله عليه وآله مستدلاً بادلة قوية مشى بعد ذلك في ارجاع بعض الضمائر اليه صلى الله عليه وآله على مذهب من جعل المعاتب النبي صلى الله عليه وآله ، مع ان الضمائر كلّها ترجع الى العابس سواء في ذلك الضمائر العتابية قبل الالتفات منها الى الخطاب او الضمائر الخطائية بعد الالتفات و الاولى ذكرهم بكلماتهم لتنبه القراء الكرام.

فمنهم شيخنا المتقدم العلامة الفقيه المفسّر الشيخ ابو الفتوح قدّس سرّه. وقد عرفت في اول الكتاب كلامه و ما استدل به على ان المعني بها غير النبي صلّى الله عليه وآله لكنه في تفسير قوله تعالى (وما عليك الا يزكي) يرجع الضمير اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

(وما عليك الا يزكي) كُفّت او زكى و پارسا نباشد بر تو چيزى نباشد - و - ما - رواست كه نفى باشد و رواست كه استفهام باشد اما آنچه بر تو است بلاغ و رساندن است(1).

ومنهم شيخنا العلامة امام اهل التفسير الشيخ الطبرسي قدس سره فقال:

(وما عليك الا يزكي) اي اي شيء يلزمك ان لم يسلم ولم يتطهر من الكفر فانه ليس عليك الا البلاغ(2).

ص: 212

1- تفسير شيخ ابو الفتوح ج 11 ص 395.

2- مجمع البيان ج 2 ص 483

وقد سبق في اول الكتاب أنه اختار رجوع العتاب الى غير النبي صلى الله عليه وآله ومنهم شيخنا العلامة المفسر المولى فتح الله القاساني في منهج الصادقين فقال قده (فانت عنه تلهي) پس از او مشغول ميشوى يعنى اعراض مينماني مراد انكار تصدّي وتلهي است بر آن حضرت يعنى مثل ترا سزاوار نيست كه از برای مستغنى متصدى شود و از فقير متلهي گردد. (1)

ومنهم العلامة صاحب التصانيف النافعة الكثيرة في علوم الاسلام السيد عبدالله الشبر قدس الله روحه المتوفى سنة 1242 فقال في تفسيره:

عبس - قطب وجهه - وتولى - اعرض - ان - لأن - جائه الاعمى - عنهم عليهم السلام. نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقدر منه و جمع نفسه و عبس و اعرض بوجهه عنه فنزلت - وما يدريك ايها العابس - لعلّه يزكي - يكون طاهر الزكي ...

وما عليك - بأس او اي بأس عليك في - الايزكى - بالاسلام ان عليك الا البلاغ. تفسير السيد عبدالله الشبر قده.

وهنا لا محيص بص لنا عن ان تقدّس و تقدّر مقام شيخ الطائفة الطوسي قدس الله روحه الطاهرة حيث صرّح بالحق من اول كلامه الى آخره و استقام عليه و ما احسن ما ذكره في تفسير هذه الآية - وما عليك الا يزكى - اى قل له وما عليك الا يتزكي.

يعني يا ايها الرسول قل للعابس و ما عليك الا يزكى - فانك ايها العابس ليس لك هذا الشأن و المنزلة فان التزكية شأن الزكي الطاهر و هم السفرة الكرام البررة.

(هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب) (2).

فاما العابس فلا يقدر ان يتحمّل ثقل الدعوة الاسلامية و التزكية و لذا عبس و تولّى ان جاءه الاعمى الذي يسعى و يخشى و انما تصدّي لمن استغنى.

ص: 213

1- منهج الصادقين ج 10 ص 150.

2- سورة الجمعة 2

ما المحمل الصحيح لتضاد كلمات هؤلاء الاكابر.

لا- اشكال في أنهم ما اعرضوا عما اختاروه قبلاً ، كما لا اشكال في أنهم ما ذهلوا ولا نسوا ما ذكروه قبل سطور ، وكذا لا اشكال في ان مختارهم هو الكلام الاول منهم الذي استدلوا عليه بادلة متعددة قاطعة و ابطالوا ما يخالفهم.

فهل القول الثاني كان تقية كما لا يبعد بالنسبة الى الشيخ الطبرسي و الشيخ ابي الفتوح لظهار عدم الاصرار ، فهما كانا زماناً ومكاناً بين المخالف و المؤلف ، او انه بنحو المداراة للمخالف و اظهار عدم الحمية و العصبية ، أو أنه اتكأ على ادلتهم بخلافه لم يعبأوا بذلك الى غير ذلك من المحامل و الله سبحانه اعلم.

وفي ختام هذا القسم من مبحثنا لا بأس بالاشارة الى بعض من مترجمي القران بالفارسية ممن عثر بتلك العثرة مع علو شأن في بعضهم.

فمنهم الشيخ الحكيم الاديب العارف محي الدين الشيخ مهدي القميشة الاصبهاني قدس الله روحه الطاهرة فقال:

(چرا) عبوس و ترش و گشت (1) چون آنمرد نايينا حضورش آمد (2) و تو چه ميدانی ممکن است او مردی پارسا و پاکیزه صفات باشد (3) یا بیاد خدا آید و ذکر حق او را سودمند افتد (4) اما آنکه دارا است (5) (چرا) تو ای رسول باو توجه کنی (6) در صورتیکه اگر او از کفرش بایمان و پارسائی نپردازد بر تو تکلیفی نیست (7) اما آنکس که بسوی تو میشتابد (8) و او مرد خدا ترس و با تقوائی است (9) تواز توجه باو خودداری میکنی (10) این روا نیست که آیات حق برای پند و تذکر است (11) تا هرکه بخواهد پند گیرد (12) آیات الهی در صفحات مکرم نگاشته است (13) که آن صفحات بسی بلند مرتبه و پاک و منزه است (14) بدست سفیران حق (15) که ملائکه مقرب عالی رتبه باحسن و کرامتند.

ففي هذه الترجمة ترى كلمات خارجة عن تعبير القرآن ملصقة به اما مجرد استنباط و اما مقتفية لما ذكره العامة في رواياتهم التي ذكرنا ما فيها سنداً ودلالة و تضاداً لما في الذكر الحكيم و مخالفاً لما في سيرته صلى الله عليه و آله و سلم مثل قوله (چرا) في الآية الأولى كما أنه لم يذكر ترجمة (وتولّى) فيها.

وفي آية (3) فسر (يزكى) بالزكي كما هو احد التفاسير ولم يفسر بمعنى (يتزكي)

وفي آية (5) فسّر (استغنى) بالغنى لا بالذى يستغنى بما له من المال والجاه عن الاسلام والتزكية.

وفي آية (6) اضاف كلمة (چرا بين الهالين للتنبيه على خروجه عن مفاد الاية و لم يخرج بهذا النحو كلمة (اي رسول) مع انها كذلك.

وبهذا النحو الصق غبار العتاب بذيل صاحب العصمة النبوية و الرسالة الخاتمية صلى الله عليه و آله.

(الى آخر ما ذكره على سبيل العثرات التي مضت و سبقت مع اجوبتها)

ومنهم العالم الفاضل المفسّر الشيخ رضا سراج دامت بركاته فقال:

روى خود را ترش کرد و روى گردانيد (1) برای آنکه نايينا - عبدالله بن ام مكتوم - بنزد او آمد (2) و تو چه دانى شايد كه وى بوسيله عمل شايسته - پاك شود (3) يا از مواعظ قران - پند گيرد و پند دادن توبه وى سود دهد (4) واما انكه بمال توانگر است (5) توبه وى اقبال ميكنى (6) بر تو گناهی نيست بر انكه وى از كفر - پاك نشود - چه بعهدہ تو ابلاغ است و بس الى اخره .

فهذا المترجم ايضاً يعين نزول العتاب في حق النبي الاعظم صلى الله عليه وآله في ما اضاف الى الترجمة بين الهالين (چه بعهدہ تو ابلاغ است و بس)

مع انه ليس في كلام الله سبحانه هذه الاضافة و لا قرينة عليها الا ما في روايات ضعيفة اموية مشحونة من آثار الضعف والتضاد و المخالفة للتاريخ الصحيح و الاثار المعتمدة و التخالف لكثير من الآيات الكريمة من القرآن المجيد و قد مضت جملة منها مضافاً إلى أنه مخالف لتفسير الامامية و امامهم الصادق صلوات الله عليه (1).

على أنه مخالف للسيرة النبوية صلوات الله وسلامه عليه و آله بل مخالف لعصمته و طهارته التي هي من الاصول الاعتقادية.

ص: 216

1- وقد سبق ذلك عن بعض من صرح بتوجه العتاب الى غير النبي ص و مع ذلك هنا قال انه ليس عليك الا البلاغ كالشيخ الطبرسي و السيد الشير و الشيخ ابو الفتوح قدس الله اسرارهم و مثلهم صاحب منهج الصادقين و عقبننا ذلك بما يناسبه فراجع ص 184.

مضافاً الى انه مخالف لآيات نفس هذه السورة (سورة عبس) من اولها الى آخرها (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافاً كثيراً) - وسيأتي التوضيح انشاء الله تعالى.

فاساطين الامامية قاطبة (على ما راينا اقوالهم ومضى ذكرها) اما قالوا بانها عتاب على عثمان بن عفان كما قاله علي ابن ابراهيم القمي قدس
سره و اما قالوا بانها في رجل من بني امية.

وعثمان بن عفان اعظم رجل من بني امية كان مسلماً في هذا الزمان وكان متخلفاً بتقديم الاغنياء ولا سيما اقربائه الى ان اجهز عليه عمله و
عاقبه المسلمون في خلافته و رياسته و حاصروه و قتلوه تقتيلاً.

ص: 217

فلو امعنا النظر في تلك الروايات الضعيفة مع ملاحظة سيرة عثمان فهي ايضاً تدلنا على ذلك.

فانها ذكرت ان العبوس قدّم الاشراف الاغنياء و الصناديد على الفقير الاعمى الذي كان يسعى وهو يخشى ولعلّه يزكي.

اما الاعمى الفقير فهو عبدالله بن ام مكتوم باتفاق الروايات.

واما من استغنى من الاشراف ففي الرواية 2 هم عباس بن عبدالمطلب و امية بن 2 خلف الجُمحي وصفوان بن امية وفي الرواية 3 هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة (بن عبد شمس بن عبد مناف) و ابو جهل بن هشام و العباس بن عبدالمطلب و امية بن خلف و الوليد بن المغيرة (بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي)، وفي الرواية 4 هم ابو جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة، وفي الرواية 5 هو ابي بن خلف (بن وهب بن حذافة بن جُمح و هو قتل في غزوة احد قيل قتله رسول الله ص بيده)، وفي الرواية 6 هم عتبة بن ربيعة و العباس بن عبدالمطلب و ابو جهل بن هشام، وفي الرواية 7 هو امية بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جُمح اخو ابي بن خلف، وفي الرواية 14 هو عتبة وشيبة وفي الرواية 16 هو وليد بن مغيرة، وفي الرواية 17 هو عتبة بن ربيعة.

فهذه تسع روايات ذكر فيها اسماء هؤلاء في خمسة منها ذكر عتبه و شيبة من بنى عبد الشمس وغيرهما كانوا من اغنياء قريش او كان له قرابة مع عثمان نسباً او سبباً او رضاعاً او لم يكن له قرابة معه.

وكانوا جميعاً من صنناديد الكفر و اركان المشركين في هذا الزمان وان اسلم

بعضهم بعد ذلك اما طوعاً كالعباس أو كرهاً وكان من المؤلفة قلوبهم كصفوان بن امية حيث اعطاه النبي ص من غنائم هوازن في غزوة حنين من سهم المؤلفة قلوبهم مائة بعير(1).

و اما غير العباس وصفوان فبقوا على كفرهم وعنادهم حتى اهلكهم الله تعالى.

فقتل عبته بن ربيعة في غزوة بدر قتله امير المؤمنين علي عليه السلام. وقتل شيبه ايضاً ببدر قتله حمزة ، وقتل ابو جهل بن هشام ايضاً ببدر ، وقتل امية بن خلف ايضاً ببدر وقتل اخوه أبي بن خلف بغزوة احد.

و اما عبدالله بن المغيرة ابو عبدالشمس المخزومي الذي كان من اكبر الكفار المعاندين المستهزئين لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقد اصاب كلاً من المستهزئين باشارة النبي صلى الله عليه وآله ما اهلكه ، فاشار(صلى الله عليه وآله وسلم)الى اثر جرح باسفل كعب رجل عبدالله بن المغيرة فانتفض به (اي تجدد بعد ما بريء) فقتله(2)، فهذه حالتهم من الكفر والاستهزاء والعناد وسوء عاقبتهم.

فهل يعظمهم رسول الله ويقدمهم ، الرسول الذي كان هو و من معه اشداء على الكفار رحماء بينهم و يحقر ابن ام مكتوم الذي يسعى وهو يخشى.

واما عثمان بن عفان بن ابي العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف الاموي القرشي فهو كان يعظم و يقدم جانب اقربائه واصدقائه كيفما كانوا من الفسق والفجور والكفر ومخالفة الاسلام و الرسول صلى الله عليه وآله و سوء سوابقهم من العناد الاستهزاء بالقرآن والاسلام وايدائهم وتشديدهم على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)والمسلمين حتى كان هو السبب فيما نقم المهاجرون والانصار عليه فحاصروه وقتلوه .

اعطى عثمان مروان بن الحكم بن ابي العاص ابن عمه و صهره من ابنته ام ابان خمس غنائم افريقية ، و هو خمس مائة الف دينار(3).

ص: 219

1- على ما في السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 493 وتاريخ يعقوبي ج 2 ص 53 ط نجف.

2- السيرة النبوية ج 1 ، ص 410

3- الغدير ج 8، ص 257

اعطى عثمان الحارث بن الحكم بن أبي العاص اخا مروان و صهر الخليفة من ابنته عائشة ثلاثمائة الف درهم كما في انساب البلاذري(1).

اعطى عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن امية مائة الف درهم فكلمه علي عليه السلام و الزبير و طلحة و سعد و عبدالرحمن بن عوف في ذلك فقال ان له قرابة ورحماً قالوا افما كان لابي بكر و عمر قرابة و ذورحم الخ(2).

كان العاص ابو سعيد من جيران رسول الله الذين كانوا يؤذونه و قتلته امير المؤمنين يوم بدر مشركاً(3).

اعطى عثمان الوليد بن عقبة بن ابي معيط بن عمرو بن امية اخا الخليفة من امه ما استقرض عبدالله بن مسعود من بيت المال و واهبه له(4).

وكان عقبة بن ابي معيط اشد الناس على رسول الله في ايدائه من جيرانه(5).

وكان الوليد هذا فاسقاً بلسان الوحي زانياً فاجراً مدمناً الخمر متهتكاً لاحكام الاسلام(6).

اعطى عثمان لعبد الله بن خالد بن أسيد بن ابي العاص بن امية ثلاثمائة الف درهم و لكل رجل من قومه الف درهم(7).

اعطى عثمان ابا سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس مائتي الف من بيت المال

في اليوم الذي امر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال(8).

اعطى عثمان عبدالله بن سعد بن ابي سرح اخاه من الرضاعة الخمس من غنائم

افريقية في غزوها الاول - وكان مائة الف دينار(9).

واطبق المفسرون على ان المراد بقوله تعالى (سانزل مثل ما انزل الله) هو

ص: 220

1- الغدير ج 8 ، ص 267

2- الغدير ج 8 ص 269.

3- الغدير ج 8 ص 269.

4- الغدير ج 8 ص 271

5- الغدير ج 8 ص 271

6- الغدير ج 8 ص 274

7- الغدير ج 8 ص 276.

8- الغدير ج 8 ص 277.

9- الغدير ج 8 ص 279

عمال عمان

وكان عماله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط على الكوفة وهو ممن اخبر النبي صلى الله عليه وآله انه من اهل النار - وعبدالله بن ابي سرح على مصر، ومعاوية بن ابي سفيان على الشام ، وعبدالله بن عامر على البصرة ، و صرف عن الكوفة الوليد بن عقبة و ولاها سعيد بن العاص.

وكان السبب في صرف الوليد بن عقبة و ولاية سعيد على ما روى ان الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه و مغنييه من اول الليل الى الصباح فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً(2) في غلائله(3) فتقدم الى المحراب في صلاة الصبح فصلّى بهم اربعاً وقال اتريدون ان ازيدكم النخ(4).

و ولى الكوفة بعده سعيد بن العاص فلما دخل سعيد الكوفة والياً ابى ان يصعد المنبر حتى يغسل و امر بغسله و قال ان الوليد كان نجساً رجساً فلما اتصلت ايام سعيد بالكوفة ظهرت منه امور منكرة(5).

عزل عثمان سعد بن ابي وقاص عن الكوفة واستعمل عليه وليد بن عقبة بن ابي معيط ابان بن ابي عمر ذكوان بن امية بن عبد الشمس و هو اخو عثمان لأمه(6).

عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر و استعمل عليه عبدالله بن سعد بن ابي سرح وكان اخا عثمان من الرضاعة(7).

ص: 221

1- الغدير ج 8 ص 281

2- تفضّل - لبس الفضال ، هو الثوب الذى يبتذل في الشغل او للنوم.

3- والغلائل جمع الغلالة - شعار يلبس تحت الورع او تحت الثوب.

4- مروج الذهب ج 2 ص 234

5- مروج الذهب ج 2 ص 236.

6- تاريخ ابن الاثير ج 3 ص 82.

7- تاريخ ابن الاثير ج 3 ص 88

عزل عن البصرة ابا موسى الاشعري و استعمل عليه عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدالشمس و هو ابن خال عثمان(1).

عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة و ولاها سعيد بن العاص(2).

وقيل ان الوليد سكر و صلى الصبح باهل الكوفة اربعاً ثم التفت اليهم و قال ازيدكم فقال له ابن مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم و شهدوا عليه عند عثمان فامر علياً بجلده فامر علي عبدالله بن جعفر فجلده(3).

و اقطع عثمان مروان بن الحكم فذك و هي صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله التي طلبتها فاطمة ميراثاً(4).

وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة ابيها صلوات الله عليه تارة بالميراث و تارة بالنحلة فدفعت عنها(5).

قال البلاذري رواية عن ابن عباس انه قال كان مما انكروا على عثمان أنه ولي الحكم بن ابي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة الف درهم فوهبها له حين اتاه بها(6).

قال ابن قتيبة و ابن عبد ربه و الذهبي و مّا تقم الناس على عثمان انه آوى طريد النبي صلى الله عليه وآله الحكم و لم يؤوه ابو بكر و عمر و اعطاه مائة الف(7).

قال الواقدي و مات الحكم بن ابي العاص بالمدينة في خلافة عثمان فصلّى عليه و ضرب على قبره فسقطاً(8).

هذه نبذة من سيرة عثمان بن عفان مع بني امية من اقربائه الشجرة الملعونة في القرآن و اذناهم و اشباههم من المتجانين عن الاسلام و رسوله صلى الله عليه وآله.

ص: 222

1- تاريخ ابن الاثير ج 3 ص 99.

2- تاريخ ابن الاثير ج 3 ص 105.

3- تاريخ ابن الاثير ج 3 ص 107.

4- الغدير ج 8 ص 237.

5- الغدير ج 8 ص 237 نقلاً عن ابن ابي الحديد في شرح النهج.

6- الغدير ج 8 ص 242.

7- الغدير ج 8 ص 242.

8- الغدير ج 8 ص 243.

وقد مضى ص 1.3 الى ص 112 شطر يسير من سيرته مع اكابر المسلمين من المهاجرين والانصار من اضراب ابي ذر و ابن مسعود وعمّار وغيرهم ممن مدحهم الله تعالى في كتابه و بلسان نبيه ص.

واما رسول الله صلى الله عليه وآله فسيرته معروفة مشهورة وقال سبحانه: (محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعاً

سجداً يبتغون فضلاً من ربهم و رضواناً).

فهل ما في سورة عبس من العبوس والتولي عن الفقير المؤمن الاعمى وهو يسعى و يخشى و التصدى لمن استغنى من صنديد الكفر و اركان المشركين المستهزئين على الاسلام و القرآن ، كان مناسباً لسيرة عثمان او رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومما يدلنا في نفس سورة عبس ان العبوس كان هو عثمان دونه ص امور سنذكر بعضها و سيأتي تفصيلها انشاء الله.

1 - ابتداء فيها بنحو الغيبة ثم التفت الى الخطاب وقد سبق ذلك مشروحاً (1).

2 - ما ذكره تعالى بعد كلمة كلاً انها تذكرة وسبق ذلك ايضاً (2).

3 - ما ذكره تعالى بعد توصيف سفراء الله بأنهم كرام بررة و ان منصب التذكير بايدي سفرة ، من قوله (تعالى قتل الانسان ما اكفره) حيث ان ظاهره الرجوع الى الرجل العبوس الذي يكفر بالحقايق و يستر بعمله الصفات المحمودة ممن يسعى وهو يخشى تحت العناوين الموهومة من الغنى و شرف القبيلة و العشيرة و امثالها.

4 - ما ذكره تعالى من قوله تعالى (كلاً لما يقض ما امره) فالعبوس لم يؤد ولم يقض ما امره الله بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله - حيث قال: (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وقال تعالى (محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) - مضافاً الى كثير من آيات الامر باخوة المؤمنين و تكريمهم و بغض الكفار و المشركين و البرائة منهم و تحقيرهم.

5 - ما اوعده الله سبحانه في يوم القيامة من فرار الاقرباء بعضهم من بعض و عدم

ص: 223

1- ص 90.

2- ص 99

نفع بعضهم لبعض فما صنعه العبوس على المؤمن من تكريم أقربائه وغيرهم من اشراف قومه لا ينفعه (يوم الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وأمه و ابيه و صاحبتة و بنيه لكل امرء منهم يؤمئذ شأن يغنيه).

6 - ما مثل الله سبحانه من تمثال الوجهين يوم القيمة الوجه المبتسمة المستبشرة على الاعمى الفقير المؤمن، و الوجه العبوس المتلهي عنه

(وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة)، ولا تكون الا وجوه سفراء الله تعالى الكرام البررة بالنسبة الى المؤمنين والذين يخشون و يسعون الى الله و رسوله فيلقون الرسول البشير مستبشراً متبسماً في وجوه المؤمنين.

(و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتره) - ولا تكون الا وجوه من عبس على المؤمنين و اذلهم في قبال المشركين.

و هل تلك الوجوه الغبرة التي ترهقها قتره امثال وجوه رسول الله صلى الله عليه و آله الذي هو بالمؤمنين رؤف رحيم، ام وجوه بني امية و الذين عبسوا وجهاً على المؤمنين.

فهذه السورة (سورة عبس) سورة واحدة مترادفة متواصلة متناسقة على نسق واحد تهدي آياتها بعضها الى بعضها و يفسر اولها آخرها و يتبين آخرها اولها و اواسطها شاهده على اوانها و اواخرها لا تضل ضمائر بعضها عن بعض فليجل جال بصره و ليبلغ الصفة نظره ينج من عطب و يخلص من نشب فانّ التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستتير في الظلمات بالنور.

وهنا يحسن لنا ان نتذكر مجدداً ما ذكره المحقق المفسر الفيض صاحب الصافي قدس الله نفسه و نظره مدى نظره و تدبره حيث قال قدس سرّه.

واما ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبي صلى الله عليه و آله دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه العتبات الغير اللاتقة بمنصبه ، وكذا ما ذكره بعدها الى آخر السورة ، كما لا يخفي على العارف باساليب الكلام ، و يشبه ان يكون من مختلقات اهل النفاق خذلهم الله.

كلام موجز في معنى العصمة وعصمة الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) و الائمة عليهم السلام

اشارة

لا- يخفى ان سرد الكلام في مبحث العصمة و بيان الخلاف فيها و تحقيق مذهب الحق فيها و ذكر الادلة لها و ذكر ما يترآى منها و ما يضادها و كشف الحقيقة و تفسيرها مضافاً الى نقل الروايات في ذلك و الاستنتاج منها مبحث طويل الذيل يحتاج الى افراد رسالة مخصوصة فيذلك.

وقد كتب في ذلك سيّدنا المرتضى علم الهدى قدس سرّه رسالة مختصرة نافعة اسمها تنزيه الانبياء و تعرّض لكثير من الآيات التي يتظاهر منها المنافاة للعصمة و اجاب عنها وكذا لجملة من الآثار و الروايات في حقهم وفي حق بعض الائمة عليهم الصلاة و السلام وكذا في كتابه الغرر و الدرر المعروف بأمالى السيد المرتضى (قدس سره) ايضاً كثير من التحقيقات في هذا المعنى.

ص: 226

والقول بعصمة الانبياء وكذا الائمة عليهم السلام مما اجمع عليه الشيعة الامامية الاثني عشرية كما صرح به جملة من اكابر العلماء كالسيد المرتضى في تنزيه الانبياء والشيخ المفيد في محكى اوائل المقالات والعلامة في الباب الحادي عشر وغيرهم وان كان ظاهر بعضهم الخلاف في دخالة الاعتقاد بها في الايمان وعدمه كما يظهر من الشيخ الانصاري قده في الرسائل وعلى كل حال فهم مجمعون على عصمتهم جميعاً ، فعن الشيخ المفيد في اوائل المقالات ان جميع الانبياء معصومون عن الكبائر قبل النبوة وبعدها ومما يستخف فاعله من الصغائر كلها واما ما كان من صغير لا يستخف فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوة وعلى غير عمد و ممتنع منهم بعدها ، قال ان هذا مذهب جمهور الامامية والمعتزلة باسرها تخالف في ذلك انتهى .

وقال السيد المرتضى في تنزيه الانبياء ، اختلف الناس في الانبياء عليهم السلام فقالت الشيعة الامامية لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان او صغيراً لا قبل النبوة ولا بعدها ويقولون في الائمة مثل ذلك انتهى .

ونظير ذلك ذكره العلامة قده في شرح التجريد وغيره ثم ذكر اقوال سائر المسلمين سوى الشيعة في ذلك واختلافهم بالنسبة الى ما قبل النبوة او ما بعدها فيما لا يستخف فاعله من الصغائر ، الى غير ذلك مما ذهب اليه بعض الجمهور .

نعم يظهر من الشيخ ابي الصلاح الحلبي قده في الكافي اجماع المسلمين كافة على عصمة الانبياء ع في الاداء قال في الكافي ما لفظه و من حق المبعوث ان يكون معصوماً فيما يؤديه من المصالح والمفاسد من حيث كان تجويز الخطاء عليه في شيء من ذلك عن سهو او عمد ترفع الثقة بشيء مما جاء به ويمنع من امثاله لوقوف الامثال على علم المكلف كون ما امر به صلاحاً و ما نهى عنه فساداً و تجويز الخطاء عليه يرفع الثقة بشيء مما اتى به فوجب لذلك القطع على عصمته فيما يؤديه و لهذا الاعتبار اجمع المسلمون على عصمة الانبياء عليهم السلام في الاداء لعلمهم بان تجويز الخطاء فيه يسقط فرض الشرائع فعلاً و تركاً.

(ثم قال قدس سره) و من حقه ان يكون معصوماً من جميع القبائح صغائرها و كبائرها لأن تجويز القبيح عليه يقتضي التنفير عنه لان من علم مواقعاً للقبيح او جوز عليه ذلك تنفّر النفوس عن اتباعه ولا تسكن اليه سكونها الى من لا يجوز منه يجوز منه القبيح اذ كان الغرض في بعثة النبي صلى الله عليهم العمل بما يأتي به وكان ذلك فرعاً لصدقه الموقوف. على النظر في معجزه المتعلق بحصول داع اليه و جب تنزيهه عن كل شيء نفر عنه انتهى. فمن ذلك يظهر ان اختلاف سائر فرق المسلمين في عصمتهم انما هو في غير مقام اداء الرسالة و اما بالنسبة الى مقام اداء الرسالة فهم مجمعون على عصمتهم واختلافهم في العصمة عن المذاهب المنقولة عنهم بالنسبة الى غير ما يؤدي الرسالة، و ان تمايلوا اخيراً الى ما اجمع عليه الامامية من عصمتهم مطلقاً على ما ذكره الشيخ محمد جواد المغنية عنهم في كتابه فلسفة التوحيد و الولاية فحكى عن الدكتو احمد شبلي من علماء اهل السنة استاد التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية بجامعة الازهر في الجزء الثالث من كتابه مقارنة الاديان ما نصه:

ان الشيعة يثبتون عصمة الانبياء و الائمة ايضاً و يرون ان الرسول لو لم يكن

معصوماً من الزلل لقلت الثقة به ولا نتفت فائدة البعثة ، و العجب ان قول الشيعة بعصمة الانبياء تسرب الى اهل السنة و اصبح راي جمهور المسلمين انتهى.

وبالجملة فالقول بعصمة الانبياء و الائمة عليهم السلام مما اطبق عليه جميع علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية اعلى الله كلمتهم ورفع درجاتهم.

ص: 229

موجز مما ذكره استدلالاً على لزوم العصمة.

وقد استدل على لزومهمافيهم بوجه كثيرة و نذكر بعضها موجزاً كما يلي.

الغرض من بعثة الانبياء تصديقهم و اتباعهم و اقرار الذنوب مما يوهن تصديقهم و اتباعهم فان من يعمل بخلاف ما يقول لا يصدق.

ارتكاب الذنوب مما ينفر الناس عن النبي و الامام وهو خلاف غرض البعثة.

لو صدرت منهم الذنوب لحرم اتباعهم فيما يفعلون و الاجماع و النصوص يدلان على وجوب الاتباع في الاقوال و الافعال فلا بد من عصمتهم ليجوز اتباعهم.

ولو ارتكبوا الذنوب لصاروا من الفساق الذين لا تقبل شهادتهم و من لا تقبل شهادته في امور الدنيا كيف تقبل في امور الدين و الآخرة و الحقائق الغيبية.

لو ارتكبوا الذنوب لوجب ارشادهم و امرهم بالواجب و نهيمهم عن المنكر لا قبول الارشاد منهم (منهم افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى).

ولو ارتكبوا الذنوب لصاروا من الظالمين و قال تعالى - (لاينال عهدى الظالمين).

ان الشيطان قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فلا يقرب المخلصين المصطفين فلا يذنبون ولا يرتكبون المعاصي فهم معصومون.

ان مقام النبوة و الامامة مقام عظيم يجب ان يقوم بامرهما من هو مثال لكل من انواع الفضائل ليكون قدوة للناس قولاً و فعلاً ليهتدي به الناس ويكون اسوة حسنة بجذبة من اخلاقه و افعاله و اقواله فكيف يجوز ان يجعل الله للناس علماً للاهتداء من (هو - ظ) غاو تائه خال عن الفضيلة مقبل الى الذنوب.

وقال العلامة المحقق السيد عبد الله شبر و الدليل على وجوب العصمة مضافاً الى النقل المتواترة و اجماع الفرقة المحقة و الطائفة الحقة امور. (1)

الاول أنه لو انتفت العصمة لم يحصل الوثوق بالشرايع والاعتماد عليها فان المبلغ اذا جوزنا عليه الكذب و سائر المعاصي جازان يكذب عمداً و نسياناً أو يترك مما اوحى اليه او يأمر من عنده فكيف يبقى اعتماد على اقواله.

الثاني انه ان فعل المعصية فاما ان يجب علينا اتباعه فيها فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه واجتمع الضدان وان لم يجب انتفت فائدة البعثة.

الثالث انه لو جاز ان يعصي لوجب ايذائه و التبري لوجب ايذائه و التبري منه لأنه من باب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر لكن الله تعالى نص على تحريم ايذاء النبي ص فقال - (انّ الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة).

الرابع انه يلزم بعصيانه سقوط محله و رتبته عند العوام فلا ينقادون الى طاعته فتنتفى فائدة البعثة.

الخامس: انه يلزم ان يكون ادون حالاً من آحاد الامة لان درجات الانبياء في غاية الشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه افحش كما قال تعالى - (يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) - و المحصن يرحم و غيره يحد و حد العبد نصف حد الحر و الاصل فيه ان علمهم بالله اكثر و اتم و هم مهبط و حيه و منازل ملائكته و من المعلوم ان كمال العلم يستلزم كثرة معرفته و الخضوع و الخشوع فينا في صدور الذنب لكن الاجماع دل على ان النبي ص لا يجوز ان يكون اقل حالاً من آحاد الامة.

السادس: انه يلزم ان يكون مردود الشهادة لقوله تعالى (ان جائكم فاسق بنياً فتبينوا) ، فكيف تقبل عموم شهادته في الوحي و احكام الله تعالى و يلزم ان يكون ادنى حالاً من عدول الامة و هو باطل بالاجماع.

السابع: انه لو صدر عنه الذنب لوجب الاقتداء به لقوله تعالى - (اطيعوا الله و

ص: 231

اطيعوا الرسول ، (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ، (ان كنتم تُحِبُّونَ الله فاتبعوني يحببكم الله) ، و التالى باطل بالاجماع والالاجتمع الوجوب و الحرمة. الثامن: انه لو لم يكن معصوماً لاتنفى الوثوق بقوله و وعده و وعيده فلا يطاع في اقواله و افعاله فيكون ارساله عبثاً.

التاسع: انه لو لم يكن معصوماً لكان محل انكار و مورد عتاب كما في قوله تعالى (اتامرون الناس بالبر و تسون انفسكم) وقوله تعالى (لم تقولون ما لا تفعلون كُتِبَ مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) فيجب ان يكون مؤتمراً بما يأمر به و منتهياً عما ينهى .

العاشر: انه لو كان يخطىء لاحتاج الى من يسدده و يمنعه عن خطائه و ينبهه على نسيانه فاما ان يكون ذلك معصوماً فيثبت المطلوب او غير معصوم فيتسلسل.

الحادي عشر: انه يقبح من الحكيم ان يكلف الناس باتباع من يجوز عليه الخطأ فيجب كونه معصوماً و لأنه يجب صدقه اذ لو كذب و الحال ان الله امرنا بطاعته لسقط محله عن القلوب فتتفي فائدة بعثته . انتهى.

ثم وصل(1)كلامه قده في العصمة في الجهة الكلية الى العصمة في قبال السهو او الاسهاء من الله تعالى للرسول ص او الائمة في مقابل ما عن الصدوق و شيخه محمد بن الحسن بن الوليد قد هما او ما في بعض الروايات في نسيان آدم ع او صلاة امير المؤمنين ع على غير طهر نسياناً أو نسيان الباقر في غسل لمعة من ظهره حين اغتساله عن الجنابة. فاجاب عما يدل على السهو منهم من وجوه.

الاول مخالفتها للآيات القرآنية كقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقوله تعالى (ما اتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) وقوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون) وقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً) ونحو ذلك.

ص: 232

الثاني: انها مخالفة للاخبار الصحيحة المعتمدة باجماع الامامية الدالة على نفي السهو والشك والنسيان عنهم (ثم ذكر عدة من تلك الاخبار الى ان قال قده).

الثالث: أنها مخالفة للدلالة العقلية المعتمدة بالتقليد وهي امور:

الاول انه لو جاز شيء من ذلك عليهم لزم التنفّر عنهم وعدم قبول اقوالهم و افعالهم و هو نقض للغرض.

الثاني: انا مأمورون باتباع النبي ص و الامام عليه السلام و ترك الاعتراض عليهم فلو جاز الخطأ و السهو والنسيان لوجب متابعتهم وكنا مأمورين به و الامر باتباع الخطأ قبيح لا يصدر من الحكيم و النقض بالراوي و الشاهد و المفتي مع عدم عموم حكمهم مردود بأنهم ليسوا بحاكمين و انما هم ناقلون ولا يشترط العصمة في الناقل اجماعاً.

الثالث ان من وجه احتياج الخلق الى النبي ص و الامام ع هو جواز الخطاء على الامة فلو جاز عليهما لاحتاج الى نبي او امام لاشتراك العلة و لزوم الترجيح بلا مرجح و الدور او التسلسل.

و الرابع أنه حافظ للشرع فلو جاز عليه الخطأ و السهو و النسيان لأدى الى التضليل و الاغراء بالجهل و التبديل و صار احتمال النسخ مساوياً لاحتمال السهو و احتمال الصحة مقاوماً لاحتمال الفساد و هو تقيض الغرض المطلوب من العصمة.

الخامس انه لو جاز السهو عليه لم يوثق بشي من اقواله و لا افعاله اصلاً و هو نقض للغرض من نصبه.

السادس انه لو جاز السهو والنسيان على المعصوم لجاز تركه للواجبات و فعله للمحرمات سهواً لان فعل الواجب عبادة و ترك المحرم عبادة و اذا جاز السهو في ترك بعضها جاز في ترك الجميع فلا تصدق العصمة التي تستلزم انتفاء المعاصي مطلقاً.

السابع أنه لو جاز السهو والنسيان و الخطأ على المعصوم في العادة دون التبليغ لجازت جميع المعاصي و الكفر عليه قبل كونه نبيا او اماماً و اللازم باطل بالأدلة العقلية و النقلية فكذا الملزوم و بيان الملازمة عدم الاحتياج الى العصمة في الموضوعين كما ادعيتموه لان الضرورة الى استحالة الخطاء و السهو والنسيان ان كانت مخصوصة بالتبليغ فلا تبليغ في الحالة السابقة و هو واضح بل ذاك اولى بالجواز مع ظهور بطلانه فكذا هنا.

الثامن انه لو جاز الخطأ و السهو على المعصوم لزم افحامه(1) لان للرعية ان لا تتبعه الا فيما علمت صوابه و لا يعلم صوابه الا منه فيدور.

التاسع أنه لو جاز ذلك لم يحصل العلم بقوله ان هذا الفعل سهو او غير سهو لجواز السهو على ذلك القول ايضاً لانه خارج عن التبليغ الا ترى على قولهم قد نفي السهو عن نفسه لما قال له ذو اليمين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال كل ذلك لم يكن و ذلك على زعمكم غير مطابق للواقع.

العاشر انه لو جاز عليه السهو والنسيان في غير التبليغ لجاز منه الكذب سهواً في غير التبليغ ايضاً فلا يوثق بشيء من اقواله في غيره و بطلانه قطعي.

الحادي عشر: لو جاز ذلك لما امكن الاحتجاج بشيء من افعاله و اقواله لاحتمالها السهو والنسيان وذلك باطل قطعاً.

الثاني عشر انه لو جاز ذلك لما قبلت شهادته وحده فضلاً عن دعواه لنفسه و لجاز التوقف في تصديقه وذلك باطل اجماعاً و نصاً و فتوى.

الثالث عشر: أنه لو جاز ذلك عليه لا يمكن وقوع اتلاف مال الغير منه و غضبه نسياناً و نسيانه للحق الذي في ذمته و اذا ادعاه اصحاب الحقوق بذلك احتاجوا الى نبي آخر و امام اخر يحكم عليهما فيدور او يتسلسل.

الرابع عشر: ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة واجبة بالضرورة من الدين و احق الناس بها النبي و الامام ع و ليس ذلك من قسم التبليغ لاختصاصها بالآحاد و الجزئيات و ظهور كون التبليغ بقواعد كلية للاحكام الشرعية سلمنا لكن الامر بالمعروف و النهي عن المنكر باليد من ضرب و غيره خارج عن التبليغ قطعاً و حينئذ يجوز عليهما السهو والنسيان و الخطأ و الغلط فيامران بالمنكر و ينهيان عن المعروف و لا يخفى فساده. الخامس عشر: انه لو جاز السهو والنسيان في غير التبليغ كما يزعم الخصم لجاز عليه تعدي حدود الله سهواً و اذا صدر منه ذلك كان ظالماً لقوله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه - ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) و الظالم لا ينال النبوة و

ص: 234

1- افحامه ، اسكته بالحجة في خصومة او غيرها - المنجد.

الامامة لقوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين).

السادس عشر: انه يلزم من ذلك حط منزلته من القلوب وسقوط محله من النفوس كما يشهد الوجدان بذلك.

السابع عشر: أنه يلزم احتياجه الى رعيته.

الثامن عشر: عدم كون فعله وقوله حجة مطلقاً و اشتباه التبليغ بغيره غالباً.

التاسع عشر: امكان وقوع المعصية وفعل المحرم وترك الواجب سهواً و هو باطل ومما يدل على بطلان ما ادعاه الخصم زيادة على ما ذكر ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام ان الله جعل في النبي خمسة ارواح ، روح الحياة فيه دبّ و درج و روح القوة فيه نهض و جاهد و روح الشهوة فيه اكل وشرب و اتى النساء من الحلال و روح الايمان فيه آمن و عدل و روح القدس فيه حمل النبوة فاذا قبض النبي ص انتقل روح القدس فصار الى الامام و روح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والاربعة الارواح تنام و تغفل و تلهو و تزهو ، ونحوه عن الباقر عليه السلام و قال فيه ان هذه الاربعة الارواح يصيبها الحدثن الآ روح القدس فانها لاتلهو ولا تلعب - ولا يخفى ان النسيان من جملة الحدثن المنفى عنها و الاخبار في ذلك كثيرة يقف عليها المتبع . انتهى(1).

وقال قدس سره في ذكر شرائط الامامة وهي امور:

الاول العصمة كما تقدم لانه حافظ للشرع قائم به فحاله كحال النبي ص و لأنّ الحاجة الى الامام انما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد وحسم م مادة الفتن و ان الامام لطف يمنع القاهرين من التعدي و يحمل الناس على فعل الطاعات و اجتناب المحارم و يقيم الحدود و الفرائض و يؤاخذ الفسّاق و يعزّر من يستحق التعزير فلو جازت المعصية او صدرت عنه لانتفت هذه الفوائد و ايضاً العلة المقتضية لوجوب نصبه جواز الخطأ على المكلف فلو جاز الخطاء على الامام لوجب افتقاره الى امام آخر ليكون لطفاً له و للامامة ايضاً فيتسلسل و للادلة المتقدمة انتهى(2).

ص: 235

1- حق اليقين ج 1 ص 97.

2- حق اليقين ج 1 ص 140.

ما ذكره هشام بن الحكم في العصمة

وعن محمد بن ابي عمير قال ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي اياه شيئاً احسن من هذا الكلام في صفة عصمة الامام فاني سألته يوماً عن الامام اهو معصوم قال نعم قلت له فما صفة العصمة فيه و باي شيء تعرف.

قال ان جميع الذنوب لها اربعة اوجه لا خامس لها الحرص و الحسد و الغضب و الشهوة فهذه منتفية عنه.

ولا يجوز ان يكون حريصاً على هذه الدنيا و هي تحت خاتمه لانه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص

و لا يجوز ان يكون حسوداً لأن الانسان انما يحسد من فوقه و ليس فوقه احد فكيف يحسد من هو دونه.

و لا يجوز أن يغضب لشئ من امور الدنيا الا أن يكون عضبه لله عزّ وجلّ فانّ الله قد فرض عليه اقامة الحدود و أن لا تأخذه في الله لومة لائم و لا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل.

و لا يجوز ان يتبع الشهوات و يؤثر الدنيا على الآخرة لأنّ الله عزّ وجلّ حبّب اليه الآخرة كما حبب اليها الدنيا فهو ينظر الى الآخرة كما ينظر الى الدنيا فهل رأيت احداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح و طعاماً طيباً لطعام مر و ثوباً ليناً لثوب خشن و نعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية(1).

قال الكراجكي(2) واما الدليل على وجوب عصمة الامام فهو ان علة الحاجة اليه ان يكون لطفاً للرعية في الصلاح ليصدّها عن ارتكاب القبائح و الفساد و يردها الى فعل الواجب و السداد حسبما تقدم به الذكر في وجوب الحاجة اليه في كل عصر و هذا يقتضي

ص: 236

1- البحارج 25 ص 192 نقلاً عن الصدوق في العيون و الخصال و العلل و الامالى و معانى الاخبار.

2- في كنز الفوائد ص 161

ان لا يكون علة الحاجة اليه موجودة فيه فأنه متى جاز منه القبيح وفعل غير الجميل كان فقيراً محتاجاً الى وجود امام متقدم عليه ويمنعه مما هو جائز منه و يأخذ على يديه و يكون الكلام في امامته كالكلام فيه حتي يؤدي ذلك الى المحال من وجود ائمة لا يتناهون او الى الواجب من وجود امام معصوم فعلم ان علة الحاجة اليه غير موجودة فيه و الحمد لله. دليل آخر على ثبوت عصمة الامام وما يعلم به ثبوت العصمة للائمة: ان الامام قدوة في الدنيا والدين و اتباعه مفترض من رب العالمين فوجب ان لا يجوز الخطأ و الزلل عليه و الأكان الله قد امر باتباع من يعصيه و لولا استحقاقه العصمة لكان اذا ارتكب المعصية يتضاد التكليف على الأمة وتصير الطاعة منها معصية و المعصية طاعة، وذلك انها مأمورة باتباعه و الاقتداء به فمتى اتبعه في المعصية امثالاً للمأمور من الاقتداء كانت من حيث قصدت الطاعة عاصية لله سبحانه و متى خالفته و لم تعتد به طلباً لطاعة الله تعالى كانت ايضاً عاصية لمخالفتها لمن امرت بالاقتداء به و اتباعه و في استحالة جميع ذلك دلالة على عصمته.

و ليس لاحد ان يقول ان الاقتداء بالامام واجب على الرعية فيما علمت صوابه فيه لان هذا القول تخرجها من ان تكون مقتدية به اذ كانت انما عرفت الصواب بغيره لا بقوله و بفعله فهي اذا علمت بما عمل لمعرفة بصوابه فيه انما وافقته في الحقيقة و لم تعتد به و تتبعه ولو جاز ان يكون اماما لها في شيء عرفت صوابه بغيره كانت اليهود ائمة للأمة في الاقرار بموسى ع لموافقته لهم في العلم بصحة نبوته و هذا يدل العاقل على ان القدوة المتبع هو من عرف الحق به و بقوله و فعله فقد بان به و اتضح ثبوت الاصلين من وجوب الامامة و العصمة و بثبوتهما قد انتظم لنا ما قدمناه من الدليل و في ذلك كفاية و غنى عن التطويل و الحمد لله رب العالمين و صلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

ما ذكره الطوسي والعلامة في العصمة

وقال العلامة المحقق الحكيم محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قدس سره في التجريد و يجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض و لوجوب متابعتة و ضدّها و

الانكار عليه وكمال العقل و الذكاء و الفطنة و قوة الرأي و عدم السهو و كلما ينفر عنه من دنائة الاباء و عهر الأمهات و الفظاظة و الابنة و شبهها و الاكل على الطريق و شبهه . انتهى . وقال العلامة قدس سره في شرحه اختلف الناس ها هنا فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر على الانبياء الى ان قال) وقالت الأمامية أنه يجب عصمتهم عن الذنوب كآنها صغيرة كانت او كبيرة و الدليل عليه وجوه.

احدها ان الغرض من بعثة الانبياء ع إنما يحصل بالعصمة فيجب العصمة تحصيلاً للغرض و بيان ذلك ان المبعوث اليهم لو جوزوا الكذب على الانبياء و المعصية جوزوا في امرهم و نهيمهم و افعالهم التي امرهم باتباعهم فيها ذلك و حينئذ لا يتقادون الى امتثال او امرهم و ذلك نقض للغرض من البعثة.

الثاني ان النبي ص يجب متابعتة فاذا فعل معصية فاما ان يجب متابعتة اولاً و الثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة و الاول باطل لأن المعصية لا يجوز فعلها و اشار بقوله لوجوب متابعتة و ضدها الى هذا الدليل لانه بالنظر الى كونه نبياً يجب متابعتة و بالنظر الى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه .

الثالث انه اذا فعل معصية و جب الانكار عليه لعموم وجوب النهي عن المنكر و ذلك يستلزم ايذاه و هو منهي عنه و كل ذلك محال انتهى (1).

و اضاف العلامة في كتابه نهج المسترشدين الى ذلك بقوله و لجاز أن لا يؤدي بعض ما امر بادائه فيرتفع الوثوق ببقاء الشرع لجواز نسخه

و من هذا علم أنه لا يجوز ان يقع منه الصغائر ولا الكبائر عمداً و لاسهواً و لا غلطاً التأويل و يجب ان يكون منزهاً عن ذلك من أول عمره الى آخره ، انتهى (2).

هذه جملة مما استدلووا به على لزوم العصمة في الانبياء و الائمة صلوات الله عليهم و سيأتي في خلال ما سنذكره انشاء الله ما يزيد في ذلك وضحاً و اقوى سنداً و استدلالاً و امتن واحكم.

ص: 238

1- كشف المراد في شرح التجريد ص 217

2- نهج المسترشدين ص 59.

في تفسير العصمة وجملة مما قيل فيه و ما يرد عليه

إشارة

ولكن العمدة فيما نحن بصده تفسير العصمة و بيان حقيقتها لكي يتضح فساد ما اعتمد عليه بعضهم في ذلك وكذا يكشف الخلل فيما فسره به هؤلاء تلك الآيات الكريمة في سورة العيس.

الكلام في حقيقة العصمة

وقد عرفت العصمة بتعاريف و حدّدت بحدود وكثير منها يمثل جانباً منها و يعرف بعض جهاتها او آثارها و لعلها على صعوبة دركها لا ينال بحقيقتها وكنهها الا من ذاق من حلاوتها ولو قليلاً.

كتاب قواعد العقائد وما ذكره المحقق نصير الدين الطوسي قده في معنى العصمة

قال المحقق الحكيم نصير الدين نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قدس سره في كتابه قواعد العقائد ما لفظه: اختلفوا في عصمة الانبياء ، و العصمة هي كون المكلّف بحيث لا يمكن ان يصدر عنه المعاصي من غير اجبار له على ذلك ، وقال بعضهم هو من لا يصدر عنه المعاصي لا كبيرة ولا صغيرة لا بالتعمّد ولا بالسهو من اول العمر الى آخره وقال بعضهم الصغيرة لا تخلّ بالعصمة وقال بعضهم الشرط في عصمة الانبياء اختصاصها

ص: 239

بزمان دعوتهم لا قبل ذلك و يصدق فيه ولا يكذب لا بالعمد ولا بالسهو والنسيان و اما في سائر الازمنة فيجوز عليه جميع ذلك انتهى كلامه
قده.

ما ذكره العلامة قده في كتابه كشف الفوائد في معنى العصمة

وقال العلامة الحلبي قدس سره في شرحه المسمى بكشف الفوائد ما لفظه - اتفق الناس على ان الانبياء معصومون من الكفر و البدعة الا
عند قوم من الخوارج يقال لهم الفضيلية جوزوا الكفر عليهم لأنهم يجوزون الذنب عليهم وكل ذنب عندهم كفر.

واختلف الناس في العصمة فقال بعضهم هي هيئة تقتضي كون المكلف بحيث لا يمكن ان يصدر عنه المعاصي من غير اجبار له على
ذلك و الآلما يستحق المدح على ذلك.

و منهم من قال بأنه يكون متمكناً من المعاصي لكن لا يصدر عنه كبيرة و لا صغيرة لا بالعمد و لا بالسهو و لا التأويل من اول عمره الى
آخره و الا لجاز الا خلال ببعض الشرائع او بالزيادة عليها وكان(1) معراً عنه و سقط محله من القلوب.

وقال بعض الجمهور ان الصغائر لا يصح في العصمة كما لا يقدر في العدالة

وقال بعض الجمهور العصمة انما يثبت بعد البعثة اما قبلها فلا و يصدق في الشرع و لا يكذب فيه لا عمداً و لا سهواً و ان كان الكذب في
غيره صغيرة لعدم الوثوق بالشرع حينئذ و اما في باقي الازمان فيجوز عليه كل معصية و قال ابن فورك(2) يجوز بعثة من كان كافراً و قال بعض
الحشوية ان نبينا ص كان كذلك لقوله تعالى (و وجدك ضالاً

ص: 240

1- هكذا في نسخة الاصل - وفي الحاشية - الظاهر ان في العبارة تصحيحاً من الناسخ و اصله - وكان معرضاً عنه - اي لو كان صادراً عنه
المعاصي و التأويل لكان معرضاً عنه و سقط محله من قلوب الناس.

2- بضم الفاء وفتح الراء هو الاستاذ ابو بكر محمد بن الحسن ابن فورك الاصبهاني المتكلم العارف توفي في سنة 446 أو سنة 406 كما في
الكنى والالقب للمحدث القمي قده.

فهدي) و هو غلط و الضلال هنا عدم الرشد فيما يتعلق بالامور الشرعية قبل البعثة. انتهى(1).

اقول اما الاقوال المنقولة في كلامهما في معنى العصمة عن الجمهور من العامة فواضحة البطلان ولا سيما بعد ما سبق مما يدل على لزوم العصمة فانها اجل قدراً ممّا ذكروه في معناها و تلك الادلة تبطل ما ذكروه فيهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

و اما ما ذكره المحقق الحكيم الطوسي قدس سره وما في شرحه من العلامة قدس سره فعلى علوقدره في المتانة و الرصانة و البلاغة و الايجاز ففيه جهات من الابهام ، 1 - من حيث كيفية حصوله في ذات المعصوم من جهة الابهاء والامهات و من جهة طهارته من بذور الارجاس و الادناس. 2 - من حيث تأثير افعال المعصوم في ذلك وكيفية اتصاله تنزهاً و تقرباً بالله سبحانه. 3 - من حيث الامداد الغيبي و التأييد و التوفيق الالهي الى غير ذلك من الحثيات التي سنتعرض لها أن شاء الله تعالى.

ما ذكره الشيخ المفيد قده في معنى العصمة

* ما ذكره الشيخ المفيد قده في معنى العصمة(2)

وقال شيخنا المفيد قدس الله روحه الطاهرة - العصمة من الله لحججه هي التوفيق و اللطف والاعتصام من الحجج بهما عن الذنوب والغلط في دين الله ، والعصمة تفضل الله تعالى على من علم انه يتمسك بعصمته و الاعتصام فعل المعتصم وليست العصمة من القدرة على القبيح ولا مضطرة للمعصوم الى الحسن ولا ملجئة له اليه بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى انه اذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له و ليس كل الخلق يعلم هذا من حاله بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والاخيار ، قال الله تعالى (ان الذين سبقتم لنا الحسنى) وقال (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) وقال (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) و الانبياء و الائمة صلوات الله عليهم من

ص: 241

1- كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد ص 72 - 73.

2- في شرح عقائد الصدوق ص 235

بعدهم معصومون في حال نبوتهم وامامتهم من الكبار والصغائر كله والعقل يجوز عليهم ترك مندوب اليه على غير التعمد للتقصير والعصيان ولا يجوز عليهم ترك مفترض الا ان نبينا صلى الله عليه وآله والائمة صلوات الله عليهم من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل حال امامتهم وبعدها واما الوصف لهم بالكمال في كل احوالهم فان المقطوع به كمالهم في جميع احوالهم التي كانوا فيها حججاً لله تعالى على خلقه وقد جاء الخير بان رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة من ذريته كانوا حججاً لله تعالى منذ اكمل عقولهم الى ان قبضهم ولم يكن لهم قبل احوال التكليف احوال نقص و جهل وانهم يجرون مجرى عيسى ويحيى عليهما السلام في حصول الكمال لهم مع صغر السن وقبل بلوغ الحلم ، وهذا امر تجوزة العقول ولا تنكره ، وليس الى تكذيب الاخبار سبيل والوجه ان تقطع على كمالهم عليهم السلام في العلم والعصمة في احوال النبوة والامامة ، وتتوقف في ما قبل ذلك وهل كانت احوال نبوة وامامة ام لا ، و تقطع على ان العصمة لازمة لهم منذ اكمل الله عقولهم الى ان قبضهم عليهم السلام انتهى (1).

بيان بعض ابعاد تحقيقاته وافادته قده.

وما احسن كلامه قدس سره وامتن في بيان حقيقة العصمة فهو يشتمل على بيان ابعاد وجهات من العصمة 1 - أنها لطف و تفضل من الله على من علم أنه يتمسك بعصمته ويمشي تحت اظلال تفضله -2- المعصوم معتصم بحبل العصمة وتمسك بها 3 - ليس كل الخلق قابلاً لهذا التفضل الالهي بل هم الصفوة من الاخيار الذين اصطفاهم الله من الخيرة وعلم الله منهم الخير ذاتاً و اوصافاً و اخلاقاً و افعالاً و اقوالاً فاصطفاهم الله فيما بين هؤلاء الاخيار. 4 - ليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح و لامضطرة و ملجئة للمعصوم الى الحسن بل معها لا يؤثر المعصية على الطاعة ولا يختار العصيان ابداً و حاله حال العصمة . 5 - ان رسول الله ص و الائمة ع يجرون مجرى يحيى وعيسى في حصول الكمال لهم مع صغر السن وقبل بلوغ الحلم مما يدل عليه الاخبار و ليس الى انكاره من العقل دليل بل يجوزه الى غير ذلك مما يستفاد من كلامه قده.

ص: 242

1- بحار الانوار ج 17 ص 96 الى ص 97 شرح القند ص 235.

بعض ما يرد عليه قده من ابهام كلامه و الايراد عليه.

هذا ولكن فيما ذكره قده ايضاً مناطق ابهام بل في بعضها ما يدل على خلافه من الكتاب و السنة او العقل كما في 1- ان تقطع على كمالهم في العلم و العصمة في احوال النبوة و الامامة و تتوقف فيما قبل ذلك فانه سيأتي انشاء الله تعالى ان الطهارة و العصمة لهم تمتد من اول وجودهم الى اخره مرتقياً في درجاتها. 2- ان العصمة فيهم ملازمة 2 لمقام النبوة و الامامة او انها شيء و تفويض مقام النبوة و الامامة لخلق الله سبحانه من الله تعالى شيء آخر. 3- كيفية مشيهم و سيرتهم مع العصمة في جنب عبادة الله سبحانه و الخضوع و الانابة اليه و تأثير معرفة الله سبحانه في عصمتهم الى غير ذلك من الجهات التي سنتعرض لبعضها انشا الله و ان اشار الى بعضها موجزاً.

ما ذكره السيد المرتضى قده في الغرر و الدرر في معنى العصمة

وقال سيدنا المرتضى علم الهدى قده في كتابه الغرر و الدرر ما حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء و الائمة عليهم السلام و هل هي معنى يضطر الى الطاعة و يمتنع من المعصية او معنى يضام الاختيار فان كان معنى يضطر الى الطاعة و يمتنع من المعصية فكيف يجوز الحمد و الذم لفاعلهما وان كان معنى يضام الاختيار فاذكروه و دلوا على صحة مطابقته له و وجوب اختصاص المذكورين به دون من سواهم فقد قال بعض المعتزلة ان الله تعالى عصم انبيائه بالشهادة لهم بالاستعصام كما ضلل قوماً بنفس الشهادة فان يكن ذلك هو المعتمد انعم بذكره و دل على صحته و بطلان ما عساه فعله من الطعن عليه و ان يكن باطلاً دل على بطلانه و صحة الوجه المعتمد فيه دون ما سواه بالقي اللحم الجواب اعلم ان العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح فيقال على هذا ان الله عصمه بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح و يقال ان العبد معصوم لانه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح

واصل العصمة في موضوع اللغة المنع ، يقال عصمت فلاناً من سوء اذا منعت من حلوله به غير ان المتكلمين اجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به لانه اذا فعل به ما يعلم أنه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من فعل القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهراً وقسراً و اهل اللغة يتعارفون ذلك ايضاً ويستعملونه لانهم يقولون فيمن اشار على غيره برأي فقبله منه مختاراً و احتضى بذلك من ضرر يلحقه و سوء يناله انه حماه من ذلك الضرر و منعه و عصمه منه وان كان ذلك على سبيل الاختيار.

فان قيل - افتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح - انه قلنا نقول ذلك مضافاً و لا نطلقه. فنقول انه معصوم من كذا ، و لا نطلق - فيوهم انه أن

معصوم - معصوم من جميع القبائح و نطلق في الانبياء و الائمة عليهم السلام العصمة بلا تقييد لانهم لا يفعلون شيئاً من القبائح ، بخلاف ما تقوله المعتزلة من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر.

فان قيل - فاذا كان تفسير العصمة بما ذكرتم فالأعصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح.

قلنا كل من علم الله ان له لطفاً يختار عنده الامتناع من القبائح فانه لا بد ان يفعل به وان لم يكن نبيا و لا اماماً ، لأن التكليف يقتضي فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع كثيرة غير أنه يكون في المكلفين من ليس في المعلوم ان شيئاً متى فعل اختار عنده الامتناع من القبيح فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ، و لا لطف ، و تكليف من لا لطف له يحسن ، و لا يقبح ، و أنما القبيح منع اللطف فيمن له لطف ، مع ثبوت التكليف ، فاما قول بعضهم ان العصمة هي الشهادة من الله تعالى بالاعتصام فباطل لأن الشهادة لا تجعل الشيء على ما هو به و انما تتعلق به على ما هو عليه لأن الشهادة هي الخبر و الخبر عن كون الشيء على صفة لا يؤثر في كونه عليها فتحتاج اولاً الى ان يتقدم لنا العلم بان زيدا معصوم او معتصم ونوضح عن معنى ذلك ثم تكون الشهادة من بعد مطابقاً لهذا العلم وهذا بمنزلة من سأل عن حد المتحرك فقال هو الشهادة بأنه متحرك او المعلوم أنه على هذه الصفة وفي هذا البيان كفاية لمن تأمله(1).

وبيان السيد قدس الله نفسه يشعر بأنه كان بصدد عرض مسألة العصمة على القول الحق من الاختيار في مقابل الجبر والتفويض مع تحقيقاته في معنى العصمة من حيث نسبتها الى المعصوم ونسبتها الى الله سبحانه فالعصمة من الله سبحانه هو منعه منعه للمعصوم عن وقوعه في القبيح لكن بنحو لا ينافي الاختيار ونسبتها الى المعصوم نسبة الفعل الى الفاعل المختار الذي هو تحت لطف الله سبحانه.

فلم يكن له اهتمام اصيل في تبين جميع ابعاد العصمة و توضيح حقيقتها الا ما يمس بحاجته في ما يبحث عنه

ما ذكره الشيخ الصدوق في رسالة الاعتقادات.

وقال شيخنا الصدوق عليه الرحمة في رسالة اعتقاداته اعتقادنا في الانبياء و الرسل و الملائكة و الائمة صلوات الله عليهم اجمعين أنهم معصومون مطهرون من كل دنس و انهم لا- يذنبون ذنباً صغيراً و لا كبيراً و لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما ولا يؤمرون ، و من نفي العصمة عنهم في شيء من احوالهم فقد جهلهم و اعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال و العلم من اوائل امورهم الى اواخرها لا يوصفون في شيء من احوالهم بنقص و لا جهل(1).

ما ذكره على ابن عيسى الأربلي في كشف الغمة

وقال على بن عيسى الأربلي في كشف الغمة فائدة سنية - كنت ارى الدعاء الذي كان يقوله ابو الحسن عليه السلام في سجدة الشكر و هو - رب عصيتك بلساني و لو شئت و عزتك لاخرستي و عصيتك ببصري و لو شئت و عزتك لا كمهنتي و عصيتك بسمعي و لو شئت و عزتك لا صممتي و عصيتك بيدي و لو شئت و عزتك لكنتي(2) و عصيتك

ص: 245

1- البحارج 17 ص 96.

2- كنع يده ، اشلها و ايبسها

الا ترى ان بعض عبید ابناء الدنيا لو قعد و اكل و شرب و نكح و هو يعلم أنه بمرئى من سيده و مسمع لكان ملوماً عند الناس و مقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده و مالكة فما ظنك بسيد السادات و ملك الاملاك والى هذا اشار عليه السلام - انه ليغان(1) على قلبي و اني لاستغفر الله بالتهار سبعين مرة - و لفظة السبعين انما هي لعدد الاستغفار لا الى الرين و قوله - حسنات الابرار سيئات المقربين.

و نزيده ايضاحاً من لفظه ليكون ابلغ من التأويل و يظهر من قوله عليه السلام عقمته و العقيم الذي لا يولد له والذي يولد من السفاح لا يكون ولداً فقد بان بهذا انه كان يعد اشتغاله في وقت ما بما هو ضرورة للابدان معصية و يستغفر الله منها و على هذا فقس البواقي و كل ما يرد عليك من امثالها و هذا معنى شريف يكشف بمدلوله حجاب الشبه و يهدي به الله من حسر عن بصره و بصيرته رين العمى و العمه.

وليت السيد رحمه الله كان حياً لأهدى هذه العقيلة اليه و اجلو عرائسها عليه فما اظن ان هذا المعنى اتضح من لفظ الدعاء لغيري و لا ان احداً سار في ايضاح مشكله و فتح مقفله مثل سيرى و قد ينتج الخاطر العقيم فيأتي بالعجائب و قديماً ما قيل مع الخواطي سهم صائب(2).

وقال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه بعد نقله - و ما ذكره رحمه الله وجه حسن في تأويل ما نسبوا الى انفسهم المقدسة من الذنب و الخطاء و العصيان و سيأتي تمام القول في ذلك(3).

تمحيص و تذييل على كلام صاحب كشف الغمة

اقول ما ذكره صاحب كشف الغمة رحمه الله و ان كان لا يخلو عن حسن جزاه الله

ص: 247

1- غان على قلبي كذا - غطاء.

2- بحار الانوار ج 25 ص 203 الى ص 205 نقلاً عن كشف الغمة

3- المدرك السابق ، ص 205.

خيراً ورفع له ذكراً الا- انه غير خال عن الابهام والغموض. اما اولاً فلأن ما مثل به من الماكل والمشارب والمناكح يكون من سنة الله في خلقه وفطرته التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله والمشى على سنن الفطرة هو الدين القيم الاسلامي فكيف يمكن ان يعده رسول هذا الدين وائمه صلوات الله عليهم ذنبا منهم في جنب الخالق ويستغفروا منها. و ثانياً: ان ما عدده من المشارب والمآكل و المناكح منهم صلوات الله عليهم من المباحات الغير الراجحة فعلها غير صحيح فان الاكل والشرب من ولي الله الذي يريد بهما حفظ نفسه من الهلاك و تكثير قوته في سبيل ما امره الله به من الوظائف الثقيلة الكثيرة لو لم نقل بكونهما واجبين كمالعله الصحيح فلا اقل من الرجحان و الاستحباب وعدهما من الطاعات قال الله تعالى (وما جعلناهم (اي الانبياء) جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين)(1) وهكذا الامر في النكاح المقصود منه بقاء النسل و تكثير الذرية الطاهرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتنجز ما وعده الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله تعالى (انا اعطيناك الكوثر) الخ وثالثاً تطبيق حالات أولياء الله مع ربهم سبحانه بما في العبيد و ساداتهم ، مما ، مما يرجع الى الظلم والجبر والامور الاعتبارية الغير الحقيقية ، غير مناسب بل بينهما بعد المشرقين، فان مالاولياء عند ربهم حالة المخلوق المربوب في عبادته و عروجه الى ربه وخالقه والهه ، فكيف يقاس هذا بذلك ويستعرف منه ، واما رابطة العبيد مع ملائكتهم فهي رابطة من قهر من افراد الانسان على بعض ابناء نوعه وجعله تحت سيطرته وخدمته من دون ان يكون للسيد بما هو مالك له مزية على عبده في الجهات الانسانية ليكون لعبوديته في ترفيع درجات العبد اثراً حقيقياً .

وبالجملة فالاعتراف بالذنوب والتقصير والعصيان والتوبة والاستغفار منها كثير في ادعية النبي الاعظم والائمة الطاهرين من ذريته (صلوات الله عليهم) ، بل هذا النوع من عبوديتهم وادعيتهم من اعلى انواعها و احلى اذكارها و تدل على درجاتهم الرفيعة في الاستكانة والانابة و التوبة و العبودية و سيرهم الى الله و عروجهم الى اعلى مراتب العبودية و افضل مراحل الانسانية و خلوصهم في قربهم الى الله .

ص: 248

وليس لنا حمل تلك الالفاظ على المعاني التي عندنا فيها ونقيس احوالهم باحوالنا ونفسر الذنوب والعصيان والخطايا في ادعيتهم بما ينشأ عن افعالنا من العصيان والطغيان و مخالفة الاوامر والنواهي و الجهل و الغفلة و النسيان و التمرد .

كما ان هذه التعابير منهم (صلوات الله عليهم) ليست من المجاز والمجازفة في القول والخروج عن الحقيقة وامثال ذلك مما يمكن ان يتوهم ، فانه مقام وقوف العبد الخالص الطاهر عند عبودية ربه العالم القادر القاهر .

كما أن الادعية والمناجاة و الاذكار انما هي ادعيتهم و مناجاتهم مع ربهم واذكارهم و استغفارهم و رجوعهم و توبتهم و عروجهم الى الله مما لا تقدر من السير بهذا النحو معهم فضلاً عن أن يكون انشائها لتعليمنا ، نعم هم أئمتنا و قدوتنا ، لكن نمشي و نتعلم من حقيقة مشيهم و سيرهم ، فكان ذلك منهم الحقيقة لا انشاءً للتعليم و تلقيناً للجاهلين

فهم (صلوات الله عليهم) ، مع انهم لله سبحانه عباد مكرمون لا- يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون لكنهم حيث كانوا في اعلى مراتب العلم و المعرفة بالله تعالى و جماله و كماله و جلاله و عظمته ، فانه تعالى قد اصطفاهم بعلمه و ارتضاهم لغيبه و اختارهم لسره و انتجهم لنوره و ايدهم بروحه ، فكلما يجدون و يجتهدون في مرضاته يرون ذلك في جنب جماله و جلاله حقيراً و دون ما يليق بعظمته فكأنهم خالفوه و ما اطاعوه و عصوه و ما وافقوه فيخافون سوء عاقبته و بعد مسافته عما يريدون من عروجهم و قربهم لديه ، فهم يأتون بكل ما ينبغي ولكن قلوبهم و جلة انهم الى ربهم راجعون.

فهذه الحالة مع مالها من الخضوع و الخشوع و العبودية و الانابة و الاستكانة في اعلى درجاتها و افضل مراتبها يستوجب اجتهاداً و جهداً في سرعة السير و مزيد القرب و الخلوص و الصفا و كثرة جذبهم الى الله سبحانه ، بنحو لا يدركه عقولنا و لا يسع لمعرفة مرتبته افهامنا .

فالمخالفة و العصيان عصيان عما يرون مما ينبغي لعز جلاله و كرم وجهه و الذنب و الاثم لما يخافون مما يوجب استبطائه في عروجهم و تبعاته من قلة حصادهم في جنب عظمة الله سبحانه.

قال الراغب في مفرداته الذنب في الاصل الاخذ بَدَنَبِ الشيء ، ويستعمل في كل فعل يستوخم عُقباه اعتباراً بَدَنَبِ الشيء ، ولهذا يسمّى الذنب تبعه اعتباراً لما يحصل من عاقبته انتهى . وقال أيضاً - الاثم والاثام للافعال المبطنة عن الثواب انتهى .

ما ذكره العلامة المجلسي قده في ترفيع العصمة عما يوهم الخلاف من الاخبار والادعية

وقال العلامة المجلسي قدس سره - في مقام الذب عن توهم الاشكال الناشيء عن تلك التعابير الواقعة في الاخبار والادعية - قال - اعلم أن الامامية رضی الله عنهم عنهم اتفقوا على عصمة الائمة (عليهم السلام) من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فلا يقع منهم ذنب اصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطاء في التأويل ولا للاسهاء من الله سبحانه ، ولم يُخالف فيه الا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد رحمة الله عليهما ، فانهما جوّزا الاسهاء من الله تعالى لمصلحة في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الاحكام، لا السهو الذي يكون من الشيطان ، وقد مرت الاخبار والادلة الدالة عليها في المجلد السادس والخامس واكثر ابواب هذا المجلد مشحونة بما يدل عليها .

فاما ما يوهم خلاف ذلك من الاخبار والادعية فهي مأولة بوجه .

الاول : ان ترك المستحب وفعل المكروه قد يُسمّى ذنباً وعصيانياً ، بل ارتكاب بعض المباحات أيضاً بالنسبة الى رفعة شأنهم وجلالتهم ربما عبّروا عنه بالذنب لانحطاط ذلك عن سائر احوالهم ، كما مرت الاشارة اليه في كلام الاربلي رحمه الله

الثاني : انهم بعد انصرفهم عن بعض الطاعات التي أمروا بها من معاشرة الخلق وتكميلهم وهدايتهم ورجوعهم عنها الى مقام القرب والوصول ومناجاة ذي الجلال ربما وجدوا انفسهم لانحطاط تلك الاحوال عن هذه المرتبة العظمى مقصرين ، فيتضرعون لذلك وان كان بامرهم تعالى ، كما ان احداً من ملوك الدنيا اذا بعث واحداً من مقربي حضرته الى خدمة من خدماته التي يحرم بها من مجلس الحضور والوصول ، فهو بعد رجوعه يبكي ويتضرّع وينسب نفسه الى الجرم والتقصير لحرمانه عن هذا المقام الخطير .

الثالث : ان كمالاتهم وعلومهم وفضائلهم لما كانت من فضله تعالى ولولا ذلك لا يمكن ان يصدر منهم انواع المعاصي ، فاذا نظروا الى انفسهم والى تلك الحال اقروا بفضل ربهم وعجز انفسهم بهذه العبارات الموهمة لصدور السيئات فمفادها اني اذنت لولا توفيقك واخطات لولا هدايتك .

الرابع : انهم لما كانوا في مقام الترقى في الكمالات والصعود على مدارج الترقيات في كل آن من الآتات في معرفة الربّ تعالى وما يتبعها من السعادات ، فاذا نظروا الى معرفتهم السابقة وعملهم معها ، اعترفوا بالتقصير وتابوا منه ويمكن ان ينزل عليه قول صلى الله عليه وآله - واتي لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرّة - .

الخامس : انهم عليهم السلام لما كانوا في غاية المعرفة لمعبودهم ، فكل ما اتوا به من الاعمال بغاية جهدهم ، ثم نظروا الى قصورها عن ان يليق بجناب ربهم عدوا طاعاتهم من المعاصي واستغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصي، ومن ذاق من كأس المحبة جرعة شائقة لا يأبى عن قبول تلك الوجوه الرائقة ، والعارف المحب الكامل اذا نظر الى غير محبوبه او توجه الى غير مطلوبه يرى نفسه من اعظم الخاطئين رزقنا الله الوصول الى درجات المحبين(1). انتهى

تذييل على كلام صاحب البحار و ما يرد عليه

اقول : ما احسن مقام شيخنا العلامة المجلسي رحمه الله في احياء علوم الدين واثار الانبياء والائمة الطاهرين عليهم السلام وما اجل قدره و اغلى ما نستخرج من اللثالي من بحاره ونستضيء من لمعات انواره فجزاه الله عن المعصومين(عليهم السلام)خير الجزاء ولكن كلامه هنا لا يخلو عن اعضاء وشبهة .

اما الوجه الاول : فلان صدور المكروه عنهم أو ترك المستحب او فعل المباح ، غير مسلم لولم نقل بمنعه ، فان الاستحباب والكرهية والاباحة من الاحكام الخمسة غير

ص: 251

الالزامية مما يمكن ان تتغير الى احكام الزامية اخرى بسبب طر و عناوين لموضوعاتها مما يوجب ان يصير مثلاً ترك المستحب واجباً أو مستحباً أكد من فعله بعنوان آخر أو فعل المكروه واجباً أو مستحباً بسبب هذا العنوان الطارىء أو فعل المباح واجباً كما ذكرناه في المناقشه على صاحب كشف الغمه (رحمه الله عليه)، فمن أكل أو شرب الماء لحفظ نفسه المشرفة على الهلاك ليقدر على وظائفه الواجبة الاكيدة فليس أكله وشربه بهذا العنوان مباحاً ، بل لو لم نقل بوجوبه فهو من المستحبات المؤكده ، وهكذا الامر في ترك المستحب وفعل المكروه ، وقد ورد في قضية أنعقاد نطفة الصديقة الطاهرة (عليه السلام) عن مائدة الجنة التي اهدى اليه بعد تركه بيت خديجة (عليه السلام) اربعين يوماً فبعدما اكل النبي صلى الله عليه وآله من المائدة ، امره جبرئيل عن الله سبحانه بترك الصلوة المستحبة التي كان يصلها حين دخوله البيت .

واما الوجه الثاني ، فهي ايضاً مخدوشه ، فان معاشرتهم للناس لهداية الناس من رسالات الله تعالى وما عليهم صلوات الله عليهم من وظائف السفارة والامامه التي جعلها الله عليهم من اثقل العبادات والوظائف ، قال الله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً) وقال تعالى (فجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا) ، فلم يكونوا في معاشرتهم وتبليغ رسالاتهم وهدايتهم وجهادهم الا في مقام العبودية والخلوص مع ربهم ، فليست العبادة منحصرة لهم في حال الخلو ، فكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه في حرب صفين يؤدّي ما كان يصلها قبلاً من الف ركعة في كل ليلة حال الحرب مع اعداء الاسلام، فلم يكن يشغلهم وظائف الامامة والهداية عن ذكر الله ، فهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وابتاء الزكوة ، فكيف يمكن ان يقال بالنسبة اليهم انهم لانحطاط تلك الوظائف بالنسبة الى مقام القرب والوصال والمناجاة يجدون انفسهم مقصرين فيتضرعون الى الله ويعدونها ذنوباً ويستغفرون منها.

وبالجملة فاجتهادهم و جدهم في اداء وظائف الرسالة والامامة والهداية الله سبحانه من اعظم عباداتهم ومع ذلك كانوا في تلك الاحوال ذاكرين الله ، متقربين اليه تعالى ، فكانوا يعبدون الله على حالات شتى ليلاً ونهاراً وسراً و جهراً في خلواتهم وفي حال معاشرتهم مع الناس ، والا فلو كان عبادتهم منحصرة بمثل الصلوة والمناجاة خالية

عن اعباء الرسالة والامامة ، لكانوا مثل احد عباد الامة.

عطا الله باليمان تينها واما الوجه الثالث ، فمما لا يوجب حلّ مشكلة عن البين ، فان كون كمالاتهم وفضلهم وعلومهم من فضل الله تعالى كيف يسوّغ اطلاق الذنب والمعصية على الطاعات و العبادات ، بل يوجب ان يحمدوا الله ويشكروه على فضله وتوفيقه .

واما الوجه الرابع والخامس ، فمشحون بالحسن والمتانة فرضى الله تعالى عنه وارضاه وسيجيء انشاء الله من الآيات والاخبار وما سنذكره في شرحه ما يستوجب أيضاً للمقصود .

ما ذكره المحقق الطوسي في التجريد و العلامة ب امثال اللعبة في شرحه في توضيح العصمة

وقال المحقق الحكيم نصير الدين الطوسي رضي الله عنه في التجريد في باب عصمة الامام(عليه السلام)- ولا ينافي العصمة القدرة ، وقال العلامة رحمة الله في شرحه : - اختلف القائلون بالعصمة في ان المعصوم هل يتمكن من فعل المعصية ام لا ؟ فذهب قوم منهم الى عدم تمكنه من ذلك ، وذهب آخرون الى تمكنه منها .

اما الاولون ، فمنهم من قال : ان المعصوم مختص في بدنه أو نفسه بخاصة(1) تقتضي امتناع اقدامه على المعصية . ومنهم من قال : أن العصمة هي القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية وهو قول ابي الحسن البصري . واما الآخرون الذين لم يسلبوا القدرة ، فمنهم من فسرها بأنه الامر الذي يفعله الله تعالى بالعبد من اللطاف المقربة الى الطاعات التي يعلم معها انه لا يقدم على المعصية بشرط ان لا ينتهي ذلك(2) الى الالغاء . ومنهم من فسرها بانها ملكة نفسانية لا يصدر عن صاحبها معها المعاصي . واخرون قالوا العصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها(3) لا يكون معه داع الى ترك الطاعة وارتكاب

ص: 253

1- بخاصية هكذا في البحار.

2- ذلك الامر هكذا في البحار.

3- لصاحبها هكذا في البحار.

المعصية واسباب هذا اللطف امور أربعة ، احدها : ان يكون لنفسه أو لبدنه خاصة(1) تقتضي ملكة مانعة ملكة مانعة من الفجور وهذه الملكة مغايرة للفعل ، الثاني : أن يحصل له علم بمثالب(2) المعاصي ومناقب الطاعات ، الثالث : تأكيد هذا المعلوم بتتابع الوحي والالهام من الله تعالى ، الرابع : مؤاخذته على ترك الاولى بحيث يعلم أنه لا يترك مهملاً بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الامور الحسنة ، فاذا اجتمعت هذه الامور كان الانسان معصوماً.

والمصنف(رحمه الله عليه)اختار المذهب الثاني، وهو ان العصمة لاتنافي القدرة بل المعصوم قادر على فعل المعصية و الآلما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب و لبطل الثواب والعقاب في حقه ، فكان خارجاً عن التكليف. وذلك باطل بالاجماع وبالنقل في قوله تعالى: (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي)(3). انتهى

تمحيص و تذييل على ما ذكره المحقق الطوسي والعلامة قدهما

اقول : كلام المحقق الطوسي وما حكاه العلامة رضوان الله عليهما عن جماعة من المتكلمين يتكفل لجانب من جوانب حقيقة العصمة ، وكل واحد يرجع الى مافسّرهما كل منهم من المعاني ففي الحقيقة اختلافهم هنا يرجع الى اختلافهم في معنى العصمة ، فمنهم من فسّرهما بنحو لا تنافي القدرة ومنهم من فسّرهما بنحو تنافيهما .

ولا ينبغي الاشكال في ان العصمة شيء يستحق لها المعصوم المدح والثواب والمزية على سائر المكلفين ، فلا بد أن ترتبط بارادته وأختياره وجهده واجتهاده ، وهذا هو الذي يرشد اليه آيات كثيرة واخبار متوافرة ، مضافاً الى الادلة العقلية ، كما اشار الى بعضها العلامة في انتصاره للمحقق الطوسي قدس سرهما وسيجيء انشاء الله من الآيات والروايات ما يوضح ذلك .

ص: 254

1- خاصية هكذا في البحار

2- المثالب المعاييب

3- شرح التجريد ص 228 البحار - ج 17 ص 93 الى ص 94

فمن ذلك يعرف بطلان المذاهب الآخر مما يرجع الى عدم القدرة على المعصية .

وأما من فسرها بانها ملكة نفسانية لا يصدر عن صاحبها معها المعصية فقد فسرها بما يرادف العدالة المشترطة في الشهود وامام الجماعة والقاضي ومرجع التقليد من افراد الامة فلم يات بشيء يوجب اصطفاء الله النبي والامام لسفارة الله وخلافته في ارضه وكونه أميناً لسره ومهبطاً لوحيه وقائداً على خلقه جميعاً ، فمن له هذه المناصب من الله لا بد أن يكون فوق الجميع ، فمن ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رسداً ليعلم أن قد ابغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً .

واما التفسير بانها لطف يفعل الله بصاحبها لا يكون داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، ففيه اولاً : ان هذا اللطف لو كان هو الموجب الوحيد للعصمة كما هو ظاهره فكل من فعل الله به ذلك يصير معصوماً ، فليس للمعصوم مقام شامخ اكتسبه بنفسه وثنياً : ان ذلك اقل مرتبة من العدالة الناشئة عن الايمان بالله واليوم الآخر بحيث يخاف الله فلا يعصية وله الداعي بمقتضى ايمانه الى الطاعة وترك المعصية ، لاعدم الداعي الى المعصية وترك الطاعة .

واما ما ذكره من الامور الاربعة اسباباً لهذا اللطف ، ففيه : ان اللطف الذي ذكره بفعل الله تعالى لا يناسب ان يكون سببه أيضاً بفعل الله من الاسباب الاربعة المذكورة من وجود خاصة في بدنه أو نفسه ومن حصول علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات ومن تأكيد هذا العلم لهم بتتابع الوحي من الله سبحانه ومن مؤاخذتهم على ترك الاولى ليعلموا أن لم يتركوا مُهملاً ، بل يضيق عليهم في ترك الامور الحسنه ، بل المناسب ان يقول ان هذا اللطف يجري من الله سبحانه من هذه الطرق الاربعة .

ثم لا يخفى ان هذه الامور الاربعة وان كان لبعضها في اصل العصمة أو بعضها في بعض مراتب العصمة أثر او قوام ، لكن لا بهذا النحو وسيجيء انشاء الله توضيح ذلك .

وقال بعض الاكابر(1) من المعاصرين(قدس سره)في تعريف العصمة مع اختصار في بعض الفاظه : هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرهم وكبائرهم وعن الخطاء والنسيان

ص: 255

1- هو الشيخ العلامة المحقق الشيخ محمد رضال آل المظفر في كتابه (عقائد الامامية).

وان لم يمتنع يصدر منه ذلك .

وكذا يجب ان يتنزه عما ينافي المروءة ، كالتبذل بين الناس من الاكل في الطريق أو ضحك عال وكلما يُستهجن في العرف العام .

(واستدل على وجوبها في النبي صلى الله عليه وآله) لانه لو جاز صدور شيء من ذلك وصدر منه فأما أن يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصيانياً أو خطأ ، أو لا يجب، فان وجب فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبناه وهو باطل بالضرورة عقلاً ونقلاً ، وان لم يجب فذلك ينافي النبوة التي لا بد ان تقترب بوجوب الطاعة ابدأً، على انه لا يكون مأموناً في اداء الرسالة لاحتمال الخطاء والمعصية في كل ما يؤديه فيصبح كسائر الناس لا يكون لعمله ولا لكلامه تلك القيمة العالية ، كما لا تبقى طاعة حتمية لاوامره ولا ثقة مطلقة باقواله وافعاله(1).

ولا يخفى ان التعريف بذلك مع هذا الاستدلال غير خالية عن المناقشات ، سنذكر بعضها وان امكن تطرّق الاصلاح في بعضها وهي:

1 - قد ذكر في تعريفه التنزه من دون ذكر لمنشأه وانه هل لها منشأ لا يتخلف عن التنزه ام لا ، فانه لو لم يكن عن منشأ نفساني وملكية باطنية توجبها ، فهي أقل منزلة من العدالة التي هي معتبرة في امام الجماعة والشهود . وقد جعلها جملة من الفقهاء عبارة عن الملكية على ترك المعاصي و اداء الواجبات و ترك ما ينافي المروءة ، ولو كان لها منشأ باطني فماذا، وهل هو بنحو لا يمكن معه صدور المعاصي عمداً ولا خطأً ولا غفلةً اوليس كذلك ، وبالجمله فلم تفترق في كلامه (قد) بينها وبين العدالة .

2 - قد ذكر في تعريفها : التنزه وهي من الافعال وفي مقام الاستدلال يقول انه لو جاز ذلك فالنتيجة أنه لا يجوز خلافه فليست هي التنزه بل وجوب التنزه وملازمته لمملكة نفسانية تتبع عنها .

3 - ذكر انه لو جاز صدورها و صدر منه فالتالي الفاسد للصدور لا للجواز .

4 - قوله وان لم يمتنع عقلاً....، أن اراد عدم الامتناع حتى مع حصول منشأ التنزه

ص: 256

1- عقائد الامامية.

فهذا ينافي كونه مأموناً ، وان اراد مع عدم حصول منشأ لها، فقد عرفت انه يوجب انحطاطها عن العدالة ، اللهم الا ان العدالة ، اللهم الا ان يريد به أنه بعد ان المنشأ لها حاصل ، فمع قطع النظر عنه لا يمتنع عقلاً ان يصدر عنه ، بمعنى ان ادوات المعصية من مقدمات الاختيار ، الى آخر ما يمكن ان يصير آله للمعصية موجودة فيه الا انها مقهورة في جنب العصمة .

5- ان العصمة في هي الحفظ او المنع والاستمسك ولا يناسب تفسيرها بالتنزه ، بل لابد من تفسيرها بنحو يناسب المعنى اللغوي أو الأدلة ، والتنزه لا يناسب الأدلة كما عرفت ولا المعنى اللغوي فلا بد في تنزه المعصوم من عاصم وحافظ .

قول آخر في تعريف العصمة:

وقيل في تعريفها :

أنها صفة قوية نفسانية تحصل من مشاهدة ملكوت عالم الوجود وباطنه . وهذه القدرة القوية الغيبية اذا حصلت لاحد يُعصم صاحبها ويحفظ عن مطلق الخطاء والذنوب وهي ضامنة لصيانة صاحبها من الجهات التالية :

1- في مقام تلقي الحقائق يدرك ويشعر بحقيقتها من دون خطاء .

2- في ضبط الاحكام الشرعية وصيانتها لا يسهو ولا يتخلف ولا يشتبه عليه .

3- في ابلاغ الاحكام لا يخالف ما هو الحق لا عمداً ولا خطأ .

4- في مقام العمل بالوظائف الشرعية لا يرتكب ذنباً لا عمداً ولا خطأ ابداً ولا يحتمل في حقه ذلك اصلاً بعد ملاحظة حصول هذه الصفة فيه .

هذه هي العصمة ، ولكن لا بمعنى عدم امكان المعصية في حق المعصوم بنحو لا يقتدر عليها لكي يكون مجبوراً على الطاعة ، بل هو في اختياره وكونه مالكاً لنفسه كسائر الناس ، الا انه بعدما يرى بواطن عالم الوجود ويشاهد بعين بصيرته حقيقة العالم وله قدرة معنوية غيبية ، فعوامل الذنب لديه مقهورة مغلوبة لا تؤثر فيه شيئاً اصلاً وابدأً ، فهو يرى من الذنب دائماً . انتهى

ص: 257

بعض ما يرد على هذا التعريف من الاشكال:

وهذا التعريف على متانته و دقته ايضاً لا يخلو عن غموض واشكال :

1 - ان العصمة عندنا معاشر الشيعة الامامية الاثني عشريه ، ثابتة للانبياء والائمة عليهم الصلوة والسلام من اول عمرهم الى آخره سواء كان بالنسبة الى ما قبل وصولهم الى هذا المقام أم بعده ، مع ان بعض مارتبه على العصمة لا يلائم لما قبل الوصول الى مقام النبوة والامامة كحفظ الاحكام او ابلاغها بلا خطأ ، الا ان يُقال بحصول القدرة لهم قبل ذلك أيضاً ، ولكن لادليل عليه لو لم يكن الدليل على خلافة كقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى)(1)وقوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم)(2)وغير ذلك .

2 - ان العصمة ليست قدرة نفسانية مجردة ، بل هي مضافة الى نوع من امداد غيبي الهي كما يدل عليه الاعتبار والادلة السمعية كقوله تعالى : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك)(3)وكقوله : (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً* اذاً لأذقنك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً)(4)الى غير ذلك من الآيات مضافاً الى الرويات التي لعلك ستسمع بعضها انشاء الله تعالى .

3 - الظاهر انها ليست محصورة من مجرد مشاهدة ملكوت عالم الوجود ، بل تحتاج ولو في بعض مراتبها الى جد واجتهاد في سبيل مرضاة الله وعبادته والفناء في وجه الله سبحانه وتعالى .

ولعله الى ذلك يشير قوله تعالى : (فجعلناهم أئمةً يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . فلم يصلوا الى هذه المنزلة الشريفة بمجرد ان كانوا بآياته يوقنون الا بعد ان صبروا على اطلاق معنى كلمة الصبر في كل ما تتحمله من المعاني كالصبر

ص: 258

1- الا على ، 6.

2- النساء 113.

3- النساء 113.

4- الاسراء 74 - 75.

على الطاعة وعلى ترك المعصية وفي جميع ما يرد عليهم من الواردات المانعة عن السلوك الصراط المستقيم .

ما ذكره سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي في تفسير العصمة:

وقال سيدنا و استاذنا في الفلسفة و تفسير القرآن العلامة الطباطبائي دام مجده العالي في تفسير الميزان(1) في ذيل قوله تعالى : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم)قال :

ظاهر الآية ان الامر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم، يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطاء . وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال كما ان سائر الاخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقيق آثارها مانعة عن التلبس باضدادها من آثار الجبن و التهور والخمود و الشره و البخل و التبذير.

والعلم النافع والحكمة البالغة وان كانا يوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع في مهالك الرذائل والتلوث باقذار المعاصي كما نشاهد في رجال العلم والحكمة والفضلاء من اهل التقوي والدين ، غير ان ذلك سبب غالب كسائر الاسباب الموجودة في هذا العالم المادي الطبيعي ، فلا تكاد تجد متلبساً بكمال يحجزه كماله متلبساً بكمال يحجزه كماله من النواقص ويصونه عن الخطاء صوتاً دائماً من غير تخلف سنة جارية في جميع الاسباب التي نراها ونشاهدها .

و الوجه في ذلك ان القوى الشعورية المختلفة في الانسان يوجب بعضها ذهوله عن حكم البعض الآخر او ضعف التفاته اليه كما ان صاحب ملكة التقوى مادام شاعراً بفضيلة تقواه لا يميل الى اتباع الشهوة غير المرضية ويجري على مقتضى تقواه غير ان اشتعال نار الشهوة وانجذاب نفسه الى هذا النحو من الشعور ، ربما حجبته عن تذكر فضيلة التقوى او ضعف شعور التقوى فلا يلبث دون ان يرتكب مالا يرتضيه التقوى ويختار سفساف الشره ، وعلى هذا السبيل سائر الاسباب الشعورية في الانسان ، والا فالانسان

ص: 259

لا يحدد عن حكم سبب من هذه الاسباب مادام السبب قائماً على ساق . ولا مانع من تأثيره ، فجميع هذه التخلفات تستند الى مغالبة التقوى والاسباب وتغلب بعضها على بعض .

ومن هنا يظهر ان هذه القوة المسماة بقوة العصمة ، سبب شعوري علمي غير مغلوب البتة ولو كانت من قبيل مانتعارفه من اقسام الشعور والادراك لتسرب اليها التخلف وخبطت في اثرها احياناً ، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والادراكات المتعارفة التي تقبل الاكتساب والتعلم ، وقد اشار الله تعالى اليه في خطابه الذي خص به نبيه صلى الله عليه وآله بقوله : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) وهو خطاب خاص لانفقته حقيقة الفقه اذ لاذوق لنا في هذا النحو من العلم والشعور ، غير ان الذي يظهر لنا من سائر كلامه تعالى بعض الظهور ، كقوله تعالى - (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك)(1) وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)(2) ان الانزال المذكور من سنخ العلم ، ويظهر من جهة اخرى ان ذلك من جهة الوحي والتكليم كما يظهر من قوله تعالى : - (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى (الايه)(3) وقوله (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده)(4) وقوله (ان اتبع الأ ما يوحى الي)(5) وقوله (انما اتبع ما يوحى الي)(6) ويستفاد من الآيات على اختلافها ، ان المراد بالانزال هو الوحي وحي الكتاب والحكمة . وهو نوع تعليم الهي لنبيه صلى الله عليه وآله غير ان الذي يشير اليه بقوله - وعلمك ما لم تكن تعلم ، ليس هو الذي علمه بوحى الكتاب والحكمة فقط فان مورد الآية قضاء النبي صلى الله عليه وآله في الحوادث الواقعة والدعاوي التي ترفع اليه برأيه الخاص وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشيء و ان كان متوقفاً عليهما بل رأيه ونظره

ص: 260

- 1- البقرة 97.
- 2- الشعراء 95.
- 3- الشورى 13.
- 4- النساء 193.
- 5- الانعام 50.
- 6- الاعراف 203.

ومن هنا يظهر ان المراد بالانزال والتعليم في قوله : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) ، نوعان اثنان من العلم ، احدهما : التعليم بالوحي ونزول الروح الامين على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والآخر : التعليم بنوع من القاء في القلب والالهام الخفي الالهي من غير انزال الملك وهذا هو الذي تويده الروايات الواردة في علم النبي صلى الله عليه وآله .

وعلى هذا فالمراد بقوله - (وعلمك ما لم تكن تعلم) ، آتاك نوعاً من العلم لولم يؤتك اياه من لدنه لم يكفك في اتيانه الاسباب العادية التي تعلم الانسان ، ما يكتسبه من العلوم .

فقد بان من جميع ما قدمناه ان هذه الموهبة الالهية التي نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور يغير سائر انواع العلوم في أنه غير مغلوب لشيء من القوى الشعورية البتة ، بل هي الغالبة القاهرة عليها ، المستخدمة اياها ، ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً ، وقد وردت في الروايات ان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة روحاً تسمى روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصية والخطيئة وهي التي يشير اليها قوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا)(1) بتنزيل الآية على ظاهرها من القاء كلمة الروح المعلمة الهادية الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونظيره قوله تعالى (جعلناهم ائمة يهدون بامرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وانباء الزكوة وكانوا لنا عابدين)(2) بناء على ماسيجيء من بيان معنى الآية انشاء الله العزيز ، ان المراد به تسديد روح القدس الامام بفعل الخيرات وعبادة الله سبحانه . انتهى كلامه دام تأييده وجزاه الله عن الاسلام والقرآن خيراً .

وهذا تحقيق دقيق عميق ولكن للنظر والمناقشة فيه مجال .

ص: 261

1- الشورى 52.

2- الانبياء 73.

النظر فيما ذكره دام ظلّه و المناقشات عليه:

1 - أنّ الآية المبحوث عنها في كلام سيدنا الاستاذ دام ظلّه صريحة في اعطاء ذلك العلم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين رسالته ولم يكن له قبلاً ، فقال سبحانه (وعلمك ما لم تكن تعلم الآية ، فلو جعلنا ذلك العلم هو العصمة فلازمه عدم تحقق العصمة له قبل ذلك الحين ويصير معنى الآية : وجعلك الله تعالى معصوماً ولم تكن كذلك قبلاً ، مع ان العصمة ثابتة لهم عندنا قبل النبوة والامامة وبعدهما .

نعم يمكن ان يقال ولعله الصحيح : ان للعصمة مراتب مترتبة يرتقي المعصوم من مرتبة الى مرتبة أخرى تدريجاً ، فالمرتبة التي قبل الوصول الى النبوة دون المرتبة التي حين الوحي اليه بمنصب السفارة وهي دون المرتبة التي يصل اليها بعد ان يتقل عليه اعباء الرسالة أو بعد عروجه الى السماء وامثال ذلك ، وعلى هذا فقولته تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم) يراد به مرتبة من العصمة لم يصل اليها قبلاً ولو كان قبل ذلك ايضاً معصوماً ولكن دون هذه المرتبة هذا ، ولكن المفروض ان سيدنا الاستاذ دام ظلّه فسّر مطلق العصمة بذلك لا مرتبة خاصة منها .

2 - العلم هو انكشاف الشيء وظهوره لدى العالم ظهوراً تاماً خالياً عن شوب الخفاء وهو وان كان مؤثراً في التحفظ والتنزه في قبال ما يسقط عن الصراط المستقيم والطهارة عن القذارات المعنوية والمعاصي و الزلل ، الا انه من الظاهر ان التنزه والقداسة شيء غير العلم ، كما انّ السخاء و الشجاعة وغيرهما من الملكات الفاضلة وكذا الملكات الرذيلة كالحسد و البخل والجبن و امثالها ايضاً كذلك فلا يناسب ان يقال : ان السخاء و الشجاعة والعفة صور علمية فقط مانعة عن التلبس باضدادها ، فهل اضدادها صور جهلية تورث التلبس بتلك الملكات الرذيلة ؟ كلاً ، بل هي من صفات النفس أو ملكاتها ولكل منشأ خاص ، وان كان لا تقارن شعور النفس ولكن ليس نفس الشعور كما يظهر على من راجع وجدانه .

وبالجملة ، فالعلم بالحقائق وان كان مما يستلزم كثيراً ما الاجتناب عما يضر

والاقبال الى ما ينفع وما هو الوظيفة الواصلة الى ذلك ، الا انه ليس هو المحرك أو الرادع القاطع بنحو لا يتخلف ، كما اعترف به السيد الاستاذ دام ظله ، فالعلم بانواعه واقسامه لا يخرج عن كونه ظهور المعلوم وحضوره لدى العالم به ، فلا بد من شيء آخر يكون هو الحافظ العاصم عن العصيان والمحرك نحو الطاعة

3 - ان منشأ الاثار والافعال من الانسان هو نفسه المدبرة له ، الا انها في مدارجها الكمالية لها رشد وارتقاء من المراتب النازلة الى ما فوقها وتتصور النفس في كل مرتبة بصورة خاصة ونعبر عما يحكي عن تلك الصور بالملكيات ، فهي في كل مرحلة من تلك الصور ، لها آثار وافعال تناسبها في تلك الصور ، ولعله لذلك ترى في الروايات التي اشار اليها السيد الاستاذ دام عبّرت عن ذلك بروح القدس كما في رواية المفضل بن عمر المرورية في الكافي عن الصادق عليه السلام - فيها - فقال : « يا مفضل ان الله تعالى جعل في النبي (صلى الله عليه وآله و سلم) خمسة ارواح ، روح الحيوة فيه دب ودرج - الى ان قال : وروح القدس ، فبه حمل النبوة ، فاذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار الى الامام وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو و الاربعة ارواح تنام و تغفل و تلهو و تزهو وروح القدس كان يرى به» .

نعم ، ظاهر كثير من الروايات في خلال أبواب ما يتعلق بالحجج الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ان هذا الروح انما ينتقل اليهم بعد مضي من قبله وانتقال الامر اليه كما لعله ظاهر قوله تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم) مع ان العصمة ثابتة لهم قبل ذلك ايضاً ، فلا محالة تكون هذه المرتبة من العصمة المعتزدة بتعليمه ، ما لم يكن يعلم مختصة بهم حين السفاره والامامة في مرتبة خاصة تقتضي ذلك .

وبالجملة فالعصمة والتنزه والقدااسة والطهارة من اوصاف النفس الانسانية التي تشعر وتدرك ، ففعالها وواصفها كلّها شعورية علمية ، لكن لا يصح ان يقال : انها نفس العلم او المحقق لها هو العلم فقط ، فانظر الى صفة التقوى او العفة وامثالها ، فانها ترتبط بنوع من شموخ النفس وعلوها وتكرمها ونزاهتها وقداستها ، فالمميز بين المتقي وبين غيره أو العفيف وغيره ليس هو العلم والجهل ، بل ذلك من علو النفس ورفيها مع الوقوف على الحقيقة فاستمساك النفس وتملكها لزامها في قبال العوامل المردية المستقطه غير

علمها بالحقائق وان كان لا يتحقق نوعاً الا مع نوع من العلم وسيجيء انشاء الله ما يزيد به وضوحاً .

ما ذكره الراغب الأصبهاني في مفرداته:

وقال الراغب الأصبهاني في مفرداته ما لفظه : - وعصمة الانبياء حفظه (أي الله تعالى) اياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر ، ثم بما اولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم، ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى .

تمحيص و تذييل على ما ذكره الراغب:

وفي هذا التعريف على ايجازه مزايا وهي :

1 - التوجه الى وجود المراتب في العصمة من اول من اول نشأة المعصوم .

2 - التدرج في العصمة الى مراتب الترقى فيها الى اعلى مراتبها .

3 - اشتراك جميع المراتب في حقيقة الحفظ والعصمة وان التدرج ليس من غير العصمة الى العصمة ، بل منها واليهما الا انه من مرتبة الى مرتبة فوقها .

4 - الجمع في نسبة العصمة الى نفس المعصوم وذاته والى الله سبحانه وتعالى على ما هو مقتضى الحكمة الالهية ، فليست مجرد حفظ الله من دون مدخلية لنفس المعصوم وذاته ، كما زعمه جماعة من العامة في اقوالهم ورواياتهم حتى قالوا في تفسير قوله تعالى: (ولقد همّت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ان الله سبحانه أراه يعقوب اباه او الروح الامين أو لامة جبرئيل حتى امسك عنها . كما انها ليست مجرد قدرة نفسانية في المعصوم من دون مدخلية للامداد الغيبي واتصال رحمة من الله سبحانه ، كما زعمه بعض آخر وقد تقدم ان ذلك مخالف لجملته من الآيات والروايات هذا ولكن مع ذلك لا يخلو عن غموض وخفاء من جهات سنذكر بعضها وكأنه نظر الى كلمة العصمة

بالمعنى المصدرى وذكر جميع المراتب بما انها الحفظ لهم من الله سبحانه لا المعنى الاسم المصدرى وهو الحالة المتحصلة لهم وفيهم بعد الصيانة من الله بمراتبها .

وبالجملة فالجهات الغامضة الخفية فيه هي :

1 - لم يذكر السعي والجد والاجتهاد من المعصوم بل جعل جميع مراتبها بامسك من الله لنفوسهم عن الزلة في الصراط المستقيم وذلك مخالف لكثير من الادلة كما سيأتي انشا الله تعالى .

2 - لم يبين العصمة بنحو يمتاز عن العدالة في مرتبتها الراقية التي توجد في بعض الصلحاء والاولاد فان كثيراً مما ذكره مشترك بين صلحاء المؤمنين والمعصومين قال تعالى : (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها)(1) وقال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)(2) وقال تعالى : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)(3)، وهكذا في غير ذلك من الفاظ التعريف .

3 - لم يصرح بدخالة العلم فيها ولاسيما ان العصمة تشمل جميع حالات المعصوم بنحو لا يغشاه غفلة وذهول وسهو ونسيان في الصراط المستقيم، وقد رايت ان بعض الاكابر جعلها نفس العلم بنحو خاص لاندركه ، ونحن وان انكرنا ذلك كما الا انه سبق لا يمكن انكار مدخليته فيها ولاسيما في مقام تلقي الوحي واداء الرسالة . هذا .

وللراغب تفسير آخر لطيف ينقله عنه صاحب شرح النهج صاحب شرح النهج السيد الخوئي (قدس سره) سيأتي عمّا قريب انشا الله.

ما ذكره السيد الخوئي قده شارح نهج البلاغه في تفسير العصمة:

* ما ذكره السيد الخوئي قده شارح نهج البلاغه في تفسير العصمة(4):

وقال السيد المحقق الخوئي (قدس سره) في شرح نهج البلاغة : اعلم ان الناس اختلفوا

ص: 265

1- الفتح 26.

2- محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) 7.

3- ابراهيم 27.

4- ج 1 ص 166 الطبعة القديمة.

في عصمة الانبياء عليهم السلام على اقوال شتى ، وينبغي ان نشير اولاً الى معنى العصمة .

فنقول : العصمة في اللغة اسم من - عمصه من المكروه يعصمه من باب ضرب - اي حفظه ووقاه ومنعه عنه وفي الاصطلاح هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها .

وقال الراغب هي فيض الهي يقوى بها الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع له وان لم يكن منعاً محسوساً .

وقال العلامة في الباب الحادي عشر : العصمة لطف خفي يفعل الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك .

وقال المرتضى في كتاب الغرر والدرر - العصمة اللطف يفعل الله تعالى فيختار العبد عند ذلك الامتناع من فعل القبيح ، فيقال على هذا ان الله عصمه بان فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح ، ويقال ان العبد معصوم لأنه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح . واصل العصمة في موضوع اللغة المنع ، يقال عصمت فلاناً من السوء اذا منعت من حلوله به ، غير ان المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختيار عند هذا اللطف الذي يفعل الله تعالى به ، لأنه اذا فعل به ما يعلم انه يمتنع عنده من فعل القبيح ، فقد منعه من القبيح فاجروا عليه لفظة المانع قهراً او قسراً ، واهل اللغة يتعارفون ذلك ايضاً ويستعملونه لأنهم يقولون فيمن اشار على غيره برأى فقبله منه مختاراً واحتمى بذلك من ضرر يلحقه وسوء يناله انه حماه من ذلك ومنعه وعصمه منه وان كان على سبيل الاختيار . انتهى

وقد ظهر مما ذكرنا كله ، انّ العصمة ملكة مانعة عن ارتكاب المعاصي وموجبة لاتيان الطاعات على وجه الاختيار ، فما ذهب اليه بعضهم من ان المعصوم مجبول عليها وأنه لا يمكنه الاتيان بالمعاصي باطل جداً والا لما استحق مدحاً كما هو ظاهر . انتهى كلام شارح النهج قدس سره .

وقد اشتمل كلامه على تفاسير عديدة للعصمة عن ثلاثة من الاعاظم .

تنقيح و تمحيص على كلام شارح النهج في تفسير العصمة:

اقول: قد ظهر مما ذكرناه قبلاً أن تفسير العصمة بالملكة المانعة عن المعصية الموجبة للطاعة، غير مناسب اصلاً فإنها تصير حينئذ مرادفاً للعدالة، بل اخفض منها حيث اشترطوا في العدالة اجتناب ما يخالف المرونة ايضاً.

ثم ان الملكة صفة راسخة في النفس تحصل تدريجاً لمن تدرب لشيء حتى اعتاده. وعلى هذا فبالنسبة الى الانقياد للشرع عبارة عن ملازمة العزم والعمل بطاعة الله وترك معاصيه حتى يصير ذلك صفة راسخة نفسانية غير زائلة عن صاحبها في الاحوال المختلفة. وهذه هي التي اعتبره كثير من الفقهاء في امام الجماعة والشهود ومرجع القضاء والتقليد وامثال ذلك وان كان تتأكد في مرجع التقليد على وجه وجيه.

على انه لم يذكر في شرائطها العلم الخاص الذي معه لا يغفل ولا يخطأ كما سبق وكذا الامداد الغيبي الالهي الذي صرح به عدة من الاعاظم وفي جملة من الآيات والروايات كقوله تعالى (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهتمت طائفةً يضلوك) (1) وقوله تعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) (2) و امثال ذلك.

والعجب منه قدس سره انه يحكي عن الراغب والعلامة والسيد المرتضى رحمهم الله، عناوين - الفيض الالهي او اللطف الخفي من الله أو اللطف يفعله الله - في تعريفها ومع ذلك يعدل عن ذلك الى عنوان الملكة.

ثم ان ما حكاه عن بعض من ان المعصوم مجبول عليها وأنه لا يمكنه الاثيان بالمعاصي، لعل القائل به لم يرد عدم قدرته ذاتاً على فعل المعاصي وترك الطاعة ليشكل عليه بأنه عليه لما استحق مدحاً، بل اراد بذلك الضرورة بشرط المحمول بمعنى انه بعد ما كان ذاته من جهة اعتصامه وعصمته وطهارته وقداسته وعلمه وقربه من

ص: 267

1- النساء 113.

2- الاسراء 74

مجبوراً على الطاعات وترك المعصية، فلا يمكنه وحاله هذه ان يقدم على ترك الطاعة او فعل المعصية

واما المنقول في كلامه عن هؤلاء الاعاظم (قدهم)، فلا يخلو عن ابهام حيث لم يذكروا مقام العلم الخاص بهم ومراتب العصمة قبل السفارة والامامة وبعدها وغير ذلك مما أشير اليه فيما سبق وقد مرّ توضيحه

نعم، كلام السيد المرتضى علم الهدى (قدس سره) مشتمل على تحقيق خاص في قبائل العامة الذين يذكرون في عصمة الانبياء عن المعاصي من الله سبحانه اسباباً قهريه وقسرية لها، كما ذكروا في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه انه اتاه جبرئيل ولامه او تصور له يعقوب وغير ذلك حتى امتنع عن الفجور - فذكر السيد المرتضى ان المراد من عصمة الله لهم ومنعه، ليس بهذه المثابة بل بنحو الامداد الغيبي العلمي والتأييد الروحي من الله سبحانه وتعالى بنحو لا يناقض الاختيار

ما ذكره الشيخ المفيد قده في اوائل المقالات في معنى العصمة:

وقال شيخنا المفيد اعلى الله مقامه في كتابه اوائل المقالات :- القول في عصمة الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) - اقول ان جميع انبياء الله صلى الله عليهم معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها ومما يستخف فاعله من الصغائر كلّها واما ما كان من صغير لا يستخف فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوة وعلى غير تعمّد وممتنع منهم بعدها على كل حال وهذا مذهب جمهور الامامية

والمعتزله باسرها تخالف فيه

القول في عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله خاصة :

اقول : ان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن لم يعص الله عزّ وجلّ منذ خلقه الله عزّ وجلّ الى ان قبضه ولا تعمّد له خلافاً ولا اذنب ذنباً على التعمد ولا- النسيان وبذلك نطق القرآن وتواتر الخبر عن آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مذهب جمهور الامامية والمعتزله باسرها على خلافه

واما ما يتعلق به اهل الخلاف من قول الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر(1) واشباه ذلك في القرآن ويعتمدونه في الحجة على خلاف ما ذكرنا ، فانه تأويل بضد ما توهموه والبرهان يعضده على البيان ، وقد نطق الفرقان بما قد وصفناه فقال جل اسمه : والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فنفى بذلك عنه كل معصية ونسيان.(2)

القول في عصمة الائمة عليهم السلام :

اقول : - ان الائمة القائمين مقام الانبياء(صلى الله عليه وآله وسلم) في تنفيذ الاحكام واقامة الحدود وحفظ الشرايع وتأديب الانام ، معصومون كعصمة الانبياء وانهم لا يجوز منهم صغيرة الا ما قدمت ذكر جوازه على الانبياء ، وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئاً من الاحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الامامية الا من شدّ منهم وتعلق بظاهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب والمعتزلة باسرها تخالف في ذلك ويجوزون من الائمة وقوع الكبائر والردة عن الاسلام

القول في ولاة الائمة(عليهم السلام) و عصمتهم و ارتفاعها وهل ولايتهم بالنص أو الاختيار :

اقول : - انه ليس بواجب عصمة ولاة الائمة(عليهم السلام) وواجب علمهم بجميع ما يتولونه وفضلهم فيه على رعاياهم لاستحالة رئاسة المفضل على الفاضل فيما هو رئيس عليه فيه وليس بواجب في ولايتهم النص على اعيانهم وجائز ان يجعل الله اختيارهم الى الائمة المعصومين(عليهم السلام) وهذا مذهب جمهور الامامية

وبنو نوبخت رحمهم الله يوجبون النص على اعيان ولاة الائمة ، كما يوجبون في

ص: 269

1- سورة الفتح 2

2- اوائل المقالات ص 68-69.

ما ذكره المفيد قده فيما اضاف الى اخر كتابه في معنى العصمة:

وقال المفيد(قدس سره)فيما اضاف الى آخر كتابه اوائل المقالات:

اقول : العصمة في اصل اللغة هي ما اعتصم به الانسان من الشيء كأنه امتنع به عن الوقوع فيما يكره ، وليس هي جنساً من اجناس الفعل ، ومنه قولهم اعتصم فلان بالجبل اذا امتنع به ، ومنه سميت العصم(2)وهي وعول الجبال لا تمتاعها بها والعصمة من الله تعالى هي التوفيق الذي يسلم به الانسان مما يكره اذا اتى بالطاعة ، وذلك مثل اعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليشبث به فيسلم فهو اذا امسكه واعتصم به سمي ذلك الشيء عصمة له لما تشبث به فسلم به من الغرق ولو لم يعتصم به لم يسم عصمة ، وكذلك سبيل اللطف ان الانسان اذا اطاع سمي توفيقاً وعصمةً وان لم يطع لم يسم توفيقاً وعصمة .

وقد بين الله ذكر هذا المعنى في كتابه بقوله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً(3))وحبل الله هو دينه ، الاترى انهم بامثال امره يسلمون من الوقوع في عقابه فصار تمسكهم بامرهم اعتصاماً وصار لطف الله لهم في الطاعة عصمة فجميع المؤمنين من الملائكة والنبين والأئمة معصومون ، لانهم متمسكون بطاعة الله تعالى وهذا جملة من القول في العصمة ما اظنّ احداً يخالف في حقيقتها وانما الخلاف في حكمها وكيف تجب وعلى اي وجه تقع وقد مضى ذكر ذلك في باب عصمة الانبياء وعصمة نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام وهي في صدر الكتاب وهذا الباب ينبغي ان يضاف الى الكلام في الجليل انشاء الله تعالى . انتهى(4)

ص: 270

1- اوائل المقالات ص 74 الى ص 75.

2- والاعصم من الظباء والوعول الذي في ذراعيه او احدى يديه بياض (مجمع البحرين).

3- سورة آل عمران آية 104.

4- اوائل المقالات ص 150.

تلخيص و تمحيص و تذييل على ما ذكره شيخنا المفيد قده:

اقول الذي يستفاد من مجموع ما ذكره قدس الله روحه الطاهرة :

1 - جميع الانبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها وكذا مما يستخف فاعله من الصغائر ايضاً قبل النبوة وبعدها .

وما لا يستخف فاعله ، فلا يجوز منهم على التعمد مطلقاً وكذا بعدها واما قبل النبوة على غير تعمد فيجوز .

2 - أن نبينا صلى الله عليه وآله كان معصوماً قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر فما اذنب اصلاً لاعمداً ولا نسياناً لقوله تعالى (ماضل صاحبكم وماغوى) وهذا يختص به وينفي عنه كل ذنب وغواية وضلالة .

3 - الائمة عليهم السلام مثل سائر الانبياء في عصمتهم من الكبائر ومن الصغائر عمداً مطلقاً قبل الامامة وبعدها ويجوز الصغائر قبلها على غير تعمد فيما لا يستخف فاعله

4 - الولاة من قبل الائمة لا يجب عصمتهم ، بل يجب علمهم بجميع ما يتولونه وكونهم افضل الرقية فيما هو رئيس عليهم .

5 - العصمة من الله التوفيق الذي يسلم به الانسان عن ترك الطاعة عن الوقوع في المعصية ، وفي المعصوم الاحتماء والاعتصام والامتناع بدين الله عن الوقوع في عقابه فيعمل على دينه فيعتصم عن عقابه وهو قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله) والملائكة والنبيون والائمة تمسكوا بامرهم وصار لطف الله لهم عصمة لهم ، فهم معصومون .

هذه خلاصة ما اختاره في العصمة وما حققه في معناها .

ولابأس بالتذكر في مواقف من كلامه .

1 - ما فصله بين الذنوب من الكبائر والصغائر في العصمة يخالف ما اختاره قبلاً من انه ليس في الذنوب صغيرة وانما يكون فيها بالاضافة الى غيره الخ فراجع كتابه ص 98.

2 - ما حققه واطاف الى آخر الكتاب من الآية (واعتصموا بحبل الله) تحقيق

لطيف يتضمن اختيارية العصمة - وكونها في المعصوم بجده واجتهاده - وكونها بتأييد من عند الله - وان غير المعصومين لم يعتصموا بدين الله بنحو كامل لتحصل لهم العصمة - وان الدعوة بالاعتصام عام لجميع المكلفين (واعتصموا بحبل الله جميعاً) فمن اعتصم بدين الله عصمه الله وحماه وحفظه من العقاب - ولذا قال هذه جملة من القول في العصمة ما اظن احدا يخالف في حقيقتها .

3- لا يخفى ان من اختاره الله للسفارة وقدوة الناس وليكون نوراً على الصراط المستقيم ليمشي الامة على ضوئه ، لا يمكن ان يكون فيه ظلمة ولا ظلم ولا انحراف واعوجاج ولذا قال سبحانه (لاينال عهدي الظالمين)(1)وقال (لايخاف لدي المرسلون)(2)وقال (الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم ان قد ابغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً)(3)فمن كان فيه اقل ظلم أو ظلمة فلا يختاره الله تعالى على رسالاته ليكون نوراً على صراطه المستقيم ولم يكن مخلصاً عن كل نقص وزلة وذنوب لكي لا يغويه الشيطان حتى يصير اميناً على وحي الله ودينه وتبليغ رسالاته.

وعلى هذا فالانبياء والائمة جميعاً ، لا بد وان يكونوا معصومين من كل ذنب وزلة وضلالة صغيرة أو كبيرة عمداً أو سهواً ونسياناً وخطأ قبل النبوة والامامة أو بعدهما سواء كان مما يستخف فاعله اولاً فان ذلك على الحقيقة لا ما يترائي عند الناس .

وسياتي انشاء الله تعالى ما يزيد به وضوحاً .

ص: 272

1- البقرة 124 .

2- النمل 10 .

3- سورة الجن 27 - 28 .

تلخيص الاقوال في معنى العصمة وتفسيرها:

والى هنا عرفت انموجاً من الاقوال في تعريف حقيقة العصمة وتفسيرها وقد نبهنا

على بعض مافيهما من القصور والغموض . ويتلخص من تلك الاقوال ان العصمة :

2- هي كون المكلف بحيث لا يمكن ان يصدر منه المعاصي من غير اجبار على ذلك .

2- هي كونه متمكناً من المعاصي لكن لا يصدر منه كبيرة ولا صغيرة لا بالعمد ولا بالسهو ولا بالتأويل من أول عمره الى آخره .

3- هي من الله تفضل وتوفيق ولطف على من علم أنه يتمسك بعصمته ، المعصوم هي الاعتصام بحبل الله .

4- هي اللطف الذي يفعله الله تعالى بعبده فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح .

5- هي كونهم مطهرون من كل دنس ولا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون .

6- المعصوم مختص في بدنه ونفسه بخاصة تقتضي امتناع اقدامه على المعصية .

7- هي القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية .

8- هي الامر الذي يفعله الله تعالى بالعبد من اللطاف المقربة الى الطاعات التي يعلم معها انه لا يقدم على المعصية بشرط ان لا ينتهي الى الإلجاء .

9- هي ملكة نفسانية معها لا يصدر عن صاحبها المعاصي .

ص: 273

- 10 - هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغيراً أو كبيراً وعن الخطاء والنسيان وان لم يمتنع عقلاً وكذا يجب ان ينزّه عما يخالف المروءة كالاكل في الطريق والضحك العال وكلما يستهجن في العرف العام .
- 11 - هي صفة قويه نفسانية تحصل من مشاهدة ملكوت عالم الوجود وباطنه بحيث اذا حصلت تلك القوة تضمن لصيانة صاحبها عن مطلق الذنب والخطاء في مقام تلقي الوحي وفي مقام ضبطه للاحكام الشرعية وفي مقام تبليغها وفي مقام العمل بمقتضى وظائفه .
- 12 - فيض الهى يقوى بها الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع له وان لم يكن محسوساً .
- 13 - سبب شعوري علمي يغاير سائر العلوم في أنه غير مغلوب البتة لشيء من القوى الشعورية ، بل غالب عليها ويستخدم اياها بحيث يصون صاحبه عن الضلال والخطيئة .
- 14 - حفظ الهى للمعصوم بما خصهم الله من صفاء الجوهر ، ثم بما اولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ، ثم بالنصرة وتثبيت القدم ، ثم بانزال السكينة عليهم وحفظ قلوبهم والتوفيق لهم .
- 15 - لطف خفي يفعل الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع القدرة عليها .

في معرفة العصمة نستمد من القرآن و اخبار المعصومين (عليهم السلام)

اقول : مذكروه نور الله ارواحهم وان كان لكل نور يتبين به جانب من جوانب العصمة وجهة من هذه الحقيقة والمزية الالهية في النشأة الانسانية فجزئهم الله تعالى عن الدين واهله خير الجزاء ورفع ذكرهم باحسن ثناء .

من البش الا ان معرفتها بحقيقتها وحدودها لا يتيسر الا لمن تحلى بحليتها ولو بادنى مراتبها فانها مرتبة نفسانية لا يعرفها الا النفس التي نالت منها ووصلت الى مرتبة منها .

ونحن لو اردنا النظر الى علوها وعظمتها من النواحي المناسبة لها ، فلا بد من اقتباس ذلك من الوحي القرآني واقوال المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين وهم عليهم السلام وان قالوا : ان حديثنا صعب مستصعب لا يحمله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وان الله كمع المحسنين) ، ولعل طرح هذا البحث مما يبعث المحققين واهل النظر من الباحثين الى هذا المضممار لاتحاف رواد العلم وطلاب الحقيقة باحسن وامتن من ذلك والله ولي التوفيق .

فبقول اولاً : ان العصمة ليست كلمة شائعة في الادلة الدالة على هذه الحقيقة في القرآن أو الروايات لنبحث عنها من حيث اللغة وما يتضمنها من المعنى بل هي عنوان اجمالي لما عليه من كان من المعصومين من الانبياء والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين من الطهارة والقداسة والاعتصام والاحتفاظ في قبال عوامل التمرد والطغيان والعصيان فالبحث عن هذه اللغة كما سبق في كلام عدة من اكابر علمائنا ليس متضمناً لكثير نفع فيما نحن بصدده .

وثانياً: ان العصمة ليست كالعلم والحلم و السماحة و الشجاعة و امثالها من الملكات الفاضلة مختصة بجانب من جوانب النفس، بل هي عنوان اجمالي لارتقاء النفس وعظمتها وطهارتها وعلوها و مناعتها وسعتها في شتى جوانبها وابعادها .

فليس البحث عنها مما يقتصر به في ناحية خاصة من النفس وفعالها وصفاتها من المعصوم ، بل للمعصوم قرب خاص من الله سبحانه المستجمع لصفات الجمال والجلال .

فكل صفة من صفاته تعلق وترتقي بهذه القِمة وتقترب بهذا السماء والاعمال والافعال تصدر عنه على ضوء انواره وكمالاته ونزاهته وقداسته .

فلكل صفة من صفاته وكل فعل من افعاله وكل جلوة من تجليات نفسه الشامخة لون خاص غير سائر الناس وهو لون العصمة وجلوة المقرّب الى الله سبحانه ، فجوده وشجاعته و صبره وعلمه ورحمته و مناعته و معاشرته و عبادته ونزاهته و قداسته وطهارته وغيرها من صفاته و افعاله مما يبرز شموخ نفسه ونهاية قربه الى الله وعلو ذاته وطهارة اعراقه ونزاهة افكاره و قداسة باطنه وارتقاء روحه ، وليس في جانب من جوانبه ادنى قذارة ليدنو اليه حشرات الاوهام ووساوس الشيطان ، وهذا هو الذي اعترف به ابليس حيث اجترأ بغروره اولاً وقال (لاغوينهم اجمعين) - ثم بعد ذلك قال - (الا عبادك منهم المخلصين).

ان لنفس الانسان لطافة خاصة تنفعل وتتأثر عما يفعله سواء كان من قسم الطاعات والكمالات فتستوجب بها مزية الكمال في ذاتها او كانت من قسم المعاصي والمنهيات فتستوجب بها نقصاً وتنزلاً وسقوطاً .

والنقص موجب لئلا يتهيأ بعد لاستكانة وتواضع و خشوع في قبال اوامر الله تعالى و نواهيهِ على ما هو حقه، يعني ينقص عما كان عليه في ذلك قبلاً كما ان الكمال يستوجب خلافه وان يزيد في اقبالها الى الله تعالى و اوامره و الاطاعة عما نهى عنه .

وان شئت قلت : ان الافعال آثار لتجليات النفس أو تنزلاتها في مرتبتي الكمال والنقص ، فالافعال الحسنة كاشفة عن ارتقاء النفس الى مرتبة كاملة كما ان الافعال الذميمة تشعر بصفات ذميمة وعن تنزل النفس الانسانية وسقوطها عن الكمال وفي كلتا الحالتين تتصور النفس باحدى الحالتين الكاملة والنزله .

وعلى كل حال ، الكمال يجلب الكمال ويؤيده ويعين في سبيله ، كما ان النقص يجلب النقص ويستزيده وكلاهما يؤثران فيما سيصدر عن النفس فيما بعد .

ويشير الى ذلك قوله تعالى (بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) وقوله تعالى (واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) فعبادة العجل اثر في نفوسهم واسقطها عما كان عليه من الكمال وبها اشرب الكفر في قلوبهم وتأثرت نفوسهم به وانطبت عليه . وقوله تعالى (انما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا يعني ماكسبوا) من السيئات فبذلك اقتدر الشيطان على ان يزلهم عن صراط الحق واطاعة الله تعالى ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم). ولعله الى ذلك أيضاً يشير في طرف الكمال قوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) والآيات في ذلك كثيرة ربما سيحيي جملة منها انشاء الله تعالى.

بل هذا التأثير ثابت في طرفي الكمال والنقص من نفوس الالباء والامهات الى اولادهم بمادة في النطفة حاملة لصفاتهما وناقلة منهما اليه ولا سيما اذا حصل النقص أو الكمال حين التوليد منهما وانعقاد نطفتهما ، ولذا يكون لولد الزنا نقائص عظيمة الى ان لا تقبل شهادته ولا يصلح لامامة الجمعة والجماعة واشباه ذلك وان كان بحسب الظاهر لا متقياً ، كما ان الولد الذي انعقدت نطفته حال الطهارة من الوالدين الطاهرين حال كمالهما وطاعتهما وذكر اسم الله تعالى وغير ذلك من الاوصاف الحميدة أو الحالات المحمودة يكون اقرب الى الانسانية واكثر تهيناً واستعداداً لقبول الكمال والافعال الحسنة والصفات الممدوحة الجميلة ، بل على ذلك يحصل التوارث من الالباء والامهات البعيدة .

ولعله يشير الى ذلك ما في الزيارة المأثورة للحسين عليه الصلاة والسلام : - اشهد انك كنت نوراً في الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بانجاسها الخ .

فالعصمة تنشأ من طهارة الذات اولاً ، فالمعصوم طاهر معصوم معتصم و طهارته من اول نشأته ، فهو معصوم من الاول ، الا ان للعصمة مراتب تترقي من اول مراتبها الى نهاية درجاتها في ذات المعصوم الى اخر عمره الشريف.

فالمعصوم يكون من حين انعقاد نطفته تاماً من حيث القابلية والاستعداد لجميع

الكاملات بحيث لم يكن كمال الا و حصلت بذرته فيه و منزهاً عن بذور جميع النقائص ومطهراً من كل الادناس و الارجاس الموروثة و المكانية أو الزمانية أو غير ذلك من عدم حلية الرزق وجميع ما يمكن ان يلصق به عيباً ونقصاً.

فهذا الطفل ينمو بهذه المميزات الذاتية من الطهارة و الاستعدادات المتهيئة القريية والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه وتشمله العناية الغيتية وهو مع ماعليه من الفطرة السليمة والطهارة والاستعداد التام يقع في صراط الكمال الفعلي سريعاً لعدم الحاجب باسرع مانتصوره الى ان يرى فيه كل كمال والطهارة والنزاهة عن كل نقص في الاوصاف والافعال .

و حينما تحصل له فعلية التدرج الى اعلى درجات كماله منزهاً عن جميع الادناس في الاخلاق والافعال يتصل الى الكمال المطلق الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى تسبح له السموات و الارض اتصالاً روحياً معنوياً ويرتفع عنه الحجب واحداً بعد واحد .

تعبير آخر يكشف النقاب عن العصمة:

وبعبارة اخرى ، يمكن ان يقال : ان العصمة المبحوثة عنها هي تنوير غيبي الهي لقلب المعصوم بمقتضى قابليته الذاتية ، ثم مجاهداته في العبودية التي تنشأ من علو الذات والجذبة الروحانية الالهية بحيث تتجلى له الحقايق ويتنور بقربه واتصاله بمقام المقربين الى الله سبحانه .

فلا ينسى ولا يجهل ولا يغفل ولا يتباعد بعد هذه الجذبة والزلفى بالمعصية ولا ينفصل عما اراده الله تعالى بعد هذا الاتصال ، فان قربه من الله يستوجب ازدياده العبودية وازديادها يستوجب ازدياد القرب والاتصال ، فلا يتمكن الشيطان ان يقرب اليه بوساوسة و تسويلاته و خيله و رجله ولا تغلب عليه النفس الامارة ، بل هو يفوق على كل شيء بمقتضى اتصاله وقربه لدى الخالق المسيطر المهيمن العزيز الجبار .

فلا يحب المعصوم غير ما يحب الله ولا يبغض غير ما يبغضه الله ولا يريد غير ما اراده

ولا يكره الا ما يكرهه ، وبمقتضى قربه لدى الله سبحانه وزلفته الفائقة لا يخفى عليه شيء من الاحكام الشرعية والعقلية وتنزل الملكة والروح الى قلبه من كل امر سلام ، فان المعصومين هم الذين حصل لهم القرب الى حد يتمكنون من تلقي الوحي في كشف الحقائق عن الملكة وبعد كمال العلة وتماميتها وقابلية المحل بجميع ابعاده ، فلا راد لفضله يصيب به من يشاء وهو العليم الحكيم .

وفي دعاء الندبة يقول: اللهم لك الحمد على ماجرى به قضائك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك اذ اخترت لهم جزيلا ما عندك من النعيم المقيم الذي لازوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها(1) وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة اليك والوسيلة الى رضوانك .

فقوله اسخلصتهم لنفسك ودينك ، يرشد الى قابليتهم الذاتية وطهارتهم وقداستهم التي تجر الى طاعة الله ورضوانه ، وقوله بعد أن شرطت عليهم الزهد ، هو منتهى التأكيد في رفض الشيطان والتمايلات النفسانية فشرطوا له ذلك ، وقوله - وعلمت منهم الوفاء ، يرشد الى ان نورانيتهم في ذواتهم المقدسة ، تستلزم منهم الوفاء بعهد الله تعالى والعمل على طبق احكامه ، فقبلتهم وقربتهم - فان العمل بعهد الله وشريعته منهم يوجب القبول من الله تعالى ومزيد القرب لديه فيزيد ويزداد ويتجلى اثار ذلك في ان يقدمهم بالذكر العلي والثناء الجلي من مبدء الكون وخالقه ويتفوقون ويرتقون الى ان يهبط عليهم الملائكة ويتكلمون بوحى الله تعالى وان يرفدهم بعلمه ، فلا يخفى عليهم بعد ذلك شيء ، كما لا يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ، فلا ينسون ولا يجهلون ولا يغفلون ولا يتباعدون عن طريق الحق والصراط المستقيم .

وحيث كانوا كذلك ، فجعلهم الذريعة اليه والوسيلة الى رضوانه وادلاء على

ص: 279

1- الرُّخْف - الذهب وقال الراغب - الزينة - زبرج - الزينة من شيء او جوهر ونحو ذلك - اقرب الموارد .

صراطه وحججاً على بريته ومانراً في بلاده وائمةً على عباده .

ولعله الى ذلك و ما ذكرناه تشير أو تصرح جملة من الروايات التي رواها في الكافي والوافي(1) كرواية جابر الجعفي عن الصادق عليه السلام - وفيها قال : - « السابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه جعل فيهم خمسة ارواح ايدهم بروح القدس فيه عرفوا الاشياء وايدهم بروح الايمان فيه خافوا الله وايدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله وايدهم بروح الشهوة فيه اشتها طاعة الله تعالى وكرهوا معصيته و جعل فيهم روح المدرج(2) الذي به يذهب الناس ويجيئون » - الحديث .

وكذا يستظهر من جملة من الآيات ، كقوله تعالى (ربّ بما اغويتني لآزنينّ لهم في الارض ولا اغوينهم اجمعين الا-عبادك منهم المخلصين)(3)فهؤلاء كانوا مخلصين بفتح اللام لم يكن في ذواتهم ولا في أفكارهم ولا في ارواحهم ولا في عقائدهم ولا في صفاتهم بذرة شيطانية ولا تمايل نفساني ولا انحراف في أي جانب من مشيهم - ، وكقوله تعالى : (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار * انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)(4).

والله سبحانه اخصلهم وطهرهم من كل دنس و ظلمة و جهل ، فاذا كانوا كذلك فلا يقدر مغريات المعاصي ان يحركهم نحوها ولا يترين في اعينهم ما يزين الشيطان في أعين غيرهم لان نفوسهم لم تكن فيها ظلمة يشتبه ويلتبس فيها الامور ، فلا ينظرون الى شيء الا بما له من الحقيقة والواقعية فلا مطمع فيهم للشيطان ولا يقدر ان يزين لهم ما ليس بزين فلا يتمكن من اغوائهم ، فهم عند الله صفوة عباده و خير خلقه ، فالله الذي يرى من الناس من بواطنهم ما لا يريه غيره صار عنده هؤلاء ، الصفوة ، فهم المصطفون الاخيار ، اذ هم المخلصون الذين اخلصهم الله عن كل شيء الى ذكرى الدار.

وفي رواية البحار عن تفسير العياشي عن الحكم بن عيينه(5) قال سألت أبا جعفر

ص: 280

1- الوافي ص 145 من كتاب الحجّة.

2- المدرج - من درج دروجا - اذا مشى.

3- سورة الحجر آيه 38 - 39.

4- سورة ص آيه 44 الى 47 .

5- في يط الجديد ذيلاً قال هكذا في النسخ وفي تفسير البرهان وهو وهم والصواب عتية

عليه السلام عن قوله الله في الكتاب : اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين ، اصطفاه مرتين ، والاصطفاء انما هو مرة واحدة . قال فقال لي يا حكم ان لهذا تأويلاً وتفسيراً : فقلت له : ففسره لنا ابقاك الله .

، قال : يعني اصطفاك اولاً من ذرية الانبياء المصطفين المرسلين وطهرها من ان يكون في ولادتها عن آبائها وامهاتها سفاح واصطفاه بهذا في القرآن - يا مريم اقتني لرتك واسجدي واركعي - شكراً لله ثم قال لنبية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى يا محمد ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك في مريم وابنها وبما خصهما الله به وفضلهما واکرمهما . الحديث (1).

وبالجملة ففي الآيات والروايات ما يهدي الى ما ذكرناه وستجيبه جملة منها انشاء الله ومن ذلك يستنتج :

1 - اذا نفذ في الانسان وذاته نقص أو دنس ، سواء كان من والديه أو غيرهما ، ينكسر درجة من درجات كماله ، فلا يصل الى اعلى درجات الكمال ، وحيث لم يصل الى هذه المرتبة لا يمكن ان يتصل الى الله سبحانه بتلقي الوحي منه فلا يمكن أن يصير نبياً .

2 - ان النبي ، هو الذي يصل بطهارته وعصمته وعبوديته الى الكمال المطلق ، فيتلقى الوحي من ملكه المقرب وهو جبرئيل ومالم يصل الى الكمال المطلق فهو منفصل ولو بمقدار ذرة فلا يتمكن من تلقي الوحي .

3 - النبي لا يمكن ان يكون غير معصوم ، فانه كالجمع بين النقيضين أو الضدين وفي قوة ان يقال : انه متصل لنبوته و منفصل لعدم عصمته ، وتدبر في قوله تعالى خطاباً للموسى عليه السلام : (واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولاتنبا في ذكري اذها الى فرعون انه طغى) (2)

4 - ان النبوة ليست امراً جزافياً بنحو يمكن ان يعطيها الله سبحانه وتعالى كل واحد من الناس لبيحث بعد ذلك في مقدار لزوم اعتصام النبي فيما يراد به في امر النبوة ويقع

ص: 281

1- البحارج 14 ص 192.

2- سورة مريم آية 43-42

الاختلاف بين المتكلمين في أن عصمتهم هل هي عن خصوص الكبائر أو مع الصغائر أو ما يوجب الدنائه والاستخفاف عند الطباع العرفية عمداً أو سهواً أو عن خصوص ما يقع في اداء الرسالة و ابلاغها وغير ذلك مما اختلف فيه بينهم .

بل بعد تصوير كيفية النبوة والوساطة بين الله وبين خلقه و انها سير كمال عروجي خاص بين الله وبين الانسان وانه لا يليق بها كل احد و ان الله سبحانه حكيم يحتمل من خلقه مقام الله و بين فيضه كل احد بقدره و ان مقام الرسالة و السفارة و الوساطة بين الواصلين الى قرب الله سبحانه المتصلين اليه والواحد لكل كمال غير محجوبين عنه بالجهل والنقص والعصيان ، وهذه المراتب لا يصل اليها الا من طهرت طيبته وحسنت اعماله و اخلاقه و رفعت منزلته عن حضيض الرذائل الى اوج الفضائل ، كما قال الله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين).

ومن هو كذلك لا يأثم ولا يعثر ولا يضل ولا يزل ، فانه بعد كمال قربه الى الله سبحانه يتصل الى وحي الله تعالى في علومه وهداه و تنزل اليه الملائكة ، فلا يجهل ولا يغفل ولا ينسى ولا يسهو ، فهو معتصم ذاتاً للطهارة و عدم الدنس فيه ، ثم هو معصوم بعلم من الله و وحيه و وجود روح الهي ملكوتي فيه ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين .

5 - ان العصمة تحصل من الطهارة، حيث ان الدنس في الذات يفتح ابواب الشر للشيطان كما ان الطهارة تسد عليه ، فلا سبيل له فيه ولما كانت الطهارة من اول نشأته فالعصمة كذلك ، فلا مجال بعد ذلك للبحث عن لزوم العصمة قبل النبوة أو بعدها ، نعم لها مراتب بحسب مراتب النشو والارتقاء .

6 - من صدر عنه شيء من المعاصي أو ظهر منه صفة سيئة ذميمة حتى قبل البلوغ لا يكون طاهراً ، فلا يكون معصوماً ، فلا يليق بمنصب السفارة والولاية والامامة من الله سبحانه ، ويتضح ذلك بالتدبر في قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) وانه يشمل الظلم من اول نشوه وادراكه حتى قبل البلوغ فضلاً عما قبل اشتغاله بمنصب السفارة .

7 - لا يقتصر في متعلق العصمة بالكبائر ، بل ولا حالة العمدة ، بل يشمل جميع الحالات وبالنسبة الى جميع المعاصي ، بل وجميع الصفات الرذيلة .

8 - كما ان المعصوم مخلوق الله سبحانه ، فهو باوصافه ومافيه من بذور المحامد والمكارم طاهراً طيباً مخلوق له تعالى ومن موهباته سبحانه ؟ فطهارته من الله بحسب مراتبها من اول وجوده الى ظهور آثارها في الافعال والصفات ، وكما ان اصل وجوده وبقائه مستمد من الله تعالى ، كذلك طهارته وعصمته . وعلى هذا فالعصمة كسائر الصفات و الاخلاق المحمودة الحسنة لها انتساب الى الله سبحانه ولها انتساب الى نفس المعصوم ولا تخرج عن كونها اختياريه له ، لا ان نفسه يشتق الى معصية ولكن الله يعصمه ولا أنه منفصل عن الامداد الاله- الامداد الالهي وعن عصمة الله سبحانه و حفظه .

9 - ان العصمة امر اختياري من اصلها الى آخر مراتبها حصلت بذرتها من الاباء الطاهرين والامهات المطهرات اختياريّاً ، ثم من المعصوم في افعاله واخلاقه اختياريّاً الى ان ارتقت واستدرجت في مدارج الكمال بالاختيار ، الا انها مع ذلك بعد طهارته ضروري الحصول ، لا أنها اضطراري الحصول ، كما ان افعال الله سبحانه اختياريه ومع ذلك لا يمكن ان يصدر عنه القبيح ، لعدم نقص فيه سبحانه وتعالى ليستوجب ذلك .

10 - ان العصمة تنشأ من طهارة تامة كاملة ، فالظاهر معتصم بطهارته حيث لا يجد الشيطان اليه سبيلاً من القذارة والخبائث الذاتية ، كما قال (لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) ، فالمعصوم معصوم من أول نشأته ووجوده وحياته لاشيء يعرض له ، ولكن للعصمة مراحل بحسب مراحل كمال الحياة والرشد والرفي في مدارج الكمال فتترقى العصمة كمالاً وظهوراً وفعليّة بحسب مراحل ظهور آثار النفس في مدارج كمالها ، فالمعصوم الصبي معصوم بقدره والشاب بقدره وعند وصوله الى منصب السفارة والرسالة والنبوة والامامة كل بقدره ، وهكذا عند كل موقف يظهر آثار العصمة عظيمة بحسب الموقف وكلما تظاهر عظمة المعصوم في موقفه الشديد بالصبر والسكينة والجد والاجتهاد والعبودية والاستكانة الله سبحانه في سبيل السير الى الله سبحانه واطاعته وتبدو منه فعلية كماله ، فيصطفى لمقام ارقى وكلما أوفى بميثاقه في ذاته الطيبة وصل الى مقام ارفع واعلى ، قال الله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً) فالبلايا والمحن في سبيل الله تعالى مواقف صعبة شديدة تنفشل فيها نفوس غير الطاهرين المعصومين لكنها للطاهرين المعصومين مظاهر القدسية

والعصمة والفضيلة والشرف ومدارج العروج الى مقام ارفع .

وحيث ان لمراتب البلايا والمحن التي تتظاهر في سبيل سيرهم الى الله سبحانه عظمة وشده و وخامة وصعوبة بحسب عظمة نفس المعصوم المبتلى بها ، فهم يستمدون في نجاحهم وفوزهم وفلاحهم من الله سبحانه ويعوذون و يلتجئون اليه و يستغيثون من رحمته و يستغيثون بعزته و سلطانه و يرون انفسهم تحت مشيئته فيقول احدهم - (يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني انشاء الله من الصابرين) وكذلك يدعونه رَغْباً و رَهْباً وكانوا له خاشعين .

بيان اية التطهير والاشارة الى دفع بعض الاشكالات:

ويمكن ان تحمل الاحاديث الواردة في تجمع اصحاب الكساء تحته ودعاء النبي صلى الله عليه وآله لهم بانهم اهل بيتي وخاصتي فاذهب اللهم عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) - فنزلت الآيه الكريمة في شأنهم بقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً) فهو صلى الله عليه وآله حيث يعرفهم بانهم اهلهم حقاً و خاصته في مقامه الخاص و خلفائه بعده ، فهم الذين لهم اللياقة الصالحة في تشييد الدين واستحكامه واستمراره و ابقائه و حفظه و ترويجه و انبساطه على بساط الارض ، ولذلك اصطفاهم الله تعالى ائمة و سادة و قادة للامة الاسلامية ، ولكن في سبيل ذلك مواقف صعبة شديدة تنفسح فيها العزائم و تفشل لها الهمم العالية لو لم يكن من الله سبحانه امداد و رحمة ، فينظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى مواقفهم الصعبة التي سيمر بهم مرّ السحاب واحداً بعد واحد و يدعو لهم بالنجاح و ان يعبروا عن جميعها طاهرين ، كما كانوا كذلك قبلها ، فيستجاب دعوته و تشمله رحمته و ينزل اليه امين و حي الله و يبشره بان الله سبحانه اراد لهم العصمة و الطهارة في جميع اطوارهم و مواقفهم كما خلقهم طاهرين طيتين و ينزل قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً).

و لعل التعبير بلفظ المستقبل - يريد دون الماضي - اراد مشير الى ما ذكرناه من ان

الله تعالى كما اراد بان خلقهم طاهرين طيبين ، كذلك يريد فيما سيأتي لهم من المواقف الصعبة والاستقبال في المراد، لا في الارادة - ، فهم تحت ظل عنايته ورحمته ولطفه في جميع تلك الموارد كما كان ، والسلام والصلوة عليهم يوم ولدوا وكذلك الى يوم يموتون و يوم يبعثون .

فالنبي صلى الله عليه وآله يدعو لهم من الله سبحانه والحفظ والصيانة عن الرجس ، لئلا يلوثم الحوادث الكارثة القاسية وتبقى طهارتهم ، فالدعاء في دفع الرجس وبقاء الطهارة ، لا في رفع الرجس واحداث الطهارة ، فيذهب عنهم الرجس الذي يكرّ عليهم ويتحامل بهم .

والله سبحانه يضمن لهم ذلك و يتعهد بكلمة الحصر في ارادته لهم ذلك وبعدها ، فكلما يهجم عليهم جنود المصائب والبلايا والمحن ، فلا يقدر أن ينقص من طهارتهم شيئاً بل يزدادون نوراً وعظمةً وكمالاً .

واقعة الطف بكر بلا ، يوم من أيام سنة واحدة من سنين عمر الحسين صلوات الله وسلامه عليه وعلى اولاده واصحابه احد اصحاب الكساء ، وما وقع عليه من المصائب في يوم عاشوراء طوفان و زلزلة تنفسخ منه الجبال ، فضلاً عن عزائم الرجال ، ولكنه صلوات الله عليه ماضعف و ما استكان و ماتزلزل و ما استهان ولم يظهر منه الا ايمانا وطهارة و عصمة وسداداً و جهاداً و تصلباً في الله و تسليماً لامر الله و قضائه وعظمته في قبال جميع ما وقع و تصغيراً و تحقيراً لجميع تلك المصائب ، فعظمته فوق ما يحوم حومه العباثر و الفاظ الاجلال والاطراء .

فهم يسرون في سبيل الله ، حتى بكل مافيه من المشاكل الحاصلة من ايادي اعداء الله واعداء دينه ، وبالجملة ، فهم وان خلقهم الله انواراً بعرش عظمته محدقين لاطلمة فيهم حينما خلقهم الله تعالى لكونهم طاهرين طيبين ، لكنهم في اطوار استمرار بقائهم متكاملين ، فلكل كمال كمال فوقة وهم يجدون ويجتهدون للوصول الى ارقاه ، فان الدنيا مضممار السباق لكل انسان ، قال الله تعالى خطاباً بالنبية(صلى الله عليه وآله وسلم)(وقل رب زدني علماً) وقال النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام : انّ لك لمنزلة لا تنالها الا بالشهادة - ، كما في الحديث(1) الى غير ذلك مما يرشد الى ما ذكرناه .

ص: 285

1- وان لك في الجنة لدرجات لن تنالها الا بالشهادة - مقتل خوارزمي ج 1 ص 187 ط الاولى النجف

والحاصل ان للعصمة و الطهارة منازل و مراتب مشتركة جميعاً في ثبوت اصل العصمة و الطهارة ، لكنّها متفاضلة بعضها فوق بعض ، قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتيناهم بنات و آتيناهم عيسى بن البينات و آيدناه بروح القدس)(1) فلقد كان لبعضهم زهد فوق بعض اخر و لبعضهم تسليم او صبر او كثرة عبادة خاصة فوق بعض آخر ، هكذا بعد ان شرط الله للجميع الزهد في هذه الدنيا الدنية و زخرفها ، فشرطوا له ذلك ، و علم الله منهم الوفاء ، فقبلهم و قربهم ، و هكذا مراتب الفضل بالنسبة الى شخص واحد منهم في أدوار عمره من اوله الى اخره و الترقى من المرتبة العالية الى الاعلى منها ، و يرشد الى ما ذكرناه قوله تعالى : (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً و علماً و كذلك نجزي المحسنين)(2) ، قال الراغب: اي بلغ قدراً من العمر بحيث يتقوى خلقه الذي كان عليه فلا يكاد يزياله بعد ذلك - فبلغ مراتب الكمال في يوسف عليه السلام الى ان آتاه الله الحكم و العلم و النبوة و تدرّج في درجات الفضل و الكمال الى هذه الدرجة --- و قال تعالى في شأن موسى عليه السلام (ولما بلغ أشده و استوى آتيناه حكماً و علماً و كذلك نجزي المحسنين)(3) . و قال في شأن داود عليه السلام بعد ان جاهد و قاتل في سبيل الله سبحانه : (فهزموهم باذن الله و قتل داود جالوت و آتاه الله الملك و الحكمة و علمه مما يشاء)(4) و بالنسبة الى خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله يقول سبحانه و تعالى : (وانزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً)(5) ، (وقال سبحانه و قل رب زدني علماً)(6) ، فهو يأمر بالدعاء و طلب زيادة العلم من ربه الذي يربيه شيئاً فشيئاً فيزداد منه علماً و كمالاً ، و ايضاً يأمره بالعباد و اللواذ بالله سبحانه من خطرات همزات الشياطين، ليكون في مستجاره و حصنه ، فقال سبحانه : (وقل ربّ اعوذ بك من همزات الشياطين و اعوذ بك ربّ ان

ص: 286

- 1- سورة البقرة 253.
- 2- سورة يوسف آية 22.
- 3- القصص ايه 14.
- 4- سورة البقرة ايه 251.
- 5- سورة النساء 113.
- 6- سورة طه 114.

يحضرون (1)، وهذا كمال قد ناله قبلاً حسب عصمته ، ويناله بعد دعائه واعادته ازيد مما ناله قبلاً ، وبالنسبة الى موسى عليه السلام بعد أن ارسله الله سبحانه الى فرعون و توجه الى شدة مواقفه التي لا يمكن ان يعبرها سليماً ، الا بانشرح الصدر فوق ما كان عليه قبلاً ، فيسئل ربه ان يعطيه ، فيقول سبحانه حكاية عنه : (قال رب اشرح لي صدري ويسري لي امري)(2) ثم بعد ادعية اخرى عنه يقول سبحانه : (قد اوتيت سؤلك يا موسى).

فالدنيا مضمار السبق في مراتب الكمال والفضل والعلم والعبودية والقرب الى الله سبحانه ، وكل الى الله يصيرون والسابقون السابقون اولئك المقربون ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وهم الانبياء والمرسلون والائمة الطاهرون صلوات الله عليهم اجمعين ، فكل انسان مسافر متحرك ، كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): انكم على ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتیان بكل موعود ، فاعدوا الجهاز لبعده المجاز - ، الا ان بعض الافراد سفرهم من الظلمة الى النور وبعض من النور الى الظلمات واما المعصومون فسفرهم من النور الى الانور منه ومن الطهارة الى الكمال والفضيلة متدرجين في درجاتها سريعاً في عروجها .

امان احتمال امكان التدرج الى العدالة ثم الى العصمة لكن لا يناله النبوة والامامة

11 - بعض افراد الانسان وان لم يكن في ذاته طاهراً بان وجد في طينته وذاته بذور القذاراة من الاباء أو الامهات أو سوء التغذية أو غير ذلك ، لكن حيث انه مع ذلك قادر مختار في افعاله، فكان له ان يرتاض في تخلية نفسه عن القذاراة والخبائث وترك المعاصي والاجتهاد في طاعة الله وعبوديته والتحلّي بحلية الصالحين وزينة المتقين والتجنّب عن الاوصاف الرذيلة الى ان يعتاد ذلك وتتهيأ له ملكة راسخة نفسانية طاهرة

وجب ملازمة التقوى وطريق الهدى ويحترق تحتها البذور الخبيثة والقذاراة

ص: 287

1- سورة المؤمنین 98.

2- سورة طه 25.

الشيطنية ، حتى لا يرتكب المعاصي ابدأً ، ويكون من ايمانه ضمانة عليه ، وهذا هو الذي نعبّر عند بالعدالة ولها مراتب، ولعل بعض مراتبها تتلوتلوا العصمة او يتدرج الى درجاتها كما سنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى ، الا انها غير العصمة التي تذكر في الانبياء والائمة(عليهم السلام).

فان العصمة فيهم تشأ من الطهارة المطلقة الكاملة التامة ، ثم يعقبها فضل وعناية من الله سبحانه بلحاظ قربه من الله والزلفى لديه ، فلا يمكن في حق المعصوم ان يزل أو يضل ، فلم يكن يصدر منه العصيان ولن يصدر عنه ، وقال تعالى : (لاينال عهدي الظالمين ، فهو مع قربه واتصاله من الله سبحانه لا يصدر منه رذيلة ومعصية صغيرة أو كبيرة لاعمداً ولا جهلاً ولا نسياناً ، وهذا بخلاف العادل الممكن في شأنه هذا ، الى غير ذلك من المميزات بينهما مما يظهر بعد التأمل الدقيق والتدبر في المقامين .

وبذلك يظهر ما في كلام بعضهم حيث عبّروا عن العصمة بالملكة التي ليست الاّ حالة راسخة راسخة في النفس حاصلة من الاعتياد وقلما تتخلّف عن مقتضاها ، ولكن العصمة لها تضمين من حيث الذات ومن حيث الثبوت الالهي والتفضل الرباني ومن حيث المجاهدات الفائقة والعبادات الخالصة من المعصوم، بحيث لا يمكن التخلّف عن مقتضاها من الطهارة المطلقة ابدأً دائماً ، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء»(1)

نعم ، لعله لا مانع في ان يصل غير المعصوم الى حد العصمة والطهارة بالتدرب والارتياض واحراق رذائل ذاته وصفاته وخبائث نفسه بالتوبة الى الله والتضرع والانابة اليه والعبودية الخالصة له سبحانه وسعيه في التحلي بمحامد الصفات والتخلق بمحاسن الاخلاق والتقرب الى الله كما يظهر مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في سلمان الفارسي رضى الله عنه حيث قال: سلمان منا اهل البيت ، مع انه قال الله تعالى في شأنهم - (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً)، وسلمان لم يكن في اول امره من المسلمين بل كان خارجاً عن دين النصارى أيضاً على ما يظهر مما ذكر في تاريخه و شرح حاله هذا (ولكن على خلافه روايات عن المعصومين ع)

ص: 288

والملة ولكن مع رفعة شأن يحصل من ذلك فلا يصل الى مقام النبوة والسفارة والرسالة والامامة فلهذا المقام شأن فوق العصمة الاكتسابية، قال تعالى: (لاينال عهدي الظالمين).

12- المعصوم بعد صفاء قلبه وطهارة ذاته لاحجاب بينه وبين الله سبحانه فهو مؤمن بالله وبكلماته وآياته وبراهينه ، قال الله تعالى: (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه)(1)وقال تعالى (فامنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)(2)، وقال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين 103 ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم 104 انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون 105)(3)، كيف يمكن ان يأتي بهذا القرآن مفترياً على الله ، وهذا القرآن يهدي الى الحق وحقائق الفطرة و احكامها ودقائق عالم الكون واطوارها ومن لا يؤمن بالله لا يهديه الله وله عذاب اليم و انما يفترى الكذب على الله من لا يؤمن بالله و ربوبيته و علمه بخلقه وسلطانه عليهم و اولئك هم الكاذبون لا ينبطق كلامهم على الحقائق ، فالقرآن الصادق الحق لا يمكن ان يأتي به المفترى الكاذب ، لان كلام المفترى كذب وهذا صدق ، و ان المفترى لا يؤمن بالله و من لا يؤمن بالله لا يهديه الله بل يعذبه الله ، فهذا القرآن صادق من عند الله اوحاه على من يؤمن بالله فهداه بوحيه .

المعاقلة له بالغة سابقة وهذا الايمان بالله وكلماته و هو نور محض لا يشوبه الظلمة ، هو العاصم له عن العثرات بامداد من الله سبحانه ، والظاهر انه هو البرهان في قوله تعالى (ولقد همت به وهمم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)(4)، فربّه يتجلى في قلبه ، فهو ذاكر لا يغفل عنه ومخلص وقد اخلصه الله

ص: 289

1- سورة البقرة ايه 285.

2- سورة الاعراف 158

3- سورة النحل

4- سورة يوسف ايه 24.

من كل ظلمة و غشاوة ، فلا يقربه الشيطان حيث قال : (الا عبادك منهم المخلصين) ، وقال تعالى فى شأنه : (انه من عبادنا المخلصين) ، وحيث انه مؤمن بالله وكلماته فالله يهديه الى ملكوت السموات والارض ويريه من آياته ويوحى اليه ، فلا يمكن ان يفتري على الله الكذب ، فهو امين الله فى وحيه واسوة لخلقه فى جميع افعاله و اخلاقه و ادابه واقواله ، فكل ما يصدر عنه فهو مظهر من مظاهر هذه الشخصية الشامخة الرفيعة ،

فمن اتبعه فقد هدى الى صراط مستقيم ومن تخلف عنه فقد ضل و شقى و غوى .

13 - الرابطة بين صفاء الروح وبين العمل وبين مواهب الله له هي مما نطق به القرآن الكريم، وكذا بين شئيات الاعمال وبين سقوط النفس الى دركات الشقاء والظلمة الى ان يكذب بايات الله ويستهزء بها .

وتلك الآيات بعضها عامة تشمل جميع الناس وبعضها فى خصوص الانبياء والائمة صلوات الله عليهم اجمعين .

فمن قسم العام سواء كانت بالنسبة الى الحسنات او السيئات ، قوله تعالى : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) وقوله تعالى : (انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون (الاية)) (1)، وقوله تعالى (ويهدي اليه من اناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)، (2) وقوله تعالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً) (3) الى غير ذلك مما تدل على رابطة العمل الصالح والسعادة .

وكقوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) (4)، وكقوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اثمهم لا يؤمنون) (5) وقوله تعالى : (ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون) (6) وقوله تعالى : (ان الله

ص: 290

1- سورة الرعد ايه 20.

2- سورة الرعد ايه 28.

3- سورة مريم ايه 77.

4- سورة الرعد ايه 11.

5- سورة يونس ايه 33.

6- سورة يونس 44.

لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون(1)وقوله تعالى : (وما يضل به الا الفاسقين)(2)وقوله تعالى : (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزون)(3)الى غير ذلك من الايات الكثيرة بهذه المعنى .

وفي خصوص الانبياء والمعصومين عليهم الصلوة والسلام ايضا هذه الرابطة موجوده بجميع مراحل العصمة ، كما في قوله تعالى (ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم و اسحق ويعقوب ماكان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون)(4)وقوله تعالى : (فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون الى قوله تعالى واصبر فانّ الله لا يضيع اجر المحسنين)(5)، وقوله تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً)(6)، وقوله تعالى : (قم الليل الا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ، انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ، ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قليلاً)(7)، وقوله تعالى : (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(8)، وقوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين)(9)، وقوله تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين)(10)، وقوله تعالى (واسماعيل وادريس و

ص: 291

- 1- يونس ايه 82.
- 2- سورة البقرة ايه 26.
- 3- سورة الروم ايه 10.
- 4- سورة يوسف ايه 38.
- 5- سورة هود ايه 115.
- 6- سورة الاسراء ايه 79.
- 7- سورة المزمل ايه 2-6 .
- 8- سورة الزمر ايه 65.
- 9- سورة الحاقة ايه 46.
- 10- سورة البقرة ايه 124 .

ذا الكفل كل من الصابرين و ادخلناهم في رحمتنا اَنَّهُم من الصالحين(1)، وقوله تعالى (وذكر يا اذ نادى ربّه ربّ لاتذرنني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اَنَّهُم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رَغْباً و رَهْباً وكانوا لنا خاشعين)(2)، وقوله تعالى (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)(3)، الى غير ذلك من الآيات الكثيرة مما ترشد الى ما ذكرناه من الرابطة بين السعادة و العمل و بين الشقاء و العمل و انّ مقام الانبياء و الائمة و عظمتهم و عصمتهم مربوط ايضاً باعمالهم و انهم باعمالهم صعدوا مدارج الكمال و الرفعة و العصمة و بافعالهم الحسنة و نياتهم الطيبة الخالصة لوجه الله تعالى فازوا في الدنيا و الآخرة قال تعالى (يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) (وانما يُفجرونها بالاعمال الصالحة لأنهم) (يوفون بالندرو يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و اسيراً اَنَّمَا نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولا شكوراً انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً)(4).

هذا طريق التكامل و صراط الانبياء و الأولياء و منهاج الصلحاء فيما وصلوا اليه و اعتصموا به فصاروا لغيرهم ائمة و لمثلهم اسوة و قدوة - لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً(5)، فهذا باب مفتوح لكل انسان ، (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً)(6)، (والمسابقون السابقون اولئك المقربون) - وهم الانبياء و المرسلون و الائمة الطاهرون (ثلاثة من الاولين و قليل من الاخرين)(7)

«اشهد انكم الائمة الراشدين المهديون المعصومون المكرمون المقربون

ص: 292

- 1- سورة الانبياء ايه 96
- 2- سورة الانبياء ايه 90.
- 3- سورة الانبياء ايه 91.
- 4- سورة الدهر ايه 10.
- 5- سورة الاحزاب 21.
- 6- سوره كهف آيه 11.
- 7- سورة الواقعة ايه 14.

المتقون الصادقون المصطفون المطيعون لله القوامون بامرهم العاملون بارادته الفائزون بكرامته اصطفواكم بعلمه وارتضاكم لغيبه و اختاركم لسره و اجتبيكم بقدرته و اعزكم بهداه و خصكم ببرهانه و انتجكم لنوره وايدكم بروحه و رضيتكم خلفاء في ارضه و حججاً على بريته و انصاراً لدينه و حفظة لسره و خزنة لعلمه و مستودعاً لحكمته و تراجمه لوحيه و اركاناً لتوحيده و شهداء على خلقه و اعلاماً لعباده و مناراً في بلاده و ادلاء على صراطه عصمكم الله من الزلل و آمنكم من الفتن و طهركم من الدنس و اذهب عنكم الرجس و طهركم تطهيراً(1).

14 - قد ظهر مما ذكرناه : ان العصمة من الذات الى الصفات ، ثم الى العمل كما اشير اليها في رواية سئل فيها عن ابي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: (ان الله اصطفىك وطهرتك واصطفىك على نساء العالمين ، قال اصطفاه مرتين والاصطفى انما هو مرة واحدة(2) الحديث وقد سبق ذكرها .

وبالجملة ، العصمة شجرة طيبة روحانية انسانية تبدو بذرتها من اباء كرام وامهات طاهرين طبيين من الارجاس ، قال تعالى (واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين ومن آباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده(3) فيتولد من هذه البذرة انسان طيب طاهر ، لم يتوارث من ابائه وامهاته نقطة سوداء لتستعقبها رذيلة من الرذائل و تمايل انحطاطي وانحراف روحي نحو شيء من القبائح والفحشاء ، بل ورث من الطبيين والطيبات طيباً وطهارة ونورانية ذاتية ، ثم بعد هذه المرتبة لا يبرح ولا يزال ينبت فيه الكمال اسرع ما يمكن لتمامية القابلية فيه من غير حجاب عن فيوض رحمة الله فيه وتشعشع انواره عليه .

والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه - انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها - ماء افسالت - كلاً نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذوراً فهو يتكلم في المهد

ص: 293

1- الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الامام علي الهادي أو الرضا صلوات الله عليهما على اختلاف الروايات

2- البحار ج 14 ص 192.

3- سورة الانعام ايه 88

صبيّاً ويؤيته الله العلم والحكمة رضيعاً ويربو في القداسة والنزاهة ويستقيح القبائح ويستقذر من الارجاس والادناس خُلُقاً لا متخلقاً وعملاً ووصفاً وفعالاً من اول ما يبدو منه شيء .

ويقبل الى الله سبحانه والى طاعته ومناجاته والأنس به من اول ما يبرز منه شيء ، لكمال قابليته واشتداد تجليات انوار عظمة الله سبحانه فيه ، فلا قصور لافي القابل ولا في الفاعل فيتجاز بان ويستجلبان فيقبل الى الله ثم يقبل ... ويقبل الله اليه ، ثم يزيد في اقباله ويتم نعمته عليه كما اتمها عليه من قبل ، قال تعالى : (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم)(1)

وهكذا يتدرج العصمة في عروجه.

ص: 294

1- سورة يوسف ايه 6.

وبعد ذلك نقول : ان العصمة شيء قد تكون معها النبوة و الرسالة و الامامة أو أحدها ، وقد لا تكون معها شيء من ذلك ، فهذه المناصب الثلاث لا تخلو عن العصمة ، ولكن العصمة قد تفارق عنها ، فيمكن ان تكون العصمة موجودة في بعض من دون نبوة , ورسالة و امامة.

مريم و عصمتها

فمن هؤلاء مريم بنت عمران سلام الله عليها وقد وردت في عصمتها وطهارتها آيات كثيرة ، قال الله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، اذ قالت امرأة عمران ربّ اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني انك انت السميع العليم ، فلما وضعتها ان قالت ربّ اني وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانّي سميتها مريم واني اعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم انّي لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب(1)).

ص: 295

وقال تعالى : (واذ قالت الملكة يامريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين * يامريم افنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ، ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وماكنت لديهم اذ يختصمون، اذ قالت الملكة يامريم انّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين قالت ربّ ائني يكون لي ولد ولم يمسنني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فأتما يقول له كن فيكون، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم انّي اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص و احيى الموتى باذن الله وأنبتكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين)(1)، الى ان قال تعالى: (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)(2)، وقال تعالى : (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته القاها الى مريم)(3).

فهذه الآيات تدل على اصطفاء مريم من ايها وامها اعني عمران وامراته وخلوص امراته في نذرهما مافي بطنها محرراً لخدمة الدين واهله وملايتها حينما رات انها انثى وماذكره الله من انه ليس الذكر كالانثى ، ثم ماقبلها الله بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً في جميع ما يريد الله انسان حسن الى ان بلغت الى وحى الله اليها ونزول الملكة اليها من وبيشارتها بانّ الله اصطفيا وطهرها واصطفيا على نساء العالمين، (فاقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) الى ان وصلت الى مقام ارسل الله اليها من عنده رزقاً غير متعارف من فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (كما قيل) مما لا يشك احد انه غير متعارف يستل عنها خالها زكريا النبي انّ لك هذا قالت هو من عند الله انّ الله يرزق من يشاء بغير حساب - اي حساب زماني أو مكاني أو كمّي أو كيفي -

ص: 296

1- سورة آل عمران ايه 49.

2- سورة آل عمران ايه 59.

3- سورة النساء ايه 171.

وبلغت في طهارتها ونزاهتها وعفافها وحصانتها الى مرتبة صلحت لنفخ روح الله فيها وتوديع كلمته الابداعية فيها التي يقول الله سبحانه له كن فيكون من دون ما يحتاج اليه سائر ولد آدم من التدرج في النشوء والارتقاء ، قال تعالى (والتي احصنت فرجها فنفضنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالمين)(1)، (قالت انى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضياً)(2)، (واذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون)(3)، فهذا امر ايجادي وابداعي يكون الايجاد بوجود ما اوجده لافصل بينهما بالزمان فلا تراخي بينهما ففي ساعة واحدة تمت كلمة الله وتم الكلام ، فلذا عطف بالفاء ليدل على الترتيب والترتب من دون الفصل و التراخي لاب- (ثم)، فقال سبحانه (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناديها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عينا فإمّا ترين من البشر احداً فقولي ائى نذرتُ للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم انسياً)(4)، هذه هي مريم العابدة الزاهدة التي اصطفاه الله سبحانه من ذرية ابراهيم عليه السلام حيث قال تعالى : (ووهبنا له اسحق ويعقوب (الى ان قال) ومن ذريته داود وسليمان الى ان قال) وذكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين)(5) ثم اصطفى آل عمران فقال (ان الله اصطفى آدم ونوحاً و آل ابراهيم وآل عمران على العالمين)(6)، ثم كان من امرها وخلوص تية والديها فيها ومانذرت امها لما في بطنها محرراً ثم ما ذكر الله من شأنها وتفوقها على الذكر حيث ترتقي الى مقام القاء كلمة الله اليها وروح الله يلد منها حيث قضى امره وقال له كن ، فيكون ولداً سوياً يكلم الناس في المههد صبياً ويقول انى عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت

ص: 297

- 1- سورة الانبياء ايه 91.
- 2- سورة مريم ايه 20.
- 3- سورة آل عمران ايه.
- 4- سورة مريم ايه 26.
- 5- سورة الانعام ايه 85.
- 6- سورة آل عمران 33.

وتشمل هذه البركات مشارق الارض ومغاربها ببركتها وبركات كلمة الله ابنها ، فهذه بركات عصمتها وطهارتها من آبائها وامهاتها الى ان
تشعشع في نفسها واصطفائها على نساء العالمين .

ص: 298

ومنهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام

ومنهم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ام الائمة بنت محمد المصطفى خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلّم زوجة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما .

مة وفي آيات عديدة وروايات كثيرة متواترة ما يدل على طهارتها وقداستها ونزاهتها وعصمتها وعلو شأنها وقربها و تقربها الى الله ومنزلتها والزلقى لديه وانها سيدة نساء العالمين من لدن آدم الى آخر الزمان ، كما ان مريم عليها السلام كانت سيدة نساء زمانها وعالمها .

ليتمتع لية لفة فقد اصطفاه الله من ذرية ابراهيم وآله في آباء وامهات كرام طيبين طاهرين الى ان وصلت الى اشرف الالباء وافضل السفراء خاتم النبيين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله و الى امها خديجة بنت خويلد ، التي هي اول من آمن واسلم وصلت من النساء كانت لها من الفضل و الطهارة و النبالة ما ينبأك عنها تقدّمها على الجميع في الاسلام و المجاهدة بنفسها و مالها و شرفها و شخصيتها في سبيل الله و ترويج الدين و اعلاء كلمة الاسلام و حماية المسلمين و اطعام المؤمنين ، و حسبك في ذلك ما في روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله : افضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون و مريم بنت عمران، (1) وعنه صلى الله عليه وآله : خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران و آسيا بنت مزاحم و خديجة بنت خويلد و فاطمة

ص: 299

بنت محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، الى غير ذلك من الفضائل الكثيرة لخديجة سلام الله عليها .

وقد اصطفى الله سبحانه فاطمة مرة أخرى بان امر النبي صلى الله عليه وآله ان يعتزل عن خديجة أربعين يوماً، بجبل حراء على عبادة الله سبحانه بالصلاة والصوم والمناجاة وغيرها حتى انقضت تلك الايام اتاه ميكائيل بطبق فيه العنب والرطب من فاكهة الجنة ليأكل منها ويدخل بيت خديجة ويترك ما كان يعتاده من نوافل الصلوة ويخلق الله تعالى من تلك الفاكهة حبيته فاطمة سلام الله عليها.(1)

فهي كانت تحدث امها خديجة وتونسها وكانت تكتتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً ، فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام فقال ياخديجة ، من تحدثين ؟ قالت : الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني ، قال يا خديجة هذا جبرئيل يخبرني انها انثى وأنها النسلة الطاهرة الميمونه وانّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها ائمة ويجعلهم خلفائه في ارضه بعد انقضاء وحيه.(2)

فصارت فاطمة افضل بنت من أفضل والد ووالدة نشأت في الاسلام في طهارتها و عفافها و عضمتها و صلواتها وصومها وعبوديتها و خضوعها لله سبحانه في جميع احكام الله وآدابه وما يحبّ الله تعالى من الصفات الحميدة و الاخلاق الحسنة و السعي في سبيل الله والمجاهدة في اعلاء كلمة الاسلام و الزهد عن الدنيا و زخرفها و الخوف من الله و اليوم الآخر في صلاتها و دعائها و مناجاتها و تقربها الى الله .

فكانت لوالدها رسول الله صلى الله عليه وآله خير بنت وابرها تعينه على الام اسلام في نشره و حفظه علماً و عملاً و جهاداً و استقامةً و حفظاً لرسول الله وكاشفة لهمه و غمه حينما احاط به الكربات و ضيق عليه الابواب ، فكانت مجدةً جهداً بليغاً لصيانة الاسلام عمّا يرد عليه من الآفات حتى كتأها رسول الله صلى الله عليه وآله بام ابوها ، فتحملت الشدائد الواردة على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الاسلام والمسلمين في مكة من

ص: 300

1- راجع بيت الاحزان للمحدث القمي(رحمه الله عليه)ص3.

2- راجع البحارج 43 ص 2.

الكفار والمشركين في طول السنين في حياة خديجة وبعدها الى ان هاجرت الى المدينة ، وماكان في ذلك من المشاكل والمصائب والنوائب مما روى عنه(صلى الله عليه وآله وسلم)انه(صلى الله عليه وآله وسلم)اشار الى الجبل قائلاً يا جبل لو ان مابي بك لهدمت .

ثم بعد مهاجرتها الى المدينة زوجها رسول الله علياً صلوات الله عليهم زوجها من هو ، اقدمهم سلماً واكثرهم علماً واعظمهم حلماً(1)و دفع فاطمة الى على وقال(صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي نعم الزوجه زوجتك ثم اقبل على فاطمة وقال يا فاطمة نعم البعل بعلك ، ثم خرج من عندهما واخذ بعضادتي الباب ، فقال طهركما الله وطهر نسلكما ، انا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما ، استوعكما الله واستخلفه عليكما(2) ، وقال(صلى الله عليه وآله وسلم)اذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً ،(3)وقال يابنية ، ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعه فاختر من اهلها رجلين ، فجعل احدهما اباك والآخر بعلك ، يابنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له امراً ، ثم قال لعلي ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها فان فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرها استودعكما الله واستخلفه عليكما ، قال علي فوالله ما اغضبتها ولا اكرهتها على امر حتى قبضها الله عز وجل ولا اغضبته ولا عصت لي امراً ولقد كنت انظر اليها فتتكشف عني الهموم والغموم(4) ، وقال النبي صلى الله عليه وآله لها : يا فاطمة ان الله جل ذكره اطلع الى الارض اطلاعه فاختر منها بعلك فواحي الى فانكحتك اما علمت يا فاطمة ان لكرامة الله اياك زوجك اقدمهم سلماً واعظمهم حلماً واكثرهم علماً ، فسرت بذلك فاطمة فاستبشرت بما قال لها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فاراد ان يزيدا ، فقال يا فاطمة لعلي ثمان خصال : ايمانه بالله وبرسوله وعلمه وحكمته و زوجته و سبطاه الحسن والحسين وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقضائه بكتاب الله(5) ، ورؤي انه(صلى الله عليه وآله وسلم)قال : اللهم انهما احب خلقك التي فاحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً واني اعينهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم ، وروى انه(صلى الله عليه وآله وسلم)دعائها

ص: 301

- 1- البحارج 43 ص 133.
- 2- البحارج 43 ص 132.
- 3- البحارج 43 ص 133.
- 4- البحارج 43 ص 134.
- 5- راجع البحارج 43 ص 98.

فقال : - اذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً ، وروى انه قال مرحباً ببحرين يلتقيان ونجمين يقتربان(1)، ثم خرج الى الباب يقول طهركما وطهر نسلكما انا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما استودعكما الله واستخلفه عليكما، ثم اتاهما في صبيحتهما وقال السلام عليكم أدخل رحمكم الله ففتحت اسماء الباب ، ثم سألت علياً كيف وجدت اهلك قال نعم العون على طاعة الله وسأل فاطمة ، فقالت خير بعل ، فقال اللهم اجمع شملهما والفرق بين قلوبهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنّ النعيم وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم ائمة يهدون بامرئ الى طاعتك ويأمرون بما يرضيك ، ثم امر بخروج اسماء ، وقال جزاك الله خيراً .

وكانت معاشرتها ايام زواجها ذات جهات كثيرة ، كلها اسوة حسنة لكل مسلمة مؤمنة ، مع والدها رسول الله صلى الله عليه وآله معاشرة امرأة مزوجة في قبال حقوق والدها مع كثرة تحننها عليه لم تخرج اليه الا باذن زوجها ولم تأت بما يسخط الرسول ولا ما يعصى به الله ورسوله و مع زوجها وزهده و جهاده و عبادته في غاية الحنان و الرأفة ، حتى كانت الحانية من اوصافها لكثرة حنانها لزوجها و لاولادها الى ان ورد في الروايات في انتقال هذه الصفة الى البنات من ذريتها ، ومع ذريتها و اولادها الى يوم القيمة ، ومع كل من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لاسيما اقاربها ، ثم من جهة علمها وكمالها ثم تعليمها و تربيتها لاولادها ، ثم لجميع المؤمنين فرداً فرداً أو لجمعية كثيرة في مواظبتها وخطبها ، الى غير ذلك من الجهات الكثيرة في بركاتها ومحامد اوصافها وفضائل اخلاقها وعبادتها وتقويها وعصمتها .

خدمت زوجها في بيتها فاستقت بالقربه حتى اثرت في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت و اوقدت تحت القدر فاصابها من ذلك ضرر شديد حتى قال لها علي عليه السلام : لو اتيت اباك فسألتيه خادماً يكفيك ضرر مانت، فيه ، فانت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدت عنده حدثاً فاستحيت فانصرف ، فعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انها جاءت لحاجة فغدا عليها ، فاخبر علي بحاجة فاطمة (عليه السلام) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) الا اعلمكما ماهو

ص: 302

خير لكما من الخادم، اذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا اربع وثلاثين ، فقالت رضيت عن الله ورسوله(1).

رأى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)فاطمة(عليه السلام)وعليها كساء من اجلة الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة ، فقالت يارسول الله الحمد لله على نعمائه والشكر لله على الاثمه فانزل الله : ولسوف يعطيك ربك فترضى(2)، وتزينت نفسها وبيتها بستر لقدم والدها وزوجها عن السفر ، فلما راها النبي صلى الله عليه وآله تجاوز عنها (مع انه كان يبدأ ويختم بها في سفره) ، وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر فنزعت قلاذتها وقرطبيها ومسكتيها ونزعت الستر فبعث به الى ابيها وقالت اجعل هذا في سبيل الله ، فلما آتاه قال عليه السلام : قد فعلت فداها ابوها ثلاث مرات(3)استأذن اعمى على فاطمة(عليه السلام)فحجبتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لها لم حجبتة وهو لايرك فقالت ان لم يكن يراني فاني اراه وهو يشم الريح ، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): اشهد انك بضعة مني(4)وتقاضى علي وفاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة ، فقضى على فاطمة بخدمته مادون الباب وقضى على علي بما خلفه وقال الباقر عليه السلام فقالت فاطمة فلا يعلم ما داخلني من السرور الا الله باكفائي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)تحمل رقاب الرجال(5).

ولما اجمع ابوبكر وعمر على منع فاطمة فدكاً وبلغها ذلك لاثت(6)خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها(7)اقبلت في لمة(8)من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ماتخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من

ص: 303

1- راجع البحارج 43 ص 82

2- راجع البحارج 43 ص 86.

3- راجع البحارج 43 ص 86.

4- راجع البحارج 43 ص 91.

5- راجع البحارج 43 ص 81.

6- لفت المقنعة برأسها.

7- جعلت ردائها محيطة بنفسها.

8- لمة أي جماعة والحفدة بالتحريك الاعوان والخدم تطأ ذيولها اي اثوابها طويلة تستر قدمها فتطأها عند المشي و الحشد الجماعة.

المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت(1) دونها مائة فجلست ثم انت انه اجهش القوم لها بالبكاء فارتج(2) المجلس(3) الحديث وقالت عايشه ما رأيت احداً قط اصدق من فاطمة غير ابيها(4)- وقال الحسن بن علي عليهما السلام رايت امي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح و سمعتها تدعوا للمؤمنين و المؤمنات و تسميهم و تكثر الدعاء لهم و لاتدعوا لنفسها بشيء فقلت لها يا اماه لم لاتدعين لنفسك كما تدعين لغيرك فقالت يا بني الجار ثم الدار(5)- وعن الحسن البصري - ما كان في هذه الامة اعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورّم فاطمة كانت تقوم حتى تورّم قدماها(6)- وفي روايات عن الصادق والرضا عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار(7) وعن العامة ايضاً رواية ذلك عنه (ص) كما عن(8) تاريخ بغداد وكتاب السمعاني واربعين المؤذن و مناقب فاطمة باسانيدهم عن حذيفة وابن مسعود -قال ابن منددة(9) انه خاص بالحسن والحسين ويقال من ولدته بنفسها وهو المروي عن الرضا عليه السلام والا ولي كل مؤمن منهم(10)- وعن الصادق عليه السلام المعتقون من النار هم ولد بطنها الحسن والحسين وزينب وام كلثوم(11)- وفيما اوصت لامير المؤمنين عليه السلام - فان تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة و اجعل لاولادي يوماً وليلة يا ابا الحسن ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين فانهما بالامس فقدما جدهما واليوم يفقدان امهما فالويل لامة تقتلهما وتبغضهما(12)- عاشت بعد رسول الله

ص: 304

- 1- اي علقت ما بينها سترأ والمائة الازار.
- 2- فزعوا و تهيئوا بالبكاء.
- 3- البحارج 43 ص 82.
- 4- الاحتجاج للطبرسي ج 1 ص 132
- 5- البحارج 43 ص 84.
- 6- البحارج 43 ص 82.
- 7- البحارج 43 ص 84
- 8- البحارج 43 ص 231.
- 9- ابن منددة بفتح الميم وسكون النون ابو زكريا يحيى بن عبد الوهاب و هو محدّث بن محدّث الى خمسة آباء من اصفهان توفي سنة 512.
- 10- البحارج 43 ص 232.
- 11- البحارج 43 ص 231.
- 12- البحارج 43 ص 178.

صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً لم تُركأ شرةً ولا ضاحكة تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الاثنين والخميس فتقول هيهنا كان رسول الله وهيهنا كان المشركون(1)- دعت علياً عليه السلام وقالت يا ابن عمّ ما اراني الآ لما بي وانا اوصيك ان تتزوج بامامة بنت اختي زينب تكون لولدي مثلي واتخذ لي نعشا فاني رايت الملكة يصفونه لي وان لا يشهد احد اعداء الله من جنازتي ولا دفني ولا الصلاة علي(2)- وفي رواية روضة الواعظين قالت : - وانا اوصيك باشياء في قلبي ، قال لها عليّ عليه السلام اوصني بما احبت واخرج من كان في البيت، ثم قالت يا ابن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني ، فقال عليه السلام ، معاذ الله انت اعلم بالله وابر واتقى واكرم واشدّ خوفاً من الله من أن اوتحك بمخالفتي فقد عزّ على مفارقتك وتقعدك الا انه امر لا بد منه والله جدّدت على مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك فانا لله وأنا اليه راجعون من مصيبة ما افجعها وآلمها وامضها واحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء لها ورزية لا خلف لها - الى اخره(3)، وفي رواية - فكشف علي عليه السلام عن وجهها فاذا برقعة عند رأسها فنظر فيها فاذا فيها - «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله اوصت وهي تشهد ان لا اله الا الله وانّ محمداً عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور يا علي انا فاطمة بنت محمد زوجني الله منك لاكون لك في الدنيا والآخرة انت اولي بي من غيري حنطني وغسلني وكفّني بالليل وصلّ عليّ وادفني بالليل ولا تعلم احداً و استودعك الله واقرأ على ولدي السلام الى يوم القيمة»(4).

اقول تفكرت في قطع ذلك خوفاً من الاطالة الموجبة للملالة فاستخرت بكتاب الله لأدامة البحث في بعض اخر مما تدل وتبين العصمة فيها من حالاتها وكلماتها فجاءت هذه الآية - (لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه)(5) فأدمت لاول مع الحل لمسلم

ص: 305

- 1- البحارج 43 ص 195
- 2- البحارج 43 ص 199
- 3- البحارج 43 ص 191.
- 4- البحارج 43 ص 214.
- 5- سورة التوبة 108.

عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلام عن فاطمة عليها السلام انها اوصت لزوج النبي صلى الله عليه وآله لكل واحدة منهنّ باثنتي عشرة اوقية ولنساء بني هاشم مثل ذلك واوصت الأمامة بنت ابي العاص بشيء - وعن زيد بن علي أنّ فاطمة عليها السلام تصدّقت بمالها على بنى هاشم وبنى عبدالمطلب و ان عليا عليه السلام تصدق عليهم وادخل معهم غيرهم(1) - وعن الصادق عليه السلام «انما سمّيت فاطمة محدثة، لأنّ الملكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول يا فاطمة ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين - فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: اليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا ان كانت سيّدة نساء عالمها وانّ الله عزوجل جعلك سيّدة نساء عالمك وعالمها وسيّدة الاولين والآخرين»(2) وعن الكافي عن ابي عبيدة انه سال ابا عبد الله عليه السلام بعض اصحابنا عن الجفر، فقال هو جلد ثور مملوء علماً، فقال له ما الجامعة؟ قال تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الاديم(3) مثل فخذ الفالج فيها كل ما يحتاج الناس اليه وليس من قضية الا وفيها حتى ارش الخدش، قال له فمصحف فاطمة فسكت طويلاً ثم قال انكم لتبحثون عما تريدون و عمّا لا تريدون، انّ فاطمة مكث بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على ابيها وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزائها على ابيها ويطيب نفسها ويخبر عن ابيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة(عليه السلام)(4)، عن سليمان قال محمد بن أبي بكر لمّا قرأ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا بنى ولا محدث، قلت وهل يحدث الملكة الانبياء؟ قال ان مريم لم تكن نبية وكانت محدثة وام موسى بن عمران كانت محدثة ولم تكن نبية وسارة امراة ابراهيم قد عاينت الملكة، فبشروها باسحاق ومن وراء اسحاق

ص: 306

- 1- البحار ج 43 ص 218.
- 2- البحار ج 43 ص 78.
- 3- الاديم - الجلد المدبوغ - مصباح المنير.
- 4- البحار ج 43 ص 79 وص 195.

يعقوب ولم تكن نبيّة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت محدثة ولم تكن نبيّة - قال الصدوق رحمه الله قد أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه بانه ما ارسل من النساء أحداً الى الناس في قوله تبارك وتعالى - وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحى اليهم ولم يقل نساء والمحدثون ليسوا برسل ولا انبياء(1).

هذه نبذة من آثار طهارتها وقداستها من ابائها وامها وبذرتها ومانشأت عليه من مكرمات سلوكها وعشرتها وزواجها ومحامد صفاتها مع زوجها ووالدها واولادها وبرها بهم وحنانها واحسانها بالمسلمين وعطوفتها بهم وتقربها في انواع عبوديتها الله سبحانه وخضوعها لاحكام القرآن وتحفظها عليها وعفافها وتقواها وعصمتها في شتى نواحيها مما تجلو بها العصمة في اعلى مراتبها في التربية بالقرآن وبيت النبوة والوحي.

ثم في عروجها الى الله سبحانه واتصالها بعلم الله ووحيه وروابط الملكة المقربين و جبرئيل امين وحي الله معها وما كانوا يحدثونها ويونسون معها لكشف همها وغمها وتعزيتها في مصيبة ايها سلوة لها وما أخبرت عمّا سيقع من امر ذريتها وامر المسلمين الى القيمة وغير ذلك مما اشير اليه في مانقلناها تبصرة لمدارج عروجها الى منازل العصمة وسيرها في تكاملها وتقربها الى الله وزلفتها لديه .

لان هليل كا ان المشهور أنّها عاشت ثمانية عشر سنة وقد بلغت الى ما بلغت من اعلى مراتب الانسانية والكمال في العبودية لله والعلم والمعرفة وجميل الصفات ومحامد الملكات في النساء حتى صارت سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين على لسان رسول الوحي وامناء الله في ارضه ، وخطبتها وكلماتها اكبر شاهد على ذلك حيث تحكي عن خطب والدها رسول الله وبعلمها امير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين فهي تنطق عن لسان الوحي وعن علم الله سبحانه وتدل على انها علوم غير مكتسبة عن البشر وانها انزل على قلبها بعلم الله تبارك وتعالى وتنبأ عن احاطتها بعلوم القرآن والاسلام بشتى جوانبها وعللها وحكمها وماسيعود الى الجامعة الاسلامية من العمل بها أو الاوزار الشاملة عليهم لو استدبروا عنها ولا عجب في ذلك بعد علو عصمتها وصفاء قلبها التي تظل عليها عالم الملكوت فتكشف

ص: 307

لها ما سيقع في عالم الناسوت واليك لمعة من ذلك :

ففي الاحتجاج ، روى عبد الله بن الحسن باسناده عن آبائه (عليهم السلام) انه لما اجمع ابو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها واقبلت في أمة من حَفَدَتِهَا ونساء قومها تطأ ذبولها ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت دونها ملائمة ، فجلست ثم انت انةً أجهدت القوم لها بالبكاء ، فارتج المجلس ثم امهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت بالكلام بحمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله فعاد القوم في بكائهم فلما امسكوا عادت في كلامها فقالت :

الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما الهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدائها وسبوغ الاء اسداها وتمام منن اولها جَمَّ عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء امدها وتفاوت عن الادراك ابدها وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد الى الخلائق باجزالها وثنى بالندب الى امثالها واشهد ان لا-اله الا الله وحده لا شريك له كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها وانار في التفكير معقولها الممتنع من الابصار رؤيته ومن الالسن صفته و من الاوهام كفيته ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها كونها بقدرته وذراها بمشيئته من غير حاجه منه الى تكوينها ولا فائدة له في تصويرها الا تشبيهاً لحكمته وتنبههاً على طاعته واطهاراً لقدرته ، تعبداً لبريته واعزازاً لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ووضع العقاب على معصيته زيادة لعباده من نعمته وحياسة لهم الى جنته واشهد ان ابي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل ان ارسله وسمّاه قبل أن أجتباه ، واصطفاه قبل ان ابتعثه اذ الخلائق بالغيب مكنونه وبستر الاهاويل مصونة وبنهاية العدم مقرونة علما من الله تعالى بما يلي الامور، واحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الامور ، ابتعثه الله اتماماً لامره وعزيمة على امضاء حكمه وانفاذاً لمقادير حتمه فرأى الامم فرقاً في اديانها ، وعكفاً علي نيرانها ، عابدة لاوثانها ، منكراً لله مع عرفانها ، فانار الله بابي محمد صلى الله عليه وآله ظلّمها وكشف عن القلوب بهُمّها وجلي عن الابصار عُمَمَهَا وقام في الناس بالهداية ، فانقذهم من الغواية وبصرهم من

العمامة وهداهم الى الدين القويم ودعاهم الى الطريق المستقيم ، ثم قبضه الله اليه قبض رافة و اختيار و رغبة و ايثار ، فمحمد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة قد حف بالملئكة الابرار ورضوان الربّ الغفار و مجاورة الملك الجبار صلّى الله على ابي نبيه وامينه وخيرته من الخلق وصفيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته - ثم التفت الى اهل المجلس وقالت :

انتم عباد الله نصب امره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وامناء الله على انفسكم ، وبلغائه الى الامم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه اليكم ، وبقية استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتبطة به اشياعه ، قائداً الى الرضوان اتباعه ، مؤد الى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسّرة ، ومحارمه المخدّره وبيئاته الجالية ، وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، و شرايعه المكتوبة ، فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك ، و الصلوة تنزيهاً لكم عن الكبر ، و الزكاة تزكية للنفس ، ونماء في الرزق ، و الصيام تثبيتاً للاخلاص و الحج تشييداً للدين ، و العدل تنسيقاً للقلوب ، و طاعتنا نظاماً للملة ، و امامتنا اماناً للفرقة ، و الجهاد عزّاً للاسلام ، و الصبر معونة على استيجاب الاجر ، و الامر بالمعروف مصلحة للعامة ، و بر الوالدين وقاية من السخط ، و صلة الارحام منساة في العمر ، و منماة للعد في العمر ، و منماة للعد و القصاص و القصاص حقناً للدماء ، و الوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، و توفية المكائيل ، و الموازين تغييراً للبخس ، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، و ترك السرقة ، و ايجاباً بالعفة ، و حرّم الله الشرك اخلاصاً له بالربوبية ، فاتقوا الله حق تقاته و لا تموتن الا و انتم مسلمون و اطيعوا الله فيما أمركم ب- و نهاكم عنه فانما يخشى الله من عباده العلماء .

ثم قالت ايها الناس ، اعلموا - انّي فاطمة ، و ابي محمد صلى الله عليه وآله ، اقول عوداً و بدواً و لا اقول ما اقول غلطا و لا افعل شططاً ، لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم - فان تعزوه و تعرفوه تجدوه ابي ، دون نسانكم و اخا ابن عمّي دون رجالكم ولنعم المعزى اليه صلى الله عليه وآله فبلغ الرسالة

صادعا(1)بالندارة ،(2)مائلاً عن مدرجة(3)المشركين، ضارياً ثبجهم،(4)آخذاً باكظامهم(5)داعياً الي سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يجفّ(6)الاصنام وينكث الهام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر حتى تفرى(7)الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين و خرس ، شقاشق(8)الشياطين وطاح(9)وشيط(10)النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق وفهمتم بكلمة الاخلاص في نفر من البيض(11)الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ونهزة(12)الطامع وقبسة(13)العجلان و موطىء.(14)الاقدام تشربون الطرق(15)وتقتاتون القد ، اذلة خاسئين ، تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم ، فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد ان مني بهم(16)الرجال و ذوبان العرب ومردة اهل الكتاب كلّمّا أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله أو نجم(17)قرن الشيطان أو فغرت فاغرة(18)من المشركين قذف اخاه في لهواتها فلا ينكفىء(19)حتى يطاء جناحها(20)باخمصه ويخمد لهبها بسيفه مكوداً في ذات الله ، مجتهداً في امر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشعراً ، ناصحاً ، مجدداً ،

ص: 310

- 1- الاظهار .
- 2- الابلاغ على وجه التخويف .
- 3- المدرجه - المذهب و المسلك.
- 4- بالتحريك وسط الشيء و معظمه .
- 5- مخرج النفس من الحلق
- 6- يكسر .
- 7- انشق .
- 8- جمع شقشقه بالكسر وهي ما يخرج البعير عن فيه اذا هاج.
- 9- هلك .
- 10- السفلة من الناس .
- 11- اي اهل البيت(عليهم السلام).
- 12- اي محل نهزته ودفعه وضربه.
- 13- مثل في الاستعجال.
- 14- مثل مشهور في المذلة
- 15- المطر اذا بال فيه الابل والبقر ، و تقتاتون القد لعلّ معناه - تجعلون قوتكم و رزقكم القديد و هو اللحم الذى يجفّ بالشمس و في كتاب بلاغات النساء - تقتاتون الورق.
- 16- شجعانهم.
- 17- فغراه فتحه والفاغره الطائفه.
- 18- ظهر توابع الشيطان.
- 19- فلا يرجع.
- 20- يضغطه برجله.

كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم وانتم في رفاهية من العيش وادعون(1)فاكهون(2)آمنون تتربصون بنا الدوائر(3)وتتوكفون(4)الاجبار وتنكصون عند النزال وتقرّون عند القتال ، فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ومأوى ، اصفياه، ظهر فيكم حسكة(5)النفاق وسمل(6)جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل(7)الاقلين وهدر فنيق المبطلين ،(8)فخطر(9)في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه(10)هاثقاً بكم ، فالفاكم(11)لدعوته مستجيبين وللغرة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً واحشمكم(12)فالفاكم غضاباً فوسمتم غير ابلكم وورد تم غير مشربكم هذا والعهد قريب والكلم والجرح لما يندمل والرسول لما يُقبر ابتداراً(13)زعمتم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين، فهيئات منكم وكيف بكم واني توفكون وكتاب الله بين أظهركم ، اموره(14)ظاهره واحكامه زاهرة واعلامه باهرة وزواجره لايحه و اوامره واضحه وقد خلفتموه وراء ظهوركم ارغبة عنه تريدون ام بغيره تحكمون ، بس للظالمين بدلاً ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ثم لم تلبثوا الأريث ان تسكن نفرتها(15)ويسلس قيادها ، ثم اخذتم تورو(16)وقدتها وتهيجون(17)جمرتها وتستجيبون لهتاف(18)الشيطان الغوى واطفاء انوار الدين الجلي واهمال سنن

ص: 311

- 1- ساكنون .
- 2- ناعمون.
- 3- نزول البلايا.
- 4- تنتظرون اخبار المصائب.
- 5- عداوته.
- 6- سمل الثوب اخلق فصار بالياً.
- 7- ظهر من خفي ذكره.
- 8- الفحل من الابل، تردد صوته في حلقه.
- 9- تحرك ذنبه وخرّب به فخذة.
- 10- مختفاه.
- 11- وجدكم.
- 12- اغضبكم.
- 13- الجرح واسع.
- 14- مبادراً الى جعل الرئيس بزعم خوف الفتنة.
- 15- فان كتاب الله في تعيين الامام اموره ظاهره.
- 16- اي تسكن عن النفرة.
- 17- تشيرون وتحركون الجمرة.
- 18- ندائه.

النبي الصفي تشربون(1)حسواً في ارتغاء وتمشون لاهله وولده في الخمرة(2)والضراء ويصير منكم على مثل حز(3)المدى ووخز السنان في الحشاء وانتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا ، افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، افلا تعلمون بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية ، أتى ابنته .

ايها المسلمون أغلب على ارثي ، يا ابن ابي قحافة أفي كتاب الله ترث اباك ولا أرث ابي ، لقد جئت شيئاً فريا ، افعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا اذ قال (فهب من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال : (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله)وقال : (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) وقال : (ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين)وزعمتم ان لاخطوة(4)لى ولا أرث من ابي ولا رحم بيننا أفخصكم الله بآية اخرج أبي منها ام هل تقولون ان اهل ملتين لا يتوارثان أو لست انا وابي من اهل ملة واحدة ام انتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابي وابن عمي فدونها(5)مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرک ، فنعم الحكم الله والزعيم محمد و الموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم اذ تدمون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يُخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

ص: 312

- 1- الحسو هو الشرب شيئاً فشيئاً والارتغاء هو شرب الرغوة اى زيد اللبن - مثل لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.
- 2- حَمَرَ الناس بالتحريك ازدحامهم والضراء المشى في اختفاء فيما يواريك من شجر ، مثل في الختل والخديعة ، و الضراء بالفتح والتخفيف من الضرو - الشجر الملتف.
- 3- الحز القطع والمدى بتشديد الدال جمع المدينة اى الشفرة
- 4- المنزلة والمكانة وبمعنى الحظ أيضاً.
- 5- لعل المعنى - فدونها لهذه التأويلات بغير مخطوم عليها رحل تركبه فتلقاك يوم حشرک وخطم البعير جعل فى انفها ما يقودها والمرحولة البعير جعل عليها الرحل كالسرج للفرس فتركبها وتقودها كيفما تريد.

ثم رمت بطرفها نحو الانصار فقالت : يا معشر النقيية(1) واعضاد(2) الملة وحصنة الاسلام ماهذه الغميمة(3) في حقي والسنة(4) عن ظلامي ، اما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول : - المرء يحفظ في ولده - سرعان ما احداثتم وعجلان(5) اذا اهاله ولكم طاقة بما احاول وقوة على ما اطلب و از اول ، اتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله ، فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر(6) فتقه وانفتق رتقه و اظلمت الأرض لغيبته وكسفت الشمس والقمر وانتشرت النجوم لمصيبته واكدت(7) الامال وخشعت الجبال واضيع الحريم وازيلت الحرمة عند مماته. فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لامثلها نازلة ولا بانقة عاجلة . اعلن بها كتاب الله جلّ ثنائه في افنيتم وفي ممساكم ومصبحكم يهتف في افنيتم هتافاً وصراخاً وتلاوة والحاناً ولقبه ما حل بانبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) ايهاً بني قيلة(8) اهضم تراث أبي وانتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى(9) و مجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة وانتم ذووا العدد والعدّة والاداة والقوة وعندكم السلاح والجدّة توافيكم الدعوة فلا تجيبون وتأتكم الصرخه فلا تغيثون وانتم موصوفون بالكفاح . معروفون بالخير والصلاح والنخبة التي انتخبتم والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب وتحملتم الكد والتعب وناطحتم الامم وكافحتم البهم،(10)

ص: 313

- 1- الباحث عن احوال الملة والمصلح لشئونهم.
- 2- العَصْد ما بين المرفق والكتف واستعير للمعين المدافع الناصر جمعه اعضاء الحاضنة التي تقوم على الصغير في تربيته وتجعله في حضنها.
- 3- الضعفة في العمل.
- 4- النوم الخفيف.
- 5- مثل يُضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته والاهاله الشحم المذاب.
- 6- اتسع.
- 7- لم يظفر بحاجته.
- 8- بنو قيله هم الأوس والخزرج القبيلتان من الانصار.
- 9- محل الندوة والاجتماع.
- 10- جمع البهمة الشجاع الذي يستبهم مأتاه على اقرانه، والبهم ايضا مشكلات الامور.

لانبرح(1)أو تبرحون ، نأمركم فتأتمرون حتى اذا دارت بنا رحي الاسلام ودر(2)حلب الايام وخضعت ثغرة الشرك وسكنت فورة الافك وخدمت نيران الكفر وهدأت دعوة الهرج واستوسق(3)نظام الدين فأتى حزتم(4)بعد البيان واسررتكم(5)بعد الاعلان ونكصتم(6)بعد الاقدام واشركتم بعد الايمان بؤسا لقوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين - الا - وقد أرى ان قد اخلدتم الى الخفض(7)وابعدتم من هو احق بالبسط والقبض وخلوتكم(8)بالدعة ونجوتم(9)بالضيق من السعة فمججتم ما وعيتم ودسعتكم(10)الذي تسوغتم فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغني حميد - الا وقد قلت ماقلت هذا على معرفة مني بالجدلة(11)التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ولكنها فيضة النفس و نفثة(12)الغيظ وخور القناة(13)وبثة(14)الصدر وتقدمة الحجة فدونكموها فاحتقبوها(15)دبرة(16)الظهر نقبة(17)الخسف(18)، باقية العار موسومة بغضب الجبار وشار الابد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا

ص: 314

- 1- لانزال ولا تزالون قبلاً ان تأمركم فتأتمرون الى ان دارت بنا رحي الاسلام.
- 2- يعني مع انه انقلب علينا الأيام ولكن بالنسبة الى منافع المسلمين كثر خير الايام وخدمت آثار المخالفين من المشركين والمنافقين .
- 3- اجتمع.
- 4- الحزو والتقدير بالحدس.
- 5- كتمتم.
- 6- رجعتكم.
- 7- ضد الرفع.
- 8- تفرغتم الى السكون.
- 9- ونجوتكم من السعة الى الضيق.
- 10- ما وعيتم من معارف القرآن ففي أظهاره مججتم من غير تبيين.
- 11- دسع قاء وتسوّغ الشراب تهنأ في شربه.
- 12- الفرحة التي حالطتكم من غصب فذك وغيره.
- 13- نفث البصاق من فمه - لمى به.
- 14- انكسارها وفتورها.
- 15- اظهار ما في الصدور و اذاعته.
- 16- احتملوا ائمه ووزره على ظهوركم.
- 17- الجرح يظهر على ظهر البعير من الرحل و ثقل ما يحمل عليه.
- 18- الاذلال

اي منقلب ينقلبون وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انا عاملون وانتظروا أنا منتظرون(1).

رواها من العامة أيضاً الخوارزمي في مقتله ج 1 ص 77 ، باسناده عن الزهري عن عايشة هذه الخطبة . لكن لا بتمامها ، ورواها أيضاً أحمد بن أبي طاهر المولود ببغداد سنة 204 المتوفى 280 في كتابه بلاغات النساء . باسناده عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام هذه الخطبة وباسناده عن الحسين بن علوان عن عطية العوفي : انه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة(عليه السلام) يا بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الخ ص 12 - 19 ، وذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج 16 ص 211 ط بيروت نقلاً عن كتاب أبي بكر الجوهري في السقيفة وفدك بسنده عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام وعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عليهم السلام وبسنده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام وبسنده عن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام قالوا جميعاً : لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر على منعها فدك ، لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها الخ(2).

ففي هذه الخطبة مع نهاية ايجازها واختصارها فصول كثيرة في ابعاد متنوعة من معارف الاسلام والقرآن اصولاً وفروعاً ، اصول الدين واصول الفقه والفروع العملية و الاخلاقية والاجتماعية والحكم والعلل لقوانين الشرع والمواعظ الاساسية من الترغيب والترهيب الى امور اساسية سيولد منها ما سيظل على الامة الاسلامية مما لا يمكن دفعها ورفعها وازالتها وتفسير كلام الله عز وجل وبيان آيات القرآن في الفرائض والمواريث واحكامها ومافي الفتن الناشئة عن تخلف الامة عن امامهم وقائدهم المنصوب من الله ورسوله حقاً ، ثم معرفتها باهل زمانها مما كانوا عليه فيما قبل وما تحولوا اليها من التباعد عن الله وعن الاسلام وتخليفهم عما وعوا من حقائق الاسلام والقرآن ونفاقهم في قبال وظائفهم وتكليفهم وما استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ، وماخذعهم الخليفة من

ص: 315

1- الاحتجاج للطبرسي ط النجف ج 1 ص 131.

2- وفي كتاب سليم بن قيس الكوفي اشارة الى هذه الخطبة راجع ص 253 - منه .

تطميعهم فيما غضبوا عنها ، فسكتوا وفشلوا وستروا وما ابدوا وما اظهروا شيئاً مما علموا من الحق ، حتى استولى الخليفة على مقاصده الغير المشروعة . الى غير ذلك مما يدل على ان ما نطقت ، انما انزل على قلبها من علم الله تعالى مما يعجز عن فهمه ودركه اكابر العلماء والعرفاء ، وقد برزت منها هذه الخطبة وهي بنت ثمانية عشر سنة مزوجة حينما بلغت تسعة واولدت اربعة من الذكور والاناث وربتهم في تلك المدة الباقية من عمرها ، فلا يمكن صدور هذه الخطبة الا ببركة عصمتها وطهارتها واتصالها بعلم الله سبحانه وتعالى ووحيه .

هذا وقد دلت آيات من القرآن الحكيم على كمالها في الطهارة والقداسة وعظمة مقامها عند الله سبحانه .

الاولى قوله تعالى (انما يُريد الله لِيذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)⁽¹⁾.

وقد تواترت الروايات من طريق الشيعة وتظافرت من طرق العامة على ان المعنى به في قوله تعالى «أهل البيت»، هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين المجتمعون تحت الكساء .

قال ففي غاية المرام للسيد العلامة البحراني قدّس سرّه ، عن طريق الخاصة في ذلك أربعة وثلاثون حديثاً وعن طريق العامة أحد واربعون حديثاً . وعن السيوطي في الدر المنثور انه اورد عشرين حديثاً في ان المراد من أهل البيت هم الخمسة لاغير وعن ابن جرير خمس عشرة رواية باسانيد مختلفة وعن الصواعق المحرقة لابن حجر عن الامام الحنبلي عن ابي سعيد الخدري انها في الخمسة وهكذا عن الواحدي والثعلبي وكثيرين من المفسرين والمحدثين⁽²⁾.

وقد مرّ شطر عن الكلام في تفسيرها في هذا الكتاب فراجع⁽³⁾.

وقد أخذ في مخالفة ذلك شذمة شاذة مخالفة ذلك شذمة شاذة من اهل الخلاف ممن في قلبه مرض ،

ص: 316

1- سورة الاحزاب آية 33.

2- راجع الكلمة الغراء ص 204.

3- ص 284.

محتجاً بانها في عداد آيات تخاطب ازواج النبي صلى الله عليه وآله ولا سيما يتصل بها من قوله تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة * أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فالضمائر فيما قبلها ضمائر تأنيث متوجهة الى نساء النبي صلى الله عليه وآله كما يقول تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك) ، (يانساء النبي من يات منكن ، يانساء النبي لستن كاحد من النساء).

وقد كثر الكلام في الجواب عن ذلك بوجوه ، منها : اختلاف الضمائر فيما قبلها بالتأنيث وفيها بالتذكير ، وهذا شاهد على انها ليست فيهن وان اتصلت بتلك الآيات ، صوناً منها عن دسائس ذوي السلطة على الحكومة الاسلامية ، الغاصبين لمناصب أهل البيت عليهم السلام .

الحة التلقاع الله التالي ساله وقد أخذوا في ردّ هذا الجواب تارةً بالنقض بقوله تعالى : (قالت يا ويلتاء ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً أن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله * رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) (1) وقد خوطبت امرأة أبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : عليكم ، بضمير التذكير واخرى بالحل بأنه أريد في آية التطهير الأزواج مع النبي صلى الله عليه وآله وجيء بالضمائر تذكيراً تغليياً وتشريفاً للنبي صلى الله عليه وآله.

وهذا الرد وان كان مزيفاً ، أما اولاً فلأن المخاطب في امرأة ابراهيم عليه السلام ابتداءً وان كان هي في قوله تعالى : اتعجبين من أمر الله ، الا انه من الظاهر أن رحمة الله وبركاته لاتخصها ، بل على اهل البيت وهم ابراهيم(عليه السلام)ومن في بيته من زوجته ومن سيولد منه و لذا لم يخصها بل عمّ أهل البيت . وثانياً أن ازواج النبي ونسائه ممن ذكر قبل ذلك في سورة الاحزاب يكون بعنوان الخطاب و الجمع المؤنث و الضمائر المؤنثة و تبديله الى الجمع المذكر المخاطب ، مما لا-وجه له بادخال النبي في جماعتهم ، وهذا بخلاف قضية ابراهيم(عليه السلام) حيث جئت رسل ربه اليه لتبشيره و بالتبع لتبشير

ص: 317

زوجته كما يقول تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً)(1)، هذا.

القرينة القطعية من الكتاب والسنة على ان المراد من اية التطهير ، هم الخمسة ، دون ازواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

ولكن الاشكال باطل من اصله ، أما اولاً : فمن جهة الروايات المتواترة المتظافرة من الفريقين على نزولها في أصحاب الكساء حتى صار عنوان أهل الكساء والعباء من العناوين المعروفة المشهورة لهم في أدبيات المسلمين نثراً وشعراً في الوف أبيات الى زماننا هذا ، ولعلنا سنذكر بعض تلك الروايات تيمناً انشاء الله تعالى . وثانياً ان ارادة الله سبحانه اذا تعلّق بشيء ، فلا يمكن ان تتخلف عن وجود المراد ، قال سبحانه : (أنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)(2)، وقال تعالى : (أنما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون)(3)، وقال سبحانه (أذا قضى أمراً فأتّمأ يقول له كن فيكون)(4)، ثم أن الرجس المفرد المحلّى بالالف واللام الدال على العموم أما أن يكون بمعنى الذنب كما عن الكشاف وغيره أو مطلق القذارة والخبثاة ، فيصير معنى الآية حصر ارادة الله فيهم بدفع مطلق الذنب والقذارات عنهم وطهارتهم عن جميع الذنوب ، فمفاد الآية ضماناة العصمة لهؤلاء الخمسة من الله سبحانه بارادته ذلك لهم بحيث لا يمكن صدور اي رجس وذنوب وقذارة عنهم عليهم السلام. وهذا المعنى لا- يناسب نزولها في شأن نساء النبي وازواجه ، بعد مانص القرآن في سورة التحريم في شأن بعض منهن باشياء وفيها تلويحات وتصريحات الى غاية الانحطاط في اثنتين منهن ، حتى قال سبحانه وتعالى : (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وأمراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع

ص: 318

1- سورة هود ايه 69.

2- سورة يس ايه 82.

3- سورة النحل ايه 40.

4- سورة مريم ايه 35.

الداخلين)(1)وقال سبحانه في أوائل هذه السورة :- (واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثاً فلما نبئت به وظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير(2)ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فانّ الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير(3)فاذا كان في شأن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله امثال هذه الايات فكيف يمكن القول بنزول آية التطهير فيهن (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - وقال سبحانه - وبالحق انزلناه وبالحق نزل) فتدبر في آيات سورة التحريم ثم تدبّر في آية التطهير حق التدبر ثم انظر بعين الانصاف انه هل يمكن الجمع بينهما فيهن فاذا لا يمكن فلا يمكن القول بان آية التطهير نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وازواجه قال سبحانه - افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً -.

هذا، وقد وقعت لى محاوراة اتفاقيه في الجامع الاموي بدمشق الشام عند رجوعي عن الحج في بعض الاسفار مع أحد علماء العامة في البحث عن آية التطهير لأبأس بذكرها لما فيها من المناسبة والفائدة لما نحن فيه .

وهي اني في بعض ايام اقامتي بدمشق ذهبت الى الجامع الاموي صباحاً قبل طلوع الشمس وكان امام الجامع بعد فراغه عن صلاة الفجر مشغولاً بالوعظ للمؤمنين وفي وسط الجامع كان سرير كبير معداً للجلوس عليه للقائه وعليه مصاحف كثيرة ، فصعدت عليه ، فرأيت مصحفاً كبيراً ، عتيقاً ، خطياً ، فاخذت في مطالعته وقرائته وقد فرغ هذا الشيخ العالم عن وعظه لهم فقام ومشى للخروج فرأني هناك فجاء حتى وقف جنب السرير وبعد المعارفة والترحيب الى قال : تعرف العربي :قلت سُوى (قليل) ثم قال تعرف تقرأ القرآن ؟ قلت سُوى . فرحب بي وقال اقرء فقرأت له ما كتبه الكاتب في آخر المصحف ، فاشكل فيما قرئته في الاعراب ، فاجبت عنه ، فنظر الى بعض تلامذته معه وقال لا : فاضل . ثم اراد الانصراف فقلت له : انت تعرف تقرأ القرآن ؟ (مثل مقال لي) فتغير

ص: 319

1- سورة التحريم.

2- سورة الاسراء ايه 105

3- سورة النساء ايه 82.

وجه بعض تلامذته ممن معه غيظاً وقال هو شيخنا واستاذ الجامعه بالكلية الشرعية ، لكن ما التفت اليه والى كلامه وقال الشيخ برحابة صدره وخلقه : نعم ، اعرف أقرء ، قلت جميع القرآن أو بعضه ؟ قال : جميع القرآن . قلت : تعرف قرأته فقط او مع التفسير ؟ قال : بل مع التفسير . قلت : تفسير الجميع أو بعضه ؟ قال : بل الجميع ، اسئل ماشئت ، قلت له : هذه الآية قد اشكل تفسيرها واحب ان تُبين لي وهي قوله تعالى : (وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)(1)، فقال هذه الآية واردة في شأن عبدة الاصنام والمشركين من الوثنيين فقراً، ما قبلها وما بعدها وقال انه من يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق - موضحاً لبعض مفرداتها ، فقلت له هذا المقدم واضح ، فقال فماذا تريد بيانه ؟ قلت بين لي وجه الشبه بين المشبه والمشبه به في تشبيه الشرك بمن خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ، فوضع رأسه على يده مدة يتفكر ثم رفع رأسه وقال هذا مما لا بد فيه من مراجعة كتب التفسير فإنه لا يجوز التفسير بالرأى ، فانه من فسّر القرآن برأية فليتبوء مقعده من النار ، - قلت له : ان الله تعالى يقول : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)(2)فصدق كلامي بان التدبر لكشف الحقايق من القرآن جائز وليس هذا من التفسير بالرأى المنهى عنه .

: ثم أراد أن ينصرف ويودّعني ، فقلت له آية أخرى ، أشكل تفسيرها ، وقرأت عليه آية التطهير ، فقال : هذه الآية في شأن ازواج النبي صلى الله عليه وآله ، فقلت له : نعم ما قبلها وما بعدها يشهد لذلك ، لكن ما معناها وما المراد منها ؟ فقال أمرهنّ الله سبحانه فيما قبلها بأشياء من قرارهن في بيوتهن وان لا- تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وغير ذلك مما يؤثر في عفافهنّ ثم قال انّما يريد الله - يعني بما أمرهنّ - ليذهب عنكم الرجس - يعني الزنا - ، فاراد الله بالامور المؤثرة في عفافهن لثلاث- يقعن في الزنا ، فقلت له : الرجس ليس بمعنى الزنا بل بمعنى القذارة، وهو مفرد محلّي بالالف واللام فيفيد الاستغراق وازهاب جميع الارجاس والافذار وقد قال سبحانه انما قولنا لشيء اذا اردناه ان

ص: 320

1- سورة الحج ايه 31.

2- سورة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)ايه 24.

تقول له كن فيكون(1) فلا- تتخلف ارادة الله سبحانه عن وجود مراده وحصوله ، بل يتحقق المراد بعد الارادة ، فقال : تريد بذلك القول بالعصمة في شأنهن ؟ قلت : لا ، بل نحن بصدد تحقيق مفاد الآية ، فقال : نحن وان لم نقل بالعصمة في غير الانبياء عليهم السلام لكن ماذا يكون لو قلنا بالعصمة في شأن ازواج النبي صلى الله عليه وآله بمقتضى هذه الآية ؟ .

قلت : نعم ، لكن اذا يشكل آيات أخرى في شأنهن حيث تنافي عصمتهن وفتحت المصحف الشريف من سورة التحريم واخذت في قراتها وقلت له : فماذا مفاد تلك

، الآيات اذا كانت الازواج معصومات ؟ فقال كان في بيت النبي صلى الله عليه وآله اختلاف بين أزواجه وتحزب فيما بينهن وهكذا يكون بين الصّدّرات وهو أمر هين . فقلت : اولاً التحزب في قبال نبي الاسلام بحيث كانتا هما في حزب قبال حزب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وثانياً اذا كان امراً هيناً فما معنى التغليظ في تلك الآيات وما معنى التوبة ، بل وحتى يقول سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فانّ الله هو مواليه وجبريل وصالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير ، فما معنى المظاهرة على النبي صلى الله عليه وآله حتى يكون الله سبحانه موليه في هذه المظاهرة عليه وجبريل وصالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير ، ثم بقية الآيات الشريفة في التشديد عليهما والتمثيل لهما بامرأة نوح وامرأة لوط .

انتاج الملة فسكت الشيخ متفكراً، ثم بعد التفكير مدة قال : أراجع التفسير ثم في جلسة أخرى اتينها لك ، ثم قال من أين جئت ؟ قلت : من النجف فقال : ها ، النجف الاشرف ، النجف الاشرف ، أنا أريد المجيء الى النجف الاشرف واذا جئت ، اجيء بزيارتك ثم ودعني وخرج .

والحاصل ان آيات سورة التحريم قرينة قطعية تدلّ على عدم نزول آية التطهير في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وآله فاذا لا يبقى مصداق لاهل البيت المذكور في آية التطهير الا الخمسة المسمون في الاحاديث وغيرها باصحاب الكساء وآل العباء .

ص: 321

وقد روى الفريقان أحاديث كثيرة متواترة في نزول آية التطهير في الخمسة فمما روى العامة مافي غاية المرام للسيد هاشم البحراني (قدس سره) عن الجمع بين الصحاح الستة باسانيدهم عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه مرط (1) مرحل (2) من شعر أسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء علي فادخله قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - قال وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ان هذه الآية نزلت في بيتها : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت : وانا جالسة عند الباب ، فقلت يا رسول الله الست من أهل البيت : فقال أنك الى خير أنك من أزواج رسول الله ، قالت وفي البيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي فاطمة وحسن وحسين فجللهم (3) بكساء و قال «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

وعن طريق الخاصة ايضا الروايات كثيرة متواترة متفقة ، فمنها ما في غاية المرام عن الشيخ (قدس سره) في مجالسه بسنده المتصل عن علي بن الحسين عليهما السلام في خطبة الحسن بن علي عليهما السلام بعد صلحه لمعاوية وهي خطبة طويلة وفيها قال عليه السلام : وقد قال الله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله أنا واخي وامي فجعلنا ونفسه في كساء لأم سلمة خيبري وذلك في حجرتها ويومها فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وهؤلاء اهلي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة انا أدخل معهم يا رسول الله ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يرحمك الله أنت على خير والى خير ممّا

أرضاني عنك ولكنها خاصة لي ولهم - الحديث . وفي غاية المرام عن تفسير علي بن أبراهيم قال وفي رواية أبي الجارود عن أبي

ص: 322

1- المرط كساء من صوف ونحوه يؤتزر به.

2- المرحل من الثياب ما اشتبهت نقوشه . المنجد.

3- أي غطاهم واشملهم.

جعفر عليه السلام في قوله : انما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، قال نزلت هذه الآية في رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في بيت ام سلمة زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)دعا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)، فالبسهم كساء له خبيرياً ودخل معهم فيه ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ فقال ابشري يأمر سلمة أنك الى خير ، قال أبو الجارود وقال زيد بن علي بن الحسين أن ذلك جهل من الناس الذين يزعمون أنما أراد بهذه الآية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وقد كذبوا واثموا وايم الله لو عنى بها أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)لقال ليذهبن - ليذهب ظ عنكن الرجس ويطهركن تطهيراً ولكان الكلام مؤثماً كما قال وأذكرن ما يتلى في بيوتكن ولستن كاحد من النساء. هذا .

ثم لا يخفى ان دخول اية التطهير في خلال آيات الخطاب لازواج النبي صلى الله عليه وآله من جهات اولاً أن القرآن لم يرتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول باجماع المسلمين كافة ، كما ذكره سيدنا شرف الدين في الكلمة الغراء ، وعليه فالسياق لا يكافيء الادلة الصحيحة عند تعارضهما . وثانياً ربما يكون ذلك أحرز صوناً عن دسائس المتطاولين على الدين وائتمته صلوات الله عليهم ، لكون ذلك نوعاً من الاخفاء عنهم ذلك ونوع من حفظ القرآن عن التحريف ، كما قال سبحانه وتعالى (أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون) وثالثاً قد ذكرنا القرينة القطعية من الكتاب والسنة على عدم كون آية التطهير في أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)فلا يضرها ذلك . ورابعاً في ذلك دلالات على حقايق كثيرة في روابط الأزواج معه(صلى الله عليه وآله وسلم)ومعاشرته معهن وسيرته وسيرتهن وان المطهر المعصوم اللايق بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ومقامه وتعاونه واعتضاده به غيرهن الى غير ذلك . الثانية آية المباهلة قال الله تعالى (فمن حاجك فيه من بعدما جائك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)(1).

ص: 323

اجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى الزهراء ومن الابناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا ومن الانفس الا اخاه الذي كان منه بمنزلة هاورن من موسى ، فهؤلاء اصحاب هذه الاية (1).

واما دلالة الآية الشريفة على طهارة الخمسة وقداستهم وعصمتهم ، فلا بأس أن نذكر ما بينه سيّدنا العلامة المجاهد شرف الدين (قدس الله روحه الطاهرة) في دلالتها على فضيلتهم ، ثم نعقبه بما يدل على طهارتهم وعصمتهم وان لم نر من ذكرها في زمرة ادله عصمتهم صلوات الله عليهم . قال قده : وانت تعلم ان مباهلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه على دعائه ، بمجرد فضل عظيم وانتخابه اياهم لهذه المهمة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وايتارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق ، فضل على فضل ، لم يسبقهم سابق ولن يلحقهم فيه لاحق ، ونزول القرآن العزيز أمراً بالمباهلة بهم بالخصوص ، فضل ثالث ، يزيد فضل المباهلة ظهوراً ويضيف الى شرف اختصاصهم بها شرفاً والى نوره نوراً .

وهناك نكتة يعرف عنها علماء البلاغة ويقدرها الراسخون في العلم ، العارفون بأسرار القرآن ، وهي أن الآية الكريمة ظاهرة في عموم الابناء والنساء والانفس كما شهد به علماء البيان ولا يجهله أحد ممن عرف أن الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق ، وانما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبيانياً لكونهم ممثلي الاسلام و اعلاناً لكونهم اكمل الانام واذاًنا بكونهم صفوة العالم وبرهاناً على انهم خيرة الخيرة من بني آدم وتنبئها الى ان فيهم من الروحانية الاسلامية والاخلاص لله في العبودية ، مالميس في جميع البرية وان دعوتهم الى المباهلة بحكم دعوة الجميع وحضورهم خاصة فيها ينزل منزلة حضور الامة عامة وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التجوّز باطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص ، ومن غاص على اسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على اغراضه يعلم أن اطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص انما هو على حدّ قول القائل - ليس من الله بمستنكر - ان يجمع العالم في واحد .

ص: 324

به ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه - وفيه دليل لاشيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام(1).

اقول : ثم أن الامر من الله سبحانه ، العالم بجميع خلقه واحوالهم ، بهذا الانتخاب أنما هو في مقام اثبات حقانية من يستجاب دعوته من جهة دينه و شريعته ، فمعناه انتخاب من يتمثل القرآن والاسلام فيه ، من حيث السلوك والتزكية و العلوم و المعارف ، حتى صار وفقاً و منطبقاً عليه ما اراد الله من هذا الدين ، بحيث يكون استجابة دعائه دليلاً على حقانية دينه وان دينه وشريعته من عند الله ، فلا يشوبه شيء من غير ما اراده الله تعالى : فهو الاسلام المجسّم يقابل من يخالفه بابتهاله الى الله حتى يجعل لعنة الله على الكاذبين ، فلا ينفك عنه ارادة الله ، لانه طابق في علمه و معارفه و عمله و ادبه و اخلاقه ارادة الله من الدين و الشرع ، فالله الذي يريد وجود هذه الشريعة بين الناس ، يهلك المعاند المجاهر المبرز في عناده ، لانه لو لم يهلكه بعد هذا الابتغال ، لدل ذلك على انه ليس حقاً من عند الله تعالى . أما من اصله أو من جهة انتساب مدعى النبوة و الرسالة ، فاستجابة الدعوة يكون في هذا المضممار دالة على حقانية الدين وصدق ادعاء رسالته لهذا الدين . فعلى النصارى انتخاب من لا يشذ عنه شيء من دينهم انطباقاً عليه ، ليتجسّم فيه دينهم ، بحيث لو كان حقاً لاستجاب دعوته من ابنائهم و نسائهم و انفسهم .

وعلى النبي(صلى الله عليه و آله و سلم) أيضاً انتخاب من كملت فيه مراتب الرقي في الاسلام تماماً كما اراده الله تعالى من الابناء و النساء و انفسهم و من هو بمنزلة انفسهم ، فعلى هذا فالمراد من ابائنا الى آخره يعني ابائنا بما نحن رسول الاسلام من عند الله و حصل من رسالتنا في التعليم و التزكية أبناء تنطبق عليهم رسالتنا وكذا في نسائنا و انفسنا الشامل لمن هو بمنزلة نفس الرسول يعني اقتدر الرسول أن يرّبي في مكتب رسالته من هو كنفسه، وبهذا المعيار (معيار الحقيقة لا الدعاية) صار انتخاب الخمسة الطاهرة من رسول الله صلى الله عليه وآله بامر من الله ولم يتجاوز عنهم .

فهم كانوا صفوة الامة عند الله و مختار الله فيهم الذين اجتبيهم الله من الابرار

ص: 325

1- الكلمة الغراء ص 200.

المقربين عند الله الذين بلغوا الى اعلى مراتب الكمال في الاسلام ولا يختار الله الا من هو معتصم عن مخالفة الله وتصفو ذاته عن غير الله ، فيتجلى فيه نور الله لأن نور الله في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والاصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)

بلغنا بهذا الموضوع من المبيضة لتفسير سورة عبس في يوم الاثنين سنة 1410 القمريه من الهجرية النبوية على هاجرها الف صلوة وتحية و يتلوه مجلد آخر في بقية الكلام في عصمة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها وما في معنى العصمة وعصمة الانبياء والائمة عليهم وبقية القول في تفسير هذه السورة المباركة انشاء الله تعالى نسئل الله تعالى توفيقه للاتمام وان يجعله في صحيفة الحسنات مشفوعاً بشفاعه سيد الكائنات وآله الطاهرين والحمد لله اولاً و آخراً وصلى الله على محمد وآله وسلم.

من العبد مصطفى شريعت الموسوى خلف الفقيه العلامة آية الله السيد محمد مهدي الموسوي الدرجه ثى الاصفهاني عفى عنهما .

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات فضل الزهراء وعصمتها (سلام الله عليها)

الآية الثالثة في فضلها وعظم قدرها قوله تعالى (قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسناً ان الله غفورٌ شكورٌ)(1)

اجمع أهل البيت وتصافق أوليائهم في كل خلف على أن القربى هنا إنما هم علي وفاطمة وابناهما ، وان الحسننة في الآية إنما هي مودتهم وان الله غفور شكور لاهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها ، وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة(2).

وعبد الماجد خامسة والقه وفي غاية المرام للسيد المحدث البحراني (قدس سره) عن طريق الخاصة اثنان وعشرون حديثاً وعن طريق العامة سبعة عشر حديثاً . وفي الكلمة الغراء للسيد العلامة شرف الدين (قدس الله روحه) عن ابن حجر ، انه اخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال لما نزلت هذه الآية ، قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): علي وفاطمة وابناهما - ونقله ايضاً عن النبھاني عن ابن عباس ايضاً فيما اخرج ابن المنذر وابن مردويه والمقرئزي والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والسيوطي في الدر المنثور والحافظ أبو نعيم في حليته والحمويني الشافعي في فرائده وغيرهم من المحدثين والمفسرين ،

ص: 327

1- سورة الشورى ايه 23.

2- الكلمة الغراء.

وارسله الزمخشري في كشافه واستدل عليه بروايات آخر تؤيده .

هذا وقد ورد في القرآن عن الانبياء عليهم السلام انهم لا يسئلون عن أمتهم(1) على رسالتهم اجراً ، ثم أمر الله سبحانه النبي الخاتم صلى الله عليه وآله بالافتداء بهديهم ، فقال سبحانه : (اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة (الى ان قال) أولئك الذين هدى الله * فيهديهم اقتده * قل لا أسئلكم عليه أجراً أن هو الا ذكرى للعالمين)(2) ، وقال سبحانه: (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم أن أجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد)(3) ، وقال سبحانه : (وما تسئلكم عليه من اجر أن هو الا ذكر للعالمين)(4) ، وقال سبحانه (قل ما اسئلكم عليه من اجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً)(5) ، وقال سبحانه (قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلمين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين)(6) ، وقال سبحانه (ام تسئلكم اجراً فهم من مغرم مثقلون)(7).

فهذه الآيات في موضوع واحد ، اذا جمعناها جميعاً وتدبرنا فيها (والقرآن يفسر بعضه بعضاً) ، دللتنا على انه(صلى الله عليه وآله وسلم) اقتدى بسائر الانبياء والمرسلين ، كما امره الله فلم يسئل عليه أجراً يعود اليه من مال وغيره ، حتى يتقل على الأمة مغرمه ويتعبون من ثقل تحمله ، وأنما اجره على الله سبحانه وهو الذي يقتدر على اداء اجره ولسوف يعطيه ربه فيرضى وهو الذي يعلم مقدار اجره وعظمة رقيه وعروجه ومدى متاعبه في شدائده وهو على كل شيء شهيد .

ام فاما ما سئلكم من اجر ، على الأمة بامر من الله سبحانه ، فما كان ذلك لأن يتكلفوا بل ذلك الاجر إنما كان لهم ونفعه يعود الى الأمة وانّ هذا النفع من مودة ذوي القربى ، ان

ص: 328

- 1- راجع سورة الشعراء في نوح وهود وصالح ولوط وشعيب كلهم يقولون - ما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
- 2- سورة الانعام ايه 90.
- 3- سورة سبا ايه 47.
- 4- سورة يوسف ايه 104.
- 5- سورة الفرقان ايه 57 .
- 6- سورة ص ايه 86-88.
- 7- سورة الطور ايه 40 وكذا سورة القلم آيه 46.

هو الا ذكر للعالمين ، فيكونون كالقرآن والذكر الحكيم وليعلمن نبأه بعد حين ، وان ذوي القربى سيصيرون عدلاً للقرآن الصامت وأنهم هم القرآن الناطق وأنهما لن يفترقا وان القرآن يتمثل في وجودهم ومعارفهم وعلومهم وتقويهم وعباداتهم وان من جعل ذوي القربى أمامه وامامه قاده الى الجنّه ومن جعلهم خلفه ساقه الى النار ، فوجود ذوي القربى وأهل البيت ذكر للعالمين ، فلذا قال صلى الله عليه وآله : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، - كما في صحاح معتبرة عن الخاصة والعامة ، ففي غاية المرام(1) عن طريق العامة تسعة وثلاثون حديثاً .

وعن طريق الخاصة اثنان وثمانون حديثاً . فاذا كانت العترة وذووا القربى من علي وفاطمة والحسن والحسين والائمة الطاهرين من ولده (كما الحقههم بهم في الروايات المتواترة) شأنهم شأن القرآن ، فهم صاروا علماً لذكر العالمين وهداية لمن شاء ان يستقيم وتبصرة للمستبصرين والقرآن لأياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد قال سبحانه : (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) وقال سبحانه: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) قمتضمن آيات الاجر في ذوي القربى على ضمانه ذلك كله في شأن ذوي القربى ، وانهم معصومون من أن يأتيهم الباطل من بين يديهم ومن خلفهم وانهم مع الحق والحق معهم وان الله سبحانه يحفظهم ويعصمهم لأنه سبحانه جعلهم اعلاماً لدينه وتذكراً للعالمين .

فالصديقة الطاهرة التي هي احدى هؤلاء ، تكون لها مالهم ، وما نزل فيهم ، وأنها هي القدوة الكبرى ، والحجة على اهل الدنيا ، وللعالمين ذكرى ، ولها من العصمة والحفظ والصيانة من الله المراتب العليا .

ثم لا يخفى ، انه لامنافات بين كون المصداق لاية المودة ، هم أئمة أهل البيت وفاطمة عليهم السلام ، وبين استئلال سائر الذرية الطاهرة تحت هذه الاية الشريفه بقدر ايمانهم وانتسابهم الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) جسماً وايماناً وعلماً وعملاً كما في جملة من

ص: 329

الروايات ، ويساعده اطلاق لفظ ذي القربى أيضاً، فلكل منهم بقدره والكامل في الانتساب بجميع معنى الكلمة هم الذين ذكرناهم من فاطمة والائمة أهل البيت صلوات الله عليهم .

فالمودة المطلقة الغير المقيّدة بقيد وشرط وحدّ وهي الولاية الكاملة التامة المستلزمة للمتابعة والمشايعة والملازمة المأتمر لامرهم والمنتهي لنهيهم وهي المودة لذوى القربى للنبي صلى الله عليه وآله المتصلون به ، الذين هم بضعة منه ، لحمهم من لحمه ودمهم من دمه وروحهم من روحه والايمان مخالط لحمهم ودمهم كما خالط لحمه ودمه ، فهم القربى له بكل معنى الكلمة ، بحيث لا ينفصلون ولم ينفصلوا ولن ينفصلوا عنه لمحبة عين اصلاً وابدأً ، فهم أئمة الأمة و ولاية الملة فامرهم أمر النبي ونهيهم نهيه ، ان هم الآذکر للعالمين كالقرآن الذكر الحكيم ، وهم أحد الثقلين كما أن كتاب الله هو الثقل الآخر.

ثم بعدهم من الذرية الطاهرة ، علمائهم ، فقهاء الامة ونواب الائمة الذين يروون احاديثهم وسنتهم ويعلمونها الناس وينفون عن الاسلام تحريف الغالين وبدع المبدعين ولا يأخذهم في الله لومة لائم ، ثم سائر الذرية على حسب مراتبهم في القرابة ، فكما أن هؤلاء لم يشملهم القرابة المطلقة الغير المحدودة لبعض القصور، فكذلك احكام القرابة المطلقة وآثارها ولوازمها من الولاية والعصمة والطهارة فكل يقدر بقدره(1).

وهذا نظير قوله تعالى : (انه لقرآن الكريم في كتاب مكنون، لا يمسه الا المطهرون)(2)، حيث يستدل به على عدم جواز مش كتابة القرآن بالبدن الا للمتطهرين بالوضوء أو الغسل أو التيمم ومع ذلك يدل على عدم مساس علوم القرآن وحقائقه ، الآ الرجس وطهرهم تطهيراً ، فلذا فسّر في الروايات (من عنده علم

ص: 330

1- عن الريان بن الصلت عن الرضا عليه السلام (في حديث لانّ الصدقة محرمة على محمد و اله و هي اوساخ ايدي الناس لاتحل لهم لأنهم طهروا من كل دنس و وسخ. وسائل ، كتاب الخمس - ابواب قسمه الخمس باب 1 ، حديث 10 ، ص 365 ، و هذا يدل على مرتبة من الطهارة لجميع الذرية النبوية العلوية.

2- سورة الواقعة ايه 79.

الكتاب) في قوله تعالى : (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)(1)، بامير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، الذي هو أحد من الخمسة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

الرابعة : آيات من سورة الدهر وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً (1) أنا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (2) انا هديناه السبيل أما شاكراً وأما كفوراً (3) انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالاً وسعيراً (4) أن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً (5) عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (6) يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً (7) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً (8) انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (9) انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً (10) فوقيهم الله شرّ ذلك اليوم لقيهم نضرة وسروراً (11) وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً (12) متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً (13) ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً (14) ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا (15) قوارير من فضة قدروها تقديراً (16) ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً (17) عيناً فيها تُسمى سلسبيلاً (18) ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً (19) واذا رايت ثمّ رأيت نعيماً ومثلاً كبيراً (20) عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلّوا أساور من فضة وسقيهم ربهم شراباً طهوراً (21) ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً (22)

قال الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان ما لفظه - وقد روت الخاصة والعامّة ان

ص: 331

هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فانهم اثروا المسكين واليتيم والاسير والاسير ثلاث ليال على أظفارهم وطووا هم (عليه السلام) ولم يفطروا على شيء من الطعام فأنى الله عليهم هذا الثناء الحسن وانزل فيهم هذه السورة وكفاك بذلك فضيلة جزيلة تتلى الى يوم القيامة وهذا يدل على ان السورة مدنية .

وفي المناقب لابن شهر آشوب وروى أبو صالح ومجاهد والضحاك والحسن وعطاء وقتادة ومقاتل والليث وابن عباس وابن مسعود وابن جبير وعمرو بن شعيب والحسن بن مهران والنقاش والقشيري والثعلبي والواحدي في تفسيرهم وصاحب اسباب النزول والخطيب المكي في الاربعين وابو بكر الشيرازي في نزول القرآن في أمير المؤمنين (عليه السلام) والاشنهى في اعتقاد أهل السنة وأبو بكر محمد أحمد بن بن الفضل النحوي في العروس في الزهد وروى أهل البيت عن الاصمغ بن نباته وغيرهم عن الباقر عليه السلام واللفظ له في قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر انه مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع (جمع ظ) اصحابه وقال لعلي يا أبا الحسن لو نذرت في ابنك نذراً عافاهما الله فقل أصوم ثلاثة أيام الحديث(1).

وفي اسد الغابة لابن الاثير في ترجمة فضة النوية بسنده المتصل الى مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى يوفون بالندر الخ روى الحديث الى قوله فانزل الله تعالى - هل أتى على الانسان الى قوله تعالى لانريد منكم جزاءً ولا شكوراً(2)،

وفي كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي بعد ذكره ما عن اسد الغابة ذكر ذلك عن الزمخشري وعن الفخر الرازي عن الواحدي من الاشاعة في ذكره في كتاب البسيط وذكرها ايضاً عن الواحدي في اسباب النزول وعن السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وعن الشبلنجي في نور الابصار . وقال الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان قد روى الخاص والعام أن الآيات من هذه السورة وهي قوله (أن الابرار يشربون - الى قوله - وكان سعيكم مشكوراً)،

ص: 332

1- نور الثقلين ج 5 ص 471.

2- اسد الغابة ج 5 ص 530.

نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة ، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح.

نادين ايضا بالله يه مد وفي الدرّ المنثور عن ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى : (ويطعمون الطعام) ، قال : نزلت في علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال سيدنا شرف الدين قدس الله روحه في كلمته الغراء - اجمع أولياء أهل البيت تبعاً لكافة ائمتهم عليهم السلام على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة ، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها أحد ، وقد أخرجه عن ابن عباس ، جماعة من اعلام غيرهم ، كالامام الواحدي في كتابه البسيط والامام أبي اسحق الثعلبي في تفسيره الكبير والامام أبي المؤيد موفق بن أحمد في كتاب الفضائل وغير واحد من الحفاظ وأهل الضبط .

واليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشف بعين لفظه قال - وعن ابن عباس (رضى الله عنه) ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ناس معه ، فقالوا ، يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما أن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة ، فأثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياماً ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم ، وقف عليهم يتيم ، فأثروه ، ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي (رضى الله عنه) بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، قال : ما أشد ما يسوتني : ما ارى بكم ؟ وقام فانطلق معهم ، فرآى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها ، فسأه ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : خذ يا محمد هناك الله في أهل بيتك فاقرأه السورة . انتهى

ونحن لا حاجة بنا الى تضييع الوقت في أخراج اسانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وعطاء وغيرهم ولا الى ذكر من أخرجه من حفاظ الحديث

وائمة التفسير ، بعد تواتره عن أئمة الابرار وكونه مما لا ريب فيه(1).

وفي مناقب الخوارزمي أبي المؤيد موفق ابن أحمد ، بسنده الى ليث عن مجاهد عن ابن عباس وعن أبي اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، وايضاً بسنده عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)، قال مرض الحسن والحسين فعادهما محمد صلى الله عليه وآله الحديث وبسند آخر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً)، قال نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين وفضة - الحديث لكن بشكل اخر غير ما هو المعروف فراجع(2).

وفي ينابيع المودة للسيد سليمان بن إبراهيم الحسيني البلخي القندروزي عن ابن مسكويه في كتابه (نديم الفريد) ، ان المأمون كتب الى بني العباس (وفيما ذكر فيه من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه) قال عليه قال وهو صاحب الآية :

(ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً) - الحديث(3)

وفي مطالب السئول لمحمد بن طلحة الشافعي نقلاً عن رواية الامام أبي الحسن ، علي بن أحمد الواحدي وغيره من أئمة التفسير يرفعه بسنده ان هذه الآية ويطعمون الطعام (الى آخر الآيات) في علي وفاطمة والحسن والحسين(4)

وفي كتاب الاختصاص للشيخ المفيد قده نقلاً عن كتاب ابن دأب ابى الوليد عيسى بن يزيد بن بكر المعاصر لموسى الهادي العباسي في فضائل امير المؤمنين عليه السلام - وفيه ثم قال له (رسول الله ص) فهل عملت شيئاً غير هذا فانّ الله قد انزل على سبعة عشر آية يتلو بعضها بعضاً من قوله - انّ الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا -

ص: 334

1- الكلمة الغراء ص 230.

2- المناقب للخوارزمي ط نجف ص 188 الى ص 194.

3- ينابيع المودة ط بيروت ج 3 ص 157 لسليمان بن إبراهيم الحنفي .

4- مطالب السئول ص 32 المطبوع في ايران سنة 1287 منضمنا الى كتاب تذكرة خواص الامه.

الى قوله ان هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً - قوله - و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً و اسيراً - قال فقال العالم - اما انّ علياً لم يقل في موضع - انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءً ولا شكوراً - ولكن الله علم من قلبه انّما أطعم لله ، فاخبره بما يعلم من قلبه من غير ان ينطق به.

والدة بلاغ قيمة لان فيها رية ولا قاله المال وفي تذكره خواص الامه لسبط ابن الجوزي ص 212 ذكر ذلك عن علماء التأويل وايضاً بسنده عن ابن عباس ومجاهد .

ما ذكره الفخر الرازي و الجواب عنها:

ما اقول : قد ذكر الفخر الرازي في كتابه في تفسير القرآن في تفسير هذه الآية ما لفظه : لم يذكر أحد من أكابر المعتزله ، كابي بكر الاصم وابي علي الجبائي وابي القاسم الكعبي وابي مسلم الاصفهاني و القاضي عبد الجبار بن أحمد في تفاسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام . والواحد من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط . انها نزلت في حق علي عليه السلام . وصاحب الكشاف من المعتزلة ذكر هذه القصة فروي عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اناس معه (الى آخر ما سبق نقله عن الكشاف) .

ثم أخذ في تزييف ذلك بوجوه واهية خاسرة خائنة لاتدل على اكثر من أن الرجل كان في قلبه مرض الانحراف والنفاق في الدين وعن أهل بيت العصمة والطهارة ، ولا عجب في ذلك وقد ذكره الذهبي الدمشقي الشافعي في كتابه ميزان الاعتدال المعد لذكر الضعفاء من رجالهم ومع ذلك لم يذكره باسمه محمد بن عمر الرازي في حرف الميم ، بل ذكره في حرف الفاء بهذا النحو وهذا اللفظ : - الفخر بن الخطيب صاحب التصانيف راس الذكاء والعقليات لكنه عرى من الآثار ، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة، نسئل العافية ان يثبت الايمان في قلوبنا وله كتاب السر المكتوم في

مخاطبة النجوم ، سحر سريح ، فلعله تاب من تأليفه أن شاء الله تعالى(1)انتهى

وعن محي الدين بن العربي صاحب الفتوحات المكية ، كتاب الى الفخر الرازي ، قال فيه : - وقد وقفت على بعض تأليفك وما أيدك الله به من القوة المتخيلة(2)الخ .

واما ما ذكره في تضعيف ذلك تصريحاً أو تلويحاً أمور :

1 - عدم ذكر من سمّاهم باكابر المعتزلة لهذا الحديث في شأن النزول .

ج - عدم ذكرهم لا يدل الا على كتمانهم ما أنزل الله في اهل البيت ، قال الله تعالى :

(ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * الا الذين تابوا واصلحوا وبنوا فاولئك أتوب عليهم وانا التواب الرحيم)(3)، وقال تعالى : (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يُكَلِّمهم الله يوم القيمة ولا يزيهم ولهم عذاب اليم * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار)(4)، فالاحاديث في ذلك كثيرة ، فما بال هؤلاء لم يذكروها وما أشاروا ، بل كتموها وسترها ، كما قال الشاعر في أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه .

جاءت بتعظيمك الآيات والسور***فالبعض قد آمنوا والبعض قد كفروا

والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا***وكم اشاروا وكم ابدوا وكم ستروا

والحق يظهر من باد ومستتر(5)

2 - ما حاصله - انه ذكر في اول السورة خلق الانسان للامتحان ، ثم هدى الكل وازاح عليلهم ، ثم أنهم انقسموا الى شاكركفور ، ثم وعد الشاكركين بقوله تعالى : (أن

ص: 336

1- ميزان الاعتدال ج 3 ص 340.

2- الكنى واللقاب للمحدث القمي(رحمه الله عليه)ج 3 ص 11.

3- البقرة ايه 160.

4- سورة البقرة ايه 175.

5- للشيخ احمد بن محمد الاحسائي من تلامذة ابن المتوج البحراني تخميساً لقصيدة الحافظ البرسي. الغدير ج 7، ص 44 ، و الكنى و

اللقاب ج 2، ص 280.

الابرار يشربون من كأس) الخ، كلها بصيغة الجمع، تتناول جميع الشاكرين، ومثل ذلك لا يمكن تخصيصه بشخص واحد، لان نظم السورة يقتضي كونها بياناً لكل من كان من المطيعين والابرار، فلو جعلناه مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة لارادة غير من يفيد النظم.

ج - بل هذا النحو من البيان ابلغ وامتن وانسب بشأن القرآن الذي يكون هدى للمتقين الى يوم القيمة، فهو ليس بياناً للشخص والا لفني ومات بموته، بل عظة وهدى للمؤمنين، الا أن الذين طبقوا هداية القرآن في وجودهم، ثم ذكرهم القرآن ليكونوا اسوة لغيرهم الى يوم الدين وليكون ذلك تقديراً وتقريظاً لهم، هم هؤلاء أهل البيت، وليذكر الأمة مدى فضلهم، ثم ليعلموا كيف صاروا للامة أئمة وقادة بما صبروا في ذات الله، فجعلهم الله أئمة يهدون بامرهم لما صبروا وكانوا بآياته موقنين، وان انتخابهم لذلك من جهة فضلهم واعمالهم وايمانهم ومعرفتهم، لاعبثاً وباطلاً، فهذا النظم لهذا الغرض وامثاله من المعاني العالية الفاخرة أبلغ وامتن وانسب وليس فيه فساد نظم اصلاً، فالنظم تدرج من الانسان حين (لم يكن شيئاً مذكوراً) الى عروجه الى اعلى مراتب الكمال، و تمثل ذلك في على وفاطمة والحسن والحسين و فضه كما دل عليه الروايات المتواترة، ولم يكن في شخص واحد، والعجب من غفلته أو تغافله عما ذكره هو بنفسه قبل سطور عن الزمخشري انها في هؤلاء، ثم هنا يذكر عدم مناسبة الجمع لشخص واحد.

3 - ان الموصوفين بهذه الصفات المذكورون بصيغة الجمع، وتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر، ولا ينكر دخول علي بن أبي طالب عليه السلام فيه ولكنه داخل أيضاً في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين، وكما انه داخل فيها كذلك غيره من اتقياء الصحابة والتابعين، اللهم الا أن يقال: أن السورة انما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة عنه ولكنه قد ثبت في اصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ج - اولاً: تخصيص الجمع بجمع معين ليس خلاف الظاهر، بل هو الحال في جميع موارد شأن النزول في موارد من القرآن.

وثانياً: ليس الكلام في دخول علي بن ابي طالب عليه السلام، بل الآيات نزلت في عمل هؤلاء الخمسة. وبعد ان عملوا ذلك، لا أنه كانت عمومات من الآيات في

الطاعة هو عمل عليها . وثالثاً : كل ذلك اجتهادات واستنباطات منحرفة في قبال نصوص متواترة صريحة . ورابعاً : لم يتقل عن سالف زمانهم ولا حقه انه عمل بمثل عملهم احد لا يريد منه شيئاً غير الله والدار الآخرة لامن الانبياء والمرسلين ولا من الائمة الطاهرين ، فضلاً عن في نظر الفخر الرازي من اتقياء الصحابة والتابعين ، فما عملوا شيء يعجز عنه اتقياء الصحابة والتابعين . وخامساً : ان مذكوره عن اصول الفقه فهو مغالطة ، اذا المراد مما في اصول الفقه ان آيه اذا دلت بعمومها على حكم فالمتبع هو العموم وان كان سبب النزول واقعة خاصة والكلام هنا في ان تلك الآيات نزلت في هؤلاء الخمسة واما حكم تلك الاعمال وحسنها لكل من عمل بها فلا ينكره فهم ائمة الامة فمن تبعهم فاز ونجى ومن تخلف عنهم فقد هلك و غوى.

ونزيد له توضيحاً : ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فنذرا و علي وفاطمة و فضة ان يصوموا لشفائهما بان تعهدوا - لله علينا ان نصوم ثلاثة أيام متوالية لشفائهما ، اففي هذه المرحلة تكشف الواقعة عن معاني كثيرة من الايمان والمعرفة بالله سبحانه وشفائه وانه قائم على كل نفس وان يبتغوا الوسيلة اليه وانه يستجيب لمن دعاه و توسل اليه ، ثم عزمهم و جزمهم في ذلك الى انتهاء العمل هذا مضافاً الى الشفقة العميقة بالنسبة الى سبطي نبي الرحمة وامامي الهدى سيدي شباب أهل الجنة ريحانتي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم انهم لتحصيل الفطور أخذوا صوماً من شمعون اليهودي للغزل واخذوا الاجرة شعيراً وطحنتها الصديقة الزهراء وخبزتها خمسة أقراص ليفطروا على ما حصلوه بكد اليمين وعرق الجبين، مع مالها من كثرة مشاغل البيت والاولاد ، كل ذلك حال الصيام ثم بعد صلوة المغرب قعدوا للافطار ، فاذا دق الباب فمسكين يطلب منهم طعاماً فأثروه على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وما اكتفوا باعطائه قرصاً أو قرصين وما رضى احدهم الا - باعطائه جميعها و الافطار بالماء فباتوا وصاموا اليوم الثاني باشد مما في اليوم الاول من الجوع و التعب و عمل الغزل و الطحن و التخيز الى المغرب فصلوها و قعدوا للافطار، فاداً يتيم يدق الباب باب الرحمة والبركة و الخير ، فاذا تريهم كل واحد منهم يتهيء للايثار و دفع كل واحد منهم قرصه الى اليتيم حبا الله وشفقة الى اليتيم المحتاج ثم افطروا بالماء و باتوا جياًعاً باشد وجه ، وصاموا اليوم الثالث و فاء لنذرهم و امتد صومهم

في جوع وضعف ومع ذلك عليهم متاعب ومشاكل الحياة و الطحن و التخيز ، ولا يعلم احد مدى جهدهم واتعابهم و مشقاتهم غير الله سبحانه ، فصبروا في غاية الرضا و الحب لله ، من غير أن يشوبه شيء آخر ولو بمقدار مثقال ذرة ، فلو كان ، لعلمه الله وذكره ، وانتهى الصوم في اليوم الثالث فصلوا واخذوا في الافطار ، فاذا اسير مشرك ، كافر يدق باب الرحمة ، فمع انهم كانوا من التعب والضعف و الجوع باشد مما مضى ومع أن السائل لم يكن له من موجبات الرحمة مالمسكين المسلم و اليتيم المسلم بل امره اخف وانزل فمع ذلك آثروه على انفسهم ولم يرض أحدهم الا بايثار تمام قرصه ، حباً لله سبحانه فافطروا بالماء في غاية ما يتصور لهم من ضعف البدن و ارتعاشه جوعاً

كل ذلك صدر عنهم عن صفاء القلب والايمان بالله و حبه و خضوعاً و خشوعاً له من غير أن يشوبه شيء حتى الاقتباس و الاقتداء بغيرهم وحتى العرض على الله فذكر الله ذلك العالم بجميع الحقائق الدقيقة معبراً بكلمة الحصر ، فقال سبحانه : - (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً) وهذا بيان من الله لحال عملهم لا لشيء نطقوا بالسنتهم .

وليلة فانظر أيها الفخر الرازي في القرآن والاثار والاخبار في الاولين والآخرين من الانبياء والمرسلين والشهداء والصديقين والصالحين فهل تجد ما يشابه ذلك ؟

كلما نتدبر في تلك الآيات وفيما حكى في الروايات المتواترة من كيفية الواقعة وما عملوا يتشعشع لنا من عظمة انوارهم وايمانهم وعلو ذواتهم وابعاد معارفهم وخلص نياتهم الله وحبهم له ما يكل الستنا عن بيانه فصلوات الله عليهم .

وهذه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها الصلوة والسلام احد هؤلاء الخمسة ، ولعلها كانت أكثرهم تحملاً من اتعاب الواقعة ومشقاتها من خدمة البيت وبعليها وابنيها والتطحين والتخبيز للشعير بعد غزلها للصوف من شمعون اليهودي فتظهر وتزهر وتتنور من لمعات طهارتها واغصان أزهارها وقداستها وخلص ايمانها ومعارفها في تلك الواقعة الواحدة ما يصدق بشهادة صدق انها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

ثم لا- يخفي هنا فضل خادماتها وجارياتها، فضة ، التي علت وعلت على كل ذهب وبلغت في أدبها وتربيتها على يدي مولاتها الصديقة الطاهرة الى أن ادرجت تحت آيات

فضلهم وعلو مقامهم وشملتها تلك الآيات الكريمة ، فكانت من عباد الله فتشرب من عين يفجرونها تفجيراً بالوفاء بالندى والخوف من يوم كان شره مستطيراً إلى آخر ما ذكره الله تعالى فى ذلك وهذه أيضاً رشحة من رشحات فيض معلمتها ومؤدبتها الصديقه الطاهرة صلوات الله عليها .

وبالجملة فهذه الدرّة البيضاء الصديقه الكبرى فاطمة الزهراء ، حيث كانت طاهرة من كل نقص وعيب فى مرتبتها الانسانية مقدّسة عما يشوب قداستها ، وفى غاية الصفاء فى جوهرتها فكانت تنعكس فى نفسها ما اراد الله فيما يرد عليها من الحوادث فكانت تحبّ ما احبه الله تعالى و تبغض ما ابغضه كما أنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها فلا ينفك ارادتها عن ارادة الله و انزجارها عن سخط الله ، فترىها فى تلك الواقعة ما اخطأت عن ما أحبّه الله فهى كانت مع الله والله سبحانه معها يعينها ويعصمها ويحفظها على صراطه المستقيم ، صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فهى المعصومة، وافعالها و اخلاقها و ادابها و اعمالها و علومها و معارفها و عواطفها و صفاتها و محاسن كمالاتها و محامد نفسياتها تجليات متنوعة عن بحر عظمتها و حيث بلغت الى تلك القمة العليا ، فلا تفعل عما سيمر عليها من مشكلات محن الاولياء ولا تتلوث ذيلها عن ارجاس الحياة الدنيا (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهراً)، والسلام عليها يوم ولدت و يوم تموت و يوم تبعث حياً .

والآيات القرآنية والروايات النبوية، مما تدل بعد تفسيرها وتوضيحها على عصمتها أو على لمعة من لمعات طهارتها و قداستها ، كثيرة ، تربىها منتشرة فى كتب الفريقين وقد جمعها عدة من الطائفتين ، تبركاً وتوسلاً لهم بالعترة الهادية الشفعاء فى الدنيا والاخرة فنشير الى بعضها فى هذا المختصر ذليلاً .

1 - (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً).

2 (وات ذا القربى حقه)(1).

ص: 340

3 - (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم). (1)

4 - (مرج البحرين يلتقيان - يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان). (2)

6 - (فاسئلوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون). (3)

6 - (واعتصموا بحبل الله جميعاً) (4)

7 - (اهدنا الصراط المستقيم - الصراط المستقيم هم محمد واهل بيته -) (5)

8 - (في بيوت اذن الله أن ترفع - بيت على افضلها). (6)

9 - (وان الله اصطفى آدم ونوحاً وأل إبراهيم). (7)

10 - (فاستجاب لهم اني لا اضيع عمل عامل منكم) (8)، (9).

11 - (حديث الثقلين - اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - الخ.

12 - (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق .

13 - (أهل بيتي امان لاهل الارض .

14 - (فاطمة بضعة مني .

راجع غاية المرام للمحدث البحريني و الغدير للعلامة الاميني وفضائل الخمسة من الصحاح الستة و العباقات وغيرها .

ومن كتب أهل السنة : ينابيع المودة ، للشيخ سليمان القندروزي ، وتذكرة خواص الأمة ، لسبط ابن الجوزي الحنفي ، ونظم درر السمطين ، للزرندي الحنفي ، والمناقب ، للخوارزمي ، والخصائص ، للنسائي ، وغيرها .

ص: 341

1- البقره - 37

2- الرحمن - 23

3- الانبياء - 7

4- آل عمران - 103

5- سورة المحمد - 6

6- النور - 36

7- آل عمران - 33

8- آل عمران 195

ومن المعصومين من غير الأنبياء والأئمة (عليهم السّلام) زينب بنت فاطمة (عليه السّلام)

وممن تظهر عصمتها من غير نبوة ورسالة و امامة هي : زينب بنت أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم .

ويدل على عصمتها شهادة الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في قوله لها : - وانت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة (1).

فعلمها كعلم جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى : ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون * بل هوايات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون (2) وشهادة الامام الرضا علي بن موسى عليهما السلام لها فيما قاله لاخته زيد بن موسى :

يازيد اغرك قول ناقلي الكوفة ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار والله ما ذلك الا- الحسن والحسين وولد بطنها خاصة (3).

أما شهادة الامام السجاد عليه السلام بانها عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة ، فهي تدل على ان علمها ليس بتعليم من انسان بل من اتصال بعلم الله سبحانه الغير المحدود وافاضة من بحار انواره ، وقد مضى شطر من الكلام في حقيقة العصمة والطهارة وصفاتها، وقد استهتت عن الارجاس والقذارات ، وان المطهر المعصوم يتقرب الى الله ويتصل بعد طهارته الى الله ويستفيض من بحار علومه ويستضيء من انواره ، فهذا النوع

ص: 342

1- الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 31.

2- سورة العنكبوت ايه 48 - 49.

3- عيون اخبار الرضا ص 394.

من العلم يدل على الطهارة والعصمة كما ان العصمة تدل على ذلك الارتقاء والاستضاء من علم الله سبحانه .

وسياتي مزيد بيان من الآيات و الروايات انشاء الله تعالى.

شمالى شملولة واما شهادة الامام الرضا عليه آلاف التحية و الصلاة و الثناء ، فهي أيضاً تدل على العصمة ، فان تحريم الذرية من بطن فاطمة عليها السلام على النار من جهة ذواتهم وانهم يكونون بحيث لا يدنوا منهم الشيطان و لاسيلا له اليهم وانهم مخلصون ، وقد قال الشيطان : (لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين)، فمادة تحريم الذرية على النار فيهم وهي الطهارة من الدنس والاقذار مكتسباً ممن أحصنت فرجها وكانت في غاية العفاف والعصمة ومن والدهم أمير المؤمنين صلوات الله عليهما .

القالمية با واما بقية الذرية ممن بعدهم ، فهم كما قال الصادق عليه السلام في جواب ولده اسماعيل حيث سئله - ما حال المذنبين منا - قال : ليس بامانيكم ولا امانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد من دون الله وليا ولا نصيراً -

وفي الحقيقة كل انسان كذلك ، كما قال سبحانه (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك)، فمن حرم الله جسده على النار فهو من حيث ، انه ممتنع منه المعصية لعصمته وطهارته ، لا أنه يعصي ومع ذلك حرم الله جسده على النار عليه النار وليس فيه شيء يقبل النار و تقبله .

فوجوده وجود يحرم فاولاد فاطمة من بطنها حرم الله اجسادهم الطاهرة على النار ومن ذلك يستكشف طهارة اختها أم كلثوم كما انها تشترك أيضاً في بعض ماسياتي من ادلة طهارتها .

وقد مضت ص 34 الرواية عن الصادق عليه السلام ، ان المعتقون من النار هم ولد بطنها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم(1).

والرواية مروية من الفريقين ولعلها من المتواترات عن النبي صلى الله عليه وآله وكلمة - فاء - في قوله (فحرم الله ذريتها على النار) بعد قوله «ان فاطمة أحصنت» تدل على التفريع ، كقوله تعالى (والتي أحصنت فرجها فنفضنا فيها من روحنا)(2).

ص: 343

1- ن البحار ج 43 ص 231

2- سورة الانبياء ايه 91 .

فتشابه فاطمة مريم في ذلك ، فصلحت فيما صلحت لمريم من الذرية الطيبة الطاهرة المطهرة . ولعلّ قول النبي صلى الله عليه وآله مشير الى ما تقيده الآية مما ذكرناه فتليق فاطمة بما احصنت فرجها ، أن تكون ذريتها ممن حرمهم الله على النار ولا سبيل اليهم للشيطان فهم معصومون اجمعون .

وبعد عصمتها وانها عالمة غير معلّمة و فهمة غير مفهّمة لاغرو في:

1 - أن تكون معلّمة لثناء زمانها في تفسير القرآن(1). و

2 - انّ الحسين(2)أوصى الى اخته بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج من علي بن الحسين عليهما السلام من علم ينسب الى زينب سرّاً على علي بن الحسين . و

3 - ما نقل عنها من الزهد والتقوى والجدود والسخاء والايثار على نفسها من الماء والرغيف لا سيما في سفرها الى كربلاء والكوفة والشام و عبادتها و تهجدها حتى زمن أسارتها و ليلة العاشر وبعده من المحرم في أشد ما كانت من المصائب التي تتزلزل منها الجبال الرواسي و صبرها في تلك الشدائد و جهادها في سبيل احياء الدين و شهادة اخيها الحسين صلوات الله عليه واهل بيته و حفظها عن الانحراف و تداوم اثارها و صيانة ثقل الرسالة واهل بيت الوحي و حفظ الامام الحجّة زين العابدين عليه السلام عن الهلكة و التذكر لحديث أم أيمن و الكشف عما سيجري على آثار نهضة الحسين عليه السلام و قبره و زيارته و زواره و بركات شهادته للاسلام و ابقاء آثار الدين و القرآن ، حتى انجلي عن قلب الامام السجاد الاحزان المتركمة المهلكة .

4 - ان صارت معلماً للهداية عند ترادف الشبهات على قلوب المسلمين من دعايات المعتدين و اضلال جنود الكفر من أتباع آل ابي سفيان و آل مروان في مدينة الكوفة و مركز بقايا الشيعة حينما كان الامام الحجّة زين العابدين(عليه السلام) محصوراً تحت مقتضيات التقية حقناً لدمه و حفظاً لنفسه الشامخة التي كانت من أعظم و دائع النبوة و آثار الرسالة ، فانت زينب(عليه السلام) بكل ما يستوجبه مقام أمام هاد عند حيرة الامة و تراكم موجبات الضلالة بعد شهادة أخيها و اضطهاد سلالة جدّها و ابيها بنحو يحكي عن موضع

ص: 344

1- رياحين الشريعة ج 3 ص 52.

2- رياحين الشريعة ج 3 ص 58.

والدها أمير المؤمنين صلوات الله عليه بيان كأنها تنطق عن مافي نفس والدها من العلم والهداية والقداسة والاحاطة بما جاء في القرآن وجاء به النبي صلى الله عليه وآله ومعرفتها في ذلك بموضع أخيها الشهيد و ولايته على الأمة و مقامه بينهم و ما يجب عليهم بالنسبة اليه مما خالفوه وضيّعوه.

قال حذيم الاسدي : لم ار والله حفرة قط انطق منها ، كأنها تنطق وتفرغ على لسان عليّ عليه السلام وقد أشارت الى الناس بان أنصتوا فارتدت الانفاس وسكنت الاجراس ، ثم قالت بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله : أما بعد يا أهل الكوفة - الخطبة(1).

م لسنواع مبله

فقال علي بن الحسين عليهما السلام ياعمة ، اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار وانت بحمد الله عالمة غير معلّمة ، فهمة غير مُفَهِّمة أنّ البكاء و الحنين لا يردان من قد اباده الدهر(2).

فصدق كلماتها امام زمانها وانها نطقت عن علم غير معلم بتعليم انسان وفهم غير مُفَهِّم بتفهمهم بشر ولم يكن الآ عن معدن الوحي وعن علم يشارك مع ابن اخيه الامام الحجة ، كيف لا وهي المتكفلة في هذا المسير لامثال هذه الخُطب وتنوير القلوب عن ظلمات الجهل والغواية والضلالة الأموية ، فهي عليها السلام اعطيت من الله ما تمكنت من اداء رسالتها مع صعوبة الموقف وشدائد المصائب من العلم والطهارة والقداسة والحياسة للاسلام وعلو الهمة والحرص على حفظ الاسلام . و

5 - ان عارضت وحاورت وحاربت مع رأس الطغيان والظلم والتمرد يزيد بن معاوية حتى اضغته وأخرسته حين ان رآته يضرب ثنايا أخيها الحسين عليه السلام بمخصرته وخيزرانه متجاهراً بما في صدره من كفره وعناده بشعره -

ليت اشياخي بيدر شهدو *** جزع الخزرج من وقع الاسل له بله

لاهلوا واستهلوا فرحاً *** ثم قالوا يا يزيد لا تشل

ص: 345

1- الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 29 الامالي للشيخ المفيد ص 366 وللشيخ الطوسي ج 1 ، ص 90.

2- الاحتجاج طبرسي ص 31.

لست من خندف ان لم انتقم *** من بني احمد ماكان فعلي

فمن يقتدر علماً وبيناً وشهامته على مقابلة من يتمثل بالخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله واقتدر على السلطة على رؤس المسلمين وكيانهم وشؤونهم و اموالهم و جنودهم بعنوان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وولي أمر المسلمين الذي يجب طاعته بقوله تعالى (أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) ومع ذلك يتظاهر بالكفر وانكار الرسالة وليس له قتل الاسارى والنساء والاطفال بمحضره بالشام اصعب وأكثر مؤنة من وقعة كربلاء وما جنى بها من القتل والهتك والفتك بخامس آل العباء واهليته و اصحابه ولم يكن يكثرث بذلك لولا ما حاورته بطله كربلاء و عقيلة بني هاشم زينب عليها السلام بتلك الخطبة الحاسمة لمادة الفساد والطغيان التي صارت بارقة تنور القلوب على الحقائق والدسائس وصاعقة تُزلزل ملك آل أبي سفيان و يقضت العيون النائمة ونهت المشاعر الغافلة، وكان يزيد يسمع ويفكر ويقدر ويتحير كيف يصنع قبال هذه البارقة وهذه الصاعقة، التي هي كشعلة جوّالة تصول على قلوب المستمعين من المسلمين وغيرهم ثم تسري وتجري كالبرق الى البلاد والعباد و تجهز الناس على تدمير ملك الشجرة الملعونة ويزيد الطاغية .

أعترض على يزيد لكنه واجه و عارض كلاً بشكل و دفعه

فقال أبو برزة الاسلمي : ويحك يا يزيد ! اتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة ، اشهد لقد رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن و يقول انتما سيدا شباب أهل الجنة ، فقتل الله قاتلكما ولعنه واعد له جهنم وسائت مصيراً - فغضب يزيد وأمر باخراجه سحياً(1) عنيفاً(2).

وقال علي بن الحسين عليهما السلام : انشدك الله يا يزيد ، ماظنك برسول الله لو رآنا على هذه الحالة، فامر يزيد بالحبال فقطعت .

وقال عليه السلام : ماظنك برسول الله لو رأني في الغل ؟ فقال لمن حوله : حلوه(3)

ص: 346

1- سحبه - جرّه على وجه الارض.

2- بحار الانوار ج 45 ص 133.

3- بحار الانوار ج 45 ص 132.

وقالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد بنات رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فبكى الناس وبكى أهل الدار ، حتى علت الاصوات(1).

فاما زينب عليها السلام ، فانها لما رآته(ينكت ثنايا أخيها) . اهوت الى جيبها نادت بصوت حزين تفرع القلوب ، يا حسينا يا حبيب رسول الله ، يا ابن مكة فشقته ، ثم ومنى ، يا ابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء ، يا ابن بنت المصطفى .

الله فابكت والله كلّ من كان في المجلس ويزيد ساكت .

فقامت فقالت : الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على رسوله وآله اجمعين صدق الله كذلك يقول : - (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهترون) اظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء فاصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة و أنّ ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت(2) بأنفك ونظرت في عطفك(3) جذلان(4) مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة(5) و الامور لك متسقة(6) وحين صفالك ملكنا وسلطاننا مهلاً مهلاً ، انسيت قول الله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنّنا نملي لهم خيراً لانفسهم أنّنا نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين).

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك(7) حرائرك و امانك وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن و ابديت وجوههنّ يحذو(8) بهنّ الاعداء من بلد الى بلد و يستشرفهن(9) اهل المناهل(10) و المناقل(11) و يتصفّح(12) وجوههن القريب والبعيد و

ص: 347

- 1- بحار الانوار ج 45 ص 132.
- 2- شمع بانفه - رفعه اعتزازاً و تكبراً.
- 3- العطف - الجانب - و هو ينظر في عطفه اى معجب بنفسه.
- 4- جذل - انتصب و فرح.
- 5- مستوسقة - اى مجتمعه و امكنك.
- 6- متسقة اى مستوية.
- 7- الخدر ستريمة للجارية في ناحية البيت.
- 8- يحدد بهنّ - في البحار اى يسوقهن سوقاً شديداً.
- 9- استشرف - يطلب - الاشراف والاطلاع.
- 10- المنهل - موضع الشرب على الطريق (محل آب خوردين)
- 11- المنقل الطريق في الجبل.
- 12- نگاه با دقت و جستجو.

الدني و الشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمى وكيف يرتجى (1)مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء و نبت لحمه بدماء الشهداء وكيف يستبطن في بغضنا أهل البيت من نظر الينا بالشنف (2)والشنان (3)والأحن (4)و الاضغان (5)، ثم يقول غير متأثم (6)ولا مستعظم (7).

وأهلوا واستهلوا فرحاً ، ثم قالوا : يا يزيد! الأنشل

منتحياً (8)على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة ، تنكتها (9)بمخصرتك (10)وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة (11)واستأصلت الشأفة (12)بارقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الارض من آل عبدالمطلب وتهتف (13)باشياخك، زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً (14)موردهم ولتودن انك شللت وبكمت (15)ولم يكن قلت ماقلت وفعلت ما فعلت اللهم خذ بحقنا ، وانتقم من ظالمنا، وحلل غضبك بمن سفك دماننا ، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت (16)الا جلدك ولا جززت (17)الا لحمك ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته حيث يجمع شملهم (18)ويلم (19)شعثهم (20)ويأخذ بحقهم ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

ص: 348

- 1- وكيف يرتجى الخ يعني چگونه امید محافظت بود از کسیکه از دهان خود انداخت جگرهای پاکان را اشاره به هند جگرخوار باشد.
- 2- شنف نگاه با کراهت و اعتراض.
- 3- شنان - دشمن داشتن
- 4- احن - کینه و خشم.
- 5- ضغن - کینههای درونی و پنهانی.
- 6- غیر متأثم - ای لایبالی بالاثم.
- 7- ولا مستعظم - ای لیس فی نظره عظیم.
- 8- منتحياً - ای قاصداً.
- 9- نکت بقضیبه ای ضربه بها فائز.
- 10- المخصرة - ما يأخذ الملك بيده من العصي ونحوه.
- 11- نكأ القرحة ای قشرها.
- 12- هتفه - ناداه.
- 13- بكمت ای - خرست.
- 14- فرى الشيء قطعه و شقه.
- 15- جز الشعر او الزرع - قطعه.
- 16- شملهم ما تفرق من امرهم.
- 17- لمه - جمعه و ضمه.
- 18- الشأفة قرحة اذا قطعت مات صاحبها.

19- وشيکاً ای سریعاً.

20- شعثهم - ای تفرق امورهم.

أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون)، حسبك بالله حاكماً وبمحمد خصيماً وبجبرئيل ظهيراً وسيعلم من سوى لك وممكنك من رقاب المسلمين ، بش للظالمين بدلاً واتكم شر مكاناً واضعف جنداً .

الله ولئن جرت(1)على الدواهي مخاطبتك اني ، لأستصغر قدرك واستعظم تقريعتك واستكبر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حتى ، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الايدي تنطف(2)من دماننا والافواه تتحلب(3)من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها(4)العواسل وتعفوها امهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما ، لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد الا ما قدمت وما ربك بظلام للعييد ، فالى الله المشتكى وعليه المعول ، فكذ كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيناً ولا تدرك آمدنا ولا ترحض(5)عنك عارها وهل رأيك الأ فند(6)و ايامك الا عدد و جمعك الآ بدد(7)يوم يناد(8)المناد : الا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله الذي ختم لاؤلنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسئل الله ان يكمل لهم الثواب و يوجب لهم المزيد و يحسن علينا الخلافة أنه رحيم ودود و حسبنا الله و نعم الوكيل(9).

واما يزيد فما استطاع بشيء الا ان قال

يا صبيحة تحمد من صوائح *** ما اهون الموت على النوائح

اقول: هذه الخطبة تشتمل على جهات كثيرة دالة على ابعاد عديدة من علق نفسها و محامدها و صفائها و رقيها و ارتفاعها الى درجات العصمة والطهارة والعلوم النبوية

ص: 349

1- اگر مصائب مرا به مخاطبه تو كشاند ليكن من قدر تورا كوچك ميگيرم و كوويدنت را بزرگ می شمارم و تويخ تورا بزرگ ميدانم لكن چشمان گريان است و سينه ها سوزان.

2- تتلطح.

3- تتحلب - اى تسيل من فيه من كثرة امتلائه.

4- اتاهم مرة بعد اخرى و وصلت نوبته اليها.

5- اى لاتغسل.

6- خرافة الرأي.

7- از هم پاشيده.

8- ينادى ض.

9- بحار الانوار ج 45 ص 132 الى ص 135 وقريب منه مافي الاحتجاج ج 2 ص 26.

المكارم العلوية و المناعة الفاطمية ، و أنّها خلاصة تلك الاعراق المطهرة ومن فروع الشجرة الزيتونه المباركة المنوّرة التي يكاد زيتها يضبيء ولو لم تمسسه نار ، بل نور على نور يهدي الله بنوره من يشاء.

ولا نتعرض لشرح نكاتها ودلائلها على قدر أفهامنا لضيق مجاله في مناسبة هذا الكتاب فنذرنا في سنبله ، فليحصد كل ذي فضل على قدره

ولكن هنا في طيها جملة لا- يسعنا إلا أن نقف عندها وقفة العابر وهي - قولها عليها السلام : - وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل و تعفوها امهات الفراعل .

واكتفى العلامة المجلسي(قدس سره)في البحار بشرح هذه الجملة من غير تعرّض لما يستشكل منها فقال :

والعواسل الذئاب السريعة العدو ، قولها وتعفوها امهات الفراعل ، من قولهم عفت الريح المنزل ، أي درسته ، أو من قولهم فلان تعفوه الأضياف ، أي تأتيه كثيراً . وفي بعض النسخ (تعفرها) اي تلطخها بالتراب عند الاكل ، وفي بعضها باللقاف من (العقر) بمعنى الجرح ، ومنه كلب عقور والفُرعل بالضم ولد الضبع وفي رواية السيد امهات الفراعل وهو أظهر.

اقول : في نسخة الاحتجاج (تعفرها)وفي مقتل الخوارزمي - (وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفوها الذئاب وتؤمها الفراعل) وفي كتاب بلاغات النساء ، لاحمد بن أبي طاهر المتولد ببغداد سنة 204 و المتوفى سنة 280 هجريه (وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات) ومافي البحار نقله عن السيد ابن طاووس(قدس سره)في كتابه الملهوف ص 161 ص 166 وقد ذكر الشيخ محمد بن جعفر بن نما الحلبي أحد مشايخ المحقق وغيره المتوفى سنة 645 في كتابه مثير الاحزان في مقتل الحسين عليه السلام هذه الخطبة مختصراً ولم يذكر هذه الجملات اصلاً .

وعدة من الفريقين ولا سيما من دأبهم الاختصار، لم يتعرضوا لاصل الخطبة كالشيخ المفيد في الارشاد و ابن شهر آشوب السّروي في المناقب وابي الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبين وسبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الامة وعلي بن عيسى الاربلي من علماء الامامية المتوفى سنة 693 في كشف الغمّة والشيخ الحافظ الواعظ الشهيد

السعيد محمد بن الحسن الفتال النيسابوري استاذ ابن شهر آشوب السروي من علماء القرن الخامس والسادس المتوفى سنة 508 في كتابه روضة الواعظين ، ولعلّ عدم ذكر هؤلاء هذه الخطبة ليس بمعنى عدم ثبوتها عندهم أو نفيها ، بل من جهة الاختصار أو شيء آخر تركوها ، قال صاحب كشف الغمة رحمه الله ما لفظه : قلت قد تركت اموراً جرت من هؤلاء الطغام لعنهم الله وابعدهم من رحمته عند قتله وما فعلوه من قطع يده ورشقه بالسهم والحرب وذبحه واخذ رأسه وايطاء الخيل جسده الشريف وسيي حريمه وانتزاع ملابسهن الى غير ذلك (1) الخ ، فلا يبعد ان يكون ترك ذكر الخطبة من هذا القبيل .

فالمعتمد بعد نقل الفريقين هو ثبوت اصل الخطبة ولا سيما بعد شهادة مضامينها على صدقها وصدورها ، فاذا فما معنى الجملة التي ذكرنا ، فهل يمكن للسباع والذئب والضباع افتراس تلك الجثث الزواكي ولا سيما الامام السبط الحجّة خليفة الرسول وثمره المرتضى وريحانة البتول مصباح الهدى وسفينة النجاة ، وهل تكون حماية الله عنهم منقطعة وهل تكون السباع والوحوش عنانها مطلقة في ملك الله وسلطنته حتى على الحجج الطاهرة وحتى على من افنى جميع ما عنده في سبيل الله واحياء دينه ومن ثاره ثار الله ومن أبشر الله بوجوده انبيائه ورسله ومن يكون بقاء آثاره أحياءاً للدين واماتة لبدع المبدعين وامحاءاً لشر الظالمين وقبره الشريف وحرمة مناراً للاسلام والمسلمين وملاذاً للمظلومين والمضطرين ومن شهادته والشهداء معه وذكره وخلود مراسمه من أحسن وانقذاً احبى به شريعة جده سيد المرسلين ويحيث يكون مصباح هدايته وسفينة نجاته في كل ليل مظلم أو طوفان شديد مما يحتاج اليه رواج دين خاتم النبيين صلوات الله عليه . قال الله تعالى : (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد).

وقال تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين).

وقال تعالى : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن اولياكم في الحياة

ص: 351

وعلى هذا فهذه الجملة: «وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفوها امهات الفراعل» اما ان يقال ان معناها: انكم تركتم تلك الجثث الطواهر من غير أن تدفنوها لتكون طعمة للذئاب والضباع، يعني غاية فعلكم ذلك، أو هدفكم هذا، وان كان من حفظ الله ان يحرسها عن جميع الآفات، و من تقدير الله سبحانه ان يبعث جماعة من بنى اسد ليلاً، عند مغادرة الجيش الاموي، لدفن تلك الجثث الطواهر تحت نظارة حجة الله و وليه الامام السجاد ليتصدي دفن ابيه حيث لا- يتيسر كفن الامام و دفنه الأبيد وصيه و خليفته الامام المعصوم، فهؤلاء الطواغيت الظلمة كان من نياتهم في طريق محو آثار الرسالة، أن يستاصلوا ذرية النبي و يتركوا اجسادهم على وجه الارض ليفسدو تأكلها الوحوش و جوارح الطيور حتى يمحوا آثار هذه الواقعة و آثار صاحب تلك النهضة المقدسة فلا يبقى منها شيء على وجه الارض و حتى قبورهم و من هذا الباب ما امر به عبيد الله بن زياد أمير جيشه ان يوطىء الخيل صدره و ظهره و قد نشأ التصريح عن تلك النية الباطلة في كلماتهم الخاسرة مثل ما تقوه به زحر بن قيس حامل الرأس المطهر الى يزيد مبشراً له و مخاطباً اياه - فوا الله يا أمير المؤمنين ما كان الأكرز جزور أو كاغفائه القائل حتى اتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم بالعراء مجرّدة و ثيابهم بالدماء مرملة و خدودهم بالتراب معفّرة، تصهرهم الشمس و تسفي عليهم الريح، زوّارهم الرحم و العقبان و الذئب و ضبعان(1).

أو يقال: أنّ هذه الجملة، مما أدخلها في هذه الخطبة الشريفة يد الموضوعين المستأجرين، لتحكيم سلطة الجبارين، فلو كان معناها غير ما ذكرنا و أشباهه لكان مردوداً منسوباً الى الوضع و الافتراء من الرواة و الناقلين، قال صاحب الاحتجاج: وكان اشدّ الناس في ذلك القراء المراؤن المتصفون الذين يظهرن الخشوع و الورع، فكذبوا و انتحلوا الاحاديث و وُلدوها، فيحظون بذلك عند الولاية و القضاء(2).

ولولا حفظ الله تعالى اجسادهم الطاهره عن السباع، ثم حراسة قبورهم عن

ص: 352

1- مقتل الخوارزمي ج 2 ص 56.

2- كتاب الاحتجاج للطبرسي ج 2 ص 18.

الوحوش من الأدميين ، وعن انظماسها ، لما كان للروايات المتواترة في تعظيم قبورهم وزيارتها و اتيان مشاهدتهم و الثواب العظيم فيه موقع اصلاً ، فهذه الروايات من صاحب الرسالة الخاتمية واهل بيته المعصومين ، وهم لا ينطقون عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ، فهذا عهد من الله لحفظها و حراستها، مضافاً الى غير ذلك مما يدل على أن الذئب والسباع مؤتمرة تحت اوامرهم ومسخرّون تحت ولايتهم ولا يأكلون لحومهم ، والعجب ممّن يقوّى حديث الشيخ الكليني (قدس سره) في الكافي ، لاتيان فضة بالاسد الحراسة جتته الزكية الطاهرة حيث قصدوا ان يطوا الخيل صدره و ظهره و لا يحاسب انه لافرق بين الاسد و الذئب و الضبع و الرخم و العقبان ، فكل بامر الله و تحت ولاية ولي الله لا يقدر واحد منها على العصيان عمّا خُطّ له ، فلو كان الاسد يعرف مقام الامام و يحرسه عن خيل ابن سعد ، لكان غيره من السباع ايضاً مثله و لا أقل من أن لا يفترسه . وهناك روايات في أبواب مختلفة ، دالة على ان لحومهم صلوات الله عليهم محرمة على السباع .

ومن ذلك تعرف ، ان الشعر الذي نقل عن السيد الرضى رضى الله عنه في الرثاء عليه صلوات الله عليه أيضاً ليس بموضع من القبول و لعله نشأ من ذلك و امثاله وهو .

وتنوش الوحش من اجسادهم *** أرجل السبق و ايمان التدا

واماً ماروى عن أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه ، لما عزم على الخروج الى العراق خطيباً ، فقال : الحمد لله ... (الى أن قال:) وخير لي مصرع انا لاقيه ، كأني باوصالي تقطعها عُسلانُ الفلوات بين النواويس و كربلا ، فيملاًنّ مني أكراشاً جوفاً واجربة سغباً. (1)

فالظاهر منه : أن مراده العُسلان و ذئب الفلوات من الكوفة ، من جيش ابن سعد ، الذين هم ام أخسّ من الذئب ، والدليل عليه قوله - فيملاًن مني اكراشاً جوفاً واجربة - ، فان الاجربة ، جمع الجراب بالكسر وهي وعاء من الجلد لجمع الدراهم والدنانير فهم ذئب الناس رسباعهم ، لا من سباع الحيوانات .

ويحتمل قريباً أن يكون المراد مما في خطبة سيدتنا زينب سلام الله عليها ايضاً

ص: 353

ذلك بقرينة ما قبل تلك الجملات من قولها - فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء . فهذه الايدي تتطف من دماننا و الافواه تتحلب من لحومنا - و تلك الجثث الطواهر الزواكى تتتابها العواسل (اي العواسل والذئاب من ملوكهم و حكامهم لمحوها و محو آثارها يتناوبون) و تعفوها امهات الفراعل (اي يسعى لاندراسها ومحوها امهات الفراعل و الضباع من جبابرة حكامهم)

وفي الزيارة المنسوبة الى الناحية المقدسة قوله : - السلام على الاجسام العارية في القلوات تنهشها الذئاب العاديات و تختلف اليها السباع الضاريات - (1).

ولكن يعارضها ما ذكر في نفس هذه الزيارة قبل ذلك بسطور من قوله : - السلام على من دفنه أهل القرى ، فانه لا معنى للدفن بعد ان نهشها الذئاب.

نعم يمكن أن يُقال ان قوله(عليه السلام): السلام على من دفنه أهل القرى ، مخصوص بالامام عليه السلام ولذا افرد بالضمير ، وان قوله(عليه السلام)السلام على الاجسام العارية الخ يختص بغيره عليه السلام من الشهداء ، فما نهشته الذئاب والسباع غير الامام(عليه السلام)، لكن ذلك أيضاً بعيد جداً

ص: 354

1- البحار ج 101 ، ص 319 ، نقلاً عن مزار الشيخ المفيد و عن المزار الكبير لمحمد بن المشهدى ايضاً.

علي بن الحسين الاكبر عليهما السلام و عصمته

و ممن تظهر عصمته و طهارته من غير نبوة ورسالة و امامة هو :

علي بن الحسين الاكبر ، سلام الله عليهما ، الشهيد بكر بلاء بين يدي والده ، حيث ورد في شأنه . شأنه ما يشير الى عصمته .

منها ما عن ابيه الحسين عليه السلام عند برازه للشهادة كما قال الخوارزمي في مقتله ج 2 ص 30 . فتقدم علي بن الحسين فلما رآه الحسين رفع شيبته نحو السماء وقال : اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز اليهم غلام اشبه الناس خلقاً وخلقاً وخلقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكنا اذا اشتقنا الى وجه رسولك ، نظرنا الى وجهه (الى أن قال) ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: مالك قطع الله رحمتك كما قطعت رحمتي ولم تحفظ ق-راب-ت-ي-م-ن-رس-ول الله ، ثم رفع صوته وقرأ ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل أب-راه-ي-م و آل عمران ع-ل-ى العالمين - ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (الخ) وذكر ذلك جمع آخ-م-ن علماء الشيعة وأهل السنة ايضاً. (1)

وفي ذلك أشارات أو تصريحات بعصمته كتشبيهه برسول الله خلقاً وخلقاً وخلقاً ، وكقراءته الآية في الاصطفاء وأنهم ذرية بعضها من بعض ، الى غير ذلك من الدلالات على ذلك .

ص: 355

1- مقاتل الطالبين ص 77 البحارج 45 ص 3 وفي المناقب ج 43 ص 257 وكان يشبه برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)خلقاً وخلقاً وخلقاً.

ومنها مافي زيارة الحسين عليه السلام لأول شهر رجب ففيها لكيفية السلام على علي بن الحسين عليهما السلام هكذا : - السلام عليك أيها الصديق الطيب الزكي الحبيب المقرب وابن ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أشهد لقد شكر الله سعيك واجزل ثوابك والحقك بالذروة العالية ، حيث الشرف كل الشرف وفي الغرف السّامية ، كما من عليك من قبل وجعلك من أهل البيت ، الذين أذهب الله الرجس وطهرهم تطهيراً الخ .

وفي ذلك أيضاً دلالات على عصمة ولاسيما مافي شمول آية التطهير له وكونه من هؤلاء .

ومنها: مافي زيارة الناحية المقدسة المروية في الاقبال للسيد بن طاووس قوله(عليه السلام) اشهد انك اولى بالله وبرسوله و انك ابن رسوله و حجته و امينه و ابن حجته و امينه الخ(1).

ومنها : مافي زيارته يوم عرفة : السلام عليك يا مولاي السلام عليك يا ولي الله وابن وليه (الى آخرها) .

وفيه تصريح له بمقام ولاية الله و وصوله الى هذه المرتبة التي لا ينالها الا المعصوم .

ومنها : مافي زيارته المعروفة بالوارث من - السلام عليك يا ولي الله وابن وليه الخ . قال أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبين ص 52 : - وياه عنى معاوية في الخبر الذي حدثني به محمد بن محمد ... قال معاوية من أحق الناس بهذا الامر ؟

قالوا أنت . قال لا ، أولى الناس بهذا الامر علي بن الحسين بن علي ، جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني امية وزهو ثقيف .

قال ابو الفرج - و ولد علي بن الحسين (عليه السلام) في خلافة عثمان و قد روي عن جده علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعن عايشه احاديث كرهت ذكرها في هذا الموضوع لأنها ليست من جنس ما قصدت له .

ص: 356

1- البحار، ج 45، ص 65.

ومن جملة من تظهر عصمته من غير نبوة ورسالة وامامة سلمان الفارسى (رضى الله عنه).

قال السيد على خان المدنى (قدس الله روحه) فى كتابه الدرجات الرفيعة ص 198 اصله من فارس من رامهرمز وقيل بل من اصبهان من قرية يقال لها جت بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحت وكان اسمه روزبه وقيل ماهو وقيل مابه بن بهبودا بن بدخشان من ولد منوچهر الملك الخ .

قال ابن بابويه (رحمه الله عليه) وما سجد قط لمطلع الشمس كما كان يفعل قومه ، وانما كان يسجد لله عز وجلّ وكانت القبلة التى امر بالصلوة اليها شرقية وكان ابواه يظنّان انه انما يسجد لمطلع الشمس مثلهم وكان سلمان وصي عيسى (عليه السلام) فى اداء ما حمل الى من انتهت اليه الوصية من المعصومين (1).

وعن زرارة عن ابي جعفر عن جده أمير المؤمنين عليهم السلام قال : ضاقت الارض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسى والمقداد وأبوذر. (2)

وعن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام اذا كان يوم القيمة نادى مناد أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه فيقوم سلمان والمقداد وأبوذر. (3)

ص: 357

1- الدرجات الرفيعة ص 199.

2- رجال الكشي ص 13.

3- رجال الكشي ص 15.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله أمرني بحب أربعة منهم علي بن أبي طالب عليه السلام وسلمان الفارسي. (1)

وعن أبي جعفر عليه السلام كان علي (عليه السلام) محدثاً وكان سلمان محدثاً. (2)

وعنه (عليه السلام) كان سلمان من المتوسمين. (3)

وعن أبي عبد الله عليه السلام سلمان علم الاسم الاعظم. (4)

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه قال لي : تروي ما يروي الناس ، ان علياً (عليه السلام) قال في سلمان : ادرك علم الاول وعلم الآخر ؟ قلت : نعم . قال : فهل تدري ما عني ؟ قلت : يعني علم بني اسرائيل وعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . فقال : ليس هكذا يعني ولكن علم النبي وعلم عليّ وامر النبي وامر عليّ (5).

عن الحسن بن منصور قلت للصادق عليه السلام : اكان سلمان محدثاً ؟ قال : نعم .

قلت : من يُحدّثه ؟ قال ملك كريم (6) (الخبر).

وهذه الروايات لها دلالات على عصمته ، كما لا يخفى على البصير الخبير ولكن

الذي اصرح منها في العصمة ما دلّت منها على انه من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

منها ما عن أبي جعفر عليه السلام : ان سلمان منا اهل البيت (7).

ومنها عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : يا أبا ذر ان سلمان باب الله في الارض من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً وانّ سلمان منا اهل البيت. (8)

وسئل علي (عليه السلام) عن سلمان ، فقال : علم العلم الاول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزف وهو منا اهل البيت. (9)

ص : 358

1- رجال الكشي ص 16.

2- رجال الكشي ص 16.

3- رجال الكشي ص 16.

4- رجال الكشي ص 16.

5- رجال الكشي ص 21.

6- رجال الكشي ص 23.

7- رجال الكشي ص 22.

8- مجمع الرجال للقهبائي ج 3 ص 144 رجال الكشي ص 20.

قال رسول صلى الله عليه وآله : سلمان منا أهل البيت.(1)

قال أهل العلم : عاش سلمان ثلثمائة وخمسين سنة - كان سلمان من المعمرين ، يقال انه ادرك عيسى بن مريم (ع) وقرأ الكتابين وكان له ثلاث بنات باصبهان وزعم جماعة أنهم من ولدها وابنتان بمصر(2).

قال الشيخ محي الدين بن العربي في الفتوحات لما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبداً محضاً أي خالصاً ، قد طهره الله تعالى وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس وكلما يشينهم ، فإنّ الرجس هو القدر عند العرب على ما حكاه الفراء ان(3) قال تعالى أنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فلا- يضاف اليهم الا- مطهر ولا بد أن يكون كذلك ، فان المضاف اليهم هو الذي يشبههم فما يضيفون لانفسهم الا من له حكم الطهارة والتقديس ، فهذا شهادة من النبي صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الألهي والعصمة، حيث قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): سلمان منا أهل البيت وشهد الله لهم بالتطهير وذهب الرجس عنهم واذا كان لا يضاف اليهم الا مطهر مُقدّس وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الاضافة ، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون بل عين الطهارة.(4)

قال الصادق عليه السلام في حديث ، لا تقل الفارسي ولكن قل سلمان المحمدي - اتدري ما كثرة ذكري له ؟ قلت : لا . قال : لثلاث خلال ، احدها ايثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على هوى نفسه ، والثانية حبّه للفقراء واختياره أيّاهم على أهل الثروة والعدد ، و الثالثة حبّه للعلم والعلماء ، ان سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.(5)

ص: 359

- 1- اسد الغابة لابن الاثير ج 2 ص 331.
- 2- اسد الغابة لابن الاثير ج 2 ص 332.
- 3- الفراء هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الكوفي تلميذ الكسائي المتوفى سنة 207 واطلاق الفراء على معاذ بن مسلم النحوي من أصحاب الصادقين عليهما السلام وق-دق- رأ عليه الكسائي وروى عنه اشتباه بالهراء - فلعل مراده من الفراء ان هما الرجلان - منه.
- 4- الدرجات الرفيعة ص 207 - ص 208.
- 5- الامالي للشيخ الطوسي ج 1 ص 133.

وعن الاصبع بن نباته ، قال : سألت أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه ، وقلت : ماتقول فيه ، فقال : ماقول في رجل خلق من طينتنا وروحه مقرونة بروحنا خصه الله تبارك و تعالی من العلوم بأولها و آخرها وظاهرها و باطنها و سرها و علانيتها و لقد حضرت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمان بين يديه ، فدخل أعرابي ، فتحاه عن مكانه و جلس فيه فغضب رسول الله صلى الله عليه و آله حتى در العرق بين عينيه واحمرتا عيناه ، ثم قال يا أعرابي اتنحي رجلاً يحبّه الله تبارك و تعالی في السماء و يحبه رسوله في الارض ، يا أعرابي أتنحي رجلاً ما حضرني جبرئيل الا أمرني عن ربي عز و جل أن أقرئه السلام، با اعرابي ان سلمان منّي، من جفاه فقد جفاني و من آذاه فقد آذاني و من باعده فقد باعدني و من قربه فقد قربني ، يا أعرابي لا تغلظنّ في سلمان ، فان الله تبارك و تعالی قد أمرني أن اطلعه على علم المنيا والبلايا والانساب و فصل الخطاب ، قال فقال الاعرابي يا رسول الله ماظننت ان يبلغ من فعل سلمان ما ذكرت اليس كان مجوسياً ثم أسلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه و آله : يا أعرابي أخاطبك عن ربي و تقاولني ان سلمان ما كان مجوسياً ولكنه كان مظهراً للشرك ، مصمراً(1) للايمان.(2)

و قال الصادق عليه السلام : لا تقولوا سلمان الفارسي ولكن قولوا سلمان المحمدي ، ذلك منا أهل البيت . و قال رسول الله صلى الله عليه و آله : سلمان منا أهل البيت ، وعن أبي جعفر عليه السلام قال : ذلك سلمان المحمدي، ان سلمان منا أهل البيت(3)، وعن الصادق عليه السلام قال : أدرك سلمان العلم الاول و العلم الآخر و هو بحر لا ينزح وهو منا أهل البيت ، وعن النبي صلى الله عليه و آله انه قال : ياسلمان انت منا أهل البيت وقد أتاك الله العلم الاول والآخر و الكتاب الاول و الكتاب الآخر(4)،

لقد رقى(5) سلمان بعد رقة *** منزلة شامخة البنيان

ص: 360

1- مصمراً(ظ).

2- الاختصاص للشيخ المفيد ص 221.

3- نفس الرحمان ص 28.

4- نفس الرحمان ص 31.

5- نفس الرحمان ص 35.

وكيف لا و المصطفى عده *** من أهل بيته عظيم الشأن.

15 - قد أشرنا قبلاً الى ان العصمة تشأ من ذات المعصوم مع امداد غيبي الهي شيئاً فشيئاً ، فتنمو و تربوا و تترقى الى ان تصل الى اعلى ما يمكن من مدارج الكمال.

فلها مراتب في الكمال الا ان جميع مراتبها حائزة للنزاهة والقدااسة والطهارة لكن في حدّ هذه المرتبة .

ولا- يخفى ، أن جمعهم في صراط واحد وكل الى الله سائرون ، فهم متماثلون متشابهون بحيث لو ذلت آية في احدهم على شيء من الطهارة ، فغيرهم أيضاً كذلك ويمكن ان يستظهر ذلك من مثل قوله تعالى : (أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والتّبيين من بعده)(1)فسبيل الوحي وشرائطه وظروفه في حقهم واحد .

المرتبة الاولى : الطهارة والقدااسة حين انعقاد وجودهم ثم حين تولّد لهم، فهم طيبون ، طاهرون في مرتبة ذواتهم من اي قذارة تشأ عنها قذارة الاعمال والصفات ، والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكداً « » وضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين باذن ربها قالت أمراه عمران في حق بنتها مريم (واتي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً)

فكانت شجرة طيبة وطيبة الثمار في الصفات والاعمال والآثار توتي أكلها كل حين باذن ربها وهكذا ثمرتها وذريتها ولم يكن الآ عيسى سلام الله عليه - وقال تعالى (واذ قالت الملكة يامريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)(2)، وقال تعالى (واذ قالت الملكة يامريم ان الله يبشرك)(3)وقال تعالى : في دعاء زكريا - (قال ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة الى أن يقول - ان الله يبشرك بيحي)(4)وقال في شأن يحيى : (وسلام عليه يوم ولد)(5)وقال تعالى في

ص: 361

1- سورة النساء ايه 163.

2- آل عمران 43 - 42.

3- آل عمران 44.

4- آل عمران 28 الى 29.

5- سورة مريم 12 الى 15.

شأن موسى : (وحرمنا عليه المراضع من قبل)(1)وقال يوسف : (ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)(2)وقال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته).(3)

المرتبة الثانية : الطهارة والقداسة ونزاهة النفس والاعمال والصفات والافكار والمعارف والعلوم في هذا العالم ، ويشهد لذلك من الآيات مايلي :

قال تعالى (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً* ذلك عيسى بن مريم)(الآية(4)، على أن يكون المراد السلامة من جميع ما يضر بالسلامة (المطلقة في ثلاث عوالم ، عالم الدنيا من التولد الى آخرها والبرزخ من حين وروده وعالم الآخرة من حين وروده ، يوم يبعث حياً ، فيشمل سلامة الانسان في جميع ابعاده وجوانبه.

ومثل قوله تعالى (سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين)وقوله تعالى (سلام على إبراهيم أنا كذلك نجزي المحسنين) وقوله تعالى : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين)(5)ومثل قوله تعالى (واتيناه الحكم صيباً* وحناناً من لدنا وزكوة وكان تقياً* ويراً بوالديه ولم يكن جباراً شقيماً* وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حياً)(6)قل الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون)(7)

ومقتضى تلك الآيات ، سلامتهم مطلقاً من كل ما يوجب عدم السلامة ولو قليلاً من كل آفة و رذيلة و انحراف فكرياً و عقلاً وعملاً و مشياً وسلوكاً و معاشره من أول بروزهم في عالم الدنيا وقد كان السلام قولاً من رب رحيم عليهم قولاً حقاً وصدقاً لا مبدل لكلماته .

المرتبة الثالثة : قد عرفت ان مقتضى طيب ولاذتهم وفطرتهم وسلامتهم من كل نقص وعيب ذاتي وكونهم موردا لعناية الله سبحانه وفضله وكرمه ، أن يكون اعمالهم

ص: 362

- 1- سورة القصص ايه 12.
- 2- سورة يوسف ايه 29.
- 3- سوره انعام ، 124.
- 4- سورة مريم ايه 35.
- 5- سورة الصافات.
- 6- سورة مريم الى ايه 15.
- 7- سورة النمل آيه 59.

وصفاتهم وأفكارهم كلّها حسنة مرضية عند الله ، وان يكونوا مجتنبين من كل رذيلة وكل عمل غير صالح حتى قبل نبوتهم ورسالتهم وامامتهم) فمن صحت عروقه اثمرت فروعه (كما عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه) واليك جملة من الآيات على ذلك عموماً أو خصوصاً فيهم

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً*والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) (الى آخر الايات من سورة الفرقان) وقال تعالى : (أنما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجداً)، وغير ذلك ويدل على ذلك في خصوصهم آيات - فهم كانوا على صفة التقوى - قال تعالى (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)(1)، وقال تعالى : (وما أرسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين أتقوا أفلا تعقلون)(2) ، وقال تعالى : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين (الى أن قال) تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً)(3).

وهم كانوا على خوف وخشية من الله سبحانه.

قال تعالى (قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)(4)، وقال تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربّهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً)(5)بناء على أن المراد من - أولئك - النبيين - المذكور في الآية السابقة بقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين) أذ لا يناسب ارادة ما قبل ذلك من الآية فراجع .

وهم كانوا محسنين بقول مطلق ، يصدقهم الله في ذلك ، من غير تحديد لاحسانهم ولذلك شعاع وسيع في المراحل المختلفة ويدل على ذلك آيات :

ص: 363

1- سورة يوسف ايه 90 .

2- سورة يوسف ايه 109.

3- سورة مريم 63.

4- سورة الانعام ايه 15.

5- سورة الاسراء ايه 57.

ففي سورة الصافات بالنسبة الى نوح و ابراهيم والياس وموسى وهارون عليهم السلام في عدة آيات يقول سبحانه وتعالى : (انا كذلك نجزي المحسنين وقال تعالى : (نبئنا بتأويله انا نزيك من المحسنين)(1)، وقال تعالى (وكذلك نجزي المحسنين)(2)، وقال تعالى (انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع اجر المحسنين)(3)، وقال تعالى بالنسبة الى موسى (عليه السلام)(وكذلك نجزي المحسنين)(4).

وهم كانوا من أهل البكاء والخشية حال العبادة لله سبحانه ومن أهل قيام الليل والسرعة الى الخيرات

قال تعالى : (ان ابراهيم لحليم اواه منيب)(5)، وقال تعالى : (اذا نتلي عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجّداً وبُكياً)(6)، وقال تعالى : (أَنْ رَبَّكَ ليعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلاثة وطائفة من الذين معك)(7)، وقال تعالى : (يا ايها المزمل قم الليل الأ قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً- أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً)(8) وقال تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)(9)، وقال تعالى : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)(10).

وهم كانوا أهل الصلوة والزكوة مرضيين عند ربهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر .

قال تعالى : (اقم الصلوة لذكري ان الساعة لا آتية اكاد أخفيها)(11)، وقال تعالى : (واوصاني بالصلوة والزكوة مادمتُ حياً)(12)، وقال تعالى : (فنادته

ص: 364

1- سورة يوسف ايه 26.

2- سورة يوسف ايه 22.

3- سورة يوسف ايه 90.

4- سورة القصص ايه 14.

5- سورة هود 75 . ويعبر بالاواه عمن يظهر خشية الله - مفردات القرآن للراغب.

6- سورة مريم 58.

7- سورة المزمل آخرها.

8- سورة المزمل ايه 1 ، 2 ، 3.

9- سورة الاسراء 79.

10- سورة الانبياء ايه 90.

11- سورة طه ايه 15.

12- سورة مريم ايه 31.

الملئكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يشرك بيحيى»(1)، وقال تعالى: (كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الزَّكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ عِنْدَ اللَّهِ) (2) وقال تعالى: (رَبَّنَا أَنَّى اسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) (3)، وقال تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمٌ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) (4)، وقال تعالى: (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) (5)، وقال تعالى وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى»(6)، وقال تعالى: (الَّذِينَ أَنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا) « الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور»(7)، وقال تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار) (8) الى غير ذلك من الآيات في ذلك .

وهم لم يكونوا من أول عمرهم ظالمين بقول مطلق باي لون من ألوان الظلم واي مظهر من مظاهره ، لاعلى انفسهم ولا على غيرهم، فلم يصدر عنهم شرك ، فان الشرك لظلم عظيم ولا معصية ولا انحراف ولا ترك واجب ، لاستلزامه الظلم على انفسهم وكذا لم يتصفوا بصفات الظالمين ولا سكنوا في مساكن الذين ظلموا ولا بغوا ولا طغوا ولا فسدوا ولا أفسدوا ولم يكونوا يريدون علواً في الارض ولا فساداً.

ويدل على ذلك عدة من الآيات:

قال تعالى: (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين) (9)، وقال تعالى: (اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم) (10)، والظاهر

ص: 365

1- سورة آل عمران ايه 39.

2- سورة آل عمران آيه 37.

3- سورة ابراهيم ايه 37.

4- سورة ابراهيم ايه 40.

5- مريم 55.

6- سورة طه 132.

7- سورة الحج 41

8- سورة النور ايه 37.

9- سورة البقرة ايه 124.

10- سورة النمل ايه 11.

ان الاستثناء منقطع ، يعنى لكن من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم ومعناه أن الظالم الكذائي يخاف ، فالمرسلون ليسوا بظالمين وقال تعالى : (ولم يجعلني جباراً شقياً)(1)، وقال تعالى (ولم يكن جباراً شقياً)(2)وقال تعالى (وقال موسى ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون)(3)وقال تعالى (قال ربّ بما انعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين)(4)، وقال تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)(5)، وقال تعالى (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء)(6)، وقال تعالى (قال معاذ الله أنّه ربّي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون)(7)، وقال تعالى (قال موسى لاخيه هرون أخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)(8)، وقال تعالى : (ان الله لا يصلح عمل المفسدين)(9).

وهم كانوا عرفوا الله تعالى وعبدوه مخلصاً من غير أي شائبة من الشرك بجميع انحاءه ومظاهره ، لا في مقام العبادة، ولا في مقام المعرفة ، بل كانوا موحدين له في جميع المراحل كمال توحيده ، وهذا هو الذي تدل عليه آيات كثيرة ظهوراً أو صراحة في بعضها الأخرى مضافا الى ما تقدم منها .

قال تعالى (واتبعت ملّة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون)(10)، وقال تعالى (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين)(11)، وقال تعالى (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(12)، وقال

ص: 366

- 1- سورة مريم ايه 32.
- 2- سورة مريم ايه 14.
- 3- سورة القصص ايه 37.
- 4- سورة القصص ايه 17.
- 5- سورة القصص ايه 83.
- 6- سورة يوسف ايه 51.
- 7- سورة يوسف ايه 23.
- 8- سورة الاعراف ايه 142.
- 9- سورة يونس ايه 18.
- 10- سورة يوسف ايه 38.
- 11- سورة يوسف ايه 108.
- 12- سورة الزمر ايه 65.

تعالى (واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)(1)، وقوله تعالى (لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)(2)، مضافاً الى قوله تعالى: (لا ينال عهدي الظالمين)(3).

انهم كانوا يرون الحق والحقيقة في روابط الموجودات كلها بالله سبحانه وسلطانه فيها، فمجرى الوجود منه تعالى وفيضه الى كل شيء ونفوذ قدرة الله فيها كان منكشفاً مشهوداً في نظرهم، فيرون الله تعالى في كل شيء وقبله وبعده ومعه فيعرفونه هذا من النوع من المعرفة، فلهذا كانوا لا تتخطى ارادتهم عن ارادة الله ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون .

قال تعالى: (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)(4)، وقال تعالى: (لقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)(5)، واخر هذه الاية تدل على انه انما نال تلك المنزلة من طريق العبودية لله سبحانه، وقال تعالى (قل الله شهيد بيني وبينكم واوحى الى هذا القرآن لانذرکم به ومن بلغ)(6)، وقال تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)(7)، وقال تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني)(8)، وقال تعالى: (ومالنا ان لا نتوكل على الله وقد هدينا سبيلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون)(9)، وقال تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)(10)، فهو صلى الله عليه وآله قد رأى من آيات الله ما هي أكبرها وأعظمها ذاتا ودلالة فكيف باصاغرها .

وقال الامام أبو عبد الله الحسين سيد الشهداء صلوات الله عليه في

ص: 367

- 1- بصيغة الماضي مع كلمة لو سورة الانعام ايه 88.
- 2- سورة لقمان ايه 13.
- 3- سورة البقرة ايه 124.
- 4- سورة يوسف ايه 24.
- 5- سورة انعام آيه 76.
- 6- سورة الانعام ايه 19.
- 7- سورة العنكبوت ايه 47.
- 8- سورة يوسف ايه 108..
- 9- سورة ابراهيم ايه 12.
- 10- سورة النجم ايه 18.

عرفة : «الهي علمت باختلاف الاثار وتنقلات الاطوار ان مرادك مني ان تتعرّف الى في كلّ شيء حتى لا أجهلك في شيء» (وقال ايضاً): «الهي امرت بالرجوع الى الآثار فارجعني اليك بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السّر عن النظر اليها و مرفوع الهمة عن الاعتماد اليها انك على كلّ شيء قدير» (1).

انهم كانوا في عبوديتهم ومعرفتهم لله سبحانه بنحو لا- يرتضون الا- ما يرضي الله ولا- يكرهون الا- ما يكرهه ولا يحبّون الا ما احبه ولا يبغضون الا ما ابغضه ، فبهذه الروحية الشريفة ، لهم سعي بليغ في الاجتهاد في سبيل الله ، و احياء دينه و اقامة اوامره و امانة مانهى عنه .

قال تعالى : (الذين أن مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة و أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور) (2)، وقال تعالى (لقد كان لكم أسوة حسنة في أبراهيم و الذين معه اذ قالوا لقومهم انا برّاء منكم و مما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده) (3)، وقال تعالى : (أنهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغباً و رهباً وكانوا لنا خاشعين) (4)، وقال تعالى : (ولقد اصطفينا في الدنيا و انه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربّه اسلم قال أسلمتُ لربّ العالمين) (5).

انهم كانوا يتعارجون الى معارج الكمال و يرتقون الى معالي الفضائل ولا يقفون في حد مخصوص ، فهم في السير والحركة الى الله سبحانه كغيرهم من أفراد البشر الا أنهم من الطهارة و القداسة الى مراتب الكمال و يشير الى ذلك عدة من الايات :

قال تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً و قل رب أدخلني مدخل صدق و اخرجني مخرج صدق و اجعل لي من

ص: 368

1- مفاتيح الجنان ص 274 - 275.

2- سورة الحج ايه 41.

3- سورة الممتحنة ايه 4.

4- سورة الانبياء ايه 90.

5- سورة البقرة ايه 131.

لذلك سلطاناً نصيراً(1)، وقال تعالى : (يا أيها المزمل قم الليل قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً أنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً)(2)، فيأمره بقيام الليل وترتيل القرآن ليصل الى أن يتهدأ لالقاء قول ثقيل عليه - وقال تعالى : (وقل رب زدني علماً)(3)، وقال تعالى : (فوجدنا عبداً من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علماً قال له موسى هل اتبعك على ان تُعلمن مما علمت رشداً)(4)، وقال تعالى : (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)(5)، وقال تعالى : (واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً)(6)، وقال تعالى : (سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا)(7)، وقال تعالى : (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى)(8)، وقال تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)(9)، وقال تعالى : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)(10)

انهم كانوا مصونين بعصمة الله ومحفوظين بحفظه ومؤيدين بنصره وتحت عين رعايته في داخل نفوسهم و خارجها في قبال الاعداء والمخالفين فيحرسهم الله سبحانه بسلطانه في جميع ادوارهم واطوارهم، فالله سبحانه هو ملاذهم ومعاذهم في شدائد حملات الاعداء، فهو يعصمهم ويحفظهم ويحرسهم، فلهم النجاح الاعظم والفلاح الاكبر فيما بين جميع البشر وتدل على ذلك آيات :

قال تعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لتصرف عنه السوء و الفحشاء أنه من عبادنا المخلصين)(11)، وقال تعالى : (ولولا أن

ص: 369

1- سورة الاسراء ايه 79 - 80.

2- سورة المزمل ايه 1 الى ايه 5.

3- سورة طه 114.

4- سورة الكهف ايه 66.

5- سورة النساء ايه 113 .

6- سورة البقرة ايه 124.

7- سورة الاسراء ايه 1.

8- سورة النجم ايه 98.

9- سورة النجم ايه 18.

10- سورة الانعام ايه 76.

11- سورة يوسف ايه 24.

ثبتناك لقد كدت تركز اليهم شيئاً قليلاً اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً(1)، وقال تعالى : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منه منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)(2)، وقال تعالى : (ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الاّ رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً)(3)، وقال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فأنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم)(4)، فهو سبحانه مع تأييدهم بغيبه الحافظ عن الغرور بالظواهر ، يسلك رصداً مراقبين لهم من بين ايديهم ومن خلفهم لئلا يتطرق اليهم خلاف ما اراد الله منهم من ابلاغ رسالات الله قولاً وعلماً وعملاً وكلماً احاط الله بما لديهم فهم محروسون غايته، وقال تعالى : (الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك)(5)، فقد شرح الله صدره لما اراد منه في كل ما يتعلق برسالته و وضع عنه كلما ثقل عليه ، مما ينقض ظهره وهو معه كذلك الى أخريات آياته من أيام رسالته ، وقال تعالى : (سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى)(6)، وقال تعالى : (وتلك حجبتنا آتينها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم)(7)، وقال تعالى : قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا انّ معي ربي سيهدين)(8)، وقال تعالى : (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى)(9)، وقال تعالى : (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري (الى قوله

ص: 370

1- سورة الاسراء ايه 75.

2- سورة النساء ايه 113.

3- سورة الاسراء ايه 87.

4- سورة الجن ايه 27.

5- سورة الانشراح ايه 1 - 3.

6- سورة الاعلى ايه 6 - 8.

7- سورة الانعام ايه 83.

8- سورة الشعراء ايه 62.

9- سورة طه ايه 45 - 46.

تعالى) قال قد أوتيت سنوك يا موسى(1)، وقال تعالى : (واصبر لحكم ربك فانك باعينا و سبح بحمد ربك حين تقوم)(2)، وقال تعالى :
(الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه و
ايداه بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)(3).

فهم صلوات الله عليهم حيث كانوا بكل وجودهم واهتمامهم و اجتهادهم وقصدتهم ومشيههم لله سبحانه خاشعين له اوابين عابدين محبين
شائقين مستقرين في امر الله تامين في محبة الله مخلصين في توحيدهم ومظهرين لامره ونهيه ، لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ، فالله
تبارك وتعالى معهم بنحو الحفظ والحراسة والعصمة ، فلم يتحقق ذلك من الله لهم ، الا مع تحقق ذلك من قبلهم ، فهم يطوفون حول ارادة
الله في جميع احوالهم وامورهم ، بل ارادتهم مظهر ارادة الله وغضبهم وكرهتهم مظهر غضبه و كراهته.

ص: 371

1- سورة طه ايه 25 - 36.

2- سورة الطور ايه 48.

3- سورة التوبة ايه 40.

آيات في عصمة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخصوص

16 - نحن وان ذكرنا وبيننا العصمة في جميع الانبياء والائمة عليهم السلام بنحو العموم وجملة من آياتها في خصوص نبينا الخاتم صلوات الله عليه وآله وبعضها فيه وفي الائمة خلفائه عليهم السلام، كآية التطهير ، الا ان بحثنا حيث كان فيما ذكره بالنسبة اليه صلوات الله عليه وآله في آيات أول سورة عبس وقد أجبننا عنه وتينا بطلانه وفساده ، الا أنا رأينا ان نذكر جملة من الآيات في عصمته (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة مما تدل عليها بتمام المقصود أو بعضه ، ثم نردفها ببعض الآيات الاخر في فضائل صفاته و مكارم اخلاقه الطاهرة التي تناقض مانسجوه من الروايات الموضوعة في تطبيق اوائل آيات تلك السورة عليه صلوات الله عليه وآله .

الأول الآيات الكثيرة المردفة طاعة الرسول بطاعة الله ومعصيته بمعصيته وامره بامرته ونهيه بنهيه وما يقرب هذا المعنى .

كقوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)، (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)(1).

وكقوله تعالى : (من يطع الرسول فقد اطاع الله و من تولّى فما ارسلناك عليهم حفيظاً)(2)

وكقوله تعالى : (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً)(3).

ص: 372

1- سورة آل عمران ايه 31 - 32.

2- سورة النساء ايه 80.

3- سورة الحجرات ، ايه 14.

وكقوله تعالى : (قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فأنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين)(1)،

وكقوله تعالى : (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم 13 ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)(2)،

وكقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم)(3)،

وكقوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)(4)،

وكقوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)(5)،

وكقوله تعالى : (واطعن الله ورسوله)(6)،

وكقوله تعالى : (واطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه)(7)،

: وكقوله تعالى : (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله)(8)،

وكقوله تعالى : (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)(9)،

وكقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(10).

وكقوله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحلّ

ص: 373

1- سورة النور ايه 54.

2- سورة النساء ايه 14.

3- سورة النساء ايه 59.

4- سورة النساء ايه 69.

5- سورة الاحزاب ايه 71..

6- سورة الاحزاب ايه 33.

7- سورة الانفال ايه 20.

8- سورة المجادلة ايه 13.

9- سورة الحشر ايه 4.

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون(1)

وكقوله تعالى : (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)(2)،

وكقوله تعالى : (يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوؤى بهم الارض)(3).

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى ، فيتبين من تلك الآيات ان طاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته وأمره كامره ونهيه كنهيه وشقاقة كشقاقه واتباعه كاتباعه ، فهو لا يشذ عن ارادة الله في ارادته ولا عن غضبه وكرهته في غضبه وكرهته ، فلا ينفصل عنه في شيء من آثار وجوده وطور من اطوار حياته فاطلق القول بوجوب اطاعته واتباعه والانتهاء عن نهيه والانزجار عن زجره والاحتراز عن غضبه واذائه ، فلو امكن التخالف في تلك المراحل لم يطلق القول في تلك الآيات البيّنات ، بل قيد ذلك ببعض القيود الدخيلة في وجوب الطاعة وحرمة المعصية له صلوات الله عليه وآله .

وهذه الآيات الكريمة مضافاً الى دلالتها على عصمته وانه امين الله بجميع حالاته و اقواله و افعاله و اوصافه و معنوياته و سجاياه و معارفه و علومه ، تدل على شدة اتصاله بجميع جوانبه بالله الواحد سبحانه و تعالى و علو مرتبته عنده وقربه لديه بحيث يجري من نفسه الشريفه امر الله ونهيه و ارادته و كراهته و حبه و بغضه ، فهو مظهر تام لارادة الله ونهيه فليس للنبي صلوات الله عليه وآله ارادة و كراهة شخصية في قبال ارادة الله و كراهته ، بل افنى شخصيته ابعادها في الله سبحانه فينشأ جميع حركاته و تحولاته من ارادة الله و كراهته ، فلذا اطلق الله سبحانه في كتابه القول باطاعته و حذر عن مخالفته و معصيته ، وقد علم الله سبحانه منه ذلك ، ومع ذلك فالله مؤيده و ناصره و عاصمه و هو بعين الله كما قال

بجميع

ص: 374

1- سورة الاعراف ايه 157.

2- سورة الاعراف ايه 158.

3- سورة النساء ايه 42.

فصبر لحكم ربك فانك باعيننا(1)- فلا يشدّ منه خلاف ذلك ابداً .

او اي مكة اقوال مشهد الثاني : قوله تعالى : - (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالا فاق الأعلى)(2).

مالك سلسله شخصه هذه الآيات الكريمة تنبىء عن استقامته وعصمته من أول نشأته وانه ماضل فيما مضى من عمره وحياته عن الصراط المستقيم وما ابتلى بجهل عن اعتقاد فاسد باطل يوجب غوايته في اقواله و افعاله و اوصافه و معاشرته ، فما ظهر و ما يظهر منه في أفعاله و أقواله و مشيه و سلوكه و معاشرته و اخلاقه و آدابه فكل على صراط مستقيم من دون اى ضلالة و اى غواية ، فلا ينشأ منطقته عن الهوى النفسانية بل عما اراده الله أو نهاه بوحي او حاه ، فالله سبحانه الذي هو مبدء كل الوجود وجميع الخيرات و محيط و قيوم على الجميع و عالم لا يعزب عنه شيء في السموات و الارض علم النبي و ادبه ، اما بواسطه جبرئيل شديد القوى بناء على رجوع ضمير (علمه) اليه ، واما بنفسه تعالى بناء على رجوع الضمير اليه تعالى ، فعلى الاول فجبرئيل هو شديد القوى و ذومرة ، أي ذو شدة في جنب الله و ذو خصافة في عقله و رأيه ، و قيل المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وانه ذو شدة في جنب او امر الله و ذو خصافة ، أو ذو مرور و عروج إلى السماوات و استوى جبرئيل و استقام على صورته الاصلية أو النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) استقام و استقر .

علية لنيله فهذا هو النبي الاعظم الخاتم صلى الله عليه وآله ماغشيه ضلال و لا غواية و ما كان في وجوده ظلمات و لا جهالة ، بل كان ذا عصمة و قداسة و طهارة من أول النشأة و البداية ، فتعارج في معارج الكمال و محامد الصفات و عبادة بارئه و خالقه و حبيبه و مقصوده ، الى ان اراد الله تعالى ان يريه ملكوت السموات و الارض و من آياته الكبرى فاسرى به الى السماء ، ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنوا و اقتراباً من العلي الاعلى و عرج الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى و ما زاغ البصر اذ ابصر مالا يبصر و ما طغى ، لقد راى من آيات ربه الكبرى .

ص: 375

1- سورة الطور آيه 48.

2- سورة النجم ايه 1 - 7.

فهذه بداية امره على العصمة ، وذلك عروجه الى الله وقربه اليه .

الثالث ، قوله تعالى : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)(1).

هذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وآله كان مشمولاً لفضل الله ورحمته فضلاً عظيماً ورحمة كثيرة بحفظه عن كل ضلال ، فشمله هذا الفضل والرحمة بجميع ابعاد وجوده وشعاع نوره فصار نوراً لاظلمة فيه واستقامة لا أعوج عليه وقوياً في ذات الله . لا يغلب عليه بحيث لوهمت طائفة ان يضلّونه عن الصراط المستقيم ماقدروا عليه وما يضلون الا انفسهم وما يضرونه في رسالته واستقامته وتوحيده وعبوديته قولاً وعملاً وعلماً وسلوكاً ومعاشرة و معرفة و اوصافاً وسجية من شيء.

وليس ذلك الا لانه معتصم بعصمة الله و منور بنور الله ومعلق بعز الله ومعلم بعلم الله ومتصل بفضله ورحمته الخاصة وانزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً واى عظمة ما يصفه الله تعالى بالعظمة فهل يحتقر بعد هذا الفضل العظيم منه عليه قبال عوامل التحقير؟

الرابع قوله تعالى : (ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا اليك ثم لا تجدلك به علينا وكيلاً* الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيراً)(2)،

تدل هذه الآية على انه لو شاء الله ان يذهب بالذي أوحاه اليه لفعل ، ثم لا يجد به على الله وكيلاً ومعتمداً يعتمد في ذلك عليه لنلا ينقطع عنه وحي الله تعالى الا رحمة من ربه فهو مشمول لرحمة من ربه رحمة تكون معتمداً له في اتصاله بوحى الله فهذه الرحمة رفعت وقربته الى الله تعالى فصار عبداً صالحاً لوحى الله و متصلاً بنور الله وعلمه وحكمته وقد كان فضل الله عليه كبيراً فشمله فيما مضى من عمره الفضل الكبير من الله سبحانه بنحو لا- ينقطع عن الله ولا- ينفصل عنه في حال من الاحوال ولا ينقطع عنه الوحي لانه معتمد في نفسه ووجوده برحمة وفضل من الله يستوجب بهما هذا المقام .

ص: 376

1- سورة النساء ايه 113.

2- سورة الاسراء ايه 87.

الخامس قوله تعالى : (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(1).

ويشابه هذه الآية قوله تعالى : (هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)(2).

كما يشابهها أيضاً قوله تعالى : كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)(3).

فهذه الآية تدل على ان بعثة رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم اعظم نعمة حيث من الله بها على المؤمنين فهو(صلى الله عليه و آله و سلم)مع كونه من انفسهم ومن جنسهم كان تحفة الهية وهدية ربانية فيه كل شيء يحتاج اليه المؤمنون في هدايتهم وتركيتهم وتعلمهم الكتاب والحكمة وازالة كل ضلال مبين عنهم .

فهو صلى الله عليه وآله كان هادياً مهدياً وزكياً راشداً في جميع ابعاد وجوده منزهاً عن كل ضلالة و معصوماً عن الغواية عالماً حكيماً يعلم كتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء تكويناً وتشريعاً ، فبماله من تلك الاوصاف يقدر به على اداء رسالته وازالة الضلال عن امته وتهذيب ملته وتركية المؤمنين وارشاد المسلمين وتربية وتعليم العلماء والحكماء الراشدين ، فهو منبع الحكمة والعلم و مجمع الحكمة والعلم و مجمع الكمال والفضل و منبع البركات والخيرات فصار مهبط وحي الله ومجرى فيوضه ومسيل رحمته الى المؤمنين خاصة وعموم الناس بنحو عام بشكل آخر ، فكان أميناً عند الله في تلك المراحل ، حتى استودعه هذه الرسالة العظمى التي منّ الله بها على المؤمنين .

وتمتاز اية سورة الجمعة بأنه سبحانه جعل هذه البعثة من آياته ومن معرفات عظمتها فقال سبحانه (هو الذي بعث في الاميين رسولاً)(الآية) وكم في ذلك من

ص: 377

1- سورة آل عمران ايه 164.

2- سورة الجمعة ايه 3.

3- سورة البقرة ايه 151.

تعظيم لشخصية الرسول وتقخير بعثته ، فليس هذا مجرد بعثة انسان ، بل استنتج من خلق الانسان انتاجاً في أم القرى وقرى الاميين بحيث صار آية من آيات عظمة الله تعالى ، فلم يتأثر عن آثار جاهلية زمانه ومكانه ولم يمسه يد التربية البشرية ولم يتعلم ولم يتأدب من احد ولم يكن احد يؤدبه ويعلمه ، بل كان امياً ولكنه تحت عبودية الله مستتيراً من الاتصال باسماء الله مربيّاً بتربية الله الى ان صار رسول الله الى الناس جميعاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

السادس قوله تعالى : (يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)(1).

اصل الشهادة من الحضور لدى المشهود بالبصر معاينة أو مطلق الحس فيتحمّل الشاهد ما شاهده من المشهود ، فيقدر على اداء ما تحمله ، فيسمى شاهداً باعتبار الحاليتين حالة التحمّل وحالة اداء ما شاهده ويتوقف مرتبة الاداء على مرتبة التحمّل ، فلا يمكن اداء الشهادة من دون تحمّلها ، وقد دلت الآيات والروايات الكثيرة على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاهد بكلتا المرتبتين فمن الآيات الدالة على المرتبة الاولى قوله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)(2)، ومما تدل على المرتبة الثانية قوله تعالى : (ويوم نبعث في كلّ أمة شهيداً عليهم من انفسهم وجنابك شهيداً على هؤلاء)(3)، والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يؤدي شهادته يوم القيمة كما قال تعالى : (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً)(4)، وقال تعالى : (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً 41 يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثاً)(5)، وكما ان هذه الشهادة تكون لرسول الله صلى الله عليه وآله ، كذلك تكون لبعض خواص الأمة ، وهم الأئمة الطاهرون ، كما دلت عليه

ص: 378

1- سورة الاحزاب ايه 45 - 47.

2- سورة التوبة ايه 105.

3- سورة النحل ايه 89.

4- سورة الفرقان ايه 30.

5- سورة النساء ايه 42.

الآية السابقة من سورة التوبة على تفسير الروايات ، وقال تعالى أيضاً ، (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سَمَّاءُكم المسلمين من قبل ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس)(1)، فان قوله - ملة أبيكم - يدل على انهم من ولد ابراهيم لاعموم المسلمين ولو من غيرهم وكذلك اجتباكم يدل على خروج غيرهم ولا سيما من الظالمين والفساق الذين لا تقبل شهادتهم على ادنى شيء فهم المصطفون من الامة وهم الائمة صلوات الله عليهم وقال تعالى - (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)(2)، ويمكن ان يكون المراد بكونهم امة وسطاً ، ان المعنيين بها متوسط بين الناس وبين الرسول ، م شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليهم وقيل لها معانٍ آخر .

وقال سيدنا الاستاذ (قدس سره) في الميزان : - وفي المناقب في هذا المعنى عن الباقر عليه السلام ولا يكون شهداء على الناس الا الائمة والرسول واما الامة فغير جائز ان يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته على حزمة بقل وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم)الايه ، فان ظننت ان الله عنى جميع اهل القبلة من الموحدين ، افترى ، ان من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر ، يطلب الله شهادته يوم القيمة ، ويقبلها منه بحضرة جميع الامم الماضية ، كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه ، يعنى الامة التي وجبت لها دعوة ابراهيم ، كنتم خير امة اخرجت للناس وهم الامة الوسطى وهم خير امة اخرجت للناس(3)

فهؤلاء الشهداء من الرسول والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم قد اجتبههم الله من الناس فهم الصفوة من الناس وهم مسلمون لله حقا كما قال ابراهيم جدهم اذ قال له ربّه: «اسلم» قال: «اسلمت لربّ العالمين» وصاروا شهداء على الناس لحقائق

ص: 379

1- سورة الحج ايه 78.

2- سورة البقرة ايه 143.

3- الميزان ، ج 1 ، ص ، 335.

اعمالهم من ايمانهم وكفرهم وسعادتهم وشقاوتهم و ما يصدر من جوارحهم وقلوبهم وظاهرهم وباطنهم ففى الدنيا يشهدون و يحضرون و يرون و يتحملون و يوم القيمة يشهدون قيودون ما تحملوا و على الاعراف رجال يعرفون كلاً بسماهم.

هذه شهادتهم و قد جعلهم الله سبحانه شهداء، فهم كذلك يكونون شهداء حقاً، فلا يضلّون ولا يجهلون ولا يخفى عليهم من ذلك من شيء ولا ميزان عندهم الا الحق و الحقيقة دون اى هوى نفسانية او داع غير الله سبحانه و لا تغشاهم ظلمات الجهل و الغواية و الضلالة و الغفلة و السهو والنسيان، كما انهم لا يستر عنهم شيء من خفايا مرجحات اعمال الخير والشر من الناس ولا من جهلهم و عملهم و افعال قلوبهم و درجات ايمانهم او مراتب كفرهم و نفاقهم و شركهم.

فالرسول والائمة صلوات الله عليهم يكونون بالنسبة الى اعمال الناس على هذه السيطرة العلمية و الحضور والتحمّل بمقتضى كونهم شهداء على الناس.

فقد استهم وعلمهم وحضورهم وعصمتهم فوق القداسة والعصمة الشخصية بل تكون بنحو تعلقو وتشمل جميع الناس فهم انوار في انفسهم ولجميع الناس وتحت ظل اعمال الناس ظاهرها وباطنها واسرارها وخفاياها ليجزي الله كل نفس ما كسبت .

فهو صلى الله عليه وآله شاهد و مبشر ونذير وداعى الى الله باذنه وسراج منير وبالجملة ، هذه الشهادة حقيقة قرآنية اشارت اليها آيات كثيرة ولها شعب وفروع مذكورة في القرآن ينكشف منها جهات آخر كقوله تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون)(1)، فشفاعتهم متفرعة على شهادتهم بالحق وهم يعلمون فهم شهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء ، وكقوله تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاً بسماهم)(2)، الى غير ذلك من الآيات وفي تفسيرها روايات عن الحجج الطاهرة صلوات الله عليهم .

السابع قوله تعالى : (انّما يُريدُ الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم

ص: 380

1- سورة الزخرف ايه 86.

2- سورة الاعراف ايه 46.

حل وقد تواترت الروايات على نزولها في اصحاب الكساء وهم 1 - النبي 2 - علي 3 - فاطمة 4 - الحسن -5 - الحسين صلوات الله عليهم اجمعين ،

وقد تصدّى كثير من العلماء رضوان الله عليهم لجمع تلك الروايات من طريق الشيعة واهل السنة في كتبهم كصاحب العباة وغيره وقد عقد المحدث الخبير السيد هاشم البحراني (قدس سره) في كتابه غاية المرام الباب الاول من المقصد الثاني لذكر تلك الروايات عن طريق العامة ، وذكر فيه احد واربعين حديثاً في نزولها في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، وعقد الباب الثاني منه لذكر الروايات عن طريق الخاصة ، وذكر فيه أربعة وثلثين حديثاً عن طريقهم وانها نزلت في الخمسة الطاهرة صلوات الله عليهم وذكر السيوطي في الدر المنثور ايضاً روايات في ذلك وهكذا غيره . وقد أخذ شاذة من أهل الخلاف ممن في قلبه مرض في مخالفة ذلك ، محتجاً بانها في عداد آيات تخاطب ازواج النبي صلى الله عليه وآله ولا سيما ما يتصل بها من قوله تعالى : (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة * انما يريد الله ليذهب عنكم) (الاية) ، فالضمائر فيما قبلها ضمائر التأنيث متوجهة الى نساء النبي صلى الله عليه وآله ، فهذه قرينة على أنهن المراد في آية التطهير أيضاً وانها في شأنهن .

واجيب عن ذلك باجوبة كثيرة ، منها : اختلاف الضمائر فيما قبلها بالتأنيث وفيها بالجمع المذكور ، فهذا شاهد على ان هذه الاية ليست فيهن .

واجابوا عن هذا الجواب تارة بالنقض بقوله تعالى (قالوا اتعجبين من امر رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد)(2) ، واخرى بالحل بأنه أريد في ايه التطهير هنّ مع انضمام النبي صلى الله عليه وآله وجبيء بالضمائر تذكيراً تغليبا وتشريفاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا ولكن الاشكال باطل من اصله ، اما أولاً : فمن جهة الروايات المتظافره من

الفريقين التي تبلغ التواتر ، وأكثر ، على نزولها في اصحاب الكساء حتى صار عنوان أهل الكساء والعباء من العناوين المعروفة المشهورة في أدبيات المسلمين ثراً وشعراً من تلك الزمان الى زماننا هذا ، وسنذكر بعض الروايات تيمناً انشاء الله تعالى - وقد قال الله سبحانه : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)(1)، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله - من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .

وثانياً : لاتناسب نزولها في شأن ازواج النبي صلى الله عليه وآله وبيان طهارتهن بعد مانص في سورة التحريم باشيء كثيرة مردية مخزية في شأن بعض الأزواج صريحاً وفيها تلويحات تارة وتصريحات أخرى الى غاية الانحطاط في اثنتين منهن حتى قال سبحانه : (ضرب الله للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين)(2)، وقال سبحانه في اوائلها : (واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثاً فلما تبأت به واظهره الله عليه عرّف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير 3 ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)(3)، فاذا كان في ازواج النبي صلى الله عليه وآله امثال هاتين فكيف يمكن القول بنزول آية التطهير فيهنّ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (الاحزاب 4) ، وقال سبحانه : وبالحق انزلناه وبالحق نزل(4)، فتدبر في آيات سورة التحريم ، ثم في آية التطهير حق التدبر ثم أنظر في أنه هل يمكن الجمع بينهما فيهن - وقد قال سبحانه (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)(5)، وقد مضى شطر من الكلام في توضيح آية التطهير فراجع ص 316 الى ص 323 ودر 284

ص: 382

- 1- سورة النحل ايه 44.
- 2- سورة التحريم ايه 10.
- 3- سورة التحريم ايه 4.
- 4- سورة الاسراء ايه 105.
- 5- سورة النساء ايه 82.

هذا وقد روى الفريقان احاديث كثيرة في نزول آية التطهير في الخمسة الطاهرة من أصحاب الكساء وهم النبي و علي وفاطمة والحسن و الحسين صلوات الله عليهم ، وقد مرّ ذكر بعضها فراجع ص .

الثامن ، قوله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً 26 الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً 27 ليعلم ان قد ابلاغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً 28)(1).

هذه الايات تدل على عصمة رسل الله جميعاً ولا سيما اعظمهم واشرف فهم وخاتمهم بل واوصيائه الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ، حيث انهم جميعاً منصوبون من قبل الله تعالى لإبلاغ رسالات ربهم الى الناس فاذا كانوا منصوبين من قبل الله تعالى فهم مؤيدون بالعصمة ليعلم ان قد ابلاغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً فهم معصومون في جميع مراتب الرسالة وحالاتهم المرتبطة بها من مرتبة تلقي الوحي و اداء الرسالة وفعالهم و اخلاقهم واقوالهم ، بل وجميع ابعاد وجودهم حيث انهم مستمسك الامة لاخذ رسالات الله عنهم، فهم متصلون بعلم الله وغيبه والمرتضون لذلك وامناء سر الله وغيبه وأنهم كان خلف رسالاتهم وبين يديها متصلين بالله تعالى رصداً ليعلم ان قد ابلاغوا رسالات ربهم وانه تعالى احاط بما لديهم واحصى كل شيء مرتبط بذلك فلا يعزب عنه ولا يفوته شيء من ذلك ، فهم المصطفون المرتضون لتلك فلا يمكن في شأنهم جهل ولاغواية ولاضلالة ولازلة ولاسهو و الرسالة والله معهم لانسيان فضلاً عن التمرد والعصيان والطغيان .

وقد احببت هنا أيراد ما ذكره سيدنا واستاذنا العلامة الطباطبائي (قدس الله روحه الطاهرة) مختصراً - قال في تفسير الميزان :

قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً) أظهر الشياء اعانته وتسليطه عليه ، وعالم الغيب خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هو عالم الغيب ومفاد الكلمة باعانة من السياق اختصاص علم الغيب به تعالى مع استيعاب علمه بكل شيء (الى ان

ص: 383

قال) والمعنى هو عالم كل غيب علماً يختص به فلا يطلع على الغيب وهو مختص به احدى من الناس فالمفاد سلب كلى (الى ان قال) قوله تعالى (الا من ارتضى من رسول) استثناء من قوله احدى ، ومن رسول بيان لقوله من ارتضى ، فيفيد ان الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من الغيب المختص به ، فالايه اذ انضمت الى الايات التي تخص علم الغيب به تعالى . كقوله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو)(1) و... ، افاد ذلك معنى الاصاله والتبعية فهو تعالى يعلم الغيب لذاته وغيره يعلمه بتعليم من الله (الى ان قال) قوله تعالى - (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رسداً) الى قوله عدداً - ضمير فانه لله تعالى وضمير يديه وخلفه للرسول، والراصد المراقب للامر الحارس له والراصد المراقب يطلق على الواحد والجماعة وهو في الاصل مصدر والمراد بما بين يدي الرسول ما بينه وبين الناس المرسل اليهم وبما خلفه ما بينه وبين مصدر الوحي الذي هو الله سبحانه، وقد أعتبر في هذا التصوير ما يوهمه معنى الرسالة من امتداد متوهم يأخذ من المرسل ، اسم فاعل وينتهي الى المرسل اليه يقطع الرسول حتى ينتهي الى المرسل اليه ، فيؤدّي رسالته ، والآية تصف طريق بلوغ الغيب الى الرسول وهو الرسائل التي توحى اليه كما يشير الى ذلك قوله تعالى ليعلم ان قد ابغوا رسالات ربهم . والمعنى فان الله يسلك ما بين الرسول ومن أرسل اليه ، وما بين الرسول ومصدر الوحي ، مراقبين حارسين من الملكة - ومن المعلوم ان سلوك الرصد من بين يديه ومن خلفه لحفظ الوحي من كلّ تخليط وتغيير بالزيادة والنقصان يقع فيه من ناحية الشياطين بلا واسطه أو معها . وقوله - ليعلم ان قد ابغوا رسالات ربهم ، ضمير ليعلم الله سبحانه و ضمير قد ابغوا ورتهم لقوله «من» باعتبار المعنى أو الرسول باعتبار الجنس ، والمراد بعلمه تعالى بابلاغ رسالات ربهم العلم الفعلي وهو تحقق الابلاغ في الخارج على حد قوله (فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)(2)

(الى ان قال) فقد تبين مما مر في الايات الثلاث .

ص: 384

1- سورة الانعام ايه 59.

2- سورة العنكبوت ايه 3.

أولاً: أنّ اختصاصه تعالى بعلم الغيب على نحو الاصالة بالمعنى الذي اوضحناه فهو تعالى يعلم الغيب بذاته وغيره يعلمه بتعليم منه.

صلحيات ما به قبله (الى ان قال) وثانياً: ان عموم قوله (فلا يُظهِرُ على غيبه أحداً) لما خصص بقوله - الا من ارتضى من رسول - عاد عاماً مخصصاً لا يأبى تخصيصاً بمخصص آخر كما في مورد الانبياء ، فان الآيات القرآنية تدل على انهم يوحى اليهم كقوله (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده)(1) وتدلّ على ان الوحي من الغيب ، فالنبي ينال من الغيب كما يناله الرسول - هذا على تقدير ان يكون المراد بالرسول في الآية ما يقابل النبي ، واما لو أريد مطلق من أرسله الله الى الناس والنبي ممن أرسله الله اليهم كما يشهد به قوله (و ما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)(2)، قوله (وما ارسلنا في قرية من نبي)(3) فالنبي خارج من عموم النفي من غير تخصيص جديد

وكذا في مورد الامام بالمعنى الذي يستعمله فيه القرآن ، فانه تعالى يصفه بالصبر واليقين كما في قوله (وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)(4) ويعرفهم بانكشاف الغطاء لهم كما في قوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)(5) وقوله (كلاً لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم)(6)، وقد تقدم كلام في ذلك في بعض المباحث السابقة .

(الى ان قال) وثالثاً: ان قوله (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) الى آخر الآيتين يدل على ان الوحي الالهي محفوظ من لدن صدوره من مصدر الوحي الى حين بلوغه الناس - مصون في طريق نزوله الى ان يصل الى من قصد نزوله اليه . مسماته اما مصونيته من حين صدوره من مصدره الى ان ينتهي الى الرسول فيكفي في

الدلالة عليه قوله (من خلفه) واما مصونيته حين أخذ الرسول اياه وتلقيه الوحي بحيث يعرفه ولا يغلط في اخذه ومصونيته في حفظه بحيث يعيه كما أوحى اليه من

ص: 385

- 1- سورة النساء ايه 163.
- 2- سورة الحج آيه 52.
- 3- سورة الاعراف ايه 94.
- 4- سورة الم السجدة 24.
- 5- سورة الانعام ايه 75.
- 6- سورة التكاثر ايه 6.

غير ان ينسأه أو يغيره أو يبدله ومصونيته في تبليغه الى الناس من غير تصرف الشيطان فيه ، فالدليل عليه قوله (ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم) اي ان يتحقق في الخارج ابلاغ الوحي الى الناس ولازمه بلوغه اياهم ، ولولا مصونية الرسول في الجهات الثلاث المذكوره جمعياً لم يتم الغرض الالهي وهو ظاهر - وحيث لم يذكر تعالى للحصول على هذا الغرض طريقاً غير سلوك الرصد - دل ذلك على ان الوحي محروس بالملئكة وهو عند الرسول كما انه محروس بهم في طريقه الى الرسول حتى ينتهي اليه ويؤكدده قوله بعد (واحاط بما لديهم).

واما مصونية في مسيره من الرسول حتى ينتهي الى الناس فيكفي فيه قوله (من بين يديه) على ما تقدم من معناه .

اضف الى ذلك دلالة قوله (ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم) بما تقدم من تقريب دلالته.

وتيفرغ على هذا البيان ، ان الرسول مؤيد بالعصمة في اخذ الوحي من ربه وفي حفظه وفي تبليغه الى الناس - مصون من الخطاء في الجهات الثلاث جمعياً ، لما مرّ من دلالة الآية على ان ما نزله الله من دينه على الناس من طريق الرسالة بالوحي ، مصون في جميع مراحلها الى ان ينتهي الى الناس - ومن مراحلها مرحلة اخذ الرسول للوحي وحفظه له وتبليغه الى الناس .

والتبليغ ، يعمّ القول والفعل فان في الفعل تبليغاً كما في القول فالرسول معصوم من المعصية باقتراف المحرمات وترك الواجبات الدينية ، لان في ذلك تبليغاً لما يناقض الدين ، فهو معصوم من فعل المعصية كما أنه معصوم من الخطاء في أخذ الوحي وحفظه وتبليغه قولاً. (1)

التاسع : قوله تعالى (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم)(2) هذه الاية الكريمة : تثبت للنبي صلى الله عليه وآله الولاية على المؤمنين وولاية اكمل واتم وفوق ولاية

ص: 386

1- الميزان ج 20 ص 129 الى ص 132 مع اختصار من دون تغيير للعبارات .

2- سورة الاحزاب ايه 6.

المؤمنين على انفسهم - وظهرها هي الولاية التشريعية والا فلا تختص بالمؤمنين ، فالمؤمن مع ما عليه من الايمان وسيره في طريق القرآن يكون للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عليه ولاية من قبل الله سبحانه الذي يريد هدايته وتركيبته وترفيعه ، فقد فوض الله تعالى امر شريعته ودينه وتطبيق احكامه في المؤمنين بيد النبي صلى الله عليه وآله على الاطلاق ، وهي ولاية انسان كامل لايشذ عن كماله الذي اراد الله من تكميل الانسان شيء على كافة المؤمنين في سبيل الدين الاسلامي الشامل لجميع نواحي السعادة البشرية وابعادها ،

فمعناها كون منشأ الولاية وهو النفس القدسية النبوية اتم مظهر لارادة الله تعالى في تشريعه الاسلام واحسن مجرى لوعي الله لدينه وانواره القرآنية وادابه ومكارمه ومحامده ، فنفسه الشريفة اقدس نفس واطهر شخصية انسانية على ما اراد الله من الطهارة والقداسة والتحلي بمحاسن الكرامة فهو صلى الله عليه وآله امين الله بتمام ابعاد وجوده علماً وعملاً واخلاقاً وسيرةً ومعتصم بعصمة الله بحيث لا يتخلف عن شرعه ودينه ومنهاجه شيء من ابعاد وجوده فلذا صار من عنده تعالى ولي الله على المؤمنين واولى من انفسهم .

العاشر : قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون 55 ومن يتولّى الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون)(1).

وقد استفاد سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي اعلى الله درجته في تفسير الميزان من هذه الآية الكريمة الولاية التكوينية والتشريعية وان شئت سميتها بالولاية الحقيقية والتشريعية حيث انها ولاية واحدة اضيفت الى الله ورسوله والذين آمنوا - وقد ذكر الله سبحانه الولاية التكوينية كقوله تعالى : (ام اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي)(2) وقوله تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع)(3) وقوله تعالى : (انت ولي في الدنيا والآخرة) وغير ذلك ، وكذا ذكر سبحانه الولاية لنفسه فيما يرجع الى التشريع في

ص: 387

1- سورة المائدة ايه 56.

2- سورة الشورى ايه 9.

3- سورة السجدة ايه 4.

الدين كقوله تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور)(1) وغير ذلك ولو كانت الولاية مغايرة لما له سبحانه مما فيهما لم يطلق بلفظ واحد ولذا ذكر فيهما منفردا عنه سبحانه فالولاية للجميع تكون تكويناً وتشريعاً بنحو واحد .

هذا ، وقد ناقشنا فيه على حاشيته ، بان ذلك خلاف ظاهر الآيات ، اما اولاً : فمن جهة قوله تعالى : (ومن يتولى الله)(الى آخره) والتولي هو قبول الولاية وذلك يناسب الولاية بمعنى الحكومة لا الولاية التكوينية فانها نافذة في الجميع لا عن قبولهم واختيارهم . وثانياً : جعلهم سبحانه بقبولهم هذه الولاية من حزب الله والحزب هو الجماعة المرتبطة على مذهب تحت لواء واحد لاحياء مذهبهم ، وهذا أيضاً يناسب الولاية بمعنى الحكومة لا الولاية التكوينية .

وثالثاً : وعدهم بالغبلة لحزبهم لمن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ، وهذا أيضاً يناسب الولاية بمعنى الحكومة ، واما الولاية التكوينية فلها الغلبة على كل شيء فانها من سلطان الله الذي لا يمتنع منه شيء في السموات والارض فهذه الجملة تكون قرينة على ارادة الولاية بمعنى الحكومه . ورابعاً : توصيف من له الولاية في الذين آمنوا - به - الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون ، أيضاً يناسب الولاية بمعنى الحكومة، فالحكومة المفوضة من الله الى رسوله المنتجب المصطفى انما تقوض بعده الى الذين آمنوا - من غير تقييد في متعلقه ليشمل جميع الابعاد المتناسبة في المؤمن وفيما آمن به - الذين يقيمون الصلوة - عماداً للدين - وفي غاية ركوعه وخضوعه الله سبحانه لا- يغفل عن ايتاء الزكاة لمن يستحقها ، فهذا المتصل بالخالق والحنين على خلقه في غاية عروجه الى الله تعالى يكون ولي الله سبحانه ، وبالجملة فالظاهر من الآية الكريمة اثبات الولاية بمعنى الحكومة والرياسة الاسلامية في الدين و الدنيا من قبل الله سبحانه - وهذه الولاية هي التي دلت عليها الروايات المتواترة من الفريقين بالنسبة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه حينما تصدق بخاتمته حال ركوع صلوته في المسجد للسائل الفقير ، وفي سورة المائدة آيات كثيرة

ص: 388

تنظر الى جوانب شتى من هذه الحكومة والولاية ، فتارة في انتصاب الخليفة بعد الرسول في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين)(1)، فنصب رسول الله صلى عليه وآله علي بن ابي طالب عليه السلام بغدير خم عند رجوعه عن حجة الوداع بالخلافة والامارة والامامة على الامة - كما عليه روايات الفريقين متواترة - واخرى : في اتباعه وشيعته ممن قبلوا ولايته قوله تعالى - (ومن يتول الله ورسوله و الذين آمنوا فانّ حزب الله هم الغالبون)(2)، واخرى : تحذيرا على من لم يقبل هذه الولاية أو قبلها ثم أرتد عنها فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذّلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)(3)، وقد روى في غاية المرام للبحريني(قدس سره)في ذلك حديثين عن أهل التسنن وثلاثة احاديث عن الشيعة فراجع ص 374 . واخرى فيمن يتميل الى ولاية اليهود والنصارى وحكوماتهم فيحذرهم ويخوفهم عواقب ذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين)(4)الى غير ذلك من جوانب هذه الولاية والحكومة مما يظهر لمن انصف بعد ما تدبر ، في سورة المائدة من اولها الى اخرها، ثم بانتصاب علي عليه الصلاة والسلام صاحب هذه الولاية يكمل الدين في اصوله واحكامه التشريعية والتنفيذية فتتزل من الله سبحانه قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)(5)، وقد روى صاحب غاية المرام(قدس سره)عن طريق أهل

ص: 389

- 1- سورة المائدة ايه 67.
- 2- سورة المائدة ايه 56.
- 3- سورة المائدة ايه 54.
- 4- سورة المائدة ايه 52.
- 5- سورة المائدة ايه 3.

تفسير سورة عبس السنة في ذلك ستة أحاديث وعن طريق الشيعة خمسة عشر حديثاً وانها نزلت بغدير خم بعد نصب رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالولاية والحكومة والخلافة ، فمقتضاها ان اكمال الدين وتمام النعمة انما هو بولاية علي صلوات الله عليه ، وفي بعض ما رواه أهل السنة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولها قال : (الله اكبر على اكمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب برسالتى والولاية لعلي من بعدى) ثم قال (مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله(1)).

وبالجملة ، فهاتان الايتان بما فيهما من القرائن كما اشرنا الى بعضها وبماهما محفوفتان بايات آخر في هذا الموضوع على ما اومانا الى بعضها وبما وردت من الروايات فيهما وفي غيرهما مما هو على حول الولاية كما اشرنا الى بعضها تدل على ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام مترتبة على ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي مترتبة على ولاية الله سبحانه.

وكما ان هذه الولاية ترتبت على ولاية الله سبحانه على عباده في هذه الآية في اصل تشريعها كذلك تدل الآية الكريمة على نزاهتها و قداستها عن كل دنس ونقص وقذارة وظلم وطغيان في جميع مراتبها المترتبة ففي الله سبحانه حكومة عدل من عادل حكيم عليم رحيم و دود كريم قدوس سبح من كل نقص وعيب على عباده و خلقه ، لرعايتهم و حياتهم و تعليمهم و اقامة العدل فيهم و حفظهم عن الظلم والطغيان على عيش رغيد ، وفي رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً حيث انه رسوله وعبده المأمون على طاعته في هذه الولاية فهو معصوم عن كل زلّة في اجراء هذه الولاية وبعده علي بن أبي طالب عليه السلام المنصوب من قبله لم تكن له هذه الولاية الا بعد عصمته وطهارته وامانته ، في اجراء ما تقتضيه هذه الحكومة الالهية وكونه اميناً عند الله وعند رسوله في هذه المنزلة العظمى والخلافة الكبرى.

وبالجملة فهذه حكومة عدل حكيم متين من الله سبحانه على اساس اسمائه

ص: 390

1- غاية المرام ص 337.

الحسنى وصفاته العليا تنزل منه سبحانه الى اصفياه من رسوله المجتبي المصطفى ، ثم الى وليه المرتضى وخلفائه المعصومين الطاهرين
الطيبين عن كل رجس ودنس .

وفالاية الكريمة جعلت هذه الولاية في سلسلة يعرف فرعها من اصلها كما وكيفاً وواصفاً في نفس الولاية ومن له الولاية فلا يتعدى مما في
اصلها الى مالا يناسبه والله سبحانه غالب على امره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ص: 391

هذا وقد طال الكلام في تحقيق معنى العصمة وعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام ولكن نأت بشيء يليق بهذا المقام فيستدعى البسط فيه أكثر من ذلك بالاستمداد من القرآن الحكيم وروايات المعصومين عليهم السلام والتحقيق في شرحها وتفسيرها واستعلام المعنى منها ، ومع ذلك قد استبان مما نقلناه من كلمات الاعاظم وما ذكرنا حولها وما عقبتها مما استفدناه من الآيات والروايات وما في تفسيرها جوانب كثيرة من هذه اللعة الألهيه .

الخاتمة لبحث العصمة وموجز القول فيها

إشارة

وفي خاتمة هذا المبحث يمكن ان نفسرها بقول موجز

بان يقال ان العصمة بعد طهارة الذات والاعراق ، والامداد الرباني الالهي ، والزلفى والقرب إلى الله والاستمداد منه تعالى ، نوع من الدرك الحقيقي للأشياء كلها (على عموم - معنى الكلمة) على ما هي عليها من الحقيقة والربط بينها وما يستتوجه من التكليف في قبالتها فالمعصوم عارف -1- بالله سبحانه وتعالى بحيث يراه في كل شيء و - كل حادثة وفي روابط جميع العلل والاسباب الظاهرية وكيفية الارتباط وكميته ولا يجهله في شيء وله وجدان وشعور حتى في صحنه هذا العرفان بنحو يعرف ما ، يفعل له في قبال إرادته وعظمته و ما أراد منه أو يغضب عنه ويغضه -2- و بمصيره و ما إليه المصير وما يحتاج في المصير إليه و ما يرقيه و ما يوجب الانحطاط -3- و بالصفات الحسنة والملكات الحميدة ، و ما يضادها من الرذائل و ما ينشأ منهما من الأعمال الصالحة أو القبيحة ، ويرى مواضع كل مخلوق وكل إنسان شخصي أو صنفى أو نوعي في حقوقه الشخصي أو الصنفى أو النوعي في كتلة عالم الوجود وقافلته.

وبالجمله العلم قديكون من نوع العلوم الاكتسابية التصويرية وقديكون من نوع العلوم الحضورية بحيث يكون المعلوم حاضرا لدى المدرك العالم وقديكون من نوع الوقوف الحقيقي على المعلوم بحيث يُشرب في النفس ولا يمكن إنفكاكه وزواله عن النفس.

كما ان الصفات الحسنة والأعمال الصالحة قد تكون لغايات احتياجية مادية أو

معنوية يتحرك النفس لاجتذاب تلك الغاية لتأمين احتياجاتها وقد يكون لعلق النفس وعلاقتها بالكمال طبعاً و ذاتاً بعد استغناء النفس عن كل ما ، يرغب إليه سائر النفوس وهذه من شئون المعصومين عليهم السلام .

انما ايما فالمعصوم بمقتضى طهارة ذاته وعروقه اولاً و الامداد له من الله وقربه لديه ثانياً وفنائه في عبادة الله وطاعته و حبه وكمال شوقه اليه و تضرعه و خشوعه له ثالثاً ورؤيته الخاصة و دركه ملكوت السموات والأرض و سلطان الله في جميع الأشياء و حقايق الأشياء في نفسها و في جنب قدرة الله و تصرفه و نفوذ أمره ونهيه فيها رابعاً و بحقيقة الحسنات و السيئات و آثار الطاعات والمعاصي و بمصيره وكلّ شيء إلى الله و ما يناسبه من الزاد والراحلة و ما يوجب الكمال و النقص خامساً و بما يرتبط بينه و بين الناس و سائر المخلوقات و ما يحبّ الله تعالى في ذلك و ما يبغضه سادساً إلى غير ذلك من الاحساسات الخفية اللطيفة الفطرية السليمة - فبعد ذلك كله لا يعصى الله سبحانه و لا يخالفه فيما أراد أو ابغض لاعمداً ولا جهلاً ولا نسياناً و سهواً ، لا قبل السفارة و الامامة و الولاية ولا بعدها ، لا قبل ورود الأمر والنهي ولا بعده ، لا قبل التكليف و لابعده فهو مشمول لفضل الله ورحمته في جميع حالاته و لو لا فضل الله ورحمته بمقتضى قربه و طهارته و عبادته و طاعته و اتقياده لغلب عليه العوامل المردية المخزية .

فسبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين و الحمد لله ربّ العالمين ربّ الملائكة و الأنبياء و المرسلين و ربّ الأئمة الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

التحقيق في بيان نظم آيات السورة و أهدافها

أكثر المفسرين لم يذكروا لتنسيق آيات هذه السورة و نظمها بياناً و تفسيراً يشفى العليل و ما يروى الغليل و يعرف المنشود و يأتي على تفسير الآيات من أولها إلى آخر السورة على بيان منسجم يستدل ببعضها على بعض آخر و يرتبط الآيات بعضها ببعض على حسب بلاغة القرآن الحكيم ، رغم انها سورة واحدة نزلت في واقعة واحدة و علاج هذه الحادثة على ضوء يستظل تحتها البيئة الاسلامية على مدى الدهر في أمن و سلام و

طمأنينة وسكينة عن تكرارها .

فالمفسرون من الشيعة (على ما مضت رواياتهم وآرائهم في تفسيرها) حيث ذهبوا إلى ان العابس هو رجل من بنى امية أو خصوص عثمان بن عفان طبقوا أوائل آيات السورة أكثر إلى قوله تعالى : (كلاً إنَّها تذكرة) وحتى ان بعضهم اقتصر على ما قبل ذلك (كما مر) واما ما بعد قوله تعالى (كلاً) فلم يفسروه بنحو متناسق يليق ببلاغة القرآن الحكيم بل ذكروا ترجمة لمفرداتها وبعض الاهداف الخاصة لكل جملة منها

كلام العلامة الاستاذ الطباطبائي في ذلك

قال سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي قدس الله روحه الطاهرة ما لفظه :

فغرض السورة عتاب من يقدم الاغنياء والمترفين على الضعفاء والمساكين من المؤمنين فيرفع اهل الدنيا و يضع اهل الآخرة ثم ينجر الكلام إلى الاشارة إلى هوان امر الانسان في خلقه وتناهيه في الحاجة إلى تدبير امره ، وكفره مع ذلك بنعم ربه و تدبيره العظيم لأمره و تتخلص إلى ذكر بعثه و جزائه إنذاراً و السورة مكية .(1)

المحقق الفيض القاساني قده و فراسته في ذلك

نعم ذكر المحدث المفسر المحقق الجامع الفيض القاساني قدس سره في تفسيره الصافي ما يدل على تنبئه لانتظام آيات السورة على نسق واحد و أهداف متناسبة و لكنه لم يفصل شرحه بل أو كله إلى تأمل المتأمل على ما هودأ به في هذا الكتاب من الايجاز و الاختصار فقال ما لفظه .

و اماما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبي صلى الله عليه و آله دون عثمان فياباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه ، وكذا ما ذكر بعدها إلى اخر السورة كما لا يخفى على العارف باساليب الكلام و يشبه ان يكون من مختلقات اهل النفاق خذلهم

ص : 394

فيعرف منه انه يرى أن السورة إلى اخرها في امر واحد ونسق واحد ويرشد بعض آياتها إلى حقيقة بعضها الآخر بحيث يدل كلُّها جميعاً على ان العابس المعاتب هو غير النبي ص وانه عثمان بن عفان كما صرح به في اول السورة أو رجل من بني امية كما ذكره غيره .

و اما المفسرون من العامة من أهل التسنن فاكثرهم حتى ادعى بعضهم اجماعهم تبعاً للروايات المروية في كتبهم ذهبوا إلى ان المراد من العابس هو النبي صلى الله عليه وآله و الاعمى هو ابن ام مكتوم وقد مضى نقد كلماتهم رواية و تفسيراً و ما فيها .

بيان نظم السورة من السيد القطب المصري الية الية في تفسيره (في ظلال ...)

و أما تنسيق الآيات من السورة ونظمها و روابطها فقد ذكر السيد القطب المصري من محققى المعاصرين منهم ما لفظه :

هذه السورة قويّة المقاطع ضخمة الحقايق عميقة اللمسات فريدة الصور و الظلال و الايحاءات موجية الايقاعات الشعورية و الموسيقية على السواء .

يتولّى المقطع الاول منها علاج حادث معين من حوادث السيرة : كان النبي صلى الله عليه و سلّم مشغولاً بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الاسلام حينما جائه ابن ام مكتوم الرجل الأعمى الفقير وهو لا يعلم انه مشغول بأمر القوم - يطلب منه ان يعلمه ممّا علّمه الله فكره رسول الله صلى الله عليه و سلّم هذا و عبس وجهه و اعرض فنزل القرآن بصدر هذه السورة يعاتب الرسول صلى الله عليه و سلّم عتاباً شديداً و يقرر القيم في حياة الجماعة المسلمة في اسلوب قوي حاسم، كما يقرّر حقيقة هذه الدعوة و طبيعتها : (عبس و تولى ان جاءه الأعمى ، و ما يدرك لعلّه يزكّي ، أو يذكر فتتفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فانت له تصدّي ، و ما عليك إلا يزكّي ، و اما من جاءك

ص: 395

يسعى و هو يخشى ، فأنت عنه تلهي - كلاً إنَّها تذكرة ، فمن شاء ذكره، في صحف مكرّمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة كرام بررة).

ويعالج المقطع الثاني جحود الانسان وكفره الفاحش لربه ، وهو يذكره بمصدر وجوده ، واصل نشأته ، و تيسير حياته ، و تولى ربه له في موته ونشره ، ثمّ تصديره بعد ذلك في أمره :

(قتل الانسان، ما أكفره من اي شيء خلقه : من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ، ثم اماته فاقيه ثم اذا شاء انشره ، كلاً : لَمَّا يقض ما امره).

والمقطع الثالث يعالج توجيه القلب البشري إلى أمس الأشياء به و هو طعامه و طعام حيوانه ، و ما وراء ذلك الطعام من تدبير الله وتقديره له كتدبيره و تقديره في نشأته :

(فلينظر الإنسان إلى طعامه ، انا صببنا الماء صباً، ثم شققنا الأرض شقاً، فأنبتنا فيها حبّاً، و عنباً و قصباً، و زيتوناً و نخلاً، - و حدائق غلباً، و فاكهةً و أباً، متاعاً لكم ولأنعامكم...).

فأما المقطع الأخير فيتولّى عرض (الصاخّة) يوم تجبيء بهولها الذي يتجلّى في لفظها ، كما تتجلّى آثارها في القلب البشري الذي يذهل عمّا عداها ، و في الوجوه التي تحدّث عمّا دهاها :

(فإذا جاءت الصاخّة، يوم يفرّ المرء من أخيه ، و أمه و أبيه ، و صاحبتة و بنيه لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، و جوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، و جوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها فترة اولئك هم الكفرة الفجرة...).

انّ استعراض مقاطع السورة وآياتها - على هذا النحو السريع يسكب في الحش ايقاعات شديدة التأثير ، فهي من القوة و العمق بحيث تفعل فعلها في القلب بمجرد لمسها له بذاتها و سنحاول ان نكشف عن جوانب من الآماد البعيدة التي تشير إليها بعض مقاطعها مما لا تدركه النظرة الاولى.(1)

ص: 396

عليهم إنا لا نتكلم على هذا المصنف المحترم فيما كان يذكر في أول كتابه من انه خلاصة تحقيقاته فيما عاش زمناً من عمره (في ظلال القرآن) مع انه هنا صار تحت (ظلال الروايات الضعيفة المختلقة) و اخرج نفسه عن (ظلال القرآن) حيث ان ما نسب إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من رجوع الضمائر إليه في أول السورة مما لم يدل عليه ظاهر آيات هذه السورة ولا يؤيده سائر الآيات بل يخالفه و يضاده و انما جد و اجتهد نفسه و ابلغ في نسج كلامه بمجرد دلالة تلك الروايات الضعيفة المخالفة لسياق آيات السورة وسائر الآيات المنزلة في شأنه صلى الله عليه وآله .

ولا اريد ، هنا ، أن اتعرض لما ابتلى به من التناقض والتضاد في توجيه هذه النسبة السخيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيؤكد القول أولاً ان الحقيقة التي استهدف توجيهها إلى الأمة الإسلامية ان يعيش الناس في الأرض بقيم و موازين سماوية مطلقة عن القيم الأرضية من كثرة المال و النسب والعشيرة وغيرها مما يوجب ارجحية بعضهم على بعض بل جاء الاسلام ليقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - و يرفض سائر ما عند الناس مما يوازنون به الشرف و العظمة.

ثم يقول - و يجيء الرجل الأعمى الفقير ابن ام مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو مشغول بأمر نفر من سادة قريش - عتبة و و الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام و يرجو إسلامهم خيراً للإسلام في عسرته و شدته التي كان فيها بمكة، وهؤلاء النفر يقفون في طريقه بمالهم و جاههم وقوتهم و يصدون الناس و يكيدون له كيداً شديداً ، حتى ليحمدونه في مكة تحميداً ظاهراً. (1)

فلم يكن هنا موازنة القيم السماوية من ان (أكرمكم عند الله أتقاكم) مع القيم الارضية من المال والجاه والعظمة في العشيرة و ترجيح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله القيم الارضية على السماوية ليعاتب في التنزيل بل كان صلى الله عليه وآله في طريق ما

امره الله ان يدعو إلى الإسلام وسبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن إلى إرشادهم وتسليمهم للحق وان يرفع الموانع عن سبيل نشر الإسلام وإخراجه عن محاصرة مكائد الكافرين والمعاندين والظالمين فكيف يصح العتاب من الله الحكيم لنيبه الحبيب المفدى نفسه لرضا ربه حتى قال سبحانه - طه - (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)- فهل من الانصاف ان يواجه إليه تلك المعاتبات الشديدة - مع انها بلا دليل بل مخالف للدلالة الصحيحة كما مر بيانه في أوائل الكتاب .

كما أنى هنا لست في مقام ان احاول الملامة عازلاً على ما حظّ من شأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من نسبته إلى ما يشتمن من النسبة إليه اوساط الناس من ترفيع الغني لغناه وخفض الفقير الأعمى وكسر قلبه لفقره و عماه ، مع ان الله اصطفاه واختاره من جميع الناس من جهة وفور مكارمه وعلوّ محامده ، والله أعلم حيث يجعل رسالته بل ، هو خاتم الأنبياء وأشرف السفراء الذين اختارهم لدينه و اصطفاهم لأمر رسالته ، فقد تكلمنا في ذلك شيئاً يسيراً فلا نعيد بحثه .

بل الغرض من ذكر كلامه انه كغيره لم يتدبّر في كشف روابط الآيات الشريفة ونظمها وكيفية تنسيقها و بيان أهدافها ، مع انها سورة واحدة انزلت في واقعة واحدة لغرض العلاج لها و ما يحومها وبالجملة فما ذكره صاحب (في ظلال القرآن) لم يستخرج من صميم السورة و لم يكن مستمداً له من القران المعتبرة من سائر الآيات و

لا متمسكاً له من الروايات الصحيحة عمّن يجوز الإستناد إليه في فهم القرآن و تبينه نعم قد لعبت أيادى الوضاعين في حكومة الامويين ، بجعل أساطير ، سموها باسم الأحاديث ، ثم دوّنها أصحاب كتب الحديث و اودعوها فيها ، إلى ان وصل النياً فأبهم الموضوع و أظلم الطريق حتى على عالم محقق مثل صاحب (في ظلال القرآن) فلا تثريب عليه .

لامقاطع فيها متقاطعة بل لها موضوع واحد له فصول

وكيف ما كان فما قسم صاحب (في ظلال القرآن) هذه السورة إلى مقاطع أربعة متقاطعة منفصلة وكلّ مقطع في موضوع لهدف غير ما يرشد إليه المقطع الآخر ، وان

لم يصرح به غيره، لكنه مفاد كلامهم في تفسيره ، فاكثر المفسرون لم يلاحظوا روابط مطالب الآيات و لم يراجعوا التلويحات والإرشادات الواقعة في المآثورات من أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم الذين هم أهل بيت الوحي والعصمة و هم أدرى بما في البيت .

فهذه السورة قداودع الله سبحانه و تعالى فيها قرائن جلية يرشد بعضها إلى بعض بحيث لو تدبرنا فيها كما امر الله سبحانه (أفلا يتدبرون القرآن) لانكشف الحق وتزاح الظلام عن وجه الحقيقة لدى عيين ، ثم في ظلال بعض الآيات روايات عن العترة الهادية الذين هم عدل القرآن و أحد ثقلى رسول الله صلى الله عليه و آله الذين تركهما مستمسكاً للأمة و ما ان تمسكوا بهما لن يضلوا - ففي هذه الروايات ما ينور الطريق للوصول إلى الحق لمن أظلم عليه الطريق و استبان لنا امور هامة في سياسة الاسلام و تدبير امور المسلمين هي كالأساس في نظم دعوة الإسلام و زعامته .

ليست السورة ذات مقاطع يعالج كل مقطع منها أمراً من الامور غير ما يعالج المقطع الاخر فيعالج مقطعه الأول حادثة من عبس على الاعمى الفقير (و هو ابن ام مكتوم) في قبال التصدّي لأشراف الكفار الأغنياء وسائر المقاطع كل لأمر خاص كما سبق في كلام صاحب (في ظلال القرآن) أو غيره .

تحالف كما انه ليس مقطوعها الأول لرفع المميزات المادية عما بين المسلمين و بناء المميزات على الصفات الحميدة و العمل الصالح و إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فان ذلك مما هتف به الآيات الكثيرة الصريحة في ذلك كما في قوله تعالى : (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(1) و غيره .

كما أنها ليست لتأديب النبي الكريم صلى الله عليه و آله فانه من اوليات صفاته المحمودة من أول نشأته (محّم مد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)(إنك لعلى خلق عظيم)(لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) و يكفي في ذلك مراجعة سيرته الميمونة في كتب السير فيما قبل رسالته و بعدها في كثرة تحنّته على الضعفاء و الفقراء و

ص: 399

1- الحجرات : 13.

مضافاً إلى أنه اصطفاه من الخيرة والله أعلم حيث يجعل رسالته فهو بعد ذلك لم يمكن ان يشرك في أمره أحداً و لو اشرك (على فرض المحال) ليحبطن عمله و ليكونن من الخاسرين (و انه ما ضل صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى) و انه لو تقول علينا بعض الأقويل (قولاً أو عملاً - لرسالته في كليهما) (لأخذناه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) فلم يكن يحتاج إلى هذا النوع من التأديب في سورة من سور القرآن بعد ان اصطفاه الله للرسالة و علم منه ذلك و انه يليق لها .

كما انه لا يمكن ان يقال انها لمجرد معالجة رجل من أصحابه (عثمان بن عفان أو رجل من بني امية) اهان على رجل فقير أعمى و عبس في وجهه و تولّى عنه في قبال أشرف الكفار وأغنيائهم و صار ذلك موجباً لانكسار قلب الأعمى ليتعلم منه المسلمون الموازنة الاسلامية في معاشرتهم مع المسلم الفقير الأعمى و أمثاله من الطبقات الضعيفة قبال الأشراف ، من الكفار و أغنيائهم - و إن كان ذلك من الأهداف في هذه السورة أيضاً لكن الظاهر من الآيات انّ المقصود الاصلى شيء أعظم و أفخم من ذلك .

اهداف العابس في إستعراض نفسه و السورة في تعقيبه

ان العابس الذي استعرض نفسه في مجلس الدعوة و الرسالة بما في طبعه من الخلق الجاهلية و العلاقات المادية و الحميات و العصبيات المنحطة المضادة للقرآن و الرسالة الإسلامية المحمدية صلى الله عليه و آله لم يكن أمراً بسيطاً سهلاً و الالكان من المناسب ان يعظه رسول الله صلى الله عليه و آله و يعالجه كما في كثير من الموارد لا ان ينزل عليه سورة خاصة خالدة يُقرأ آناء الليل و النهار إلى اخر الدهر ففي سيرته صلى الله عليه و آله واجه وقايح كثيرة منافرة للإسلام و هو صلى الله عليه و آله يعالجها بتوجيهه الطاهر يسيراً أو عنيفاً ، يذكر صاحب (في ظلال القرآن) هنا بعضها مثل ما يذكره عما وقع بين أبي ذر الغفاري و بلال بن رباح بكلمة (يا ابن السوداء) انه غضب لها رسول الله صلى الله عليه و آله غضباً شديداً ، فقال : (يا أباذر طفّ الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن

السوداء فضل(1)و وصلت الكلمة النبوية بحرارتها إلى قلب أبي ذر الحسّاس فانفعل لها أشدّ الإنفعال و وضع جبهته على الأرض يقسم ان لا يرفعها حتى يطأها بلال . تكفيراً عن قولته الكبيرة .(2)

يلم وفيما طعنوا على إمارة اسامة بن زيد بن الحارثة و هو حدث السن و قد تخلف بعضهم عن جيشه و لعنهم رسول الله صلى الله عليه و آله ، ففي ذلك يقول عن ابن عمر ، أنه صلى الله عليه و آله قال - ان تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل و ايم الله ان كان لخليقا للإمارة وان كان لمن أحب الناس الى وانّ هذا لمن أحب الناس إلى.(3)

و بذلك و نحوه كان صلى الله عليه و آله يؤدب أصحابه إلى مكارم الأخلاق و محامد الصفات قولاً و عملاً و لذا قال الله سبحانه : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً).(4)

فكانت هذه الحادثة أعظم و أعمق من ذلك ، و جوانبه أكثر مما يبدو لاول نظرة و الآثار المترتبة عليها في الحياة الدينية و السياسية الإسلامية كانت آثاراً هائلة مفعجة و سبعة متداومة يستوجب مصائب و نكبات على الإسلام و المسلمين ، فانزلت هذه السورة هداية و إنذاراً و تحذيراً .

للسورة موضوع واحد له فصول

فلهذه السورة فصول و لكل فصل هداية و توبيخ و تحذير لا مر و كل هذه الفصول مرتبطة ترجع الى الموضوع الواحد

الفصل الأول من السورة

فالفصل الأول منها لبيان الحادثة ، و العتاب على العابس ، و بيان صلاحية الأعمى

ص: 401

1- اخرج ابن المبارك في البر و الصلة.

2- في ظلال القرآن ج 30 ص 47.

3- في ظلال القرآن ج 30 ص 46 اخرج عن الشخين و الترمذي.

4- الاحزاب : 21.

الفقير للإسلام والهداية ، والتصدي لهديته وتركه ، مع ان العابس لم يكن ممن يليق بان يدرك ذلك ، بل كان ملاك العظمة والشرف و الإكرام عنده شرف الغنى والعشيرة ، فلذا تصدى لمن استغنى - ولم يكن ذلك بمجرد بل تصدى في مجلس الدعوة الإسلامية عند رسول الله صلى الله عليه وآله مؤذنا ومشعرا ان يصير لو رسول الله صلى الله عليه وآله ويشغل مناصبه فيكون مع فقده خليفته وقائماً مقامه

فهذه الآيات في الفصل الأول مع توبيخ العابس في سوء عمله وعبوسه على الأعمى الفقير وتلهيه وتوليه وإعراضه عمّن يسترشد إلى حقائق الإسلام ويسعى ، وتحقيره ، في قبال من استغنى بتكبره عن الإسلام ، و ما نال من الغنى والعشيرة ، حتى استوجب إنكسار قلب الأعمى - فبهذه الصفات الذميمة والأعمال القبيحة الدالة على روحيات خبيثة ، يستدلّ في القرآن على انه ليس من شأنه تزكية الناس لعدم صلاحيته من حيث الصفات ومعارفه - فلذا يقول : - وما عليك إلا يزكى - أى ليس على ذمتك وعهدتك - والدليل عليه أنه - واما جائك يسعى (إلى الإسلام - على عموم معنى وسعته) وهو يخشى فانت عنه تلهى - فأنت لا تحرص على هداية الناس ، ولا على نشر حقائق الإسلام ، ولا على تطبيق مواظ القرآن ، ولا على التحنن على المسلمين بما هم مسلمين كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله (لقد جئكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) ومع ذلك ادخلت نفسك في حاشية مقام الرسالة وتصديت لذلك لتدخر لنفسك عناوين ينفك في مستقبل أيامك لما تحبّ من قبض ازمة المسلمين والقرآن والدعوة الإسلامية والقيام مقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله .

والدليل على ما ذكرناه (في هذه الفصل الأول مضافاً إلى ما في بقية الفصول الآتية)

أولاً لو كان المراد من تلك الآيات ايجاد الرأفة والتعظيم للطبقة الضعيفة من الفقراء والعميان وغيرهم في قبال الأشراف والأغنياء او ان ملاك الشرف في الإسلام التزكية والهداية ليكون تعليماً للمسلمين فيما يستقبل من هذه الأمور لذكر ذلك بما يدلّ على إثارة الرحمة على الفقراء والعميان والتمرد والطغيان والإعراض عن الأشراف والأغنياء أو على الأقل - يذكر القيم والموازين الإسلامية في ذلك كقوله : (إنّ أكرمكم

عند الله أتقيكم) بل تلك الآيات يخاطب العابس معاتباً عليه فيما تصدّى له أو تولّى عنه فتصدى لمن استغنى و اعرض و عبس و تلهى عمّن يسعى و هو يخشى لانه كان فقيراً أعمى - فهذه نقطة سوداء في المتصدّى للدعوة الإسلامية و ثانياً يقول و ما عليك أن لا يزكي - فيرفع عن عهده و عن صلاحيته تزكية الناس فهذا يدل على انه كان يريد أن يجعل نفسه في صراط تزكية الناس - ولا يمكن أن يكون ذلك خطاباً إلى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد ما كان رسولاً من الله سبحانه : (يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) و قال سبحانه : (و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون) (1) و ثالثاً أن آيات هذا الفصل الأول على هذا النظر - خلاصتها ، بيان التقديم و الأحقية في التصدّى لتزكيتة للفقير الأعمى بما انه يسعى و هو يخشى و لعله يزكي على من استغنى عن الإسلام و يرى نفسه غنيّاً عن الإسلام بما له من الجاه و العشيرة و المال - و ملاحظة ذلك انما هو في سبيل الدعوة و الرسالة الإسلامية فهو من مناصب رسول الله صلى الله عليه و آله و من يحاذيه و يجلس مجلسه و يشغل منصبه - فكيف ينفي عنه

(عبس و تولّى 1 أن جائه الأعمى 2 و ما يدريك لعله يزكى 3 أو يذكر فتنفعه الذكرى 4 أما من استغنى 5 فأنت له تصدّى 6 و ما عليك ألا يزكى 7 و أما من جائك يسعى 8 و هو يخشى 9 فأنت عنه تلهى تلهى 10).

فهذه آيات الفصل الأول فتدبر فيها منصفاً و خلّ نفسك عمّا قيل فيها رواية أو دراية بل عليك بالتعمق في صميم تلك الآيات فهل تجد فيها غير ما ذكرناه - مضافاً إلى ما سبق في أوائل هذا الكتاب من القرائن الداخلية و الخارجية - فهذه الآيات ليست لتعديل الأخلاق بين عموم المسلمين من حيث الطبقات الضعيفة و القوية على أساس الموازنات الإسلامية و القرآنية - و تدلّ على أن المعاتب ليس هو النبي الأكرم صلى الله عليه و آله بل المعاتب هو العابس الذي أراد أن يجلس مجلسه و يتصدّى لما هو من صلاحية رسول الله صلى الله عليه و آله لا من صلاحيته لا من .

ص: 403

ولذا ذيل ذلك بالفصل الثاني الذي يبين ذلك

(كلاً إنَّها تذكرة - فمن شاء ذكره - في صحف مكرمة - مرفوعة مطهرة - بأيدي سفرة - كرام بررة).

وهذا الفصل الثاني يعطف النظر إلى الفصل الأول مبتدئاً بكلمة (كلاً) رادعاً عما سبق أي (ليس الامر ينبغي ان يكون هذا) كما قال في تفسير التبيان - أو كما قال نجم الأئمة الشيخ الرضي - تقول لشخص فلان يبغضك فيقول - كلاً - ردعا لك أي ليس الأمر كما تقول - وذكر ابن هشام في المغنى ان جماعة قالوا متى سمعت (كلاً) في سورة فاحكم بأنَّها مكّية لأن فيها معنى التهديد والوعيد ، وأكثر ما نزل ذلك بمكة لأن أكثر العتو

كان بها -.

ففي كلمة (كلاً) على رأس هذا الفصل الثاني دلالة على التهديد والوعيد على العتق والاستكبار الواقع في الفصل الأول فيردّ ما عمل و يكف و يردع عنه و انه لم يكن ينبغي ذلك و لا يليق بالدعوة الإسلامية و الرسالة الالهية في هداية الإنسان - فماذا ينبغي ان يكون و ما الطريق الصحيح الذي جعله الله للهداية للطباع البشرية - فبدأ بكلمة (انّ) الدالّة على التحقيق و بيان ما هو الحق الحقيقي - لكن بيان يكون معه دليله فهنا جهات -1- هذه (الدعوة الإسلامية او القرآن) تذكره و وسيلة الذكر و التنبه يحتاج إلى رفق و رأفة و تأليف القلوب و رفع التباغض في كيفية الدعوة - و إلى التهيأ و الاستعداد و الطلب فيمن يُدعى إلى الإسلام - و ان يخليه و نفسه في اختياره لدعوة القرآن فان القبول في الظاهر يتكأ على القبول عن عقيدة و جاذبة لاعتن إكراه أو حميات قومية أو اقتصادية أو غيرهما ان هذه تذكرة - فمن شاء ذكره - فالمشية تنشأ عن صفات النفس و حالاتها المعدة لذلك فما عمله العابس لم يكن مناسباً لطبع الدعوة القرآنية .

(في صحف مكرمة - مرفوعة مطهرة)

و لعل المراد من الصحف المكرّمة المرفوعة المطهرة - ما اشير إليه في قوله سبحانه و تعالى : (حم - و الكتاب المبين - إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون - و

انه في ام الكتاب لدينا لعلى حكيم(1)- فالقرآن في صحف ام الكتاب لدى الله لعلى حكيم مكرمة مرفوعة مطهرة - ولعله يتحد أيضاً مع الكتاب المكنون في قوله تعالى : (إنه القرآن كريم - في كتاب مكنون - لا يمسه إلا المطهرون)(2) وليس المراد صحف إبراهيم وموسى في قوله تعالى : (إن هذا لفي الصحف الأولى - صحف إبراهيم وموسى)(3) فان الظاهر منها بعض ما في هذه السورة الخاصة (سورة الأعلى) لا جميع القرآن فان القرآن اكمل كتاب فيه تبيان لكل شيء - مع أنه قال لالواح موسى (عليه السلام) وكتابه وكتبنا له في الالواح من كل شيء) لا كل شيء وكيف كان - فالقرآن في صحف مكرمة عند الله لا يجعله بايدي من لا يليق به وليس من الكرام - كما في العابس مع أعماله وأوصافه - مرفوعة - فلا يصل إليه من ليس رفيعاً عند الله و مقرباً إليه و - مطهرة - فلا يمسه إلا المطهرون - الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فلا يمكن ان يدركه حقه تماماً وكمالاً ولا أن يطبقه فيما بين البشر على اختلاف طبقاتهم إلا المطهرون الذين ادركوه وعملوا به و اتصفوا بما اوصى به و تنزهوا عما نهى عنه و ابغضه - و اما العابس الذي ظهر منه ما ظهر - فلا يمكن ان يدركه و يطبقه و يجرى على دعوته و منهاجه .

و حيث ان شأن القرآن هذا - فهو بأيدى سفرة - الذين اختارهم و انتخبهم للسفارة و الرسالة فيما بينه و بين الناس (الله يصطفى من الملائكة رسلاً و من الناس)(4) فمن اصطفاه الله فهو أصفى من كل صفي و أظهر الناس من كل رجس و قدارة أخلاقاً و أوصافاً و عملاً و علماً (والله أعلم حيث يجعل رسالته)(5) فهؤلاء السفرة في نزول القرآن من الله سبحانه من ملائكة الوحي إلى الرسل والسفراء من الناس كلهم كرام - بررة (انه لقول رسول كريم - ذى قوة عند ذى العرش مكين - مطاع ثم أمين)(6) وقال سبحانه و تعالى (و لقد فتنا قبلهم قوم فرعون و جائهم رسول كريم - ان أدوا الى عباد الله أتى لكم رسول أمين)(7) وقال سبحانه و تعالى (انه لقول رسول كريم - و ما

ص: 405

1- سورة الزخرف 1 إلى 4.

2- سورة الواقعة 77 إلى 79.

3- سورة الأعلى 18 - 19.

4- سورة الحج : 75.

5- سورة الأنعام : 124.

6- سورة التكوير : 19 إلى 21.

7- سورة الدخان : 17 إلى 18.

هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون(1) فالقرآن كان مبدئه من الله الكريم الاكرم (لا إله إلا هو ربّ العرش الكريم)(2) فوقال تعالى (إقرء وربك الأكرم - الذي علّم بالقلم - علم الإنسان ما لم يعلم) فانزل القرآن بوحيه نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ليكون من المنذرين - و الروح الأمين رسول كريم - و رسول الله(صلى الله عليه و آله و سلم)- رسول كريم فلا بد أن يكون حامل رسالات الله السفارة الكرام - لا اللثام - وكذا كان مبدء النزول من عند الله البر (انا كنا ندعوه من قبل انه هو البر الرحيم)(3) - فلا بد أن يكون حامل هذه الرسالة وسفيره برأ رؤفاً ودوداً رحيماً - (لقد جائتكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم).

(كلاً إنَّها تذكرة - فمن شاء ذكره - في صحف مكرمة - مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة).

فتبين ان الفصل الثاني كيف يكون تنسيقه بأحسن نظام في البيان رادعاً على ما وقع في الفصل الأول ممّا فعله العابس من التصدى لما ليس من شأنه وأوضح في الفصل الثاني منهاج الدعوة و علوه و رفعتة و طهارته و أنها بأيدي سفراء الله الطيبين الطاهرين الكرام البررة -.

الفصل الثالث من السورة

ثمّ في الفصل الثالث يقول : (قتل الإنسان ما أكفره - من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره - ثمّ السبيل يسره - ثم أماته فأقبره - ثم إذا شاء أنشره - كلاً لما يقض ما أمره) هذه هي آيات الفصل الثالث - و تحتاج إلى التدبّر .

فالذى نحتاج إليه في فهم تلك الآيات في بدو البحث أنه من المراد من الإنسان في قوله : (قتل الإنسان ما أكفره) فهل المراد كل الإنسان - أو بعض مجهول من افراده - أو كان شخصاً معيناً لم يذكره المفسرون - أو المراد منه العابس الذي ذكره مع عمله في

ص: 406

1- سورة الحاقة : 40.

2- سورة المؤمنون : 116.

3- سورة الطور : 28

لا- يناسب ارادة كلّ الإنسان ولاطبيعي الإنسان - إذ هو منقسم إلى شاكرك وكفور - قال سبحانه : (انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)(1)- كيف و من الإنسان الأنبياء والمرسلون والمؤمنون والصالحون والشهداء والصدّيقون والأئمة الطيبون الطاهرون كما أنه لا يناسب ان يراد به شخص مجهول فانه كلام خال من الفائدة و يصير من لغو الكلام لايليق بالقرآن وكذا لا يناسب ان يكون شخصاً معيناً من دون قرينة في الكلام و لا نقل رواية متواترة أو معتبرة - لمنافاته لبلاغة القرآن و لضمانة حفظه من الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(2)- فلامحالة يكون المراد به من أتى بذكره قبل هذه الآية و يكون (الألف واللام) للعهد الذكرى - ولا يناسب أحداً من المذكورين قبلاً الا العابس) و هذا أيضاً من القرآني في متن السورة على أنّ المراد من العابس المعاتب عليه انه ، ليس هو النبي (صلى الله عليه وآله) و الظاهر ان المراد من (قتل الإنسان) ليس هو الدعاء عليه بالقتل كما في (تفسير الميزان) إذ لا معنى هنا الله سبحانه بالقتل فانه تعالى عمّن يدعوا و إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) بل الظاهر منه نوع طعن و لعن و شتم كما في بعض الروايات وقوله (ما أكفره) من أفعال التعجب و لعله ليس المراد من كفره عدم اسلامه بل عدم تسليمه لأمر الله و رضاه و عدم اطاعته و انقياده الذي اشار إليه في اخر هذا الفصل الثالث بقوله : (كلاً لما يقض ما أمره) و هذا كفر و جحود عملي في قبال اوامر الله و نواهيه و ستر على البواعث و الدواعي الفطرية إلى الإسلام و هو نوع من الكفر الغير الاصطلاحي .

و ليس التعجب من الله سبحانه بل بيان حال من يتعجب منه كل متعجب (و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم).

و بالجمله ففي هذا الفصل يعود ثانياً إلى حال العابس و طغيانه و تكبره و ان-ه لم يتفكر في ذاته و أنّ الله سبحانه خلقه من نطفة ثم قدره تقديراً في جميع جوانب وجوده و آثاره و حياته بما انه انسان ثم يسر الله سبيله إلى السعادة و القرب من الله في داخل نفسه بما هيأ له من القوى والمشاعر و من خارج نفسه من الأنبياء و الرسل و الكتب

ص: 407

1- سورة الإنسان : 3.

2- سورة الحجر: آية 9.

المنزلة والهداة من الله - وانّ له ان يُسعد نفسه في هذه النشأة الدنيا ، و لذلك آمد ينقضى فإذا انقضى - أماته فأقبره - ثم إذا شاء أنشره - ليوم الجزاء - كلاً - لم يأت في أيام حياته بما ينبغي - ولما يقض ما أمره - وقد كرّر كلمة (كلاً) فالأول بعد حكاية أفعاله في قبال الأعمى و عبوسه و تحقيره و في قبال سادات الكفار و أشرفهم و إنساطه و تجليله لهم ، يريد ان يكون متصدياً للاشتغال بما هو من وظائف صاحب الدعوة والرسالة من الله سبحانه فردعه بكلمة (كلاً) والثاني هنا - بعد بيان ما هو وظيفته و لزوم التوجه إلى خلقته و فطرته و ما يسر الله له من أسباب الهداية إلى سبيل الله تعالى فردعه ثانياً بكلمة (كلاً) و انه لما يقض ما أمره و لم يأت بما يسره الله له من العمل بالإسلام و القرآن .

الفصل الرابع من السورة

ثم في الفصل الرابع يعالج الإنسان عمّا يمكن ان يوجب انحرافه و عثرته و زلّته في هذا المضمار ويستمد من هذه الواقعة، للتوجيه إلى النظر ، و تفكر كل إنسان إلى طعامه الذي يستمد منه في حياته بما هو إنسان مركب من الروح و البدن و النفس و الجسم.

(فليُنظر الإنسان إلى طعامه - إنا صببنا الماء صباً - ثم شققنا الأرض شققاً - فأنبتنا فيها حباً و عنباً و قصباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً و فاكهة و اباً متاعاً لكم ولأنعامكم).

هذا الفصل الرابع يوجه الإنسان و يأمره بالنظر إلى طعامه من حيث كيفية ايجاده و ما يرتبط بحياته و حياة الأنعام المخلوقة لمنافع حياة الإنسان المسخّرة في يده - ففي ابتداء الأمر صب الماء على الأرض صباً ثم شققها شققاً فهياً فيها تراباً ينبت فيه الحب و العنب و القصب و البقول و الزيتون و النخل و حدائق غلباً و بساتين عظيمة ملتفة الأشجار و أنواع الفواكه و الثمار والكلاً و المراتع للأنعام و في الجملة كلها متاعاً لكم أيها الإنسان اما بلا واسطة أو بواسطة الأنعام .

و هنا يذكر أولاً بدو الأمطار النازلة على الأرض المتحجرة الحارة و حصول الطوفان و الفيضانات الهائلة إلى ان تشققت الأرض و صار قشرها الظاهر تراباً يصلح

للنبات و ثانياً أن النباتات في جميع الأدوار ترتبط بنزول الأمطار فيشقق الأرض و يتخلخل خلالها كما ان يدور النباتات تشقق الأرض و تتخلخل عروقها في أعماق الأرض ولكن تلك الآيات عمقها أكثر و معارفها اعظم بكثير مما يبدو لأول نظرة فيها لمن تدبر اليه كامله فيها .

فبدء بهذا الفصل الرابع عاطفاً على ما قبله بكلمة (الفاء) لا (الواو) مشعراً باتصالها بموضوع السورة و انها متفرعة على صدرها الحاكي لواقعة الأعمى و العابس (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فهذا تفریع على ما قبله لا انها جمالات لها معان خاصة مقطوعه مبتورة عما قبلها - أى فحيث كان الأمر (في صدر السورة) كذلك فلا بد ان ينظر الإنسان إلى طعامه .

هذا أولاً- و ثانياً - الظاهر من (الإنسان) في (فلينظر الإنسان) طبيعي الإنسان أو عمومهم لا خصوص العابس أو الأعمى - أو شخص خاص اخر - فان تناسب الحكم و الموضوع في إرتباط الطعام بحياة الإنسان ، لا يختص بأحد دون أحد آخر ، مضافاً إلى عدم قرينة للتخصيص - وثالثاً الطعام هو الذي يستمد الإنسان في حياته و استمرار وجوده سواء قلنا باختصاصه بالمأكل (كما قاله كثير) أو شموله لما يشرب (كما يظهر من قوله تعالى : (قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني و من لم يطعمه فإنه مني) (1) أو قوله تعالى : (فليس له اليوم هيهنا حميم و لا طعام إلا من غسلين) (2) و حيث ان الإنسان له حياة جسمي نباتي حيواني - و حياة روحي علمي معنوي - فالظاهر شمول الطعام لما يستمد به لكلتا الحياتين - و لا سيما ان البحث في السورة يختص بحياته المعنوي العلمي (و ما يدريك لعله يزكى - أو يذكر فتتفعه الذكرى - و ما عليك إلا يزكى) و ان كان كلتا الحياتين مرتبطتين وجوداً و بقاءً و استمداداً و ترقياً لأنه حياة واحد لإنسان واحد فلها وحدة و تعدد بالنظرين - و رابعاً حيث ان مصب الكلام من أول السورة في حياته العلمي و المعنوي - فالظاهر منه ان الأشياء التي صرّح بها من الطعام الجسماني انما هو من جهة ارتباطها بالحياة العلمي و المعنوي - بعد ارتباط الحياة العلمي و المعنوي بالحياة الجسمي في الصحة و السلامة و البقاء و قوتها في الإستمرار فقوله

ص: 409

1- البقرة : 249.

2- سورة الحاقة : 35 - 36.

تعالى (فليُنظر الإنسان إلى طعامه) يكون أظهر الطعام له هنا الطعام العلمي و (المعنوي (كما روى عن الباقر و الصادق عليهما السلام حيث سئل عنهما عن قوله تعالى : (فليُنظر الإنسان الى طعامه) ما طعامه - قالاً - علمه الذي يأخذه عَمَّن يأخذه(1) و ذكر هذه الأشياء من الطعام الجسمي - حَبّاً و عنباً و قصباً و زيتوناً... الخ) من حيث دخالته كماً وكيفاً - في معنوياته و اخلاقه و روحياته و علومه ثم في أعماله و أفعاله الممدوحة أو المذمومة مضافاً إلى النظر إلى وحدة الإنسان مع جسمه و روحه و عقله و كل جوانبه فلكل مما يستمد في حياته الجسمي أو المعنوي تأثير في الآخر - فليس طعامه الجسمي بلا تأثير في روحياته و معنوياته و بالعكس - و خامساً العلوم المربوطة بحياة الإنسان - و علم النفس في الفلسفة يؤيد و يؤكد ما ذكرنا من استمداد كلتا الحياتين في إرتقائهما من الآخر بنحو - و إن لم يكن ذلك على كليته - و سادساً - الروايات عن النبي و الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم بل و القرآن الكريم أيضاً يؤكد ما ذكرنا من تأثير الأَطعمة الحياة المعنوي كما ذكرناه وعلنا سنذكر بعضها إن شاء الله تعالى - و سابقاً أنّ فيما يأكله الإنسان أو يشربه ما يفيد في حياته و يوجب سلامته و صحته أو تقويته و ما يضره و يفسده و يوجب هلاكه أو ضعفه و مرضه - و لكن المقصود من الطعام لكل ان يستمد و يستعين به في حياته لا هلاك نفسه أو تضعيفه و مرضه - وليس تشخيصه و معرفته معلوماً لكل إنسان - و لذا قد يطعم الأغذية المسمومة و يهلك بها نفسه أو يستمرض بها - كل ذلك ينشأ من الجهل أو عدم التوجه الكامل بما استفداه - و هذا أمر واضح لكل إنسان في الأَطعمة الجسمانية - و الأَطعمة المعنوية الروحية أيضاً شأنها كذلك لو لم تكن أشدّ تأثيراً و أبعد عن التشخيص و أصعب علاجاً - فكم من طالب علم أو هداية يستجذب إلى من يسوقه إلى الجهل و الغواية و الضلالة - فيكون من الاخسرين أعمالاً - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا و هم يحسبون انهم يحسنون صنعاً - فالذي دفعه شوقه إلى هداية الإسلام و رسوله صلى الله عليه و آله و سعى إلى مجلس الرسول(صلى الله عليه و آله و سلم) كالأعمى المذكور في صدر السورة أو جذبته العوامل الاخرى الى منهل الهداية من غير قصد إلى هداية القرآن - لا بد ان يعرف ان في هذا المجلس كما يوجد الإسلام و رسوله و قرآنه - كذلك يوجد من

ص: 410

1- تفسير البرهان ج 4 ص 429 نقلا عن الكليني في الكافي و المفيد في الاختصاص . منه.

يستعرض نفسه مكان الرسول و يتكلم عن الإسلام و القرآن بما لا يرتبط بالقرآن و حقائق الإسلام - لعدم صلاحيته علماً و عملاً و أوصافاً .

(فليُنظر الإنسان الى طعامه) الطعام المعنوي العلمي و الجسمي - فاكثُر من يهلك انما هو من سوء التغذية و تناوله السموم بدلاً عن الطعام - لأنه لم ينظر إلى طعامه - فلو نظر و تفكر حق النظر إلى طعامه لهداه الله (الذي خلق فسوى - و الذي قدر فهدى) و أكثر من يستجلب إلى الضلالة - من لم ينظر في علومه و معارفه عمّن يأخذه فيأخذ عن الجاهل الضال المضل أشياء من الضلالة و الفساد الأخلاقي و الانحرافات عن الحقائق و هو مع ذلك يحسب انه اكتسب المعارف الحقّة و الكمالات الإنسانية و يرى نفسه في أعلى مراتب السعادة (فليُنظر الإنسان إلى طعامه - إنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً...).

و كما يمكن انطباق هذا الماء على الأمطار النازلة على الأرض فيتشقق منه الأرض لانبات النبات من أنواع الأطعمة للجسم (حبّاً و عنباً... الخ) كذلك يمكن انطباقه على الحقائق النازلة بالوحي من الله إلى أراضى القلوب - من قلب الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) (نزل به الروح الأمين على قلبك) - (أنزل من السماء ماءً فسال أو دية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايياً... كذلك يضرب الله الحق و الباطل فأما الزبد فيذهب جفاء و اما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (1) - وقال سبحانه : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء - تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (2).

فالكلمة الطيبة التي هي الإسلام (3) و محتوى القرآن و هو الفرقان بين الحق و الباطل ينزل به على قلب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (ليقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلاً) فهي كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كل

ص: 411

1- سورة الرعد : 17.

2- سورة ابراهيم : 25.

3- و يرشد إلى ذلك الآية التي بعدها (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة) و قال الشيخ في التبيان انها الايمان منه.

حين ياذن ربها كذلك يضرب الله الأمثال .

قال علي بن إبراهيم القمي قده - قول الله أنزل من السماء ماء - يقول أنزل الحق من السماء فاحتمله القلوب بأهوائها ذواليقين على قدر يقينه و ذوالشك على قدر شكه (إلى أن قال) فالماء هو الحق والودية هي القلوب(1). وفي الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : (فاما الزبد فيذهب جفاء و اما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) - فأما الزبد في هذا الموضع - كلام الملحدين الذين اثبتوه في القرآن (إلى أن قال) و الذي ينفع الناس منه فالتنزيل(2) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و القلوب تقبله و الأرض في هذا الموضع هي محل العلم و قراره.(3)

و في روايتين عن الباقر و الصادق عليهما السلام انه قال رسول الله صلى الله عليه و آله في قوله تعالى : (كشجرة طيِّبة أصلها ثابت و فرعها في السماء) أنا أصلها و أمير المؤمنين فرعها و الأئمة من ذريتهما - اغصانها و علم الأئمة ثمرتها - الحديث.(4)

و في رواية اخرى عن الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام في قوله تعالى (شجرة أصلها ثابت و فرعها في السماء) قال : نحن نعطي شيعتنا ما نشاء من . العلم .(5) و الكلمة الطيبة - عن ابن عباس هي كلمة التوحيد - شهادة أن لا إله إلا الله(6) (فلينظر الإنسان إلى طعامه - إنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً و عنباً... الخ .

فبملاحظة ما ذكرناه من تناسب آيات هذه السورة و القرائن من سائر الآيات و الروايات التي اشرنا إلى بعضها - فلا تباي هذه الآيات عن الإنطباق في الطعام على كلا

ص: 412

1- تفسير البرهان : ج 2 ص 286.

2- و يرشد إلى ذلك الآيات بعدها - للذين استجابوا لربهم الحُسنَى - أفمن يعلم انما انزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى . منه.

3- تفسير البرهان : ص 287 و تفسير نور الثقلين : ج 2 ص 492.

4- تفسير نور الثقلين : ص 310 ح 2 ص 535.

5- تفسير البرهان : ص 310 و تفسير نور الثقلين : ج 2 ص 535.

6- تفسير مجمع البيان : ج 2 ص 18 و تفسير الدر المنثور : ج 4 ص 75.

الطعامين (الروحي والجسمي) وفي الماء المنصب على كلا المعنيين (الماء النازل من المطر أو من سماء عالم المبدء والوحي النازل من الله سبحانه) وانشقاق الأرض على (الأرض وأرض القلوب) وما ينبت به من الحبوب والثمار والبقول من الأطعمة على (الأطعمة الجسمية من الفواكه والحبوب والثمار وغيرها والأطعمة الروحية من العلوم والمعارف الحقة) والإنسان يستمد في حياته من كلتا الجهتين مع سلامتهما وإلا فيهلك أو يمرض بسوء تغذيته (فليُنظر الإنسان إلى طعامه).

وقد كان واقعة العابس والأعمى و من استغنى في صدر السورة في الرابطة بين الأعمى الفقير الذي لعله يتزكى ويسعى إلى الإسلام ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخشى وبين العابس الذي عيس وتولى أن جائه الأعمى وكان عنه يتلهى مع أنه يسعى ويخشى ، وهذا العابس في حالة اخرى مع من استغنى ، فله يتصدى وهذه العناوين لهؤلاء الثلاثة مشعرة بما في بواطن نفوسهم من السجايا والصفات الحميدة و اخرى ذميمة رذيلة - وهذه السجايا والأحوال ليست بلارابطة عن الأغذية والأطعمة التي كانوا يستطعمونه هؤلاء فلأطعمة والأشربة كما تؤثر صحيحها في صحة الأجسام والأبدان وفاسدها في فسادها - كذلك يؤثر حرامها وحلالها في فساد الأرواح والنفوس أو سلامتها ورشدها في الكمالات المعنوية - فالعباس على وجه الفقير الأعمى الذي لعله يتزكى وهو يسعى إلى الإسلام ويخشى - و من استغنى عن الإسلام بما له من الثروة والعشيرة قد كان لما اكلوا مما حرمه الله تعالى من المال الحرام تأثيراً كبيراً كثيراً في انبعاث نفوسهم لهذه الصفات الرذيلة - كما أن الأعمى الفقير كان لطعامه الذي لا يتجاوز عن الحلال - نوعاً - ولو لعدم قدرته على الحرام، تأثيراً لسعيه إلى الإسلام - دين الفطرة السليمة دين المساواة والتراحم وضغط الظلم والطغيان - فالله سبحانه الذي خلق الإنسان وقدر له من الرزق الحلال وحرم عليه أشياء من الأطعمة - إنما أحل له الحلال من الرزق وحرم عليه الحرام لمصالح نفس الإنسان وما عليه من المفاسد لاعتباً ولاهزلاً ولا أن يعود إليه منافعه مضاره - فسبحانه وسبحانه أن يكون شيء من ذلك .

فمنافع الأطعمة في حلالها ومضارها في حرامها إنما يعود إلى الإنسان جسماً أو روحاً أو كليهما .

(فليُنظر الإنسان إلى طعامه).

الروايات في تأثير الأطمعة في الصفات والسجاي والأعمال

فعن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام : لم حرم الله الخمر و الميتة والدم ولحم الخنزير ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده و احل لهم ما سواه من رغبة منه فيما حرم عليهم ولا زهد فيما احلّ لهم ، ولكنه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم و ما يصلحهم فاحله لهم و اباحه تفضلاً (به) لمصلحتهم و علم ما يضرهم فنهاهم عنه و حرمه عليهم (إلى أن قال) و أمّا الدم فانه ... و يسيء الخلق و يورث الكلف و القسوة في القلب و قلة الرأفة و الرحمة حتى لا يؤمن أن يقتل ولده و والديه ولا يؤمن على حميمه ولا يؤمن على من يصحبه (إلى أن قال) و أمّا الخمر فإنّ الله حرمها لفعالها و فسادها و قال مدمن الخمر كعابد و ثن يورثه الارتعاش و يذهب بنوره و يهدم مروّته ، و يحمله على أن يجسر على المحارم من سفك الدماء و ركوب الزنا و لا يؤمن إذا سكر أن يثب على حرمه و هو لا يعقل ذلك و الخمر لا يزداد شاربها إلا كلّ شر. (1)

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله ان الخمر رأس كل اثم. (2)

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام انك تزعم أن شرب الخمر أشدّ من الزنا و السرقة فقال نعم ان صاحب الزنا لعله لا يعدوه إلى غيره و ان شارب الخمر إذا شرب الخمر زنى و سرق و قتل النفس التي حرم الله عزّ و جلّ و ترك الصلوة. (3)

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال لما حسر (اي كشف) الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام جزع جزعاً شديداً و اغتم لذلك (إلى أن قال) فاوحى الله عزّ و جلّ إليه أن كل العنب الأسود ليهدب غمك. (4)

ص: 414

1- الوسائل ج 16 ص 477 نقلاً عن الكافي و الفقيه و الأمالي و العلل و المحاسن و تفسير العياشي منه.

2- الكافي ج 6 ص 403.

3- الكافي ج 6 ص 403.

4- الكافي ج 6 ص 350.

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام اكل العدس يرق القلب و يكثر الدمعه.(1)

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام اكل السفرجل(2)

قوة للقلب الضعيف و يطيب المعدة و يزكى الفؤاد و يشجع الجبان.(3)

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال كلوا الكمثرى(4) فإنه يجلو القلب و يسكن أوجاع الجوف بإذن الله.(5)

و في رواية عن حنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال يا حنان اما علمت ان أمير المؤمنين عليه السلام لم يؤت بطبق الا و عليه بقل قلت و لم جعلت فداك؟ فقال لانّ قلوب المؤمنين خضرة و هي تحنّ إلى اشكالها.(6)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله الزيت دهن الأبرار و ادام الأخيار بورك فيه مقبلاً و بورك فيه مدبراً، انغمس في القدس مرتين.(7)

و قال سبحانه: (و هزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً - فكلي و اشربي و قري عيناً)(8)

و قال عز و جل: (فنبذناه بالعراء و هو سقيم - و أنبتنا عليه شجرة من يقطين)(9)

امه و قال سبحانه: (و نزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنّات و حبّ الحصيد - و النخل باسقات لها طلع نضيد - رزقاً للعباد ... (10).

ليا و قال سبحانه: (و من ثمرات النخيل و الأعناب تتخذون منه سكرأ و رزقاً حسناً إنّ في ذلك لآيةً لقوم يعقلون)(11)

ص: 415

1- الكافي ج 6 ص 343.

2- فارسی آن «په» است.

3- الكافي ج 6 ص 357.

4- فارسی آن «گلابی» است.

5- الكافي ج 6 ص 358.

6- الكافي ج 6 ص 362.

7- الكافي ج 6 ص 332.

8- سورة مريم: آیه 26.

9- سورة الصافات: آیه 146.

10- سورة ق: آیه 10.

11- سورة النحل: آیه 67.

وفي خطبة الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين صلوات الله عليه يوم عاشوراء من المحرم مخاطباً لعسكر عمر بن سعد - قال - وكلكم عاص
لامرى غير مستمع قولي فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم. (1)

كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أكل الزمان بسط تحته منديلاً فيسأل عن ذلك فيقول ان فيه حبات من الجنة. (2)

وعن أبي عبدالله عليه السلام : من أكل الزمان على الريق انارت قلبه أربعين يوماً. (3)

اله وعن أبي عبدالله عليه السلام قال خير تموركم البرنى يذهب بالداء ولاداء فيه ويذهب بالاعياء ولاضرر له ويذهب بالبلغم ومع كل
تمره حسنة. (4)

وفي رواية اخرى يهنىء ويمرىء ويذهب بالاعياء ويشبع. (5)

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال اللحم ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن ساء خلقه فاذنوا في أذنه. (6)

هذه جملة مختصرة ممّا في بعض الآيات والروايات عن الحجج الطاهرة وأهل بيت الوحي من تأثير الأطمعة في الصفات والأحوال
الروحية الحميدة أو الرذيلة ممّا تتبعه الإرادة والعزم في الأفعال والتروك وكيفية الإنفعالات الروحية عن المواعظ والتذكريات أو الإنبساط
في قبال الحسنات والخيرات والمبرات أو الإنقباض والتقطب والعبوس ومعارضتها .

فللطعام أثر عميق في الأفعال والأعمال نفيًا وإثباتًا.

فلذا يمكننا أن ندرك جانباً آخر من هذا الفصل الرابع .

(كلاً لما يقض ما أمره فلينظر الإنسان إلى طعامه - إنا صببنا الماء صباً - ثم شققنا الأرض شقاً - فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً
وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم).

ص: 416

1- البحار : ج 45 ص 8.

2- الوسائل : ج 16 ص 633.

3- الوسائل : ج 16 ص 637.

4- الوسائل : ج 16 ص 345.

5- الوسائل : ج 16 ص 345.

6- الوسائل : ج 16 ص 309.

فإذا اراد إنسان أن يقضي ما أمره الله فليُنظر إلى طعامه فإنَّ الله سبحانه اخرج من ما الأرض الحبوب و البقول والفواكه متاعاً لكم ولأنعامكم ولتتمتعوا بها في حياتكم - الحياة الجسمية و الحياة الروحية العلمية - ففيها ما يوجب التمتع لكم ولأنعامكم - الأنعام المخلوقة لكم لتتمتعوا بتلك الأنعام في لحومها وجلودها و اشعارها و اصوافها و اوبارها و ألبانها و ما يشتق من ألبانها - متاعاً لكم - تنتفعون بها لأنفسكم ولأنعامكم - فتنفع أنعامكم منها - أنعامكم التي هي لكم و أنتم تنتفعون بهذه الأنعام .

هذه نعم من الله سبحانه في حياتكم الدنيا فانتفعوا بها لسعادتكم في كل حياتكم الدنيا و الآخرة - في معيشتكم و راحتكم و رشدكم و سائر المنافع للدنيا - و لتعديل نفوسكم و تهذيب أخلاقكم و حسن معاشرتكم مع الناس و فيما أمر الله تعالى و نهى عنه من الطاعات و ترك المحرمات و تزكية نفوسكم و عبادة ربكم و تقريبكم إلى الله سبحانه في هذه الحياة الدنيا - لا أن تنتفعون بها للطغيان و التمرد عن أحكام دين الله - دين الفطرة السليمة - دين الإسلام دين المساواة و الاخوة - ولا أن تجعلوا نعم الله التي عندكم ، وسيلة للتفاخر و التكاثر ، و في إنحصار أقرانكم من أبانكم و أبنانكم و عشيرتكم ، و تضغطوا الطبقات الضعيفة من الفقراء و العميان و العبيد و من لناصر و لاعشيرة له تحميه عن الأعداء المنابذين له - وإلا - فليعلم انه قد خسر في ذلك ، و لم ينتفع ، و لم يتمتع بما خلقه الله متاعاً له لدنياه و آخرته فما زعمه من ان جلب رضا عشيرته و الأقوياء من أقرائه ، يحميه عن سخط الله و عذابه إذا أحاط به ، فزعم باطل فاسد و وهم كاسد و هنا يذكر الله سبحانه يوم القيمة ، الذي فيه لا انساب بينهم ، و كل امرء بما كسب رهين و لا ينفع مال ولا بنون ولا عشيرة - و الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين .

الفصل الخامس من السورة

و هذا هو الفصل الخامس من هذه السورة في جولة اخرى على الواقعة المذكورة في صدرها - فتختتم السورة به ..

(يوم يفرّ المرء من أخيه - و امه و أبيه - و صاحبه و بنيه - لكل امرء منهم

يومئذٍ شأن يغنيه - وجوه يومئذٍ مسفرة - ضاحكة مستبشرة - وجوه يومئذٍ عليها غبرة - ترهقها قفرة أولئك هم الكفرة الفجرة).

وبهذا الفصل الخامس تختتم السورة في نظم بديع ، و تناسق متراسد متعاقد ، لا يضل المسترشد في طريق هدايتها ، ولا يزل السالك في صراط التدبّر فيها ، لمن تعمق في التفكير فيها ، فان التفكير حياة قلب البصير ، كما يمشيء المستنير في الظلمات بالنور، الظلمات من الطوفان السياسي بالأأيادي المستأجرة من الوضاعين للروايات الكاذبة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه و يشترون بأيمانهم ودينهم ثمناً قليلاً ، و أولئك لاخلاق في الآخرة و لهم عذاب أليم - و الا - فليس في آيات السورة و فصولها ظلمة و ابهام و غلق و اضطراب بل كلّها يهدى إلى الحق و إلى صراط مستقيم .

نعم في الختام يرجع إلى المطلع و يرشد إليه في جوانب كثيرة .

1 - العابس كان يتجامل مع الأشراف من كفّار عشيرته ليستزيد في عظمة شخصيته و عند الحاجة في اعوانه و انصاره - و لا يتذكر - يوم يفر المرء من أخيه و امه و أبيه و صاحبته و بنيه (الذينهم أقرب أقربائه فضلاً عما يبعد عنه في القرابة) و لكل امرء منهم يومئذٍ شأن يغنيه(ويكفيه عن الذهول عن غيره) .

2- يصوّر تصويراً تمثالياً للوجه العابس الذي عبس و تولّى - أن جائه الأعمى الذي لعله يزكى و هو يسعى إلى الإسلام و إلى رسوله صلى الله عليه و آله و يخشى و كان عنه تلهى ، و أمّا من استغنى فهو له يصدى .

فهذا الوجه العابس و غيره من الوجوه السالكين مسلكه العابسين على المؤمنين - إذا جائت الصاخة - وجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قفرة - فيعلو على وجهه غبار الذل الخفة و يحيط عليها اليأس و الانقباض و الحزن والحسرة - أولئك هم الكفرة الفجرة - هم الذين ستروا و تلهوا و تغافلوا عمّا علموا من الإسلام و المسلمين و خرجوا عن حدود الإسلام و هتكوا شخصية المسلمين و تمايلوا عن الحق و الصدق و لم ينصفوا بين الحق و الباطل و استعروا بالاقبال إلى الغني الذي استغنى و عبسوا و تلهوا عن الفقير الأعمى و الضعفاء من المؤمنين فبذلك رهقهم الذل و الخفة والهوان في الآخرة .

و يصوّر الوجه الاخر التي تلقاها الأعمى المسترشد في أول لقاءه و كان هو المقصود له في سعيه إليه و كان القرآن الذي فيه التذكرة و التزكية بيديه و هو معلمه

العامل به و مبلغه و منذره وكان من سفراء الله الكرام البررة باراً رؤفاً رحيماً بالمؤمنين و متخلّقا بالأخلاق الحسنة على خلق عظيم متبسماً في وجوه المؤمنين و شديداً على الكافرين المستكبرين على الحق المعاندين لهيله رضا جهانسولها

قية و هذه وجوه السفرة الكرام البررة الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحداً إلا الله - التي تلقى الأعمى في مجلس الدعوة الإسلامية أحسنها و أكملها أخلاقاً و ابتساماً في وجوه المؤمنين و هي وجه خاتم الأنبياء و أفضل السفراء و أكملهم في مكارم الأخلاق و محامد الصفات و أظهرهم عن رذائل الملكات و الحالات و أنزههم و أقدسهم عن الأعمال الذميمة و الأفعال الركيكة - وقد ذكر الله سبحانه و وصف هذه الوجوه يوم القيمة بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة).

3- كما يبين في صدر السورة أن واقعة العابس قبال الأعمى الفقير و تعريض نفسه في صراط الدعوة الإسلامية و ما فعله لم يكن حقه و لم يكن ينبغي أن يصير الحال على هذا المنوال - و دل على ذلك بكلمة (كلاً) تعقياً له ، ثم بين ان هذه تذكرة من القرآن و الدعوة الإسلامية (في صحف مكرّمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) و هما منهجان يتظاهران في سبيل الدعوة الإسلامية - منهج الباطل و أهل الضلالة و الدعاوي الباطلة - و منهج الحق و الرسالة الإلهية - فمنهج الباطل في الدنيا يتظاهر بأمثال ما في هذه الواقعة (في صدر السورة) و أشباهه و نظائره و منهج الحق و الرسالة هو الذي ذكره الله سبحانه : (الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحداً إلا الله) في قوله تعالى (في صحف مكرّمة مرفوعة مطهرة - بأيدي سفرة كرام بررة).

كذلك يبين في اخر السورة ظهور صاحب المنهج الباطل و المنهج الحق في الآخرة (وجوه يومئذ مسفرة ... و وجوه يومئذ عليها غبرة) .

4- وكذلك أوضح بذلك ان العابس لم يكن هو صاحب السفارة و الرسالة الخاتمية صلى الله عليه و آله فان وجهه يوم القيمة كالشمس تطلع مسفرة مضيئة ضاحكة مستبشرة و لا يمكن لأحد أن ينسبها إلى ما في اخر السورة - فهذه قرينة واضحة على تعيين المراد من العابس في صدر السورة و انه غيره (صلى الله عليه و آله و سلم).

5- يذكر اولاً الوجوه المسفرة - من دون بيان صاحب الوجه و أوصافه ثم يذكر

الوجوه التي عليها غبرة وترهقها فترة ثم يقول اولئك هم الكفرة الفجرة فتدل أولاً على ان المقصود للأعمى الفقير وكذا الذي استغنى - هو الوجوه المسفرة الا انه اعترض بينهم العابس من الوجوه التي عليها غبرة و ثانياً على أن اللقاء الاصلى الاولي هو للوجوه المسفرة ثم الوجوه التي عليها غبرة و ثالثاً أن الوجوه المسفرة التي يسفر عن وجه الحقيقة و يكشف الستر عنها هي وجوه السفرة الكرام البررة فالوجوه التي عليها غبرة غير قادر على كشف الغبار عن وجه نفسه فكيف بغيره و رابعاً أن الشأن في كشف الحقيقة عن تحت ستور الباطل و هو شأن من وجهه مُشرق مسفر لِيُشرق و يتور غيره - لا من على وجهه الغبار و الظلمة و الخفة النفسانية ليزيلها بالحاق نفسه إلى الأغنياء والأشراف من الكفار - و لا يمكنه أن يزيلها بذلك .

فبيان الحق و دين الحق و انارة الطريق و إرشاد الناس و تعليمهم و تزكيتهم بأيدي سفراء الله بوحى من الله إلى قلوبهم الزكية الطاهرة المنورة الذينهم كرام بررة إلى عباد الله فإنهم وجوه مسفرة مشرقة مضيئة إذا طلوعوا على العوالم الإنسانية يبدلون الليل المظلم بالنهار - كالصبح إذا أسفر - فإن قلوبهم مشكاة أنوار الله و أعمالهم كأخلاقهم و سجاياهم زاكية طيبة طاهرة عن كل رجس و قذارة .

فوجوههم في آخرتهم كالدينا مسفرة مشرقة مضيئة - وضاحكة - لماذا - لأنها لسعيها راضية ، مستبشرة - لما يرى لنفسه من النجاح و الفلاح بأحسن ما يمكن أن يتصور بعد العبور عن عقبات كئيبة خطيرة لم ينجح أكثر الناس في أنفسهم - لكنهم في سفارتهم و رسالات الله إلى الناس و هدايتهم و تزكيتهم و إشاعة الإسلام إلى ارجاء العالم و استغلال امتهم تحت لواء التوحيد ناجحون - فيرون آثار أعمالهم الوسيعة إلى غايتها - فوجوههم ضاحكة مستبشرة .

لكن الذين اشتاقوا ان يضعوا أنفسهم مكان سفراء الله ليجتمع الناس حولهم و يترأسون على المسلمين مع انحطاط أخلاقهم و انحراف أفعالهم عن الإسلام و ظلمة قلوبهم بالجهل و الفساد و الطغيان فعبس و تولّى أن جائه الأعمى و عنه تلهى - و من استغنى فله يتصدى - فهو و أشباهه يوم الصاحه - وجوه يومئذ عليها غبرة - غبرة الذلة و - الخفة - و الجهل و الظلمة - ترهقها فترة - و يغشاها سواد الذل و الإقباض - اولئك هم الكفرة الفجرة - قال في مجمع البيان - كفرة في أديانهم فجرة في أفعالهم ، فهم لم يؤمنوا

في الحقيقة ، بحقيقة الإسلام - ولم يطبقوا أفعالهم على دين الإسلام فهم في الحقيقة الكفرة الفجرة - أو يقال أنهم الكفرة - لما ستروا أنوار الإسلام بغشاوة ظلماتهم - وفجرة - لما طغوا على الإسلام والمسلمين - فجوهمهم يومئذ عليها غبرة - ترهقها فترة .

وقال في تفسير الصافي (اولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا إلى الكفر الفجور فلذلك يجمع إلى سواد وجوههم سواد وظلمة .

وقال في تفسير الميزان (اولئك هم الكفرة الفجرة) أى الجامعون بين الكفر اعتقاداً والفجور وهو المعصية الشنيعة عملاً أو الكافرون بنعمة الله الفاجرون. (1)

في أهداف السورة وما وجهت إليه

قدمضى البحث في شأن نزول السورة والإختلاف بين الفريقين العظيمين من المسلمين - الشيعة ، وأهل السنّة - فالشيعة اطبقوا على ان المقصود ممن عبس هو رجل من بني اميه وبعضهم صرّح بأنه عثمان بن عفان - وعلى ذلك رواياتهم المصرحة به أو المشار إليه في كلماتهم ، وأما أهل السنّة فذهبوا ، أو أكثرهم الى ان المقصود ممن عبس (العياذ بالله) هو رسول الله صلى الله عليه وآله - وعلى ذلك أكثر رواياتهم وكلمات مفسّريهم حتى ان بعضهم ادعى الإجماع منهم على ذلك ولعله ليس كذلك - هذا من جهة . ومن جهة اخرى أنا نعلم أن عثمان بن عفان قد قبض رئاسة المسلمين و زمام امورهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه خليفة الرسول بعد الشيخين أبي بكر وعمر - وكان معه بنو أبيه يحضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع (كما في الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين عليه السلام) إلى أن اجهز عليه عمله و ثار عليه المسلمون و حاصروه في داره و قتلوه تقتيلاً .

و من جهة اخرى ان آياتاً من سورة الأَسراء باتفاق الفريقين (الشيعة و أهل السنة) نزلت في بني اميه بسوء عاقبتهم و نازلتهم وفتنهم على الإسلام والمسلمين و خوفهم الله منهم فما يزيدهم الاطغياناً كبيراً .

ص: 421

منها ما اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك : (و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة) يعنى الحكم و ولده.(1) و منها ما اخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مروة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم رأيت بني امية على منابر الأرض و سيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء - و اهتم رسول الله صلى الله عليه و سلم لذلك فأنزل الله : (و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)(2).

و منها ما اخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم اصبح و هو مهموم فقيل ما لك يا رسول الله ؟ فقال انى أريت في المنام كأن بنيامية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فإنها دنيا تنالهم فانزل الله : (و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)(3).

و منها ما اخرج ابن مردويه عن عائشة انها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لأبيك و جدك إنكم الشجرة الملعونة في القرآن.(4) - إلى غير ذلك من الروايات بهذا المعنى .

و عن طريق الشيعة أيضاً عدة روايات :

منها ما عن العياشي عن أبي جعفر عليه السلام (و فيها) و الشجرة الملعونة في القرآن - يعنى بني أمية.(5)

و منها ما عن أبي عبد الله عليه السلام ان علياً عليه السلام قال لعمر يا أباحفص ألا اخبرك بما نزل في بني امية ؟ قال بلى قال فانه نزل فيهم - و الشجرة الملعونة في القرآن(6).

و منها ، عن القاسم بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال اصبح رسول الله

ص: 422

1- الدر المنثور : ج 4 ص 191.

2- الدر المنثور : ج 4 ص 191.

3- الدر المنثور : ج 4 ص 191.

4- الدر المنثور : ج 4 ص 191.

5- تفسير البرهان : ج 2 ص 424.

6- تفسير البرهان : ج 2 ص 425.

صلى الله عليه وآله يوماً حاسراً حزيناً فقبل له ما لك يا رسول الله؟ فقال إني رأيت الليلة صبيان بني أمية يرقون على منبري هذا فقلت يا ربّ معي؟ فقال لا ولكن بعدك(1).

ومنها ما في رواية عبدالرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام (وفيها) قلت والشجرة الملعونة في القرآن، قال هم بنو أمية(2).

ومنها ما عن يونس بن عبدالرحمن الأشل قال سئلته (أبا جعفر) عليه السلام ((عن قول الله و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس)، الآيات - فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله نام فرأى ان بني أمية يصعدون المنابر فكلما صعد منهم رجل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) الذلة والمسكنة فاستيقظ جزوعاً من ذلك وكان الذين رأهم اثنا عشر رجلاً من بني أمية فاتاه جبرئيل بهذه الآية - الحديث(3).

ومنها ما عن نهج البيان عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أن النبي صلى الله عليه وآله رأى ذات ليلة وهو بالمدينة كان قروداً أربعة عشر قد علو منبره واحداً بعد واحد (إلى أن قال) قال الصادق عليه السلام هم بنو أمية(4).

لكن بأزاء هذه الروايات روايات أخرى تدلنا على تسيطر الإختناق والضغط على أئمة الدين أو الرواة والمحدثين.

فمن روايات الشيعة في ذلك :

رواية سلام الجعفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال أنا لانسمى الرجال بأسمائهم ولكن ، رسول الله صلى الله عليه وآله رأى قوماً على منبره يضلّون الناس بعده عن الصراط القهقري(5).

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى رجلاً من نار على منابر من نار و يردون الناس على أعقابهم القهقري ولسنا نسمى أحداً(6).

ففي أمثال هذه الروايات لا يكتم الحق ولكن لا يصرح بأسمائهم حتى يفتش المستمع ويكشف الحقيقة من هنا و من هناك .

ص: 423

1- تفسير البرهان : ج 2 ص 425.

2- تفسير البرهان : ج 2 ص 425

3- تفسير البرهان : ج 2 ص 425.

4- تفسير البرهان : ج 2 ص 425.

5- تفسير البرهان : ج 2 ص 425.

6- تفسير البرهان : ج 2 ص 425.

و أما في روايات أهل التسنن فجملة اخرى من روايتهم تريهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، و يفترون الشجرة الملعونة في القرآن بأشياء لا تلصق غبارها على بني امية خوفاً - أو طمعاً في عطياتهم.

منها ما اخرجه جماعة من المحدثين كالبخارى و أحمد و الترمذي و النسائي و الطبراني و الحاكم و ابن مردويه (و غيرهم) عن ابن عباس في قوله تعالى و ما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس - قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة اسرى به الى بيت المقدس و ليست برؤيا منام و الشجرة الملعونة في القرآن قال هي شجرة الزقوم. (1)

و على معناها روايات اخرى ففي بعضها كهذه فسرت الرؤيا بليلة الأسراء و الشجرة الملعونة بالزقوم و في بعض اخر اقتصر بتفسير الشجرة الملعونة بالزقوم - مع ان كليهما خلاف ظاهر اللفظ فما رآه صلى الله عليه و آله في ليلة الأسراء كان في اليقظة لا في النوم كما صرح به في نفس هذه الرواية و الرؤيا انما يقال لما راه في المنام كما ان شجرة الزقوم طعام الأثيم في الجحيم و لا معنى لكونها ملعونة كأصل الجحيم حيث خلقها الله سبحانه للآثمين و المجرمين عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و ليست عاصية لتصير ملعونة .

و بالجملة فأثار الوضع و الجعل فيها غير مستورة على المتدبر اللبيب .

مضافاً إلى صراحة نفس الآيات في أن المراد منها جماعة من عصاة الأمة و أتباع إبليس ، تكون فتنة للناس ، و ينصبون أنفسهم أئمة لكن أئمة سوء ، يتبعون الشهوات و يضلون الناس بشتى طرق الضلالة في معارفهم و أعمالهم و أخلاقهم و يردونهم عن الإسلام على أعقابهم القهقري و سوقاً إلى الجاهلية - فإليك تلك الآيات .

(و إذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس و ما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن و نخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً 60 و إذ قلنا للملكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ، قال أسجد لمن خلقت طيناً 61 قال ارءيتك هذا الذي كرمت على لنن اخرتن إلى يوم القيمة لأحتكن ذريته إلا

ص: 424

قليلاً 62 قال إذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزائكم جزاء موفوراً 63 واستفزز من استطعت منهم بصوتك و أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال و الأولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان الا غروراً 64) ثم يقول سبحانه بعد ستة آيات :

(يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقروُن كتابهم و لا يظلمون فتيلاً 71 و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلاً 72) سورة الاسراء .

فمن تدبّر في تلك الآيات الكريمة صدرأ و ذيلأ يعرف أنها لا تلاصق بليلة الاسراء و لاشجرة الزقوم و انها تبين ان الرؤيا التي راها النبي صلى الله عليه و آله في المنام انما اراه الله بها الفتنة الكبرى و الامتحان التي ستقع بعده و اراه الشجرة الملعونة في القرآن لافي الجحيم - و الشجرة تطلق على العشيرة التي هي ذات أصل و عروق و اغصان كالشجرة كما فسرت في روايات الفريقين بنبي امية أو بني الحكم بن العاص الذينهم من فروع بني امية و هي من الآفات في القرآن لافي الجحيم - ثم يقول - و نخوفهم - عن ذلك كما في تلك الآيات وغيرها و ما عن قول رسول الله صلى الله عليه و آله في مواضع كثيرة - فما يزيدهم هداية و بصيرة - بل - فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً - كما انّ هذه الجملة ينطبق على أطغى طواغيتهم يزيد الطاغية - لفظاً و معنى - فظهور الآية بعد ملاحظة روايات الفريقين في تفسيرها بنبي امية - يكفي في طرد الروايات المخالفة الواردة بان المراد من الرؤيا ، واقعة المعراج في ليلة الاسراء - او ان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم .

هذا - مضافاً إلى ذكره سبحانه بعدها امره بسجدة الملكة لآدم فسجدوا - إلا - إبليس - فتمرد عن السجدة تكبراً و اوعده على ان يحتنك ذريته إلا قليلاً .

فما راه صلى الله عليه و آله في الرؤيا و الشجرة الملعونة في القرآن كان من مصاديق ما اوعده عليه إبليس من الاحتناك و الإضلال في القرآن .

وكذا ما تهيأ للشيطان من الفعل و لآدم من امكان القبول و الانفعال عمّا يستفز الشيطان منهم بصوته و يُجلب عليهم بخيله و رجله و يشارك في أموالهم و أولادهم - و يعدهم غروراً - فكل هذه الامور مما يناسب تملك بنبي امية و سلطتهم على امور المسلمين و لا تناسب لها لقضية المعراج و لاشجرة الزقوم - أصلاً .

و مما يوجب صراحة الآيات في أنها واردة في إمامة الأمة و الزعامة للإسلام و المسلمین الآيتان 71 و 72 بعد تلك الآيات : يوم ندعو كل اناس بإمامهم - فهناك إمامان - امام من اوتى كتابه بيمينه - فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً - ولا يعذبون شيئاً - لانّ إمامهم كان إمام هدى و قد هداهم و هم اقتدوا بهداه و اهتدوا به فسلكوا الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم - غير المغضوب عليهم - ولا الضالين - و إمام من كان هذه الدنيا أعمى و لم يتبصر و لم يهتد بهدى الهادين المهديين بل اتبع الذين ظلموا ، الذين جعلوا انفسهم الناس فضلوا و أضلوا كثيراً فقد عمى في الدنيا ان يرى إمام الهدى و يعرفه و يبصره و يتبصر به ، فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلاً .

انكشاف أهداف السورة

اشارة

انكشاف أهداف السورة :

و بعد ملاحظة الجهات التي ذكرناها فلا يخفى على المتدبر اللبيب المنصف إذا تدبّر في سورة عبس و الآيات من سورة الاسراء أن أهداف السورة تتلخص في امور :

الأول : بيان واقعة حقيقية يتصور فيها منهاجان - منهاج من ليس له اهلية للدعوة الاسلامية مع انه يجتهد و يجد في ان يضع نفسه موضع صاحب الرسالة الإلهية ، و منهاج صاحب الرسالة و من يتبعه في منهاجه و سبيله .

و الواقعة هي واقعة مجيء الأعمى الفقير في مجلس صاحب الرسالة وكان فيه رجل من بني امية يتعزّز بهذا المجلس و بانتسابه بالاسلام و بالرسول صلى الله عليه وآله و يريد ان يتصدى لتزكية الناس مع عدم تزكية نفسه فلذا عبس و تولّى أن جائه الفقير الأعمى الذي كان يسعى و هو يخشى و لعله يتزكى - لكن من استغنى عن الإسلام لغناه و شرفه في الكفار وعشيرته - فله يتصدى - مع انه ما عليه ان لا يزكى .

الثاني : بيان عدم لياقة من هذا منهاجه في سبيل الدعوة الاسلامية لدعوة الناس إلى الإسلام و تزكية الامة - فمن يعبس على الأعمى الفقير لعماه و فقره و يتفّر عنه و ينقبض منه و يتصدى لشيوخ المشركين و يستريح إليهم لغناهم و سيادتهم بين الكفار - (الرجاء إسلامهم بل لانه يستغنى عن الإسلام) - ليتعظم و يتعزّز بهم لما يرى فيهم من

العظمة والعزة - مع أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون - فلا يصلح لزعامه المسلمين ولذا يقول سبحانه - وما عليك إلاّ يزكى - فليس على عهدتك التزكية لتثتم وتجرم على ألا يزكّي وليس هذا من شغلك ولست منصوباً من الله لذلك الدليل على أنك لست لذلك هو ما فشى من عملك في هذه الواقعة وما برز منك بالنسبة إلى المؤمن الفقير الأعمى وبالنسبة إلى المشركين الذين استغنوا.

الثالث: بيان أنّ الرسالة الإلهية والدعوة الإسلامية بأيدي سفراء الله الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين خلقه، وهم كرام بررة ودعوتهم رفيعة مرفوعة مطهرة عن كل قذارة أخلاقية غير إنسانية .

فسبيله سبيل التذكرة والتزكية والطهارة والكرم والبر وهذا سبيل خلفائه ومن يشتغل بشغلهم وكلهم سفراء الله على خلقه فسفير الله سفير الله - (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (1) لا بأيدي من عبس وتولّى أن جاءه الأعمى -.

الرابع: الأمر من الله سبحانه بأن ينظر كل إنسان إلى طعامه وما يستمد منه في حياته الإنساني في علومه وتزكيته وتربيته وما يأخذ و ممن يأخذ ليحصل الطعام الطيب الزكي الطاهر من الطيب الزكي الطاهر - لا من غيره - فأنه - الطعام العمدة في طريق هداية الإنسان وتزكيته ، أو ضلّالته - فهناك طعامان طعام الجسم من ألوان ما يخرج من الأرض من الحبوب والبقول والفواكه ، وطعام الروح من العلم والتزكية والتربية والمعارف - وكل منهما انما يفيد على فرض سلامته وعدم فساده وعدم إمتزاجه بالسموم و والآفات - وأكثر ما يفسد ويغش بالسموم - انما هو بأيدي من يصل منه إلى الإنسان الطالب - فلينظر الإنسان إلى طعامه - وإلى من يأخذ منه الطعام الجسمي - والروحي - فلا يكون طليقا في ذلك.

الخامس: أنّ المسلم المؤمن عليه أن يتخذ أوليائه وأصدقائه وأحبائه من المسلمين المؤمنين وان يبذل في ذلك ما عنده من التكريم والتعظيم والبر والصلة فالمسلم المؤمن هو الذي يجذب قلبه إلى المسلم المؤمن ، للمواصلة الحقيقية التي بينهما في العقيدة والايمان ، و على ذلك يحشر الناس يوم القيمة أفواجاً زُمراً - لاعلى

ص: 427

القرباة في النسب ، إذا لم يكن معها قرابة في العقيدة والايمان (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم) يعنى بين من يتباعدون عنه في العقيدة و الايمان - وإلا (فالذين

(آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم)(1)وكذا الأمر في الصداقة و التحاب (والاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين).(2)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين - وإذا ناديتهم إلى الصلوة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون).(3)

فالمسلمون جميعاً وفي رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله مشيهم وسبيلهم هذا ، لاغير - محمّد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم - و أما من اتخذ سبيلاً غير سبيل المؤمنين فليعلم أنه سيكون أمامه - يوم يفر المرء من أخيه و أمه و أبيه و صاحبتة و بنيه - لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه - فليس أمانة المسلمين و زعامتهم إلا لمن سبيله و مشيه و سيرته ذلك - فمن لم يتخلّق به فلا يصلح للزعامة الاسلامية بل هو من المنافقين في قبال المسلمين - بشر المنافقين بأنّ لهم من الله عذاباً أليماً - الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإنّ العزة لله جميعاً(4)- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطاناً مبيناً(5)- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولهم منكم فأنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين - فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أوامر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين(6)- إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة و هم راعون - و من يتولّى الله ورسوله و الذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون.(7)

ص: 428

1- سورة الطور : 21.

2- سورة الزخرف : 67.

3- سورة المائدة : 58.

4- سورة النساء : 139.

5- سورة النساء : 144.

6- سورة المائدة : 53.

7- سورة المائدة : 56.

ففي هذه السورة يشير ويؤكد ما عليه ، حكم الإسلام و القرآن في آياته الكثيرة و السيرة النبوية صلى الله عليه و آله من لزوم تكريم المؤمنين و موالاتهم والرأفة و الرحمة بهم و الشدة على الكافرين و عدم إتخاذهم أولياء من دون المؤمنين فلذا نقطع من آيات نفس السورة ان العابس غير النبي صلى الله عليه و آله .

السادس: أن يعرف المسلمين ان صلاح الدنيا و الآخرة لهم في أن يجانبوا و يجتنبوا عمّن ليس له دعوة الحق و الإسلام و القرآن في أعماله و معاشرته و أفعاله و ليس عليه من الله سبحانه ترقية الناس و لم ينصب من الله و رسوله لذلك - و من علائمه ان يعبس على فقراء المؤمنين و العميان و ضعفاءهم و ينقبض عنهم - و ان ينسط و يفرح و يتعزّز بالكافرين الأغنياء الذين استغنوا عن الإسلام و عن رسول الله صلى الله عليه و آله . فلا- يقبلوهم لافي الحكومة على المسلمين و لافي إتخاذهم أسوة و قدوة لهم في معالمهم و تزكيتهم و معارفهم - لأنهم منحرفون عن الإسلام .

و في أن يجتمعوا حول رسول الله صلى الله عليه و آله و من يحذو حذوه و يتبع منهجه و منصوب من الله مكانه في هداية الناس و إرشادهم و تعليمهم و تزكيتهم .

فهم الهداة المهديون الكرام البررة المعصومون عن الزلل و الإنحراف، فهم بالمؤمنين رؤف رحيم و على الكافرين المعاندين غليظ شديد يجاهدون في سبيل الله على الصراط المستقيم و لا يخافون في الله لومة لائم.

فجوههم في الدنيا للمؤمنين منبسطة مبتسمة ضاحكة مستبشرة كما ان وجوههم و وجوه من اتبعهم في الآخرة مسفرة منيرة مضيئة ضاحكة مستبشرة .

كما أن فريق العابس و من اتبعه و اخذ منهجه في التقطب على المؤمنين و إذلالهم و تحقيرهم و تضعيفهم و لاسيما ضعفاءهم من الفقراء و العميان و المعلولين و أمثالهم من الموالى - و في الإنبساط على الكافرين و تعظيمهم و تكريمهم و ترفيعهم على المؤمنين - ففريقهم فريق لا-خير في اتباعهم لافي الدنيا - لعدم هداية و ترقية و تعليم في متابعتهم - و لافي الآخرة - فيوم القيمة - وجوههم و وجوه من اتخذهم أئمة و قادة و زعماء - وجوه يومئذ عليها غبرة (غبرة الذل و الإنقباض) ترهقها قتره - اولئك هم الكفرة الفجرة.

و هذا هو الذي يُعرف في سورة الاسراء كتاباً و في ذيلها الروايات (على ما سبق) في مبدء الأمر بقوله تعالى : (وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس و ما جعلنا الرؤيا

التي اريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن و نخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) وفي المعاد يوم القيمة - بقوله سبحانه : (يوم ندعو كل اناس بأمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً - و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلاً).

فتارة يعرفهم في سورة - عبس بقوله : (عبس و تولى أن جائه الأعمى و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنبه الذكرى و أما من استغنى فأنت له تصدى و ما وأما عليك الا يزكى و أما من جائك يسعى و هو يخشى فأنت عنه تلهى - كلا)

و أخرى في سورة الاسراء بقوله تعالى : (و ما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن) .

و ترد الروايات في تفسيرها أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة و الشجرة الملعونة يعنى الحكم و ولده - او قال صلى الله عليه و آله اريت بني امية على منابر الأرض و سيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء - إلى غير ذلك مما سبق من الروايات. (1)

و اخرى يذكر كيفية حشر كل من الفريقين يوم القيمة.

ففى سورة عبس يقول سبحانه - وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتره و في سورة الاسراء يقول سبحانه - يوم ندعو كل اناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً - و من كان في هذه أعمى فهو الآخرة أعمى و أضل سبيلاً .

الإجمال الكلام و تلخيصه

و إجمال الكلام و تلخيصه في أهداف هذه السورة المباركة أنها ترسم و تبين منهجين و من يتصدى لكل منهما و من يتبعهما و ما يكون عاقبة صاحب كل من المنهجين و من يتبعهما - في يوم القيمة-.

ص: 430

فقد برز أول المنهجين في قبال الأعمى الفقير المسترشد بالعبوس والتحقيق وفي قبال الأشراف من الكفار الذين استغنوا عن الإسلام، بالتعظيم والإستبشار وهذا منهج من يتعزز بالكفار ويريد أن يترأس على المسلمين مكان رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله في الأمتين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ويرفضوا جميع الأوثان والأرباب من دون الله.

ثاني المنهجين هو الذي عينه الله وشخصه ومن هو قائده وزعيمه ومعلمه ومذكره ومزكيه وهو منهج القرآن ودعوة الإسلام - ومنهج المنصوب من الله سبحانه لذلك ولزعامة - رسول الله وسفيره ومن يتبعونه في منهجه علماء وعملاً وخلقاً ومعاشرة مع الناس من خلفائه الذين نصبهم الله ورسوله لذلك ثم من بعدهم من ذكره وشخصه قدوة للمسلمين من المسلمين من العلماء والفقهاء الراشدين.

مراتب ثلاث لمنهجا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

فهناك ثلاث مراتب لتزكية الناس والتعليم والإرشاد والإمامة والزعامة (وسنذكر إن شاء الله ما في الصحيفة السجادية).

فالمسلمون مأمورون بالأخذ على المنهجا الثاني - لا الأول - كلاً إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة - إلى أن يقول - فلينظر الإنسان إلى طعامه .

وعاقبة كل من المنهجين وصاحبهما ومن يتبعهما يذكرها في آخر السورة ، إلا أنه يقدم منهجا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لتقدمه وعظمته وأنه المقصود الأول من الذكر الحكيم فيقول سبحانه - وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة - وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة اولئك هم الكفرة الفجرة .

ليه زعله لم تلق أية تلك القلف وتاتوقافه وقد ذكر الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه (47) من الصحيفة السجادية - ليوم عرفة - هذه الوجوه المسفرة المضيئة المستبشرة في صلواته عليهم على طبقات حلقاتهم من السلسلة المتصلة من رسول الله وسفيره صلوات

الله عليه وآله - إلى خلفائه الأئمة الطاهرين عليهم السلام - إلى الحفاظ الشريعة - إلى أوليائهم المتبعين منهجهم المقتنين آثارهم المتمسكين بولايتهم.

صلواته على رسول الله صلى الله عليه وآله

فقال عليه السلام - ربّ صلّ على محمد وآل محمد المنتجب المصطفى المكرم المقرب أفضل صلواتك وبارك عليه أتم بركاتك و ترحم عليه امتع رحمتك ربّ صلّ على محمد وآله صلوة زاكية لا تكون صلوة أزكى منها وصلّ عليه صلوة نامية لا تكون صلوة انمى منها وصلّ عليه صلوة راضية لا تكون صلوة فوقها ربّ صل على محمد وآله صلوة ترضيه و تزيد على رضاه و صل عليه صلوة تُرضيك و تزيد على رضاك له و صل عليه صلوة لا ترضى له إلا بها و لا ترى غيره لها أهلاً - ربّ صلّ على محمد وآله صلوة تجاوز رضوانك و يتصل اتصالها ببقائك و لا ينفد كما لا تنفد كلماتك - ربّ صلّ على محمد وآله صلوة تنتظم صلوات ملائكتك و أنبيائك و رسلك و أهل طاعتك و تشتمل على صلوات عبادك من جنّك و إنسك و أهل اجابتك و تجتمع على صلوة كلّ من ذرأت و برأت من أصناف خلقك ربّ صلّ عليه و آله صلوة تحيط بكل صلوة ، سالفة و مستأنفة و صل عليه و على آله صلوة مرضية لك و لمن دونك و تنشىء مع ذلك صلوة تضاعف معها تلك الصلوات عندها و تزيد على كرور الأيام زيادة في تضاعيف لا يعدها غيرك .

صلواته على خلفاء رسول الله المعصومين الأئمة الطاهرين (صلى الله عليه وآله و سلم)

ربّ صلّ على اطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك و جعلتهم خزنة علمك و حفظة دينك و خلفائك في أرضك و حججك على عبادك و طهرتهم من الرجس و الدنس تطهيراً بأرادتك و جعلتهم الوسيلة إليك و المسلك إلى جنتك ربّ صل على محمد وآله صلوة تجزل لهم بها من نحلِكَ و كرامتك و تكمل لهم الأشياء من عطايك و نوافلك و توفرّ الحظ من عوائدك و فوائدك ربّ صلّ عليه و عليهم صلوة لا أمد في أولها ولا غاية

لأمدّها ولا نهاية لآخرها ربّ صلّ عليهم زنة عرشك و ما دونه و ملأ سمواتك و ما فوقهنّ و عدد ارضيك و ما تحتهنّ و ما بينهنّ صلوة تقرّبهم منك زلفى و تكون لك و لهم رضى و متصلة بنظائرهنّ أبداً .

صلواته على حفاظ الدين في كل أوان

اللهم إنك ايدت دينك في كل أوان بأمام اقمته علماً لعبادك و مناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة إلى رضوانك و افترضت طاعته و حذرت معصيته و امرت بامثال أوامره والأنتهاء عند نهيه وألا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللاندين وكهف المؤمنين و عروة المتمسكين و بهاء العالمين اللهم فاوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليه و أوزعنا مثله فيه و آت من لدنك سلطاناً نصيراً و أفتح له فتحاً يسيراً و أعنه برّكنك الأعزّ و أشدد أزره و قوّ عضده و راعه بعينك و أحمه بحفظك و انصره بملائكتك و أمدده بجندك الاغلب و أقم به كتابك و حدودك و شرائعك و سنن رسولك صلواتك اللهم عليه و آله و آخيه به ما أماته الظالمون من معالم دينك و اجل به صداء الجور عن طريقتك و ابن به الضراء من سبيلك و آزل به الناكبين عن صراطك و امحق به بُغاةً قصدك عوجاً و ألنّ جانبه لأوليائك و ابسط يده على أعدائك و هب لنا رأفته و رحمته و تعطفه و تحنّنه و اجعلنا له سامعين مطيعين و في رضاه ساعين و إلى نصرته و المدافعة عنه مكنفين و إليك و إلى رسولك صلواتك اللهم عليه و آله بذلك متقربين .

صلواته على المتبعين منهجهم المؤمنين بإمامتهم

اللهم وصل على أوليائهم المعترفين بمقامهم المتبعين منهجهم المقتفين آثارهم المستمسكين بعروتهم المتمسكين بولايتهم المؤمنين بأمامتهم المسلمين لأمرهم المجتهدين في طاعتهم . أيامهم المادين إليهم أعينهم الصلوات المباركات الزاكيات الناميات الغاديات الرائحات و سلّم عليهم و على أرواحهم و اجمع على التقوى أمرهم و أصلح لهم شئونهم و تب عليهم إنك أنت التواب الرحيم و خير الغافرين و اجعلنا

معهم في دار السلام برحمتك يا أرحم الراحمين.(1)

أقول فأولى صلواته على رسول الله سفيره الذي انتجبه و اصطفاه لسفارته و رسالته

المكرم المقرب الذي يصلّى عليه الله وملائكته : (إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً).

و ثانية صلواته على أطائب اهليته الذين اختارهم لأمره و جعلهم خزنة علمه و حفظة دينه و خلفاء في أرضه و حججاً على عباده و طهرهم من الرجس و الدنس تطهيراً : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) و جعلهم الوسيلة إليه و المسلك إلى رضوانه .

و ثالثة صلواته على من يؤيد الله به دينه في كلّ أوان و زمان من امام اقامه علماً لعباده و مناراً في بلاده بعد أن وصل حبله بحبله و جعله الذريعة إلى رضوانه و افترض طاعته و حذر معصيته و امر بامثال أوامره و الانتهاء عند نهيه و ألا يتقدمه متقدم و ألا يتأخر عنه متأخر فهو عصمة اللاندين وكهف المؤمنين و عروة المتمسكين و بهاء العالمين.

فهؤلاء الطوائف الثلاثة تشملهم كلمة - بأيدى سفرة كرام بررة و هذه الطائفة الثالثة هم الذين ذكروا في روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه و آله مثل ما عن ابن وهب قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه و آله - ان د كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من أهل بيتي موكل يدبّ عنه ينطق بالهام من الله و يعلن الحق و ينوره و يرد كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولى الأبصار و توكّلوا على الله(2) و مثل ما عن اسماعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام . قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين و تحريف الغالين و انتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد.(3)

و في الوافي هكذا - روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلّم انه قال يحمل هذا

ص: 434

1- الصحيفة السجادية دعائه السابع و الأربعون ليوم عرفة.

2- الوافي باب البدع و الرأى ص 45 و ص 56 طبع حاج مهدي.

3- الوسائل : ج 18 ص 109 حديث 43.

العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.(1)

وعن أبي عبد الله عليه السلام انه قال ان العلماء ورثة الأنبياء وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً و إنما اورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً - فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإنّ فينا اهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.(2)

وعن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) هم نجوم شيعتي احياءاً و أمواتاً هم الذين احيوا ذكر أبي عليه السلام بهم يكشف الله كل بدعة ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين ثم بكى فقلت من هم فقال من عليهم صلوات رحمته احياءاً و أمواتاً بريد العجلى و ابوبصير و زرارة و محمد بن مسلم.(3)

فقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) - ان عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليا من اهل يذبّ - بيتي يذب . عنه ينطق بالهام من الله - الخ كما في الرواية الأولى.

منح الطلاق مسامله أو قوله(صلى الله عليه وآله وسلم)- يحمل هذا الدين في كل قرن عدول - الخ كما في الثانية . أو قوله(صلى الله عليه وآله وسلم)- يحمل هذا العلم في كل خلف عدوله - الخ كما في الثالثة .

ملعقة ملها أو قوله(عليه السلام)- فان فينا اهل في كل خلف عدولاً - الخ كما في الرابعة .

تكون كلمة (في كل قرن - أو عند كل بدعة - أو في كل خلف) وكذا كلمة - عدول - ولاسيما بصيغة الجمع قرينة على ان المراد ليس هو الإمام الأصل المعصوم حتى الإمام الثاني عشر الحجّة الغائب صلوات الله عليه فانه عليه السلام في القرون بعد غيبته يكون واحداً و الرواية الأخيرة صريحة في تطبيق هذا العنوان على أكابر علماء الشيعة مثل الأربعة الذين ذكرهم الإمام الصادق عليه السلام و بكى عليهم.

فيعلم من ذلك و من نفس دعاء الصحيفة ان المراد من القسم الثالث الذين صلى عليهم الإمام السجاد عليه السلام هم هؤلاء.

ص: 435

1- الوافي : ج 1 باب فضل العلماء ص 39.

2- الوافي : ج 1 و 3 باب فضل العلماء ص 39.

3- الوسائل : ج 18 ص 105 حديث 25.

فليُنظر الإنسان إلى طعامه . قال الإمام الباقر و الإمام الصادق عليهما السلام - يعنى -

علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه.(1) وقال الصادق(عليه السلام) في الرواية السابقة - ان العلماء ورثة الأنبياء (إلى قوله) فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه .

فنستفيد أن المراد من قوله تعالى - كلاً إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفره كرام بررة - أن علم القرآن و مقام الدعوة إلى الإسلام و تزكية الناس و زعامة المسلمين بأيدي سفراء الله من رسول الله صلى الله عليه و آله إلى خلفائه المعصومين الأئمة الطاهرين المعصومين من أهل بيته الإثنى عشر ثم إلى من يحذو حذوهم و يقتدى بقدوتهم من فقهاء الدين من عدول المؤمنين المخلصين الذين اتبعوا أئمتهم برضوان فرضي الله عنهم و رضوا عنه .

وفي روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم ارشاد إلى ما ارشد إليه هذه السورة المباركة في أخذ معالم الدين و عمّن يؤخذ منه و من يصلح لتزكية المسلمين و الدعوة الإسلامية و من يكون مرجعاً للمؤمنين في أمور دينهم و منهج إسلامهم.

فهذه نقطة حساسة لو إنحرف أحد عنه و لو يسيراً لزل و ضل عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الصالحين فالمتقدم عنهم مارق و المتأخر زاهق - و اللازم لهم لاحق.

و هذه هي النقطة المركزية لدائرة الإسلام و رحى المسلمين يدور الإسلام و صلاح المسلمين على حول هذه النقطة ولذا ترى القرآن و روايات النبي و الأئمة صلوات الله عليهم يؤكد على المسلمين أن يسيروا و يحفظوا سيرهم حول هذه النقطة - وفي هذه السورة يصرح و يقول : (كلاً إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة - بأيدي سفره كرام بررة).

ثم يقول : (فليُنظر الإنسان إلى طعامه).

ويقول الإمام الباقر و الإمام الصادق عليهما السلام : يعنى علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه.(2)

ص: 436

1- تفسير البرهان ج 4 ص 429 نقلاً عن الكليني و المفيد في الإختصاص.

2- تفسير البرهان : ج 4 ص 429.

لها الروايات في تفسير السورة او في ظلالها

وهناك روايات عن المعصومين صلوات الله عليهم في تفسير هذه السورة تشير إلى ما ذكرناه في تفسيرها - وهذه الروايات وإن كانت قليلة ، وحقها أن تكون قليلة ، فإنها بقايا مما جد واجتهد عليها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) في بيان الحقيقة وجاهد شيعتهم على صيانتها عن خيانة الدهر الخوان و - في قبائلهم حكام الجور وأيدى الخونة المستغلبة على كيان المسلمين وحكومتهم قد حاربوا كل من يقابلهم ويخالفهم من المسلمين وأئمتهم وحكموا عليهم بالقتل والسجن والتشريد وعلى حياتهم بالغلق والإضطراب والخوف وعدم الأمن في أوطانهم بل وحتى بالنسبة إلى بعضهم في جميع بلاد المسلمين مع سعتها ورحابتها لغيرهم.

نعم هي القليل مما استحفظ من أمواج الفتن الكثيرة حتى وصل إلى أزمئة آمنة و مكالما النية إلى الآن وصل إلينا.

فلا يجوز لنا أن نعبر عنها من دون وقفة وتدبر وتحليل وتعميق النظر فالحكومات الغاصبة التي تريد أن تأخذ على زعامة المسلمين في قبال حكم الله بتعيين الزعامة في صاحب الرسالة وأوصيائه المعصومين والتي تحرف كالم القرآن عن مواضعها ويحولون العتاب والذم والردع في هذه السورة عن أنفسهم ومن يماثلهم إلى النبي الأعظم الخاتم صلى الله عليه وآله ويستأجر أقلام الرواة والمحدثين ممن اشتروا الضلالة بالهدى على وضع الأحاديث الكثيرة وتدوينها في كتبهم - كيف يستريحون عن أئمة الهدى ومصايح الدجى حتى يعارضوهم ببيان الحق وكشف الحقيقة في تفسير السورة ويفتضح الباطل وأهله - حاشا وكلاً - فما كانت المحاربة والمعارضة بين أئمة الهدى وأتباعهم وشيعتهم وبين الخلفاء الجائرين وحاشيتهم الا على أمثال ذلك من بيان الحق و اعلائه و إحقاق الباطل و اضمحلاله - فقلة ما وصل إلينا من الروايات والآثار عن المعصومين عليهم السلام في تفسير هذه السورة ليست على خلاف الإنتظار - بل وجود هذه البقايا من الروايات مما يدل على ان الله تعالى أنجز وعده حيث يقول(1)

ص: 437

(إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) وقد سبق أن ذكرنا أننا لله سبحانه اودع في نفس السورة قرائن وشواهد كثيرة ترشد إلى الحق والحقيقة في تفسيرها لمن تدبر فيها - ثم أمر بالتدبر في القرآن-(1) أفلا يتدبرون القرآن.-.

وإليك بهذه الوايات

1 - علي بن ابراهيم - كلا إنها تذكرة - قال القرآن - في صحف مكرمة مرفوعة - قال عند الله - مطهرة - بأيدي سفرة - قال بأيدي الأئمة - كرام بررة .

قوله بأيدي الأئمة - من باب التطبيق على بعض المصاديق فانه انما يصل بأيديهم من أيدي النبي صلى الله عليه وآله - كما أن ايدي العلماء من شيعتهم أيضاً مثلهم كما سيأتي في رواية مجمع البيان .

2- محمد بن العباس عن الحسين بن أحمد المالكي عن محمد بن عيسى عن يونس عن خلف بن حماد عن أبي أيوب الحذاء عن أبي عبدالله عليه السلام - في قوله تعالى - بأيدي سفرة كرام بررة - قال هم الأئمة-(2).

3- مجمع البيان - قال روى الفضل بن يسار عن الصادق عليه السلام - قال الحافظ للقرآن العالم به مع السفرة الكرام البررة-(3).

وفي هذه الرواية يذكر الإمام الصادق صلوات الله عليه أن الحافظ للقرآن على عموم معنى كلمة الحفظ للقرآن (من حفظه على ظهر القلب و حفظ حدوده و أحكامه و معارفه في نفسه و أعماله و أفعاله و من يحيط به من إنسان و جامعة و غير ذلك) - العالم به (على عموم معناه و شموله بالنسبة إلى جميع معارف القرآن و أحكامه و فنونه و سنته و آدابه و غير ذلك) يكون مع السفرة الكرام البررة - وهذا هو الذي استفدناه من تفسير هذه السورة و من دعاء الإمام زين العابدين صلوات الله عليه في الصحيفة السجادية و أن فقهاء الدين الحافظون لحدود الله و علومه و معارفه هم في إمتداد السفارة الإلهية للدعوة

ص: 438

1- لنساء : 82 ، محمد : 24.

2- تفسير البرهان : ج 4 ص 428.

3- تفسير نور الثقلين : ج 5 ص 510.

القرآنية (قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين). (1)

فالسفرة لا ينحصر في وسائط الوحي من الله سبحانه من الملكة بل تشمل من أول الوسائط من الله سبحانه إلى آخر من يصلح لتبليغ الدعوة الإسلامية الذين جعل الله سبحانه بأيديهم زعامة ذلك - و منهم «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على - هوام مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه». (2)

ففي هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام اشار إلى انهم مع السفرة الكرام البررة مشيراً إلى تفسير الآية من سورة عبس .

4 - في كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام (في حديث قتل الانسان ما اكفره اى لعن الانسان). (3)

وفي ناليها الله بالة ولله وفي هذا الحديث دلالة ، أولاً: على ان هذه الجملة لعن و شتم كما قدمناه و قربناه لا دعا عليه كما زعمه سيّدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي قدس سره و ثانياً على استحقاق مورده اللعن عليه من الله سبحانه و هذا مرشد الى ان المراد من - الانسان في - قتل الانسان هو العباس المذكور في صدر السورة بما أنه تصدى لمنصب الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و جعل نفسه مكانه في مقام التذكية و الدعوة الاسلامية ليتصدى خلافته بعده و يستوجب ضلالة الناس عن الاسلام كما فعل انموذجاً مما في نفسه مما ذكر في صدر السورة و الا فمجرد ما فعله من العبوس على الاعمى الفقير المؤمن لفقره و عماء و التصدى و الاقبال الى الغنى المترف او من استغنى عن الاسلام لا يستوجب اللعن الخالد من الله سبحانه و لاسيما اذا كان العباس مسلماً مؤمناً كما هو الظاهر من الايات و الروايات.

5 - محمد بن يعقوب ... عن زيد الشحام عن ابي عبد عن زيد الشحام عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تبارك و تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) قلت ما طعامه؟ قال علمه الذي يأخذه

ص: 439

1- سورة يوسف : 108.

2- الإحتجاج : ج 2 ص 40 ، الوسائل : ج 18 ص 94.

3- نور الثقلين ج 5 ص 510.

وفي هذه دلالة أوّلاً على ان العمدة في الطعام المذكور (سواء كان المراد خصوص الطعام الروحي و ان ما ذكره تعالى مما يخرج من الارض يمثلها كما اشرنا اليه او المراد الاعم منه و من الطعام الجسمي كما مرّ ذكره) هو العلم و انّ العمدة في صفائه وكدورته هو صفاء من يأخذ عنه وكدورته و ثانيا على ان قضية مطالب السورة من أولها الى اخرها يدور حول العلم ممن يأخذه لا اشياء اخر مما ذكره المفسرون من ملاحظة حال الفقير الاعمى المؤمن في قبال اشراف الكفار و امثال ذلك و ثالثا بهذه الجملة المذكوره في هذا الحديث تنتظم السوره من اولها الى اخرها كما مر بيانه، و رابعاً على ان اهداف السورة يدور حول العلم والهداية و التذكية و بيان أنه ممن يأخذه عنه و من لا يأخذه عنه و على ظل هذا البيان يفتح ابواب العلم بمقاصد السورة و اهدافها لمن تدبّر في السورة من أولها منضمّاً الى اخرها و استضاء بهذه الرواية

6 - الشيخ المفيد في الاختصاص عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن يزيد عن ابن ابي عمير عن زيد الشحام عن ابي جعفر عليه السلام في قوله تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) قال علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه فلينظر الانسان الى طعامه.(2)

7 - على بن ابراهيم في تفسيره قال - ثم ذكر اعداء آل الرسول(صلى الله عليه و آله و سلم)(وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتره) اى فقراء من الخير و الثواب.(3)

و على بن ابراهيم شيخ اكابر المحدثين كامثال الشيخ الكليني لا ينطق الا عن لسان الاحاديث ولا سيما في تفسير القرآن الذى لا يفسر بالرأى فهذا يكشف عن وجود الاخبار الدالة على مقاتلته و علمه بذلك و انّ هذه السورة من أولها الى اخرها فى اعداء ائمة الدين من آل الرسول صلوات الله عليهم و انّ العابس في اولها كان يريد ان يقبض زمام الزعامة والخلافة الاسلامية فهو و من كان يحذوا حذوه و يمشى على منهاجه في غضب الخلافة و من يتبعونهم و جوههم هكذا (وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قتره)

ص: 440

1- تفسير البرهان ج 4 ص 429.

2- تفسير البرهان ج 4 ص 429.

3- تفسير البرهان ج 4 ص 429.

فهذا ايضا يؤيد و يؤكد ما ذكرناه فى تفسير هذه السورة.

8- و من ذلك ما روينا عن شيخنا شيخ الاسلام الشريف عبدالرؤف المناوى عن شيخه الشريف الطباطبى كان بخلوته التى بجامع عمرو بن العاص بمصر العتيقة فتسلط عليه رجل من امراء الاتراك يقال له قرقماس الشعبانى و اخرجه منها فاصبح السيد يوما فجاءه شخص و قال له رأيتك الليلة فى المنام جالسا بين يدي النبى صلى الله عليه و آله و هو ينشد هذين البيتين:

يا بنى الزهراء والنور الذى *** ظنّ موسى انه نار قيس

لا اوالى الدهر من عاداكم *** انه اخر سطر فى عيس

ثم اخذ عذبة سوط فعقدتها ثلاث عقدات - قال شيخنا المناوى - فكان من تقدير الله عزّوجل ان ضربت رأس قرقماس فلم يضرب الا بثلاث ضربات - فكان ذلك السوط من قبيل فصّب عليهم ربك سوط عذاب(1).

و هذه الرؤيا الصادقة المشاهدة فى الخارج تعبيرها عن رسول الله صلى الله عليه و آله الذى لا يتمثل الشيطان به فى الرؤيا كما فى روايات عن المعصومين عليهم السلام و قد رواها من رايت من كبار علماء العامة تدلّ على انّ السورة من اولها الى اخرها ناظرة الى شرائط تولية الزعامة الاسلامية و القرانية و من لا يلقى بها و من يلقى لها و من يصلح و من لا يصلح بلحن اكيد شديد لا يتسامح فى بعد من ابعاده.

نعم القضية و ان كانت بالنسبة الى واحد من بنى الزهراء عليها السلام لخصوص الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين الا انه اشار صلوات الله عليه الى مطلق اعدائهم الناشئة عداوتهم من المقابلة فى مسألة الخلافة فلولاها لم تكن هذه العداوة بل كان ابناء الزهراء عليها السلام فى قبال الخلفاء كغيرهم بل لعلهم يمتازون بكثرة الحنو و العطفة و لورياء عند الناس.

الى هنا فلنتختم الكلام فى تفسير هذه السورة المباركة و قد طال الكلام و كثر المباحث فيها بعد الفراغ عما كان مقصودنا من الأجوبة عن العثرات الواقعة فيها قبل سنين

ص: 441

1- ينابيع المودة ج 2 ص 104 وج 3 ص 45 للشيخ سليمان بن ابراهيم المعروف ب- خواجه كلان البلخي القندوزي.

كثيرة، ثمّ الحقنا بها مباحث العصمة و ما بعدها لما رأينا من لزوم الحاقها بها وعدم تمامية الكلام في تفسيرها الا بها، كل ذلك رجاءً ان يكون خدمة للنبي الاكرم الخاتم صلى الله عليه وآله و القرآن و دين الاسلام و ان يكون ذخراً ليوم فقري و فاقتى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم و يكتبه الله في ديوان حسناتي و يغفر عن سيئاتي و زلاتي و يجعله وسيلة لشفاعتي و الحمد لله اولاً و آخراً و صلى الله على محمد و آله الطيبين الطاهرين - كتبه بيمنه الأئمة الراجي رحمة ربه في الدنيا و الآخرة - مصطفى شريعت الموسوي و هذا هو الخامس و العشرون من شهر ربيع الثاني سنة 1417 القمريّة من الهجرة النبوية (صلى الله عليه وآله وسلم).

ص: 442

خطبة الكتاب ... 3

الداعي الى تأليف الكتاب ... 4

السورة والروايات في فضلها ... 6

الورود في تفسيرها و بيان قسمة من مفرداتها ... 8

اقوال علماء الامامية في سبب النزول ... 9

قول الشيخ الجليل المتقدم المحدث على بن ابراهيم القمي في تفسيره ... 10

كلام سيدنا المرتضى علم الهدى في كتابه تنزيه الانبياء ... 11

كلام الشيخ الاجل شيخ الطائفة الطوسي في التبيان ... 12

كلام العلامة الحافظ المفسر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي في مشابهاة القرآن ... 13

كلام الحسين بن علي العلوي من علماء القرن الخامس ... 14

كلام شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ... 15

كلام العلامة الفقيه السيد بن طاوس في سعد السعود ... 17

كلام الشيخ الكبير المفسر ابي الفتوح الرازي من القرن السادس ... 18

كلام صاحب منهج الصادقين من القرن العاشر ... 20

كلام العلامة السيد عبدالله الشبل المتوفى سنة 1242... 22

سنة 1242 كلام العلامة المحدث القاساني المتوفى سنة 1091 ... 22

كلام العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي المتوفى سنة 1352 ... 23

اعتراض من المسيحيين و اعجوبة شيخنا البلاغى عنها ... 24

تحقيقات لشيخنا البلاغى في ردّ قول من قال من العامة بنزول السورة في شأن النبي صلى الله عليه وآله ... 25

مناقضات شيخنا البلاغى على المسيحيين فيما قالوا في الطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن نزول سورة عبس ... 25

بيان شيخنا البلاغى لأضطراب روايات العامة في ذلك ... 27

تشبّث المسيحيين للخدشة في عصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض الايات ... 28

اجوبة شيخنا البلاغى عمّا ذكره المسيحيون ... 28

كلام سيدنا الاستاذ العلامة المحقق السيد محمد حسين الطباطبائي في (الميزان) ... 30

تمحيص و تلخيص لأدلة علماء الامامية في نزولها في غير النبي صلى الله عليه وآله ... 34

1- رواية ان الايات نزلت في عثمان عفان ... 34

2- ظاهر آيات هذه السورة غير دال على توجيهها الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... 35

3- بل في نفس السورة ما يدل عند التأمل على ان المعنى بها غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... 35

4- ارجاع الضمائر في هذه السورة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسد، لمخالفة ذلك لآيات اخر ... 36

5- النبي لا بد ان يكون منزهًا عما يوجب التنفير و اى تنفير ابلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلهى عنهم والاقبال على الاغنياء الكافرين

... معارضة هذا التفسير لما ثبت من سيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) ... 37

قبح ترجيح غنى الغنى (وليس ملاكاً لشيء من الفضل) على كمال الفقير وصلاحه ... 37

8 - معارضة ذلك لما ثبت من قطعيات سيرته و تاريخه (صلى الله عليه وآله وسلم) ... 37

9 انه مبعوث ليتمم مكارم الاخلاق علماً وعملاً ... 37

10- على ما ذكره روايات العامة، الذى يستحق المعاتبة هو الاعمى لا ...

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)... 38

اعتراف الفخر الرازي باستحقاق الاعمى للمعاتبه وعذره له ... 38

والجواب عن اعداره ... 39

نظرة عابرة في الروايات المفسره ... 42

الروايات المفسرة عن طريق الشيعة وتوضيحها ... 42

الروايات المفسرة عن طريق العامه ... 52

محاكمة مختصرة للروايات المفسرة عن العامة ... 52

كلام في سند الروايات وبيان انقطاعها وارسالها وبيان ضعف بعض رواياتها ... 54

اضطراب الروايات و تضادها من جهات ... 57

الاولى فيمن جاء النبي و تصدى له ... 57

الثانية الاعمى و اسمه و نسبه ... 59

الثالثة في استخلافه على المدينة و اضطراب الروايات فيه ... 61

مناقضات على استخلافه ... 62

الرابعة في اذانه و اضطراب الروايات فيه 64

موجبات الوهن في متن هذه الروايات و آثاره ... 67

آثار الوهن في متن الروايات و جملة اللواء يوم القادسية ... 69

تصوير الجو الحاكم قبال رسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ... 72

الاستدلال بالآيات على كذب تلك الروايات، وتلك الآيات كثيرة ... 77

1- آية التطهير ... 77

2- لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة (الايه) ... 79

3- ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (الايه) ... 79

4- ما ضل صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى ... 79

5- محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ... 80

6- لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ... 80

7- لا تطرد الذين يدعون ربهم الى قوله - فتطردهم ... 81

ص: 445

8و- لو كنت - ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ...

9- و انك لعلی خُلِقَ عظیم ...

كشف الحقيقة من نفس سورة عبس ...

اشكال على تفسيرهم من حيث البلاغة ...

ما اجيب به عن الاشكال ...

بيان فساد ما أجابوا به عن الاشكال ...

توضيح الحال في الايات وكشف الحق ...

التوضيح للالتفات من الغيبة الى الخطاب و من الخطاب الى الغيبة و بيان مواردتهما من حيث مقتضى الحال والبلاغة ...

تطبيق الايات من الغيبة الى الخطاب في السورة ونتيجته ...

ما تصوّره تلك الايات من مجلس النبي (ص) و من عبس حتى نزل في شأنه تلك الايات ...

هذه الايات تسفر عن وجه الحقيقة و انه من يليق لشأن الدعوة والزعامة الاسلامية و من لا يليق بها ...

في ضوء ما استظهرناه فلننظر ماذا تقول تلك الايات الكريمة ...

الدعوة و الزعامة الاسلامية بأيدي سفراء الله و هم كرام بررة و لاشأن في ذلك لمن عبس و تولى ان جائه الاعمى و تصدى لمن استغنى ...

كلام للبخارى صاحب الصحيح و الاعتراض عليه ...

تحقيق في كلمة كلا والاستمداد فيه من كلام شيخنا الطوسي و نجم ...

الائمة الرضى و الاعتراض على شيخنا الطبرسي في مجمع البيان ...

الايات تنادى باعلى صوتها بان الدعوة القرانية مرفوعة مطهرة ...

عن كل ما ينافيها و بأيدي سفرة كرام بررة مطهرين لايبدى ...

من هو مغلوب تحت مناظر اصحاب الاموال والعشائر و يتقدّر عن ...

المؤمن الفقير الاعمى لفقره و عماء ...

عرض الآيات على التاريخ يكشف العبوس ...

شهادة سيرة عثمان بن عفان خصوصاً و بني امية نوعاً و أكثرأ على ان العبوس هو أو منهم شهادة سيرة عثمان بن عفان على انه المعنى به ...

104

ما فعله عثمان بعبدالله بن مسعود ... 105

ما فعله عثمان بعمّار بن ياسر ... 107

ما فعله عثمان بأبي ذر ... 108

اعداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من اهل الكتاب و ما لعبوا به و طعنوا حول هذه السورة ... 112

عثرات و زلات و اجوبة عنها ... 115

1- كتاب مخزن العرفان للسيدة الجليلة حسنة الدهر و مفخرة نساء العصر دامت بركاتها - كلامها ... 116

الجواب عنها ... 116

2- كتاب (پرتوی از قرآن) للعلامة المجاهد المفسر الخبير السيد محمود الطالقاني دام ظله - كلامه ... 119

الجواب عنه ... 119

كلامه ... 121

الجواب عنه ... 121

كلامه 123

الجواب عنه ... 123

كلامه ... 125

الجواب عنه ... 125

كلامه ... 127

الجواب عنه ... 127

ما ذكره صاحب كتاب (تفسير نوین) ... 131

الجواب عنه ... 132

كلام المحدث القاساني في عدم تعويل على اقوال غير المعصومين من المفسرين ... 132

ص: 447

كلام العلامة البلاغى فى عدم حجىة آراء المفسرين ... 133

ترجمة مختصرة للسدى والكلى (هشام وابوه محمد بن السائب)... 136

تفسير كلام الشيخ الطوسى (ممن حمدت طرائقه ومدحت مذهبه)... 137

كلام (تفسير نوين) ... 137

الجواب عنه ... 138

كلام فى الكاشفى وكتاب تفسيره... 139

كلام (تفسير نوين) ... 141

الجواب عنه ... 141

كلام (تفسير نوين) ... 143

الجواب عنه ... 143

كلام (تفسير نوين) و ما نسبه الى العلامة مما لم يقل به... 145

ما يوجب سوء الظن بنقلات (تفسير نوين) ... 146

كلام السيد المرتضى فى تنزيه الانبياء - و الغرر و الدرر... 147

كلام (تفسير نوين) فى فوائد العتبات فى القرآن الاولى ... 150

الجواب عنه ... 151

الثانية - و الجواب عنه ... 151

الثالثة - و الجواب عنه ... 151

الرابعة - و الجواب عنه ... 152

الخامسة - و الجواب عنه ... 153

السادسة - و الجواب عنه ... 156

كلام (تفسير نوين) ... 159

الجواب عنه ... 160

كلام (تفسير نوين) ... 164

الجواب عنه ... 164

كلام (تفسير نوين) في الخاتمة ... 169

ص: 448

الجواب عنه ... 170

كلام (تفسير نوين) و اعتراضه على السيد المرتضى ... 175

الجواب عنه و بيان ما افترى على الشيخ الطبرسي ... 175

كلام (تفسير نوين) و تجاسره على السيد المرتضى فيما يعرفه اصاغر الطلبة ... 176

الجواب عنه و عما طعن به على السيد و الشيخ ابي الفتوح والسروى ... 178

كلام (تفسير نوين) و ذكره المؤيدات لمختاره 1 و 2 ... 183

الجواب عنه ... 184

المؤيد 3 ... 189

الجواب عنه ... 189

المؤيد 4 ... 190

الجواب عنه و توضيح مفترياته في نقلياته ... 191

المؤيد 5 ... 198

الجواب عنه 200

صاحب (قاموس قرآن) من العلماء المعاصرين دامت بركاته ... 204

كلامه في كلمة (عبس) ... 204

الجواب عنه ... 205

كلامه في كلمة (سفر) ... 207

الجواب عنه ... 209

الاضطراب في بعض التفاسير وجعل المعاتب غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ارجاع بعض الضمائر اليه (صلى الله عليه وآله و

سلم) ... 212

ما المحمل الصحيح لهذا الاضطراب والتضاد ... 214

تأثير العثرات في بعض التراجم الفارسية ... 215

امعان النظر مرة اخرى في تلك الروايات لكشف الحقيقة ... 218

دلالة مجاملة عثمان بعد رياسته مع بعض من في الروايات انه ممن تصدى له او ابنائهم او امثالهم من اشراف المشركين ... 219

ص: 449

- معاملة عثمان ايام رياسته مع اشراف المشركين و ترفيع درجاتهم بين المسلمين ... 220
- امارات وقرائن في نفس سورة عبس تدل على رجوع الضمائر الى عثمان دون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... 223
- كلام موجز في معنى العصمة و عصمة الانبياء و الائمة عليهم السلام ... 226
- الاجماع من الامامية على عصمة الانبياء و الائمة ... 227
- ما ذكره الشيخ الجليل ابوالصلاح الحلبي ... 228
- موجز مما ذكره استدلالا على لزوم العصمة ... 230
- ما ذكره العلامة السيد عبدالله شبر ... 231
- ما ذكره هشام بن الحكم في العصمة ... 236
- ما ذكره المحقق الكراچكى فى كنز الفوائد ... 236
- ما ذكره المحقق الطوسى و العلامة فى العصمة فى التجريد و شرحه ... 237
- ما ذكره العلامة فى نهج المسترشدين فى تفسير العصمة و جملة مما قيل فيه و ما يرد عليه ... 239
- ما ذكره المحقق الطوسى فى كتابه (قواعد العقائد) فى معنى العصمة ... 239
- ما ذكره العلامة فى كتابه (كشف الفوائد) فى معنى العصمة ... 240
- تذييل لكلام المحقق الطوسى و التحقيق فيه ... 241
- ما ذكره الشيخ المفيد فى معنى العصمة فى شرح عقائد الصدوق ... 241
- بيان بعض ابعاد تحقیقاته و افاداته ... 242
- بعض ما يرد عليه من الابهام او الاشكال عليه ... 243
- ما ذكره السيد المرتضى فى (الغرر و الدرر) فى معنى العصمة ... 243
- ما ذكره الشيخ الصدوق فى رسالة الاعتقادات ... 245
- ما ذكره على بن عيسى الاربلى فى كشف الغمة ... 245
- تمحيص و تذييل على كلام كشف الغمة ... 247

تذييل كلام صاحب البحار و ما يرد عليه ... 251

ما ذكره المحقق الطوسي و العلامة في التجريد و شرحه في توضيح العصمة ... 253

تمحيص و تذييل على ما ذكره المحقق الطوسي و العلامة قدهما ... 254

ما ذكره العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ... 255

ذكر ما يرد عليه من المناقشات ... 256

قول آخر في تعريف العصمة ... 257

بعض ما يرد على هذا التعريف من الاشكال ... 258

ما ذكره سيدنا الاستاد العلامة الطباطبائي قدس سره ... 259

النظر فيما ذكره دام ظله و المناقشات عليه ... 263

ما ذكره الراغب الأصفهاني في مقرداته تمحيص و تذييل على ما ذكره الراغب ... 264

ما ذكره السيد الخوئي شارح نهج البلاغه في تفسير العصمة ... 265

تنقيح و تمحيص على كلام شارح النهج في تفسير العصمة ... 267

ما ذكره الشيخ المفيد قده في اوائل المقالات في معنى العصمة ... 268

القول في عصمة الائمة (عليهم السلام) - القول في ولاة الائمة و هل ولايتهم بالنص او الاختيار ... 269

ما ذكره الشيخ المفيد فيما اضف الى اخر كتابه في معنى العصمة ... 270

تلخيص و تمحيص على ما ذكره شيخنا المفيد قده ... 271

تلخيص الاقوال في معنى العصمة و تفسيرها ... 273

في معرفة العصمة لا بد أن يستمد لها من القرآن و اخبار المعصومين عليهم السلام ... 275

تحقيقات حول حقيقة العصمة ... 275

انّ العصمة ليست كلمة شائعة في الادله الداله على هذه الحقيقة في القرآن و الروايات لبحث عنها من حيث اللغة ... 275

ان العصمة ليست كالعلم والحلم والشجاعة مختصه بجانب من جوانب النفس بلى هي عنوان اجمالى لارتقاء النفس وعظمتها فى شتى جوانبها ... 276

ص: 451

ذلك (التحقيق) يستتج امور ... 281

1- اذا نفذ في الانسان نقص تنكسر درجة من درجات كماله فلا يصل الى الله ليتلقى الوحي منه فلا يمكن ان بصير نبياً ... 281

2- انّ النبي هو الذي يصل بطهارته و عصمته و عبوديته الى الكمال المطلق فيتلقى الوحي من ملكه المقرب و مالم يصل الى الكمال فهو منفصل ... 281

3- ان النبي لا يمكن ان يكون غير معصوم فانه في قوة ان يقال انه متصل لنبوته و منفصل لعدم عصمته ... 281

4 - ان النبوة ليست امراً جزافياً يمكن ان يعطيها الله كل احد من الناس 281

5- ان العصمة تحصل من الطهارة... 282

6- من صدر عنه شيء من المعاصي او ظهر منه سيئة حتى قبل البلوغ لا يك-ون طاهراً فلا يكون معصوماً فلا يليق بمنصب السفاره من الله... 282

7- لا يقتصر في متعلق العصمة بالكبائر و لاحاله العمد بل يشمل جميع الحالات الى جميع المعاصي والصفات الرذيلة ... 282

8- كما ان المعصوم مستمد في وجوده من الله كذلك في جميع ما فيه و ما يصدر منه ... 283

9 - ان العصمة امر اختياري و لو كانت ضرورية الحصول بشرط المحمول... 283

10 - انّ العصمة تنشأ من الطهارة الكاملة و لكن للمعصوم مراحل بحسب مراحل الحياة فيرتقى من الكمال الى كمال فوّه ... 283

بيان لآية التطهير و انه لدفع الرجس في المستقبل لا الرفع ... 284

11 - احتمال امكان التدرّج الى العدالة ثم العصمة لكن لا يناله الامامة و النبوة ... 287

12- المعصوم بعد طهارة ذاته و صفاء قلبه لا حجاب بينه و بين الله سبحانه فهو مؤمن بالله و بكلماته ... 289

13 - الرابطه بين صفاء الروح و بين العمل الصالح و بين مواهب الله هي مما نطق به

القرآن وكذا بين سيئات الاعمال وسقوط النفس الى الشقا ... 290

14 - قد ظهر مما ذكرنا ان العصمة من الذات الى الصفات ثم الى العمل ... 293

العصمة في غير الانبياء و الائمة(عليهم السلام)... 295

مريم عليها السلام و عصمتها ... 295

فاطمة الزهراء عليها السلام و عصمتها ... 299

جوانب حياتها وكمالها و اوصافها مما برزت منها في سلوكها و عبادتها و معاشرتها و كلماتها ... 300

آثار علمها واتصالها بملائكة الوحي من الله و ما كتب عنها من مصحف فاطمة(عليه السلام)...

خطبتها في محشد من المهاجرين والانصار و المحاجة على ابي بكر... 306

ذكر عدة ممن ذكر الخطبة في كتابه او اشار اليها... 308

توضيح موجز لبعض جوانب ما يدل عليه الخطبة من علمها وكمالها ... 315

قد دلت من القرآن الحكيم آيات على كمالها وطهارتها وعظمة مقامها عند الله سبحانه ... 316

الاولى - آية التطهير ... 316

المناقشة فيها بانها في ازواج النبي(صلى الله عليه و آله و سلم)و الجواب عنها ... 317

القرينة القطعية من الكتاب والسنّة على أن المراد من اية التطهير هم الخمسة ... 318

دون الازواج... 318

حكاية محاوراة بين المؤلف و بين احد من علماء العامة في الجامع الأموي بدمشق الشام الى ان وصل البحث عن آية التطهير ... 319

الآيات من سورة التحريم و روايات الفريقين دلّت على ان آية التطهير لم تكن في شأن ازواج النبي(صلى الله عليه و آله و سلم)بل المراد

منها هم الخمسة من اصحاب الكساء فقط اصحاب الكساء فقط ... 321

الثانية - آية المباهلة ... 323

اجماع اهل القبلة على انها في النبي و على و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم ... 324

دلالة الآية على فضيلتهم و قداستهم و عصمتهم... 325

آخر الجزء الاول و تاريخ اتمامه من المسودة الى المبيضة ... 326

ص: 453

الثالثه - آيه مودة ذوى القربى ... 327

روايات الفريقين على ان القربى هنا على وفاطمة وابناهما عليهم السلام ... 327

البحث التفسيري عن آيات اجر الرسالة ومودة ذوى القربى ... 328

لا منافاة بين كون المصداق للآية هم المعصومين (عليه السلام) وبين استظلال سائر الذرية تحت هذه الآية ... 329

الرابعة - آيات من سورة الدهر ... 331

ذكر كثير من علماء الفريقين و مفسريهم ممن قال ان الآيات في على وفاطمة والحسن والحسين وفضة عليهم السلام ... 332

ما ناقشه الفخر الرازي في اختصاص الآيات بهؤلاء ... 335

تضعيف الفخر الرازي في كتب الرجال من العامة ... 335

الجواب عن مناقشات الفخر الرازي ... 336

ما فعله هؤلاء من الصيام والصدقة ثلاثة ايام كان بنجو من صعوبة العمل و خلوص النية مما لم يسبقهم و لم يلحقهم احد حتى من الرسل ... 338

ولعل فاطمة الزهراء كانت اكثرهم تحملاً من مشقات الواقعة وصعوباتها وعبوديتها ... 339

اشارة الى اربعة عشر من الآيات و الروايات الدالة على طهارتها وعصمتها من دون توضيح ... 340

و ممن تظهر عصمتها من غير رسالة و امامة و نبوة زينب بنت امير المؤمنين وفاطمة عليهم السلام ... 342

ما يدل على عصمتها من كلمات الائمة عليهم السلام ... 342

بعض تلك الأدلة تشتمل اختها ام كلثوم ... 343

آثار عصمتها و انها عالمة غير معلمة و فَهَمَةٌ غير مفهومة كثيرة ... 344

1- كانت معلمة لثناء زمانها ... 344

2- ان الحسين عليه السلام اوصى الى اخته في الظاهر ... 3444

3- و ما نقل عنها من الزهد والتقوى والايثار و عبادتها و تهجدها و صبرها و حفظها لثقل اخيها في سفرها الى الكوفة ثم الى الشام ... 344

4- صارت علماً للهداية عند ترادف المصائب و الشبهات على الاسلام و المسلمين ... 344

5 - معارضتها و محاورتها مع يزيد رأس الظلم والطغيان المدعى للخلافة حتى ان يزيد لم يستطع مقابلتها ... 345

خطبتها و ما اشتملت عليه من الدلالة على ابعاد كثيره من علو نفسها و علمها و مكارمها و ارتقائها و ارتفاعها الى درجات الطهاره
والعصمة والعلوم النبوية... 347

بعض ما فى هذه الخطبة مما يحتاج الى تحقيق و لم نر من تعرض له ... 349

ذكر بعض الوجوه لحل ما يشكل ... 352

و ممن تظهر عصمته من غير نبوة ورسالة و امامة على بن الحسين الاكبر عليه السلام ... 355

ما يدل على عصمته من كلمات والده عليه السلام ... 355

ما يدل على عصمته من الزيارات ولاسيما الزيارة من الناحية المقدسة ... 356

و ممن تظهر عصمته من غير نبوة ورسالة و امامه سلمان الفارسي رضى الله عنه ... 357

الروايات فى فضله و علمه و انه مُحدّث ... 358

الرواية من الفريقين عن رسول الله(صلى الله عليه و آله و سلم) - سلمان منا اهل البيت... 358

كلام محي الدين بن العربي في استظهاره العصمة لسلمان من تلك الرواية... 359

علمه بالمنايا و البلايا و الانساب على ما هو عليه واقعاً ... 360

انه ادرك علم الاول و الاخر و انه بحر لا ينزف ... 360

15 - ان للعصمة مراتب متراقية مع اشتراك جميعها في اصل العصمة ... 361

المرتبة الاولى طهارتهم من حين انعقاد وجود ثم تولدهم ... 361

ل المرتبة الثانية الطهارة واقداسة في مرتبة النفس ثم الاعمال والصفات والافكار والمعارف والعلوم في هذا العالم ... 362

المرتبة الثالثة ان يكونوا باعمالهم وصفاتهم وافكارهم ومعارفهم مرضيون عند الله سبحانه ... 362

فهم كانوا على صفة التقوى من الله سبحانه ... 363

وهم كانوا على خوف وخشية من الله سبحانه ... 363

وهم كانوا محسنين على اطلاق معنى الكلمة فيصدقهم الله على ذلك ... 363

وهم كانوا من اهل البكاء والخشية حال عباداتهم والسرعة الى الخيرات 364

وهم كانوا ممن اقام الصلوة وآتى الزكوة مرضييون عند ربهم آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ... 364

وهم لم يكونوا ظالمين بكل معنى الكلمة من اول امرهم الى آخره ... 365

وهم عرفوا الله تعالى وعبده مخلصاً من غير اى شائبه م-ن الش-رك بجميع انحائه ومظاهره ... 366

أنهم كانوا يرون الحق والحقيقه في روابط الموجودات كلها بالله سبحانه و سلطانه فيها و مجرى فيض الوجود منه سبحانه الى كل شيء ...

367

أنهم فى عباداتهم ومعارفهم كانوا بنحو لا يرتضون الا ما يرضى الله ولا يكرهون الا ما كرهه ولا يحبون الا ما احبه ... 368

انهم كانوا يسيرون الى معارج الكمال و معالى الفضائل الا ان سيرهم من الطهارة الى مراتب الكمال ... 368

انهم كانوا مصونين بعصمة الله و مؤيدين بنصره و تحت عين رعايته في جميع احوالهم ... 369

16 - ادلة خاصة في عصمة نبينا الخاتم صلى الله عليه و آله مضافا الى ما سبق مما يدل عليها من الذكر الحكيم و هي امور ... 372

ص: 456

الأول الآيات التي اردفت طاعة الرسول بطاعة الله و معصيته بمعصيته و ما في معنى ذلك ... 373

الثاني قوله تعالى - والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى - الايات ... 375

الثالث ثوله تعالى - ولولا فضل الله عليك و رحمته لهمت طائفة منهم ان الرابع قوله تعالى - و لئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا اليك (الى اخره)... 376

الخامس قوله تعالى - لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا (الى اخره و آيتان غيره مثله) 377

السادس قوله تعالى - يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا و مبشرا (الى اخره... 378

السابع قوله تعالى - انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس (الى اخره) ... 380

الثامن قوله تعالى - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً (الى آيتين بعده) ... 383

التاسع قوله - النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم العاشر قوله تعالى - انما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا (الى ايه بعده) ... 387

خاتمة لبحت العصمة و موجز القول فيه ... 392

التحقيق في بيان نظم آيات السورة و اهدافها ... 393

كلام الاستاذ العلامة الطباطبائي في ذلك ... 394

المحقق الفيض القاساني و فراسته في ذلك ... 394

بيان نظم السورة من السيد القطب المصرى في تفسيره (في ظلال القرآن) ... 395

بعض المناقشات على السيد القطب ... 397

الامقاطع فيها متقاطعة بل لها موضوع واحد له فصول ... 397

اهداف العابس في تعريض نفسه و السورة في تعقيبه ... 400

للسورة موضوع واحد له فصول ... 401

الفصل الأول من السورة ... 401

الفصل الثاني من السورة ... 404

الفصل الثالث من السورة ... 406

التحقيق فى تفسير الطعام (فلينظر الانسان الى طعامه) ... 410

طعام الانسان - المعنوى والجسمي ... 411

جولة حول الانسان وما يرتبط به من التغذية ... 412

آيات وروايات فى تأثير الاطعمة فى الأعمال والصفات والسجيا ... 414

الفصل الخامس من السوره وخاتمة السوره ... 417

الى رجوع الخاتمة مطلع السوره فى جوانب كثيرة ... 418

فى اهداف السوره و ما وجهت اليه ... 421

التقارن بين ما فى سورة عبس وبين ما فى سورة الاسراء من رؤيا النبي صلى الله عليه وآله الفتنة الكبرى والشجرة الملعونة ... 422

التحريف فى بعض الروايات وما فيها من المناقشة ... 423

انكشاف اهداف السوره فى امور - الأول - الثاني ... 426

الثالث - الرابع - الخامس ... 427

السادس من اهداف السوره ... 429

اجمال الكلام و تلخيصه ... 430

مراتب ثلاث لمنهاج الرسول صلى الله عليه وآله ... 431

الصلوات فى الصحيفة السجادية لاصحاب المراتب الثلاث ومن تبعهم - صلواته على رسول الله صلى الله عليه وآله ... 432

صلواته على خلفاء رسول الله الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم ... 432

صلواته على حفاظ الدين فى كل آوان وزمان ... 433

صلواته على المتبعين منهمجهم المؤتمين بأمامتهم ... 433

الرجوع من دعاء الصحيفة الى سورة عبس

تفسير كلام الامام السجاد من روايات أخرى عن المعصومين ع ... 435

الروايات فى تفسير السورة اوفى ظلالها مما يؤيد ما فسرناه ... 437

ص: 458

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

